جامعة الجزائر
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم التاريخ

التصوف بالغرب الإسلامي
في عصري المرابطين والموحدين

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط

لجنة المناقشة

د– محمد بن عميرة:رئيسا
أ.د– عمار جيدل عضوا
د– محمد الأمين بلغيث :مقررا
د–مختار حساني :عضوا

إعداد الطالبة:
زينب ملياني

إشراف/ الدكتور:
محمد الأمين بلغيث

السنة الجامعية: 2006–2007 م/1427–1428هـ

مقدمة: يعتبر التصوف في الفترتين المرابطية و الموحدية من الموضوعات المهمة التي تستدعي من الدارسين الاهتمام بها أكثر، وإبراز دور المتصوفة في الحياة ومواقفهم إزاء العديد من قضايا المجتمع،والحقيقة أن الروايات المنقبية وكتب التراجم قد احتفظت لنا بسير الكثير من المتصوفة التي تسمح للباحث في هذا المجال بالتعرف أكثر عن حقيقة الحياة الصوفية التي عرفها الغرب الإسلامي خلال هذه الفترة الهامة –عصر المرابطين والموحدين- وأثرها على جميع الميادين والدارس لموضوع التصوف تعترضه بعض الصعوبات خاصة فيما يتعلق بأفكار المتصوفة التي اقترنت بالنظريات الفلسفية والتي تتطلب منه الإلمام بمعاني المصطلحات الصوفية و الفلسفية على حد سواء.

والملاحظ ان الدراسات الحديثة قد بدات تركز اهتمامها على التصوف بالغرب الإسلامي ،ونجد من بينها دراسة محمد الأمين بلغيث المعنونة بـ" الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين" والتي عمد ن خلالها إلى ذكر أهم المراكز التي ساهمت في توسيع التصوف وانتشاره ،فضلا عن إبرازه لدور المشاهير المتصوفة ،كما خصص جزءا من اطروحته للدكتوراه الموسومة بـ" الحياة الفكرية في عصر المرابطين" لإعطاء لمحة عن حقيقة التصوف في عصر المرابطين أما محمد دبوب فنجده اهتم بإسهامات المتصوفة في مجالات الحياة في رسالته للماجيستير التي عنونها بـ" مساهمة الحركة الصوفية في المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ببلاد المغرب الإسلامي وتفاعلاتها خلال القرنين (3هـ-5هـ/9م-11م) .

هذا إلى جانب الطاهر بونابي الذي تطرق هو الاخر إلى دراسة التصوف في كتابه الموسوم بـ" التصوف بالجزائر خلال القرنين 6-7 الهجريين /12-13 الميلاديين والذي يشكل رسالة ماجيستير ،غير انه خص دراسته بالجزائر فقط. كما نجد ابراهيم القادري بوتشيش قد تناول في احد كتبه الذي يشكل قسما من اطروحة دكتوراه دولة و المعنون بـ" المغرب والأندلس في عصر المرابطين –المجتمع – الذهنيات-الأولياء" إلى دراسة التصوف بالمغرب والأندلس في عصر المرابطين.

لذا إرتأيت أن أخصص دراسة مستقلة عن التصوف إبان العصرين المرابطين و الموحدي باعتبارها مرحلة هامة من تاريخ التصوف بالغرب الإسلامي ،وكان بذلك عنوان موضوع مذكرتي "التصوف بالغرب الاسلامي في عصر المرابطين و الموحدين".

وقد حاولت من خلال انجاز موضوع محل الدراسة الإجابة على عدة تساؤلات نذكر منها:

1- أن انتقال التصوف إلى الغرب الاسلامي وتواصل انتشاره حتما كان بفعل مجموعة من العوامل فكيف كان أثرها على ظهور التصوف وانتشاره؟

2- هل كان لهذه العوامل أثر على تنوع الاتجاهات الصوفية ؟وهل كان هناك بالفعل تنوع في الاتجاهات الصوفية؟

3- كيف واجه المتصوفة المشاكل التي عاشها مجتمع الغرب الاسلامي أنذاك؟ وفيما تمثلت إسهاماتهم في الحياة؟

واتبعت أثناء عملية تحرير المعلومات المنهج التاريخي والذي قام على أساس استقصاء المعلومات من المصادر والمراجع ،ثم العمل على تحليلها والمفارقة ما بين نصوصها مع نقدها، كما اعتمدت على المنهج الاحصائي الذي ساعدني على إدراج كل متصوف ضمن الاتجاه الذي اتبعه إلى جانب المنهج الوصفي.

وعرفت في مقدمة الموضوع بأهمية و المنهج المتبع فيه، كما عرفت اهم المصادر التي اعتمدت عليها ثم قسمت البحث إلى مدخل وأربعة فصول وفي المدخل عرضت نبذة تاريخية عن دولتين المرابطين و الموحدين وأفردت الفصل الأول بعنوان مدخل إلى التصوف الإسلامي وعوامل انتشاره بالغرب الاسلامي وعرفت من خلاله بمصطلح التصوف وانواعه التي تمثلت في نوعين :التصوف السني والتصوف الفلسفي وفي خضم ذلك تتبعت نشأة وتطور ظاهرة التصوف،ثم تطرقت إلى عوامل انتشار التصوف بالغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين،وقد أجملتها في أربعة عوامل:

بداية تناولت العوامل الدينية وشملت حركة الزهد التي عرفها الغرب الإسلامي، وقد أسهمت بدورها في ظهور التصوف وانتشاره،إلى جانب انتشار الربط التي شكلت مراكز نشأ فيها التصوف وانتشر عن طريقها ،ثم بينت دور الرحلات الحجية والعلمية في نقل مصنفات المتصوفة المشارقة،فضلا عن التأثر بالاتجاهات التي عرفها المشرق آنذاك ،ومساهمة هؤلاء العلماء بنقلها إلى مواطنهم عند رجوعهم إليها،كما أن المتصوفة المغاربة أنفسهم أسهموا في نشر ظاهرة التصوف من خلال مؤلفاتهم التي أثروا بها هذا المجال.

أما العوامل السياسية فقد عالجتها من خلال سياسة الدولتين المرابطية والموحدية، فركّزت فيها على دور السلطتين وسياسة الحكام وأثرها في تشجيع انتشار التصوف وتطوره ،وفي العوامل الاقتصادية ارتأيت أن أركز على الأزمة التي عرفها المجتمع في عصري المرابطين والموحدين لما لها من دور في ظهور التصوف وانتشاره ،وذلك لأن معظم الباحثين كانوا يرجعون ظاهرة التصوف إلى البذخ

والثراء باعتبارهما من أهم الظروف الاقتصادية التي تجعل فئة من المجتمع تتقشف في حياتها وتتزهد كردة فعل على حياة الترف التي انغمس فيها أفراد المجتمع ،غير أنني أردت أن أبيّن ما للأزمة من أثر في ذلك باعتبارها أحد العوامل التي ساهمت في بروز نخبة من المجتمع عبرت عن موقفها من هذه الأزمة وآمالها في ايجاد حلول لها، وأخيرا تحدثت عن العوامل الاجتماعية التي شكّلت أحد أهم الأسباب المؤدية لظهور التصوف، وذلك لما عرفه الغرب الاسلامي من تفسخ وتراجع للقيم الانسانية نتيجة للظروف الاجتماعية المتمثلة في انقسام المجتمع إلى طبقات وزيادة الفوارق بينها مع الوقت،فضلا عن بروز طبقة الفقهاء التي أصبحت تمثل إحدى الطبقات الثرية خاصة مع العصر المرابطي وفي ظل هذا الاختلال ظهر التصوف باعتبار أن كل هذه العوامل كان لها الدور الفعّال في تهيئة الأرضية لظهوره.

أما الفصل الثاني فقد عنونته بالاتجاهات الصوفية بالغرب الاسلامي في عصري المرابطين والموحدين وقسمتها إلى ثلاث اتجاهات :الاتجاهات الصوفية السنية وتضمنت اتجاه المجاهدة النفسية اتجاه المجاهدة العملية واتجاه الوعظ والتذكير،و اتجاه الترهيب والترغيب واتجاه الخلوة والانقطاع واتجاه التصوف التلقائي، وأدرجت في كل اتجاه منها مجموعة من المتصوفة ممن اشتهروا باتباعه،ثم تطرقت الى الاتجاهات الصوفية السنية الفلسفية وأبرزت فيها الغزاليين وهم المتصوفة الذين تأثّروا بأفكار أبي حامد الغزالي وعملوا على نشرها في الغرب الإسلامي ،وأدرجت ضمنها الاتجاهات التي كان أصحابها من المتأثرين بالغزالي واستطاعوا تكوين أفكار صوفية خاصة بهم حافظوا فيها على تصوف الغزالي ،وتمثلت في المدينيين وهم أتباع أبي مدين شعيب والشاذليين ثم أصحاب التوجه الاحساني واقتصرت على ذكر أبي العباس السبتي الذي قامت أفكاره الصوفية على أساس الصدقة وربط كل أركان الدين بها،فراح يفسر كل واحدة منها على أساس مبدأ الصدفة والإحسان،وأخيرا أدرجت الاتجاه الباطني ضمن الاتجاه السني الفلسفي وقد انقسم إلى اتجاهين ،الاتجاه المعتدل وتزعمه ابن العريف والاتجاه المتطرف الثائر الذي دعا إلى الثورة وتزعمه ابن قسّي.

أما الاتجاهات الصوفية الفلسفية فقد بالغ أصحابها في استخدام الفلسفة حتى طغت على تصوفهم وبات تصوفا فلسفيا وتمثلت في الاتجاه الاشراقي الذي تصدره إبراهيم النفذي والحراكي .واعتمد أصحاب هذا الاتجاه على نظرية الإشراق الفلسفية التي قامت على أساس إشراف الأنوار الإلهية على المريد ليتمكن له في الأخير الشهود.

هذا إلى جانب اتجاه الوحدة المطلقة و الذي ضم مجموعة من المتصوفة جاء في مقدمتهم أبو الحسن الشوذي الذي أطلق على أتباعه إسم الشوذية ونظرا لاعتماده البله مستارا لتصوفه يمكن ان نطلق

على أتباعه الدراويش، غير ان نظرية الوحدة المطلقة عرفت قوتها مع ابن سبعين وتلميذه الششتري وعرق أتباعها بالسبعينية،اما الاتجاه الأخير فهو اتجاه وحدة الوجود وتزعمه المتصوف الندلسي إبن عربي دون منازع وقد خطا معه التصوف قدما، وقام اتجاهه على وحدة الوجود حتى أنه قال بوحدة الأديان.

وعملت على جعل الفصل الثالث خاصا بدور هؤلاء المتصوفة في المجتمع فطرحته تحت عنوان دور المتصوفة في الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية ،فتناولت دورهم الاجتماعي من خلال التعرف على طبيعة أسلوبهم في الحياة الذي تميز بالزهد والتقشف،ثم أوضحت مواقفهم من بعض قضايا المجتمع من خلال كراماتهم التي عكست ذلك ،وبعدها عملت على إبراز دورهم الاجتماعي والديني،وأخيرا دورهم السياسي الذي عالجته من زاويتين، فعرضت علاقتهم بالسلطتين المرابطية والموحدية التي تميزت بالإحتواء والمسالمة أحيانا وبالتوتر أحيانا أخرى حتى وصلت إلى حد الثورة ،وهذا ما ناقشته في إطار ثورة المريدين وثورة ابن هود الماسي ،ثم بينت نوعية العلاقة التي ربطت المتصوفة بالفقهاء خلال العصرين المرابطي والموحدي.

وفيما يخص الفصل الرابع فقد أفردته لدورهم في نشر التعليم وإثراء العلوم، فتطرقت أولا إلى دورهم في تطور بعض المؤسسات التعليمية وأردت بذلك الاشارة إلى تطور الربط إلى زوايا، هذه الأخيرة التي شكلت مراكز دينية ثقافية واجتماعية ،كما تعرضت بالتفصيل إلى دورهم في الجانب التعليمي الذي ناقشت فيه تعليمهم للصبيان وللشباب وللعامة ،ثم واصلت الحديث عن دورهم في هذا المجال باسهاماتهم في العلوم بنوعيها العقلية والنقلية وإثرائهم بمؤلفاتهم الكثيرة .

أما الخاتمة فقد كانت عبارة عن حوصلة لنتائج البحث كله وتمثلت في استنتاجات خرجت بها بعد دراستي لكل فصل من فصوله.

عرض وتحليل أهم المصادر:

اعتمدت في دراستي لموضوع التصوف على مجموعة من المصادر المهمة التي ساهمت بشكل كبير في خدمة موضوعي ،وقد ركزت على ذكر أهمها:

أولا – كتب المناقب:

1-نذكر منها بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخبار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار أبو يعزى سيدي موسى[1] لمحمد بن محمد بن علي على الصبّاغ القلعي الذي تضمن مناقب المتصوف أبو يعزى صاحب الكرامات الكثيرة، وقد استفدت منه من خلال ما ذكره من

أخبار تتعلق بحياة هذا المتصوف كلباسه وأكله ومسكنه ،فضلا عن علاقته ببعض الفقهاء ممن أنكروا عليه كراماته إلى جانب دوره في الحياة الاجتماعية بالمغرب.

2- مناقب أبي العباس السبتي[2] لأبي القاسم علي الهواري ،وقد ذكر فيه صاحبه مناقب المتصوف المغربي الشهير أبي العباس السبتي صاحب الاحسان والصدقة، وذكر فيه كراماته التي اشتهر بها فضلا عن دوره في المجال الاجتماعي بالمغرب الأقصى وعلاقته بالخليفة الموحدي المنصور واستفادتي منه كانت كبيرة.

ثانيا – كتب الطبقات والتراجم:

1-كتاب التشوق إلى رجال التصوف لابن الزيات التادلي وقد ألفه في القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي وهو أهم الكتب التي اعتمدت عليها لأنه شكل العمود الرئيسي في بحثي من خلال قيمة المادة التاريخية التي احتواها بين صفحاته،فهو كان موسوعة شملت متصوفة الفترة الممتدة بين القرنين الخامس إلى السابع الهجريين/11 و 13 الميلاديين ،وقد ترجم فيه لمئتين وتسعة وسبعين صوفيا، وعمد فيه الى اتباع منهجية ركز فيها على الاعتماد على الروايات الموثوقة المصادر،وتأكد من خلال ما ذكره في كتابه أنه متأثر بالتصوف إذ أقر بصحة كرامات المتصوفة الذين ذكرهم،وتكمن استفادتي منه في ثرائه بمعلومات عن متصوفة العصرين المرابطي والموحدي ،فهو قد ترجم لهم بشكل مفصل لدرجة أنه ساعدني على استخراج طبيعة حياة التقشف التي اتبعها المتصوفة في لباسهم ومأكلهم وحياتهم تالعائلية كما ذكر اتجاهاتهم الصوفية التي اتبعوها وعلاقتهم بالسلطة القائمة آنذاك سواء المرابطية أو الموحدية وعلاقتهم بالفقهاء ،هذا فضلا عن مواقفهم من مجرى الأمور وعلاقتهم بالمجتمع.

2- كتاب السرّ المصون في ما أكرم به المخلصون لطاهر الصدفي الذي عاش في أواخر العصر

---

(1) مخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامة،الجزائر ،رقم 1707

(2) مخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامة ،الجزائر ،رقم 1713.

(3)نشر وتصحيح أدولف فور، مطبوعات افريقية الشمالية الفنية،الرباط،1958.

المرابطي وأوائل الموحدي، وهنا تكمن أهميته فقد عاش في الفترة التي يدور حولها موضوع محل دراستي مما أسهم في زيادة قيمة الكتاب الذي تضمن تراجم لشخصيات صوفية عرفهم، واستفادتي منه كانت من خلال استخراج معلومات عن المتصوفة بمعرفة اتجاهاتهم الصوفية.

3-كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من علماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني (ت704 هـ/1306م) وشكل بدوره أهم مصدر ترجم لحياة علماء ومتصوفة المغرب الأوسط خلال القرن السابع الهجري /13 الميلادي،كما ترجم لمن وفد إلى بجاية من علماء ومتصوفة أندلسيين ومغاربة وحتى مشارقة،وساعدني على معرفة الاتجاهات الصوفية التي عرفها المغرب الأوسط التي عمد شيوخها على تلقينها لطلبتهم عند حلولهم ببجاية سواء للاستقرار فيها أو البقاء لمدة محدودة.

4-كتاب أنس الفقير وعز الحقير لابن القنفذ القسنطيني(ت810 هـ/1407م) وقد نشأ صاحبه في بيئة صوفية لذا آمن بكرامات المتصوفة وأقرّ بها واهتم بتتبع أخبارهم، واتضح ذلك من خلال اعجابه بالمتصوفة أبي مدين شعيب الذي بدا واضحا جليا حتى أنه خصص كتابه هذا لأخباره فعمد إلى تقصي كل ما تعلق به وباتجاهه الصوفي كما أنه اهتم بسرد أخبار أتباعه وتلامذته ممن أخذوا عنه وعملوا على نشر أفكاره ،وقام أيضا بالتعريف بحياة أبي مدين وكل ما يتعلق بها من لباس ومأكل وتدريس وغيرها كما تقصى أخبار طلبته مما أسهم في مساعدتي على معرفة مخطط التبادل الفكري بين مدن المغرب.

5- كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائها لأبي القاسم خلف بن أحمد بن بشكوال (ت578 هـ/1182 م) الذي ترجم في أجزائه الثلاثة لعلماء وقضاة وأئمة أندلسيين واستفادتي منه كانت في تراجم بعض ممن التزم بحياة التصوف من هؤلاء.

6- كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الأبّار القضاعي(ت658 هـ/1260 م) وهو من بين المصادر المهمة التي اعتمدت عليها في بحثي وقد استفدت منه تقريبا في كل الفصول وذلك من خلال جزئيه،وقد تعرض فيه لترجمة علماء ومتصوفة أندلسيين مبينا ميولاتهم وثقافتهم ورحلاتهم العلمية ،فضلا عن تتبعه لحركة تنقلهم إلى مناطق أخرى وطبيعة تأثيرهم فيها وتلامذتهم الذين تأثروا بهم،كما استفدت من كتابيه المقتضب من تحفة القادم والمعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصّدفي.

7-كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي، وهو الآخر كان من ضمن المصادر المهمة جدا وتضمّن تراجم لعلماء وفقهاء الأندلس ،كما تضمّن تراجم لمتصوفتها الذين عرّف بأصلهم وطبيعة أفكارهم وشيوخهم الذي أخذوا

عنهم،وتمكنت من خلالها من معرفة الاتجاهات الصوفية التي اتبعها هؤلاء المتصوفة كما أشار إلى أتباعهم واستفدت تقريبا من كل أسفاره التي عمد إلى تقسيمها إلى أقسام.

8- كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم (ت1014 هـ/1605 م) الذي تضمن اثنين وثمانين ومئة ترجمة للأولياء والعلماء بتلمسان،وبما أن هذه الأخيرة كانت من بين أهم المدن التي عرفت انتشار التصوف فيها فإن هذا الكتاب أفادني في معرفة الاتجاهات الصوفية التي عرفتها وعلاقتها بباقي المدن الأخرى من خلال حركة تنقل المتصوفة.

9- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد لأبي زكريا يحي بن خلدون الذي تضمن هو الآخر تراجم بعض العلماء والمتصوفة ،واستفادتي منه كانت من خلال التراجم الخاصة بالعصر الموحدي.

هذا إلى جانب كتب أخرى كثيرة كالديباج لابن فرحون وصلة الصلة لابن الزبير وكتابي نيل الابتهاج وكفاية المحتاج لأحمد بابا التنبكتي.

ثالثا – الموسوعات وكتب المعارف التاريخية العامة.

1- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان ابن الخطيب للمقري شهاب الدين أحمد بن محمد(ت1041 هـ/1632م) وهو موسوعة عن تاريخ الأندلس والظروف التي واكبتها، واستفادتي منه كانت في استخراج معلومات عن العوامل التي ساعدت على نشأة التصوف،كما أفادني كثيرا فيما يخص تتبع حركة متصوفة الأندلس و حقيقة الاتجاهات الصوفية الفلسفية التي عرفها العصر الموحدي،وذلك بالرغم من نقص المنهجية في سرده للأخبار والحوادث وهو راجع لكون صاحبه قد ألّفه بعيدا عن وطنه كما صرّح به في مقدمته .

2- كتاب الاحاطة في أخبار غرناطة لذي الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب الذي استفدت منه كثيرا فيما يتعلق بالاتجاهات الصوفية الفلسفية التي أدرج أخبار أصحابها ضمن كتابه هذا وهو في أربعة أجزاء.

3-كتاب أخبار المهدي بن تومرت لأبي بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيذق الذي كان من أتباع المهدي بن تومرت وقد عمل على ترصد مسار صاحبه في رحلة عودته إلى المغرب ،وأفادني في بداية الدعوة الموحدية من خلال تتبع حركة الاصلاح التي تبناها الداعي بن تومرت في كل المناطق التي حلّ بها أثناء عودته إلى المغرب الأقصى ،وهذا رغم ما لاحظه الباحثون على بعض القصص التي أدرجها والتي كانت بعيدة عن الواقع في كثير من الأحيان.

4- المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي الذي توفي في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/13 الميلادي ،وقد تضمن كتابه هذا تراجم لحكام وعلماء في الأدب

والفلسفة،وتحدث فيه عن أخيار الدولتين المرابطية والموحدية، واستفدت منه في استخراج العوامل التي أسهمت في ظهور التصوف وانتشاره بالغرب الاسلامي.

5- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد بن عذارى المراكشي الذي كان حيا سنة 712 هـ/1312م والاستفادة منه كانت من جزئه الرابع الذي أرّخ فيه للدولة المرابطية إلى غاية سقوط عاصمتها مراكش في يد الموحدين، الذين أورد أخبارهم من خلال تطرقه إلى بداية دعوتهم وقيام دولتهم،كما استفدت من القسم الخاص بالموحدين الذي كان ثريا جدا بالمعلومات عن الدولة الموحدية،واستطعت من خلاله استخراج العوامل التي ساعدت على نشوء التصوف خلال العصر الموحدي.

6- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لأبي عبد الله محمد بن عبد الحليم المعروف بابن أبي زرع وتناول فيه تاريخ المغرب الأقصى، وقد استفدت منه كثيرا في المعلومات الخاصة بنشوء الدولة المرابطية ودعوة عبد الله بن ياسين،كما كان ثريا فيما يخص تاريخ الدولة الموحدية وأخيار بعض المتصوفة ممن برزوا خلال الفترتين المرابطية والموحدية،وتميز منهج ابن أبي زرع بالدقة في انتقاء المعلومات.

7-الحلل الموشية في الأخبار المراكشية لمؤلف مجهول ممن القرن الثامن الهجري ،وأرّخ فيه لتاريخ الدولتين المرابطية والموحدية بشكل مفصل ،وقد استمد صاحبه المعلومات من مصادر منها ما كان موجودا ومنها ما كان مفقودا، واستفادتي منه كانت في انتقاء المعلومات الخاصة بالمدخل.

8- كتاب العبر لعبد الرحمن بن خلدون(ت808هـ/1406م) وكان موسوعة شملت التأريخ لعدة دول منها الدولتين المرابطية والموحدية ،منذ قيام دعوتهما والثورات التي قامت وهددت كيان الدولة الموحدية كثورة ابن هود الماسي، كما استفدت من كتابه المقدمة الذي كان مهما جدا واستعملت معلوماته تقريبا في كل فصول بحثي، من خلال ما تضمنه من تعاريف لمصطلحات مختلفة كتعريف التصوف وبعض المصطلحات الفقهية،أما فيما يخص كتابه شفاء السائل لتهذيب المسائل فقد كان بمثابة موسوعة صوفية إذ خصّه للتصوف واستفدت منه في تعريف التصوف وفي شرح بعض الاتجاهات الصوفية.

رابعـا : كتب الجغرافيا والرحلات:

1-كتاب المغرب في ذكر افريقية وبلاد المغرب للبكري (ت487 هـ/1084 م) وهو جزء من كتابه المسالك والممالك ،وهو من الكتب المهمة لكون صاحبه عاصر قيام دولة المرابطين وفي حديثه عنها

لم يتوان عن ابداء نقده لزعيم دعوتها عبد الله بن ياسين في بعض الأمور التي تتعلق بالدين، وكتابه هذا كان صورة واضحة عن أحوال المغرب الأقصى أنذاك ولا يمكن الاستغناء عنه.

2-القارة الافريقية وجزيرة الأندلس للشريف الادريسي (ت560هـ/1164 م)، وهو جزء من كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،واستفادتي منه كانت في معرفة معلومات تتعلق بالعوامل الاقتصادية التي ساهمت في ظهور التصوف وانتشاره ،كالثراء الذي عرفته بعض المدن سواء بالمغرب اوالأندلس ،كما استفدت منه في تعريف بعض المدن التي دخلها المرابطيون والموحدون.

3- كتاب الروض المعطار لمحمد بن عبد المنعم الحميري الأندلسي ،وقد أفادني هو الآخر في التعريف بمدن مغربية وأندلسية ،والجديد فيه هو أن صاحبه عمل على تصحيح الأخطاء التي وقع فيها الجغرافيون السابقون كالبكري والادريسي .

لقد كانت هذه أهم المصادر التي استفدت منها في انجاز دراستي، وارتأيت أن أركز على أهمها لأن القائمة طويلة ولا يمكن إدراجها بكاملها هنا.

المدخل:

نبذة تاريخية عن دولتي المرابطين و الموحدين

1- الدولة المرابطية :

أ- بداية الدعوة المرابطية

ب- مرحلة التوسع و التأسيس

جـ- ضم بلاد الأندلس

د- بداية التراجع و سقوط الدولة المرابطية

2- الدولة الموحدية:

أ- بداية الدعوة الموحدية و قيام الدولة.

ب- مرحلة التوسع.

جـ- ضم بلاد الأندلس

د- مرحلة التطور و الإزدهار

هـ- مرحلة التراجع و الإنهيار

1- الدولة المرابطية:

أ- بداية الدعوة المرابطية:

قبل الحديث عن دعوة المرابطين ارتأيت أن نتعرف على أصل أصحاب هذه الدعوة و حقيقة تسميتهم. فلقد تعددت الروايات حول أصل المرابطين إذ نُسبوا إلى العرب عن طريق حمير[1]. في حين ذكر أحد المؤرخين على أنهم رحلوا من مصر إلى بلاد المغرب مع الفاتح موسى بن النصير، و وصلوا إلى طنجة[2] رفقة طارق بن زياد فوقع إختيارهم على الصحراء كموطن لهم[3]، غير أن هناك من اعتبرهم بربراً،[4] و تسميتهم بالمرابطين ترجع حسب بعضهم إلى الإنتصار الذي كان حليف لمتونة[5] بإحدى معاركها حيث أبدى فيها المرابطون صبراً شديداً[6]، وردّها بعضهم إلى انتصارهم على قبيلة برغواطة[7] سنة 450هـ/ 1058 م[8]، و سموا

(1) ابن الأثير الجزري: الكامل في التاريخ، تصحيح محمود يوسف الدقاق، مج 5، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ/1998م ، ص 327؛ زين الدين بن عمر بن مظفر بن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1996م، ص 344؛ أحمد خالد الناصري السلاوي: الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق أحمد الناصري، ج2، منشورات وزارة الثقافة و الإتصال، دار البيضاء، 2001م ، ص 159، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، مج1، ج2، ط1، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، د.ت.ط، ص 174.

(2) طنجة من مدن المغرب تقع على ساحل البحر و تبعد عن سبتة بثلاثين ميلاً يقال لها طنجة البربرية، أنظر أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العظيم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1984م، ص ص 395، 396.

(3) ابن الوردي: المصدر السابق، ص 345.

(4) إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب و الأندلس في عصر المرابطين (المجتمع، الذهنيات، الأولياء)، ط1، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، نيسان (أبريل) 1993م، ص 8.

(5) لمتونة من بطون صنهاجة و أهلها رُحّلٌ في الصحراء، أنظر أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب. المطبعة الحكومية، الجزائر، 1857م، ص 164.

(6) ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب، في أخيار الأندلس و المغرب، تحقيق إحسان عباس ، ج4، ط3، دار الثقافة بيروت ، لبنان، 1983م ، ص 12؛ مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار و عبد القادر زمامة ، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399هـ/1979م، ص 21.

(7) برغواطة هي عبارة عن مجموعة من القبائل المغربية اتبعت طريف أبو صبيح الذي تنبأ و سنّ لهم شرائع غريبة، و تولّى الأمر بعده ابنه صالح الذي شرّع لهم الديانة التي اتبعوها من بعده و تم القضاء عليها في عصر المرابطين. أنظر عبد الرحمان بن خلدون: العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، 1391هـ/1971م، ص 207.

(8) بوتشيش: المرجع السابق، ص 7.

بالملثمين أيضاً لأنهم كانوا يضعون لثاماً على وجوههم[1]، و هم عبارة عن مجموعة من القبائل الصنهاجية[2] التي اعتمدت على حياة الرعي و الترحال.[3]

أما ديانتهم فيُذكر على أنهم اتبعوا الديانة المسيحية[4]، و عرفوا الديانة المجوسية، و قد تولت رئاستهم قبيلة لمتونة و دخلوا الإسلام بعد الفتوحات الإسلامية[5]، و لعب التجار المسلمون دوراً في نشر الإسلام بين تلك القبائل.[6]

و يرجع تكوين أول حلف بين القبائل الصنهاجية إلى يتولتان بن تيكلان الذي توفي سنة 222 هـ/ 836م، ليتولى القيادة من بعده حفيده إلى أن توفي هو الآخر سنة 287 هـ/900 م، و بقي الحلف قائماً حتى سنة 306هـ/913م، إذ قتل قائده و دبّ الخلاف بين قبائله مما أدى إلى تصدعه ليعاد تكوينه على يد محمد بن تيفات اللمتوني، و جاء بعده يحي بن إبراهيم الجدالي لزعامة الحلف و عند عودته من الحج مرّ بالقيروان حيث التقى بالفقيه أبا عمران الفاسي و هو يدرّس بها فحضر مجلسه و أعجب بعلمه، و لما سأله أبو عمران عن مذهب أهله أجابه بأنهم " قوم غلب عليهم الجهل و ليس لهم علم "،[7] و طلب منه أن يبعث معه أحد تلامذته لتعليمهم فوجههه إلى الفقيه و اجاج بن زلو اللمطي بعد أن كتب له، فسار يحي بن إبراهيم بكتاب أبي عمران إلى واجاج بنفيس[8] فاختار لهذه المهمة عبد الله بن ياسين الجزولي، الذي خرج مع يحي باتجاه جدالة التي انقادت له في البداية ثم خرجت عن طاعته لتشدده في النهي عن المنكر[9]،

---

(1) ابن الأثير: المصدر السابق، مج8، ص 327؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 159.

(2) صنهاجة عبارة عن مجموعة من القبائل. منها لمتونة و مسوفة و جدالة، أنظر ابن خلدون: المصدر السابق، ص 152.

(3) البكري: المصدر السابق، ص 164.

(4) مجهول: المصدر السابق، ص 17.

(5) ابن خلدون: المصدر السابق، ص 181.

(6) أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، د.ت.ط. ص 270.

(7) محمد بن أبي القاسم الرعيني المعروف بابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية و تونس، تحقيق محمد شمّام ، ط3، المكتبة العتيقة، تونس، شعبان، 1387هـ، ص ص 104، 105.

(8) نفيس: من المدن القديمة ببلاد المغرب تقع بالقرب من أغمات. أنظر الحميري: المصدر السابق، ص 578.

(9) أبو عبد الله محمد بن عبد الحليم ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، طبعة حجرية، د.ت.ط، ص ص 75، 76.

و انفردت جماعة منهم و عارضت دعوته و بلغ بهم الأمر إلى الإقدام على نهب داره[1]، ثم قام عبد الله بن ياسين ببناء رباط عمل فيه على تدريس المرابطين معه القرآن و حثهم على العمل للآخرة[2]، و اجتمع له في هذا الرباط حوالي ثلاثة آلاف مرابط مكونٍ مذهبياً و عسكرياً[3]، فأمرهم بالجهاد

لتوحيد قبائل صنهاجة التي يئس من دعوتها إلى التوبة و انتصروا على جدالة سنة 434هـ/ 1042 م، ثم واصلوا سيرهم ناحية لمتونة التي أطاعتهم و مسوفة هي الأخرى دخلت تحت طاعتهم، الأمر الذي دفع بباقي القبائل إلى الإعلان عن انضمامها لدعوة عبد الله و العمل على طاعته.[4]

ب- مرحلة التوسع و التأسيس:

استطاع المرابطون الإستيلاء على أودغشت [5] سنة 446هـ/1054م، كما تمكن عبد الله بن ياسين من توحيد قبائل صنهاجة، و بعد وفاة يحي بن إبراهيم سنة 440هـ/1048 م تولى الأمور من بعده يحي بن عمر اللمتوني، و كان شديد الانقياد لعبد الله فتوجه المرابطون إلى سجلماسة[6] التي قتلوا أميرها و تمكنوا من دخول درعة[7] هي الأخرى[8] ، و بعد قتل يحي بن عمر بإحدى المعارك خلفه أبو بكر بن عمر سنة 448هـ/1056 م و جعل ابن عمه يوسف بن تاشفين في مقدمة الجيش و زحف إلى السوس أين تمكن من إخضاع تارودانت[9] و جبل درن[10] و جزولة[11]

(1) لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ج 4، ط1، مكتبة الخانجي القاهرة 1397هـ/1977م ، ص 348؛ ابن عذاري: المصدر السابق، جـ4، ص ص 8،9.

(2) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 77.

(3) بوتشيش: المرجع السابق، ص 10.

(4) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 77.

(5) أودغشت: تقع بين لمتونة و السودان و تبعد عن غانة مسافة اثنا عشرة مرحلة. أنظر الحميري: المصدر السابق، ص 63.

(6) سجلماسة: تقع في صحراء المغرب تسكنها قبيلة لمتونة بناؤها كان سنة 140هـ على يد مدرار بن عبد الله، أنظر الحميري: المصدر السابق، ص 305.

(7) درعة: تقع بالمغرب تبعد عن سجلماسة بثلاث مراحل. أنظر نفسه: ص ص 235، 236.

(8) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص 78، 79.

(9) تارودانت: تقع بالسوس و أهلها يتبعون المذهب المالكي: أنظر أبو عبيد الله الشريف الإدريسي: القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص 131.

(10) جبل درن: يقع بالمغرب و هو جبل عظيم يعترض الصحراء. أنظر الحميري: المصدر السابق ، ص 243.

(11) جزولة: لها بطون كثيرة جلها تسكن مجاورة لمطة. أنظر ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 203.

و ماسة [1]. كما استولى على أغمات[2] التي حاصرها سنة 449هـ/1057م[3] و جعلها عاصمة لهم. ثم توجه المرابطون إلى برغواطة و بإحدى المعارك التي خاضوها ضدها أصيب عبد الله بن ياسين و توفي سنة 451 هـ/1059 م ، و تولى بعده أبو بكر بن عمر القيادتين الروحية و العسكرية للمرابطين[4]، و خلال سنة 452هـ/1060م استولى المرابطون على لواتة، ثم قرر أبو بكر الرحيل إلى الصحراء لفك الخلاف الذي نشب بين لمتونة و مسوفة و ترك يوسف بن تاشفين على المغرب

هذا الأخير الذي تزوج بزوجته زينب النفزاوية [5]، كما ترك له أبو بكر ثلث الجيش [6]، و تمكن يوسف بن تاشفين من إحكام سيطرته على السلطة بمساعدة زوجته زينب[7]، و بعودة أبي بكر بن عمر من الصحراء وجد ابن عمه يوسف قد سيطر على أمور السلطة المرابطية، فما كان منه إلا أن تخلى له عن القيادة و رجع إلى الصحراء، فعمل يوسف بن تاشفين على إختيار موقع مراكش لتأسيس عاصمة الدولة المرابطية الجديدة[8]، ثم واصل توسعاته ببلاد المغرب حيث دخل فاس صلحاً سنة 455هـ/1063م، و بلاد ورغة و بلاد غمارة سنة 460هـ/1067م، و في تلك الأثناء تم استرداد فاس من المرابطين مما اضطر يوسف بن تاشفين إلى ترك جيش يحاصر قلعة فازاز التي تم دخولها سنة 465 هـ /1072م، و عمل هو على إخضاع جبال الريف[9] ، و حاصر فاس التي دخلها بالقوة سنة 462هـ/ 1069م. كما استولى على طنجة. و فيما يخص سبتة تمكن من دخولها سنة 477 هـ /1084م بمساعدة المعتمد بن عبّاد، حيث حوصرت براً من قبل الجيش المرابطي و بحراً من قبل أسطول المعتمد[10]، و بخضوع هذه المناطق

(1)ماسة: نهر ببلاد السوس الأقصى بالمغرب به رباط للصالحين يبعد عن نول لمطة بثلاث مراحل. أنظر الحميري: المصدر السابق،ص 522.

(2) أغمات: تقع قرب وادي درعة و هي مدينتان إحداهما تعرف بأغمات و ريكة و الأخرى بأغمات ميلانة تبعدان عن بعضهما بثمانية أميال و يسكنها البربر. أنظر نفسه ص 46.

(3) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص 79 ، 80.

(4) العبادي: المرجع السابق، ص 294.

(5) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6، ص 184.

(6) مجهول: المصدر السابق، ص ص 24، 25.

(7) بوتشيش: المرجع السابق، ص 12.

(8) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 184.

(9) جبال الريف: مجموعة من الجبال محاذية للبحر الأبيض المتوسط. من مضيق جبل طارق إلى ملوية. و تمتدّ في الجنوب إلى ورغة. أنظر عبد العزيز بن عبد الله: مظاهر الحضارة المغربية. المغرب 1957 م، ص 4.

(10) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ط2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء 1405هـ/ 1984 م، ص ص 161، 162.

للمرابطين توجهت أنظارهم ناحية الشرق لانشغال الحماديين بمقاومة العرب الهلالية[1]، فوجه يوسف بن تاشفين سنة 472هـ/1079م حملة إلى المغرب الأوسط حيث تم دخول مدينة تلمسان سنة 473هـ/1080م. و مدينة مليلية[2] و بلاد الريف، فضلاً عن جبال وانشريس و أعمال شلفو وهران و تنس إلى جانب مدينة الجزائر[3]،واستسلمت القبائل الأخرى دون قتال.[4]

جـ- ضم بلاد الأندلس:

و في الوقت الذي عرفت فيه الدولة المرابطية أوج قوتها و توسعها بالمغرب الأقصى و المغرب الأوسط. كانت بلاد الأندلس تعيش في تمزق حيث عبّر ابن الخطيب عن هذه الحالة بقوله: " ذهب أهل الأندلس من الانشقاق إلى حيث لم يذهب كثير من الأقطار و اقتطعوا الأقطار و قسموا المدائن الكبار و جبوا العمالات و الأمصار.... و انتحلوا الألقاب" [5]، فما إن سقطت خلافة بني أمية حتى استقل كل أمير بولايته فتكونت بذلك عدة دويلات و العلاقة بين هذه الدويلات تميزت بأنها عدائية، بل نشبت الحروب بينها من أجل التوسع على حساب بعضها، و في ظل هذه الظروف كان المستفيد الأول هم النصارى، الذين استنجد بهم ملوك الطوائف ضد بعضهم[6]، أما ألفونسو السادس ملك قشتالة[7] فقد أحكم ضغوطه على ملوك الطوائف بالأندلس فأدوا له الضرائب مقابل الصلح، و المعتمد هو الآخر دفع له ضريبة[8]، و انعكس ذلك على سكان الأندلس إذ فرضت عليهم الضرائب و أثقلت كاهلهم، ناهيك عن حياة البذخ و الترف

---

(1) حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، ط2، دار الكتاب الحديث، جامعة القاهرة، 1416هـ/ 1996م، ص 178.

(2) مليلية: تقع غرب نهر ملوية لها سور حصين، أنظر الإدريسي: المصدر السابق، ص 253.

(3) الآغا بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و إسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر. تحقيق يحي بوعزيز ، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص 134.

(4) بوتشيش: المرجع السابق، ص 13.

(5) ابن الخطيب : أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام و ما يجر ذلك من شجون الكلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، لبنان، آذار 1956م، ص 144.

(6) فراد محمد أرزقي: القوى المغربية في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف القرن الخامس الهجري الموافق للحادي عشر الميلادي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د.ت.ط ، ص 33.

(7) قشتالة: عمل من أعمال الأندلس قاعدته قشتالة لذا سمي بها، أنظر الحميري: المصدر السابق، ص 483.

(8) أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، مج 5، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.ط ،ص ص 27، 28.

و المجون التي كان يعيشها ملوك الطوائف في ذلك الوقت[1]، و تمكن ألفونسو من الإستيلاء على طليطلة[2] بعد محاصرتها سنة 478هـ/1085م إلى جانب استيلائه على بلنسية[3]، ليتوجه بعدها إلى المعتمد أكبر ملوك الطوائف فتهدده بالاستيلاء على قرطبة[4] إن لم يسلم له جميع الحصون.[5]

و في ظل هذه الظروف و بزيادة أطماع النصارى في التوسّع على حساب أراضي ملوك الطوائف رأى فقهاء الأندلس أن يستنجدوا بالعرب الهلالية، لكنهم آثروا الاستنجاد بالمرابطين خوفا من أن يحزب الهلاليون بلادهم[6] ،غير أن هذا الرأي عارضته أقلية تزعمها والي مالقة[7]، لأنهم رأوا

بأن خيرات الأندلس و ثراءها سيغيران تفكير المرابطين من مجرد تقديم المساعدة إلى محاولة الإستحواذ عليها[8]، ثم بعث المعتمد بن عبّاد رسله إلى يوسف بن تاشفين طالباً منه المساعدة، بيد أن عدم دخول المرابطين إلى سبتة وقف عائقا أمام تلبية نداء المعتمد، فما كان على هذا الأخير إلاّ أن عرض مساعدته لحصارها فدخلها المرابطون سنة 477هـ/ 1084م [9]، بعدها منح المعتمد ليوسف بن تاشفين الجزيرة الخضراء فقرر هذا الأخير العبور إلى الأندلس ليستنفر هناك الأمراء و يدعوهم إلى محاربة النصارى[10]،وتم إحتشاد الجيش المرابطي بالجزيرة الخضراء ليتوجه إلى إشبيلية حيث انضمت إليه القوات الأندلسية منها جيش المعتمد و جيش المتوكل بن الأفطس و ابن صمادح، و كان ألفونسو السادس في هذا الوقت يحاصر سرقسطة[11]، و عند وصول خبر إحتشاد

---

(1) سلامة محمد سلمان الهرفي: دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين دراسة سياسية و حضارية دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، 1405هـ /1985م، ص 44.

(2) طليطلة: تتوسط قرطبة و بلنسية و المرية و تعرف بحصانتها، أنظر الحميري: المصدر السابق، ص 393.

(3) بلنسية: تقع بشرق الأندلس المسافة منها إلى قرطبة ستة عشر يوماً. أنظر نفسه، ص 97.

(4) قرطبة: تقع على نهر ببلاد الأندلس و كانت مركزاً لبني أمية، أنظر نفسه، ص ص 456، 458.

(5) ابن الأثير: المصدر السابق، ص 439.

(6) نفسه، ص ص 445، 446.

(7) مالقة: تقع على شاطىء البحر و هي حصينة تبعد عن شذونة بثمانية و عشرين ميلاً، أنظر الحميري، المصدر السابق، ص ص 517، 518.

(8) عبد الكريم التواتي: مأساة إنهيار الوجود العربي في الأندلس، ط1، مكتبة الرشاد، الدار البيضاء، 1967م، ص 284.

(9) حركات: المرجع السابق، ص 162.

(10) مجهول: المصدر السابق، ص ص 38، 51، 52.

(11) سرقسطة: تقع شرق الأندلس سميت بسرقسطة البيضاء لأن أسوارها من حجر الرخام الأبيض أنظر الإدريسي: المصدر السابق، ص 297.

الجيش المرابطي إليه رفع حصاره عنها[1]، و بعث بكتبه إلى جميع النصارى ليستنفرهم ضد المرابطين، و سار يوسف بن تاشفين بجيوشه ناحية بطليوس [2] و التقى بجيش ألفونسو بموقع يعرف بالزلاقة[3]، حيث دارت بينهما معركة الزلاقة في رجب سنة 479 هـ/ 1086م، و حقق فيها المرابطون إنتصاراً،[4] و أثناء تواجد يوسف بن تاشفين بالأندلس اتضحت له صورة الإنقسام الذي تعانيه، و تأكد من صحة ذلك بعد جوازه الثاني للأندلس[5]، و كان ذلك سنة 481هـ/1088 م لانجاد سكان الأندلس الذين تضرروا من غارات اتباع ألفونسو من حصن لييط،[6] خاصة المناطق التابعة للمعتمد هذا الأخير الذي استنجد للمردة الثانية بيوسف بن تاشفين، فلبّى طلبه و عبر إلى بلاد

الأندلس في ربيع الأول سنة 481هـ/1088م، و حاصر حصن لييط مدة أربعة أشهر لكنه فشل في حصار هذا الحصن، لأنه كان من أمنع الحصون التي سيطر عليها النصارى، الأمر الذي دفع به إلى الرجوع إلى بلاد المغرب و هو عازم على اسقاط ملوك الطوائف و القضاء على ملكهم[7]، و لإضفاء الشرعية على عزمه استفتى فقهاء المغرب و المشرق و علماءهما كأبي حامد الغزالي[8] الذي أكد على وجوب طاعة يوسف بن تاشفين و الإمتثال لأوامره، كما رأى ضرورة محاربة ملوك الطوائف الذين استنجدوا بالنصارى ضد بعضهم[9]، و في سنة 483هـ/1090 م عبر يوسف بن تاشفين إلى بلاد الأندلس للمرة الثالثة و استولى على غرناطة[10]، ثم حوصر المعتمد

(1) محمود: : المرجع السابق، ص ص 234، 235.

(2) بطليوس: تقع على ضفة نهر يانة تبعد عن إشبيلية بستة أيام، أنظر الإدريسي: المصدر السابق، ص 268.

(3) ابن الكرديوس: تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، 1971م، ص ص 92، 93، و عن الزلاقة: فهي تقع غرب الأندلس بإقليم بطليوس، أنظر الحميري المصدر السابق، ص ص 287، 288.

(4) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص 91،92، 93.

(5) بوتشيش: المرجع السابق، ص 14.

(6) حصن لييط: أو الييط ALEDO بالإسبانية يقع قرب لورقة، أنظر كمال السيد أبو مصطفى : تاريخ الأندلس الإقتصادي في عصر دولتي المرابطين و الموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب، الاسكندرية، د.ت.ط، ص 43.

(7) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص 95، 96.

(8) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 187، و عن الغزالي هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي المعروف بحجة الإسلام فقيه شافعي، سلك طريق الزهد و الإنقطاع . له عدّة مؤلفات أهمها كتاب " الإحياء " و كتاب " المستصفى " توفي سنة 505هـ، أنظر ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص 216 و ما بعدها.

(9) محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية و الإدارية في الأندلس و شمال إفريقية (64-897هـ)- (683-1492م).- دراسة و نصوص – ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان 1400هـ/1980م، ص 287؛ أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب و الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د.ت.ط، ص 104.

(10) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 97. و عن غرناطة : فهي تقع بالأندلس على بعد أربعين ميلاً من وادي آش، أنظر الحميري: المصدر السابق، ص 45.

بإشبيلية و دخلها المرابطون سنة 484هـ/1091م فقبض على المعتمد، و تحت الضغط عليه أُرغم على مطالبة و لديه المعتمد بالله صاحب رندة [1] ، و الراضي بالله صاحب ميرتلة[2] بالاستسلام و نُقل هو إلى طنجة بالمغرب الأقصى، أما قرطبة التي كان بها ابنه الأكبر عبّاد – المأمون – فقد حوصرت و قتل عبّاد سنة 484هـ/1091م[3] ،كما حوصرت المرية[4]، و استولوا على مرسية[5]و تمكنوا من دخول دانية[6] ،إلى جانب دخولهم بلنسية هي الأخرى[7]، و لم تبق إلاّ إمارة بني هود التي كانت بشرق الأندلس و قد أوصى يوسف بن تاشفين إبنه علياً بأن لا يتعرض لها لأنها تشكل حاجزاً بينه و بين النصارى يحميه منهم.[8]

د- بداية التراجع و سقوط الدولة المرابطية:

عرفت الدولة المرابطية أوج قوتها و اتساعها في عهد يوسف بن تاشفين إذ امتدت إلى بلاد الأندلس شمالاً و بلاد السودان جنوباً و إلى مدينة الجزائر شرقاً، و سيطر المرابطون على طرق التجارة و تحكموا في تجارة البحر الأبيض المتوسط، كما كانت لهم انتصارات على النصارى ببلاد الأندلس، و معركة الزلاقة خير مثال على ذلك، و احكم يوسف بن تاشفين الدعائم الأساسية لدولته[9]. التي قام نظامها على سلطة أمير المسلمين - النائب- و يأتي بعده عمال الأقاليم فالولاة و ولاية العهد كانت تتم بحضور رجال الدولة و الفقهاء، و قام المرابطون بإسقاط كل الضرائب غير الشرعية[10]، و اعتمد بذلك دخْل الدولة في أيام يوسف على الأعشار وخمس غنائم الحرب

---

(1) رنده: تقع بالأندلس على نهر ينسب إليها، أنظر: نفسه، ص 269.

(2) ميرتلة: تقع شرقي باجة و تبعد عنها بأربعين ميلاً، نفسه، ص 569.

(3) عبد الواحد المراكشي: المعجب في ذكر أخبار إفريقية و المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، مطبعة الإستقامة بالقاهرة. ذو الحجة 1369هـ/ أكتوبر 1950م، ص ص 141، 142، 143، 144.

(4) المرية: عبارة عن حبلين يفصل بينهما خندق معمور، تبعد عن مالقة بسبعة أيام براً، أنظر الإدريسي: المصدر السابق، ص 289.

(5) مرسية: تبعد عن بلنسية بحوالي خمس مراحل، أنظر الحميري: المصدر السابق، ص 286.

(6) دانية: تقع بشرق الأندلس قرب البحر و لها سور حصين. أنظر نفسه، ص ص 231، 232.

(7) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 471.

(8) ابن الأثير: المصدر السابق، ص 107.

(9) بوتشيش: المرجع السابق، ص 16.

(10) حركات: المرجع السابق، ص ص 188، 213.

و أشرف هو بنفسه على مراقبة عماله[1]، و في سنة 500هـ/1106م توفي و تولى أمور دولته إبنه علي، الذي تابع مساره في الجهاد و حقق انتصارات ببلاد الأندلس على النصارى كموقعة أقليش[2] سنة 502 هـ/ 1108م، و القلعة سنة 523هـ/1129م، و إفراغة [3] سنة 528هـ/1135م[4]، و قد تلقى استنجاد أمير ميورقة[5] سنة 509هـ/ 1116م، فتوجه الأسطول المرابطي إلى ميورقة و استولى عليها و استقر فيها الحكم المرابطي و انضمت إلى الدولة المرابطية[6]، و يرجع ضعف المرابطين و بداية تدهور أوضاع دولتهم إلى عدة عوامل منها تعصبهم القبلي، إذ لم يسمحوا للقبائل الأخرى بالمساهمة في تسيير أمور الدولة[7]، وولّوا أقاربهم مناصباً في السلطة[8] مما ولّد الضغينة و الحقد ضدهم[9]، هذا إلى جانب تدهور الوضع الإقتصادي للدولة[10]، و مما زاد الأمر سوءاً تدخل النساء

في شؤون الدولة و فرض سيطرتهن عليها، إلى جانب تحكم الفقهاء إذ كان علي بن يوسف يخضع لهم خضوعاً تاماً[11]، و في أيامه بدأت الدعوة الموحدية بقيادة المهدي

---

(1) يوسف أشباح: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنّان، ط2، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1377هـ/1958م، ص ص 115، 116.

(2) أقليش: بناها الفتح بن موسى بن ذي النون. و هي تقع في ثغر الأندلس، أنظر الحميري: المصدر السابق، ص 51.

(3) إفراغة: تقع غربي لاردة بالأندلس و تبعد عنها بثمانية عشر ميلاً و هي على ضفة نهر لها حصن منيع، أنظر نفسه، ص 48.

(4) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص 46.

(5) ميورقة: هي عبارة عن جزيرة على شرقها جزيرة منرقة و طولها من الغرب إلى الشرق سبعون ميلاً و عرضها خمسون ميلاً، أنظر الحميري، المصدر السابق، ص 567.

(6) عصام سالم سيسالم، جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار) (89-685هـ/ 708-1287م) ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، كانون الثاني 1984م، ص ص 269، 272.

(7) روجي لي تورنو: حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني و الثالث عشر، ترجمة أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا ، تونس، 1982م، ص ص 20، 21.

(8) ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب و الأندلس، ترجمة محمود عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمي، مراجعة لطفي عبد البديع، مكتبة نهضة مصر و مطبعتها، القاهرة، مصر ، نوفمبر 1956م، ص 251.

(9) لي تورنو: المرجع السابق، ص 21.

(10) بوتشيش: المرجع السابق، ص 17.

(11) المراكشي: المصدر السابق، ص 171.

بن تومرت[1]، فعمت الحروب و الفتن و ضعفت مجابي الدولة المرابطية مما أثّر على قوتها، و بدأ عجزها واضحاً جلياً بفشل الجيش المرابطي في رد تحرشات النصارى على بلاد الأندلس، و بعد وفاته سنة 537هـ/1142م تولى أمور المرابطين ابنه تاشفين بن علي الذي أخذ على عاتقه متابعة سير الموحدين للقضاء على دعوتهم و ترك ابنه إبراهيم ليتولى أمور الدولة بمراكش، و توجه هو إلى تلمسان و بوصول عبد المؤمن بن علي[2] إليها خرج تاشفين إلى وهران، حيث اشتد عليه حصار الموحدين و توفي على إثر سقوطه من على فرسه أثناء فراره في رمضان سنة 539هـ/ 1144-1145م[3] ،ثم خلفه إبنه إبراهيم بن تاشفين الذي وقع الخلاف بينه و بين عمه إسحاق بن علي حول السلطة، فإبراهيم كان صغير السن لذا قرّر إسحاق قيادة المرابطين بدله. هذا ناهيك عن الثورات التي قامت في بعض المناطق بالأندلس على المرابطين لعجزهم عن حمايتها[4]، و حسبنا

في ذلك ثورة المتصوف الأندلسي أبي القاسم بن قسي [5] و التي عرفت بثورة المريدين و سيأتي التفصيل فيها فيما بعد[6]، و زاد الوضع تأزماً بتحرك الموحدين و زيادة توسعاتهم حتى تمكنوا من دخول العاصمة المرابطية مراكش سنة 541هـ/ 1146م،و قتل الأمير المرابطي إبراهيم بن تاشفين[7]، و بهذا زال ملك المرابطين بعد أن دام حوالي ست و سبعين سنة[8].

(1) هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رياح بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب و هو بهذا إدّعى النسب الشريف، و ينتسب إلى قبيلة هرغة المصمودية القاطنة بجبل السوس في أقصى بلاد المغرب: أنظر أبو علي الحسين بن القطّان: نظم الجمّان، تحقيق محمود علي مكي، المطبعة المهدية، تطوان، المغرب، د.ت.ط، ص 34؛ ابن القنفذ القسطنطيني الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية، تقديم و تحقيق محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر ، تونس، 1968م، ص 99؛ أحمد بن القاضي: جدوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، القسم 1، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1973م، ص 205؛ ابن خلكان: المصدر السابق، مج7، ص 46.

(2) هو عبد المؤمن بن علي بن علوي الكومي ولد سنة 487هـ/1094م بتاجرا من أعمال تلمسان، تولى قيادة الموحدين بعد وفاة ابن تومرت و توفي سنة 558هـ/1162م، أنظر المراكشي: المصدر السابق، ص ص 196، 197.

(3) مجهول: المصدر السابق، ص ص 119، 120، 130، 133، 134.

(4) بوتشيش: المرجع السابق، ص 18.

(5) هو أحمد بن الحسين بن قشي أبو القاسم رومي الأصل من شب، تزهد و ساح في البلاد و حرّض على الفتنة داعياً إلى الثورة على المرابطين، و قد تزعم ثورة المريدين عليهم توفي مقتولاً سنة 546هـ/1151م. أنظر أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن الأبّار: الحلة البسيراء، تحقيق و تعليق حسين مؤنس، ج2، ط1، الشركة العربية للطباعة و النشر، القاهرة، 1963م، ص 197؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 252.

(6) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 285.

(7) مجهول: المصدر السابق، ص ص 135، 136، 137، 139.

(8) المراكشي: المصدر السابق، ص .203

2- الدولة الموحدية:

أ- بداية الدعوة الموحدية و قيام الدولة:

قامت الدعوة الموحدية بزعامة الداعي محمد بن تومرت الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لها[1].و قد تلقى علومه بالحواضر المغربية كسبتة و مراكش[2]، ثم انتقل إلى المشرق في طلب العلم سنة 501هـ/ 1107م حيث بدأت رحلته إلى هناك من الأندلس و قد نزل بالإسكندرية و أخذ فيها عن الفقيه أبي بكر الطرطوشي[3] و حضر مجلسه[4]، كما أخذ عن جماعة من كبار العلماء و الفقهاء بالمشرق كالإمام أبي حامد الغزالي الذي أثارت مسألة لقائه به شكوكاً، فالمصادر الموالية للموحدين أكدت هذا اللقاء و شاطرها الرأي المؤرخون الذين نقلوا عنها[5]، في حين شكك آخرون في صحة ذلك[6] ، و

نفاه بعضهم[7]، و الأرجح أن لقاء المهدي بالغزالي لم يتم، لأن هذا الأخير كان ببغداد ما بين سنتي (484-488هـ/ 1091-1095م)، ثم تردد على كل من دمشق و القدس و مكة و المدينة إلى غاية سنة 499هـ/1105م[8]. و مغادرته لبغداد كانت سنة 500هـ/1106م دون رجعة و توفي سنة 505هـ/1111م[9]، و رغم ذلك فإن المهدي عاد إلى بلاد المغرب متشبعاً بأفكار الغزالي و ببعض الأفكار الشيعية[10]، و طرد من الإسكندرية أثناء رحلة

(1) عز الدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم و نظمهم، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1411هـ/1991م، ص 35.

(2) علي عبد الله علام: دعوة الموحدين بالمغرب، ط1، دار المعرفة، الرباط، المغرب، 1964م، ص 123.

(3) هو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الطرطوشي، و يكنى أبا بكر و يعرف بابن أبي رندقة، رحل إلى المشرق للحج و دخل بغداد و البصرة، اشتهر بالورع و الزهد و التواضع و كان إماماً عالماً، و هو صاحب كتاب سراج الملوك، توفي بالاسكندرية سنة 520هـ/1126م، أنظر ابن بشكوال: الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، ج3، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، 1410هـ/1989م، ص 838؛ أحمد بن المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب، تحقيق إحسان عباس، ج2، ط2، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1997م، ص 85.

(4) مجهول: المصدر السابق، ص 104؛ المراكشي: المصدر السابق، ص ص 178، 179.

(5) ابن القطان: المصدر السابق، ص ص 17، 18.

(6) المراكشي: المصدر السابق، ص 178؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص 226.

(7) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب و الأندلس، ط1، دار و مطابع المستقبل بالفجالة، القاهرة، 1980م، ص ص 177، 178.

(8) أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، تحقيق عبد الكريم المراق، الدار التونسية للنشر، الجزائر، 1984م، ص 19.

(9) مؤنس: المرجع السابق، ص ص 177، 178.

10- Charele Andrée julien : Histoire de L'Afrique du Nord des Origines a 1830, édition Spaynot a rivages , Paris 1994, p441.

عودته إلى المغرب لتذمر الناس من دعوته القائمة على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و بعد توجهه إلى المهدية [1] أخرجه صاحبها يحي بن تميم بن المعز الصنهاجي لنفس السبب الذي طرد من أجله من الاسكندرية و بجاية، أين استخدم العنف و القوة في النهي عن المنكر خاصة عندما أقدم على منع اختلاط النساء بالرجال يوم العيد، الأمر الذي دفع والي بجاية إلى طرده فخرج إلى ملالة و بني له بها مسجداً حيث قصده طلبته فيه لحضور مجلسه، و هناك التقى بعبد المؤمن بن علي[2] الذي كان متوجهاً إلى المشرق رفقة عمه لطلب العلم[3]، فدعاه ابن تومرت لمشاركته في دعوته فاتجها إلى المغرب برفقة أحد أتباع المهدي، و عند وصولهم إلى تلمسان نزلوا بمسجد العُبّاد أين تمكن المهدي من استمالة أهلها، بعدها توجه إلى فاس فطرده واليها[4]، ليرحل ناحية مكناسة حيث قام بتغيير المنكر

فيها ثم رحل إلى سلا التي عمل فيها مدرساً، ثم دخل بعدها مدينة مراكش و جرت بينه و بين فقهائها مناظرة أقحمهم فيها، الأمر الذي دفع بالأمير علي إلى طرده منها[5]، و بعد نزوله بتلك الحواضر توجه إلى أغمات فدرّس فيها و وعظ أهلها[6]، ليقرر العودة إلى مسقط رأسه بايجليز[7] ، حيث درّس فيها هي الأخرى[8] و عمل على التحريض ضد المرابطين و دعا إلى قتالهم و محاربتهم، كما اهتم في هذه المرحلة بالتمهيد لمهدويته بالاستعانة بالأحاديث النبوية التي تخدمه، و لما تمكن له عدد من الأتباع أعلن عن مهدويته و تمت مبايعته بالمهدوية سنة 518هـ/1124م، و اتخذ من تينمل مقاماً له و لأتباعه[9] ، و انتقل بدعوته إلى مرحلة العنف و القوة

---

(1) المهدية: تقع بساحل إفريقية و بينها و بين القيروان ستون ميلاً، و كانت قاعدة إفريقية . أنظر الحميري: المصدر السابق، ص ص 561، 562.

(2) أبو بكر بن علي الصنهاجي البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص ص 31، 32، 33.

(3) صالح بن قربة: عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م، صص 9، 10.

(4) المراكشي: المصدر السابق، ص ص 181، 183، 184، 197.

(5) البيذق: المصدر السابق، ص 47.

(6) مجهول: المصدر السابق، ص 101.

(7) ايجليز: ضيعة تقع بالسوس و هي تعرف بايجلي أَنْ وارْغَنَ. أنظر المراكشي: المصدر السابق، ص 178.

(8) ابن القطان: المصدر السابق، ص 23.

(9) محمد أحمد أبو الفضل: شرق الأندلس في العصر الإسلامي(515هـ –686هـ) دراسة في التاريخ السياسي و الحضاري، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996م، ص 53.

و الصراع مع المرابطين[1]، و عمل على تسميتهم بالمجسّمة و راح يفرد لهم باباً في كتابه أعز ما يطلب[2]، و سمى أتباعه بالموحدين لكون مذهب التوحيد كان أساساً لعقيدتهم[3]، و بداية هجومه العسكري على المرابطين كانت بتوجيهه لحملة عسكرية بقيادة عبد المؤمن بن علي إلى مراكش حيث التقى الجيشان في معركة البحيرة سنة 524هـ/1130م التي انهزم فيها الموحدون و توفي المهدي في السنة نفسها[4]، لتنتهي هذه المرحلة من الدعوة الموحدية و تمّ كتمان وفاته و بويع عبد المؤمن بن علي سراً و أُعلن على مبايعته بعد الإعلان عن وفاة المهدي.[5]

ب– مرحلة التوسع:

بعد مبايعة عبد المؤمن قام بالتوجه إلى تادلا[6]سنة 526هـ/1131م و أخضعها ثم سيطر على درعة. و تمكن الموحدون من دخول كل من تارودانت سنة 529هـ/1134م[7]، ثم توجه ناحية تلمسان فأطاعته غمارة[8]، و بعد وفاة علي بن يوسف خلفه ابنه تاشفين فتغيرت الأوضاع في عهد

هذا الأخير إذ انضمت مسوفة إلى الموحدين[9]، و حوصر بوهران و استطاع الموحدون إخضاع تلمسان و وهران سنة 539هـ/1144م[10]، ثم حاصر عبد المؤمن فاس و بعث لحصار مكناسة جيشاً آخر، و قد استعصى عليهم دخولها ، أما فاس فقد تواصل حصارهم لها إلى أن تمكنوا من إحكام السيطرة عليها،كما استولوا على سلا ليخلو أمامهم الطريق إلى مراكش فوجه عبد المؤمن جيشا إلى برغواطة و استطاع دخولها، و في سنة 541هـ/1146م حوصرت مراكش

(1) بن قربة: المرجع السابق، ص 18.

(2) المهدي بن تومرت: أعز ما يطلب، مطبعة بيربرنطانا، الجزائر، 1321هـ/1951م، ص ص 258، 263.

(3) عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي ت 524هـ /1129م حياته و آراؤه و ثورته الفكرية و الإجتماعية و أثره بالمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1403هـ/ 1983م، ص 202.

(4) السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، (العصر الإسلامي دراسة تاريخية و عمرانية أثرية)، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص 780.

(5) ابن القطان: المصدر السابق، ص ص 130، 168.

(6) تادلا: تقع ببلاد المغرب و هي مدينة قديمة حصنها منيع بناه المرابطون، أنظر الحميري: المصدر السابق، ص 127.

(7) ابن القطان: المصدر السابق، ص ص 192، 210.

(8) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، القسم الموحدي، تحقيق محمد إبراهيم و آخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1406هـ/1985م، ص 16، و غمارة هي عبارة عن سلسلة جبال يبلغ طولها حوالي ثلاثة أيام . أنظر الحميري: المصدر السابق، ص 252.

(9) بن قربة: المرجع السابق، ص 29.

(10) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص 118، 119.

إلى أن سقطت في أيديهم[1]، إلى جانب تمكنهم من دخول أغمات و طنجة و بسقوط مراكش انتهى مُلك المرابطين، غير أن نجاح توسعات عبد المؤمن تعرض لبعض الاضطرابات كقيام ثورة ابن هود الماسي الذي ادّعى المهدوية سنة 542هـ / 1147م و استطاع عبد المؤمن القضاء عليها[2]، و في سنة 543هـ/1148م تمّ إخضاع سجلماسة، ثم دخل الموحدون مكناسة بعد حصارها، كما دخلوا مليانة سنة 544 هـ / 1149م و سبتة[3]، بعدها تقدموا باتجاه الجزائر التي دخلوها صلحاً، و أخضعوا بجاية هي الأخرى بعد أن فتحت لهم أبوابها [4]، و تمكنوا من بونة و قسنطينة[5]،و ساعدتهم هذه المدن التي دخلوها على الوصول إلى إفريقية حيث استنجد بهم أهلها ضد النورمانديين، و في سنة 554هأ/1159م توجه الجيش الموحدي إلى المهدية [6]، و في طريقهم إليها خضعت لهم تونس و حاصروا بعدها المهدية التي استعصى عليهم دخولها، و تمكنوا في تلك الأثناء

من إخضاع عدة مناطق ليدخلوا بعدها إلى المهدية[7] بعد أن طلب منهم النصارى الذين كانوا فيها الصلح و الخروج منها بأمان.[8]

ج- ضم بلاد الأندلس:

تشتت قوات الجيش المرابطي و اضطراب أحواله بالمغرب في مواجهة الدعوة الموحدية ضعّف من سلطته على بلاد الأندلس، هذه الأخيرة التي تطلّع أعيانها و ولاتها إلى الاستقلال بولاياتهم و عمد كل واحد منهم إلى إحكام سيطرته على ولايته، و دخلت بذلك بلاد الأندلس

---

(1) ابن عذاري: البيان الموحدي، ص ص 24، 26، 27.

(2) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 120.

(3) مجهول: المصدر السابق، ص ص 148، 149، و عن سبتة فتتشكل من سبعة جبال و هي محاطة بالبحر من كل الجهات عدا جهة الغرب تقابلها الجزيرة الخضراء. أنظر الادريسي: المصدر السابق، ص 247.

(4) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص 121، 122.

(5) الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ترجمة حمّادي السّاحلي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م، ص 428.

(6) عبد العزيز بن عبد الله: تاريخ المغرب (العصر القديم و العصر الوسيط)، مكتبة السلام، الدار البيضاء ، مكتبة المعارف، الرباط، د.ت.ط، ص 117.

(7) ابن عذاري: البيان الموحدي، ص 64، و من المناطق التي دخلوها بإفريقية نذكر سوسة و قفصة و القيروان و صفاقس و قابس، أنظر نفسه، ص 64.

(8) بن عبد الله: تاريخ المغرب، ص 118.

في عصر ثاني لملوك الطوائف، فسيطر عبد الرحمان بن عيّاض على بلنسية و مرسية و شرق الأندلس، و خلفه محمد بن سعد بن مردينش، و تولى المرية عبد الله بن محمد بن الرميمي، أما جيّان فقد أشرف عليها عبد الله بن همشك، و بقي غرب الأندلس تحت سيطرة المتصوف بن قسي[1] كما ثار أبو القاسم بن حمدين بقرطبة[2]، و انفرد بنوغانية[3] بالجزائر الشرقية[4]، و لم يبق تحت سلطة المرابطين إلاّ غرناطة و إشبيلية[5]، هذا فضلاً عن التحرشات النصرانية التي استهدفت عدة مناطق و تمكنوا من السيطرة عليها كسرقسطة[6].

و تحت ضغط هذه العوامل أصبح أعيان بلاد الأندلس يتطلعون إلى تدخل الموحدين لمساعدتهم[7]، و جاء الوفد الإشبيلي إلى المغرب لمبايعة عبد المؤمن هذا الأخير الذي كان منشغلا بثورة بن هود الماسي، و بايعته كل من شريش[8] و طريف[9] و الجزيرة الخضراء و في سنة

543هـ/1148م تمكن الموحدون من الدخول إلى جيّان[10]، و قرمونة[11] ، و قرطبة، و غرناطة ضُمت إليهم سنة 557هـ/1161م[12]، هذا فضلاً عن ضمهم لبطليوس [13] فخضع بذلك جزء كبير من بلاد الأندلس للموحدين، و توفي عبد المؤمن سنة 558هـ/ 1162م.[14]

(1) المراكشي: المصدر السابق، ص ص 208، 209، 211، 212.

(2) البيذق: المصدر السابق، ص 127.

(3) بنو غانية نسبة لمحمد بن غانية الذي كان والياً على بعض أعمال قرطبة، و اضطر إلى الرحيل عن الأندلس بعد وفاة أخيه يحي و بعدها سيطر على جزيرة ميرقة و جزيرتي منرقة و يابسة و أقرّ فيهم حكمه على الدعوة للمرابطين، و كانت له مراسلات و هدايا و مهادنات مع الموحدين و قد تولى السلطة بعده علي بن غانية، أنظر المراكشي: المصدر السابق، ص 267، و ما بعدها.

(4) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 503.

(5) المراكشي: المصدر السابق، ص 211.

(6) نفسه: ص 208.

(7) المراكشي، المصدر السابق، ص 212.

(8) شريش : تقع على جبل و تبعد عن بطليوس بحوالي أربع مراحل. أنظر: الادريسي: المصدر السابق، ص 273.

(9) طريف تبعد عن الجزيرة الخضراء بثمانية عشر ميلاً و هي مدينة صغيرة، أنظر الحميري: المصدر السابق، ص 392.

(10) جيّان: تقع على سفح جبل و تبعد عن بياسة مسافة عشرون ميلاً، أنظر نفسه، ص 183.

(11) قرمونة: تقع على سفح جبل شرق إشبيلية تبعد عن أستجة بخمسة و أربعين ميلاً، أنظر نفسه ، ص 461.

(12) عمر موسى: المرجع السابق، ص 46.

(13) حركات: المرجع السابق، ج1، ص 265.

(14) المراكشي: المصدر السابق، ص 230.

د- مرحلة التطور و الازدهار:

تولى الخلافة الموحدية بعد وفاة عبد المؤمن ابنه أبو يعقوب يوسف الذي كان عصره أزهى الفترات التي عاشتها الدولة الموحدية، و بعبوره إلى بلاد الأندلس سنة 567هـ/ 1171م. بعث بأخيه والي غرناطة عثمان بن عبد المؤمن لمواجهة محمد بن سعد بن مردينش، و استطاع الإنتصار عليه و حاصر بعد ذلك مرسية حتى أعلنت عن استسلامها بعد وفاة بن مردينش،كما قام أبو يعقوب بمهادنة النصارى و توفي سنة 580هـ/1184م، و بوفاته انشغل الموحدون ببيعة ابنه أبي يوسف المنصور، في ظل هذه الظروف استغل علي بن غانية الفرصة و استولى على بجاية و قلعة بني حمّاد[1]، مما أثار غضب الموحدين فخرجوا لمواجهته فغادر ناحية تونس، أين دارت بينه و بينهم معركة أسفرت على إنهزامهم أمامه ليتمكنوا من هزمه بعد ذلك فلاذ بالفرار[2]، و ببلاد الأندلس حقق الموحدون انتصاراً باهراً على النصارى في معركة الأرك[3] الشهيرة سنة 591هـ/1194م[4]. و

بعد وفاته خلفه ابنه الناصر الذي تمكن الموحدون في عهده من دخول ميورقة سنة 599هـ/1202م، و خرج الناصر بجيوشه سنة 601هـ/1204م و استرد المناطق التي سيطر عليها يحي بن غانية.[5]

هـ- مرحلة التراجع و الإنهيار:

بانهزام الموحدين أمام النصارى ببلاد الأندلس في معركة حصن العقاب سنة 609هـ/1212م[6] بدأت الدولة الموحدية في طور الانحلال و التدهور، إذ فشل الناصر في تسيير دولته و إدارتها[7]، و تولى تسيير أمور الدولة بعد وفاته سنة 610هـ/ 1213م ابنه يوسف المنتصر حيث عمل على إبعاد مشائخ الموحدين عنه و مال للراحة حتى أن أوامره باتت لا تنفذ، هذا فضلاً عن ظهور المرنيين في عهده[8]، كما قام عليه أقرباؤه بالأندلس و المغرب و اشتعلت نار الفتنة

(1) قلعة بني حماد تبعد عن المسيلة مسافة إثنا عشر ميلاً و هي قلعة أبي طويل منيعة يقصدها التجار. أنظر الحميري: المصدر السابق، ص ص 469، 470.

(2) المراكشي: المصدر السابق، ص 230 و ما بعدها.

(3) الأرك: حصن منيع يقع قرب قلعة رباح و هو من حصون النصارى بالأندلس. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 27.

(4) مجهول: المصدر السابق، ص 159.

(5) المراكشي: المصدر السابق، ص 307 و ما بعدها.

(6) نفسه، ص 322؛ ابن عذاري: البيان الموحدي، ص 263.

(7) عمر موسى: المرجع السابق، ص ص 55، 56.

(8) ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص 124.

و الحروب في عهده[1]، و بعد وفاته سنة 620هـ/1223م تدهورت أمور الدولة و دبّ الخلاف بين أبناء عبد المؤمن حول السلطة فسيطر الأشياخ و الوزراء و الولاّة على الأمور، و انعكس ذلك سلباً على الأوضاع الإقتصادية التي تدهورت و ضعفت الإدارة، كما تراجعت قوة الجيش الموحدي و إختلت.[2]

و توالى على الخلافة الموحدية خليفة بعد الآخر إلى أن تولاّها المأمون بن المنصور فبايعه أهل الأندلس، أما أهل مراكش فقد بايعوا الناصر محمد بن يعقوب الملقب بالمعتصم بدله و دارت بينهما المعارك، و في ظل هذه الظروف استولى النصارى على العديد من المدن في حين استغل بعض الولاة الوضع ليعلنوا عن استقلالهم، فأقدم أبو عبد الله بن محمد بن يوسف – من سلالة بني هود – على إعلان استقلاله بمرسية و لُقب بالمتوكل[3] ،و انفصلت بذلك معظم المناطق الأندلسية عن الدولة الموحدية[4] ، و انتهى حكم الموحدين بوفاة آخر خلفائهم أبي العباس ادريس الواثق بالله المعتمد عليه

الملقب بأبي دبوس سنة 665هـ/1266 م، و أصبح المرينيون سادة على المغرب الأقصى و قابلهم ببلاد الأندلس بنو الأحمر بغرناطة[5]، و الحفصيون بإفريقية و بنو عبد الواد بتلمسان[6]، و تنتهي بذلك فترة حكم الموحدين ببلاد المغرب بعد أن تمكنوا من توحيدها لتعود للإنقسام مرة أخرى.

---

(1) حسين مؤنس : تاريخ المغرب و الأندلس، ط1، دار و مطابع المستقبل، القاهرة، 1980م، ص 132.

(2) عز الدين عمر موسى: المرجع السابق، ص ص 55، 56.

(3) المراكشي: المصدر السابق، ص ص 334، 335.

(4) Abd allah laraoui: L'histoire du maghreb. Un essai de Synthése MASPERO françois , Paris 1982, p181.

(5) المراكشي: المصدر السابق، ص ص 335، 336.

(6) عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج2، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1415هـ/1994م، ص 31. Plusieurs écrivains : L'histoire du mond le moyen âge. Imprimerie grafica editoriale, Italy, 1997, p233.

الفصل الأول:

مدخل إلى التصوف الإسلامي و عوامل انتشاره بالغرب الإسلامي

I ـ مدخل إلى التصوف الإسلامي:

1- تعريف التصوف.

2- أنواع التصوف:

أ- التصوف السني.

ب- التصوف الفلسفي.

II -عوامل انتشاره بالغرب الإسلامي:

1- العوامل الدينية:

أ- نزعة الزهد.

ب- انتشار الربط.

جـ- دور الرحلات الحجية و العلمية و مؤلفات المتصوفة.

2- العوامل السياسية:

أ- سياسة الدولة المرابطية.

ب- سياسة الدولة الموحدية و عقيدة ابن تومرت.

3- العوامل الإقتصادية.

4- العوامل الإجتماعية.

I- مدخل إلى التصوف الإسلامي:

1- تعريف التصوف:

التصوف [1] هو عزوف النفس عن الدنيا و تخليها عن ملاذها[2] ، و " العكوف على العبادة و الانقطاع إلى الله تعالى و الإعراض عن زخرف الدنيا و زينتها، و الزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة و مال و جاه و الإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة "[3]، و قد أُعتبر فقهاً للباطن لاهتمامه بالأفعال الخاصة بالقلب، و " الأحكام المتعلقة بأفعال القلوب و ما يخص المكلف في نفسه من أفعال الجوارح في عبادته و تناوله لضروریاته "[4].

و اختلفت المصادر حول اشتقاق كلمة التصوف إذ تعددت الأصول التي نسبت إليها، فهناك من أرجعها إلى صوفة بن مرّة الذي كان يعمل متطوعاً للكعبة في الجاهلية[5]، و منهم من ربطها بالصفاء و ذلك لكون المتصوفة كانوا ينقطعون عن الدنيا و يطهرون أنفسهم من شهواتها

و يهتمون أيضاً بتطهير أفعالهم و كل ما يخص حياتهم لينتهوا في الأخير إلى تطهير قلوبهم[6] ،غير أن الإشتقاق من الصفاء خطأ لأنه بعيد عن الإشتقاق اللغوي[7]، هذا فضلاً عن القول بأنها منسوبة إلى أهل الصفّة، و هم الفقراء الذين كانوا بصفّة مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم[8]. و لوصحّ هذا القول لكان الإشتقاق من الصّفة هو صفيٌّ و ليس صوفي[9]، بينما ردّها بعضهم

---

(1) لغة: من تَصوَّفَ تَصَوُّفًا أي صار من الصوفّية أو شبه بالمتصوّفين. لبس الصوف و التَصَوُّف مصدر تَصَوَّف، محمد الباشا: الكافي معجم عربي حديث، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت، لبنان، 1412هـ/1992م، ص 265.

(2) أبو بكر محمد الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق عبد الحليم محمود و طه عبد الباقي سرور، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1380هـ/1960م، ص 25.

(3) ابن خلدون: المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.ط، ص 381.

(4) ابن خلدون: شفاء السائل و تهذيب المسائل، تحقيق محمد مطيع الحافظ، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر دمشق، سورية، 1417هـ/1996م، ص 44.

(5) بطرس البستاني: دائرة المعارف (قاموس عام لكل فن و مطلب) ، ج6، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت.ط، ص 134.

(6)جان شوقيلي:التصوف والمتصوفة، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب،دار البيضاء، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 1999م، ص8.

(7) أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان العشيري: الرّسالة القشيرية، إعداد و تقديم محمد عبد الرحمان المرعشلي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1419هـ/1998م، ص 356.

(8) أبو الفرج عبد الرحمان بن الجوزي: تلبيس إبليس، تحقيق محمد بن الحسن بن إسماعيل و مسعد عبد الحميد السّعدني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ/1998م، ص ص 176، 177.

(9) القشيري: المصدر السابق، ص 356.

إلى وقوفهم في الصف الأول بين يدي الله[1]، و هناك من أرجع أصلها إلى الصوفانة و هي بقلة رعناء قصيرة، كما رُدت إلى صوفة نسبة لقبيلة في الجاهلية كانت تخدم الكعبة، و قيل أنها من صوفة القفا و هي شعيرات ثابتة في مؤخرة الرأس[2]، و الأصوب أن أصلها يرجع إلى لباس الصوف الذي اعتاد المتصوفة إرتداءه و اجتمع رأي جل المؤرخين على ذلك.[3]

و يرجع ظهور التصوف إلى تفاعل عدة عوامل شكلت في مجملها سبباً لبروزه كثمرة[4]. و قد عرف المسلمون نوعين من التصوف و هما التصوف السني و التصوف الفلسفي.

2- أنواع التصوف:

أ- التصوف السني:

كان التصوف خلال القرنين الأول و الثاني الهجريين/ القرنين السابع و الثامن الميلاديين عبارة عن زهد، إذ اقتصر بعض المسلمين أنذاك على نمط خاص في حياتهم سواءً في مأكلهم أو ملبسهم أو مسكنهم، إلى جانب إقبالهم على العبادة و الإكثار من الأدعية و تفضيلهم الآخرة عن الدنيا و العمل لها[5] ، كالحسن البصري[6] (ت 110هـ/728م) الذي أراد أن يُكوّن نظاماً قائماً على القرآن و السنة و الاقتداء بالسلف الصالح[7]،و تميز مذهبه باحتقار الدنيا و الزهد في كل شيء و الخوف من الله و الحث على ذلك، هذا إلى جانب رابعة العدوية[8] التي جاءت بفكرة الحب

---

(1) عبد القادر بن عبد الله السهروردي: عوارف المعارف، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1966م، ص 61.

(2) عمر فروخ: التصوف في الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، 1401هـ/1981م، ص ص 22، 23.

(3) أبو نصر السرّاج الطوسي: اللُّمع، تحقيق عبد الحليم محمود و طه عبد الباقي سرور. دار الكتاب الحديثة، مصر، د.ت.ط ص ص 40، 41؛ الكلاباذي: المصدر السابق، ص ص 22، 25؛ الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني: حلية الأولياء و طبقات الأصفياء، تحقيق مصطفى عبد القادر عطاء، مج1، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ/1997م، ص ص 17، 21؛ السهروردي: المصدر السابق، ص 60؛ ابن خلدون، المقدمة، ص 381.

(4) عمر عبد الله كامل: التصوف بين الإفراط و التفريط، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1422هـ/ 2001م، ص 143.

(5) أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي، ط3، دار الثقافة للنشر و التوزيع القاهرة، 1399هـ / 1979م، ص 17.

(6) هو أبو سعيد بن أبي الحسن يسار البصري جمع كل فنون العلم و عمل على الزهد و الورع في حياته و العكوف على العبادة توفي بالبصرة سنة 110هـ/728م، أنظر ابن خلكان: المصدر السابق، ج2، ص ص 69، 72.

(7) محمد جلال شرف: التصوف الإسلامي مدارسه و نظرياته، ط1، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، 1410هـ/1990م، ص 52.

(8) هي أم الخير رابعة ابنة إسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عتيك توفيت سنة 235هـ/849م، أنظر، ابن خلكان: المصدر السابق، ج2، ص ص 285، 287.

الإلهي [1] ، و استطاعت الجمع ما بين الخوف و الحزن من جهة و الحب و الشوق من جهة أخرى، و حبها لله لم يكن ناتجاً عن خوفها من النار و لاعن طمعها في الجنة بل ابتغاءً له عزّ و جلّ[2]، و نظراً لخوف المتصوفة الشديد من عذاب الله تمسكوا بالشريعة الإسلامية و غدا بذلك زهدهم عملي معتدل، كما انفردوا عن غيرهم بطريقتهم الخاصة في العيش و اللباس و السكن[3]، و عملوا على مراقبة الأفعال الصادرة عن قلوبهم، و هذه المرحلة التي مرّ بها التصوف تعرف باسم مجاهدة التقوى[4]، و التي تضمنها كتاب " الرعاية لحقوق الله" للحارث بن أسد المحاسبي [5] (ت 243هـ/858م)، إذ شرح فيه تصوفه القائم على الورع و محاسبة النفس و التقليل من شأن الدنيا[6]، كما أنه وازن بين الدنيا و الأخرة من خلال اعتماده على الزهد في حياته و عدم الإفراط في ذلك، و قد رأى بأن الأخلاق هي الوسيلة الناجحة لجعل النفس تتخلص من شرورها[7]، فأولى

النية إهتماماً سعى من خلاله إلى تصحيحها، هذا فضلاً عن الجنيد[8] (298هـ/911م) و هو أحد تلامذة المحاسبي و قد قام تصوفه على الرياضة و محاولة التحرر من القيود المادية مع إتباعه الشريعة، فاعتمد على التمسك بالقرآن و التقيد بسنته صلى الله عليه و سلم و جعل الظاهر يطابق الباطن كأسس و مبادىء في تصوفه،[9] و برز بذلك التصوف كعلم إلى جانب علم الفقه بعدما كان عبارة عن حركة زهدية بسيطة، و اختص الفقهاء بالعلم الثاني

---

(1) شاخت و بوزورث: تراث الإسلام، ترجمة حسين مؤنس و إحسان صدقي العمد، ج2، ط2، إصدار المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، رمضان 1408هـ/ مايو 1988م، ص 96.

(2) عرفان عبد الحميد فتاح: نشأة الفلسفة الصوفية و تطورها، ط1، دار الجيل ، بيروت، 1413هـ/1993م، ص ص 167، 168.

(3) غني قاسم: تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمة صادق نشأت و مراجعة أحمد ناجي القيسي، محمد مصطفى حلمي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م، ص ص 33، 39، 45.

(4) ابن خلدون: شفاء السائل، ص 75.

(5) هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري الأصل الزاهد، ألّف في الزهد و الأصول كتابه " الرعاية " . توفي سنة 243 هـ. أنظر ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص ص 57، 58.

(6) الحارث بن أسد المحاسمي: الرعاية لحقوق الله، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، تقديم عبد الحليم محمود، ط3، دار الكتب الحديثة، عابدين مطبعة السعادة، القاهرة، 1390هـ /1970م، ص ص 52، 53.

(7) عزيز السيد جاسم: متصوفة بغداد، ط2، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، بيروت، 1997م، ص ص 116، 117.

(8) هو أبو القاسم الجنيد الزاهد أصله من نهاوند، ولد و نشأ بالعراق كان يقول بأن مذهبه مقيد بالكتاب و السنة، أنظر بن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص ص 373، 374.

(9) جاسم : المرجع السابق، ص 110 و ما بعدها.

– الفقه – فعالجوا أمور العبادات و المعاملات، أما علم التصوف فقد اهتم أصحابه بما يتعلق بمسألة محاسبة النفس و التعمق في باطن الشريعة الإسلامية[1]،و عملوا على الاهتمام بالنفس و دراسة العوائق التي تمنع الإنسان من الوصول إلى ربه و التي يتم القضاء عليها عن طريق الإبتعاد عن المعاصي و إكثار العبادات للتقرب من المولى عزّو جلّ.[2]

و خلال القرن الثالث للهجرة/ القرن التاسع للميلاد أصبح المتصوفة يهتمون بالكلام في السلوك. و النفس و أحوالها و تعمقوا في ذلك، فطُبع تصوفهم بالجانب الأخلاقي في علمهم و أعمالهم، و بات علماً للأخلاق الدينية يختص بالبحث في العبادات و معاينها و أسرارها الباطنية[3] ، و قد تمسك متصوفة القرنين الثالث و الرابع الهجريين/ التاسع و العاشر الميلاديين بالقرآن الكريم و السنة النبوية، و اتخذوهما أساساً لتصوفهم و ميزاناً لكل ما يحسون به، فاهتموا

بالزهد و العبادات و الجانب الأخلاقي في تصوفهم[4]، و عملوا على جعل أفعال الخير تصدر عن أنفسهم عن طريق تدريبها بالرياضات التي تتم من خلال الابتعاد عن الدنيا و عدم الاهتمام بشهواتها و ملذاتها، و ساعدهم في ذلك كثرة الصيام و العبادات كقيام الليل و التهجد فتعودت أنفسهم بعدها على تلك الرياضات، و بات عندهم الفعل أو الترك سواء و هذا ما يعرف بمجاهدة الإستقامة[5]، و الحقيقة أن هذا التصوف قام على أساس مجموعة من القواعد جاءت في بدايتها النية في الأفعال حتى يتطابق المظهر بالباطن، ثم محاسبة النفس و هي مفروضة على كل صوفي سني[6] لأن النفس أمّارة بالسوء مصداقاً لقوله تعالى: { و لا أقسم بالنّفس اللّوامة }[7] إلى جانب التوبة و الزهد في الحياة و المداومة على ذكر المولى عزّ و جلّ، و كذلك محبة الغير و الرأفة بهم، و أخيراً التحلي بمكارم الأخلاق، إذ نجد هذه الأخيرة قد أخذت مكاناً هاماً في التصوف السني و أصبح لا يصح إلاّ بصحتها.[8]

(1) ابن خلدون: المقدمة، ص 382.

(2) عبد الكريم الجزائري: التصوف في ميزان الإسلام، ط1، دار هومة للطباعة و النشر، بوزريعة، الجزائر، 1997م، ص ص 4، 15.

(3) أبو العلاء عفيفي: التصوف الثورة الروحية في الإسلام، دار الشعب للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، د.ت.ط، ص 85.

(4) إبراهيم هلال: التصوف الإسلامي بين الدين و الفلسفة، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1395هـ/1975م، ص 43.

(5) ابن خلدون: شفاء السائل..، ص ص 76، 77، 79، 82.

(6) الجزائري: المرجع السابق، ص ص 39، 40، 42.

(7) سورة القيامة، الآية 2.

(8) الجزائري: المرجع السابق، ص ص 45، 48، 50، 53، 91،97.

و نظراً لغلو العديد من المتصوفة في تصوفهم كان لا بد من محاربتهم، إلا أن هذا لم يُجدِ نفعاً، فرغم الإضطهادات التي عرفها كبار غلاة المتصوفة إلاّ أنها زادتهم مكانة بل رفعتهم إلى منزلة الشهداء[1]، كالحسين بن منصور الحلاج[2] (ت 309هـ/922م) الذي كان من الغلاة لآرائه التي تحدثت عن الإتحاد بالله[3]، و أُعدم لاتهامه بالكفر لكونه قال عبارات خارجة عن الدين كعبارة " أنا الحق " معتبراً بذلك نفسه هي الله، و بعد تنفيذ حكم الإعدام في حقه أُعتبر شهيداً[4]، مما ألزم الصوفية المعتدلين محاولة النهوض بالتصوف و جعله يتوافق مع الشريعة، فخلال القرن الخامس الهجري/ القرن الحادي عشر الميلادي نحا هؤلاء بالتصوف منحىً إصلاحياً، إذ عملوا على محاربة الغلو و الانحرافات التي عرفها بعض المتصوفة أمثال الحلاج و البسطامي[5] (ت 262هـ/875م) محاولين الرجوع به إلى الكتاب و السنة النبوية[6]، و كان ذلك بفضل القشيري [7] (ت 465هـ/

1068م) الذي كتب رسالته إلى جميع المتصوفة المسلمين و ضمّنها مبادىء التصوف القائمة على أساس الشريعة الإسلامية،[8] و تمكن من خلال رسالته التوفيق بين السنةو التصوف[9].كما أن أبا حامد الغزالي(ت 505هـ/1111م) هو الآخر عمد إلى الرجوع بالتصوف إلى قواعد الدين الإسلامي.[10]

(1) يل ألفرد: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمان بدوي ، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م، ص 375.

(2) هو أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج ولد سنة 244هـ/ 858م و مذهبه قام على أساس الإكثار من المجاهدات و الرياضات من أجل قهر النفس و الجسد، سجن و قتل سنة 309هـ/922م. أنظر: السيد جاسم: المرجع السابق، ص ص 171، 174، 181.

(3) شاخت و بوزورث: المرجع السابق، ص 99.

(4) دي لاسي أوليري: الفكر العربي و مركزه في التاريخ. ترجمة إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ت.ط، ص 165.

(5) هو أبو زيد طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي البسطامي الزاهد جدة كان مجوسي، و هو أصله زرادشتي، قال بوجوب إتحاد جميع الكائنات بالله لتصبح هي و الله واحد، أنظر ابن خلكان: المصدر السابق، ج2، ص 53؛ أوليري: المرجع السابق،ص 116.

(6) التفتازاني: المرجع السابق، ص ص 145، 147، 148.

(7) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري. الفقيه الشافعي نبغ في الفقه و التفسير و الحديث و الأصول و الأدب و الشعر و الكتابة و علم التصوف توفي سنة 465هـ/1068م، أنظر ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص 205.

(8) القشيري: المصدر السابق، ص 12.

(9) أجناس جولد تسهير: العقيدة و الشريعة في الإسلام (تاريخ التطور العقدي و التشريعي في الدين الإسلامي)، نقل و تعليق محمد يوسف موسى و آخرون، ط2، دار الكتب الحديثة بمصر و مكتبة المثنى ببغداد، رمضان 1378هـ/ مارس 1959م، ص 176.

(10) بل: المرجع السابق، ص 376.

و خلال القرن الخامس الهجري/ القرن الحادي عشر الميلادي، مال المتصوفة إلى ما يعرف بالكشف[1]، من خلال معرفة صفات المولى عزّ و جلّ و رؤية العرش و الكرسي و الملائكة[2]. و حتى يتسنى للمتصوف الكشف عن عالم الغيب فلا بد له من أن ينجح في مجاهدتي التقوى و الإستقامة، مع إشراف أحد الشيوخ عليه ممن كُشف له عن عالم الغيب، إذ يجعله المريد قدوته فيتبع نصائحه و يعتزل الناس و يقوم بمجموعة مجاهدات، فيلتزم الصمت و يعمل على الصيام و قيام الليل فيحمد بذلك إحساسه،[3] و قد أكّد القشيري على أنه : " يجب على المريد أن يتأدب بشيخ... فإذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نَفَساً نَفَساً فهو عابد هواه. لا يجد نفاذاً..."[4] ، إذ يُمكن أن يغلب على قلب المريد أثناء تلك المجاهدات خيالات و لا يعرف فك إلتباسها، و قد يحدث له أن تنقطع مجاهدته و تفتر لذا عليه أن يداوم على تلك المجاهدات و يلازمها طوال حياته حتى

يتمكن له في الأخير الكشف، حينها يتعرض المريد للمواهب الربانية و العلوم اللدنية[5]، و يدرك حقائق الوجود و الكثير من الوقائع قبل حدوثها و يتصرف أصحاب المجاهدات " بهممهم و قوى نفوسهم في الموجودات السُّفلية و تصير طوع إرادتهم، و تتعرض نفس المريد أثناء قيامه بالمجاهدات التي سبق ذكرها إلى عدة صفات خارجة عن إرادته كالسرور و الحزن و الطرب و الإهتياج و الشوق و الإنزعاج و الرجاء و الخوف...الخ، و هي مواهب من الله خارجة عن الكسب "[6]، و قد انتصر الغزالي للتصوف السني القائم على الكتاب و السنة و ضَمَّنَ كتابه " إحياء علوم الدين " أحكام الورع و الإقتداء إلى جانب شرح مصطلحات المتصوفة و تبيين آدابهم[7].

---

(1) الكشف: عرّفه الطوسي قائلاً: " الكشف بيان ما يتستر على الفهم فيكشف عنه للعبد كأنه رأي عين " أنظر الطوسي: المصدر السابق، ص 422.

(2) بونابي الطاهر: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين/ 12 و 13 الميلاديين، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة، د.ت.ط، ص 39.

(3) ابن خلدون: شفاء السائل...، ص ص 82، 84، 85.

(4) القشيري: المصدر السابق، ص 479.

(5) العلم اللدني هو أقوى و أحكم من العلم المكتسب بالتعلّم، و لا يحتاج فيه الإنسان إلى واسطة في حصوله بين النفس و بين الله، بل هو كالضوء يقع على قلب المريد، أنظر رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1999م، ص 673.

(6) ابن خلدون: شفاء السائل، ص 88.

(7) ابن خلدون: المقدمة، ص 382.

ب- التصوف الفلسفي:

عمد أصحاب هذا النوع من التصوف إلى الدمج بين أذواقهم الصوفية و العقل مع استخدام تعابير فلسفية، فاطّلع المتصوفة المتفلسفون على الفلسفات الأخرى كاليونانية و غيرها و كذا فلسفة المسلمين أمثال أبي نصر محمد الفارابي(ت 339هـ/950م) و أبي الحسن بن عبد الله المعروف بابن سينا (ت 428هـ/1037م)، هذا فضلاً عن إحاطتهم بالعلوم الشرعية كالفقه و الحديث و التفسير، فكانوا بذلك موسوعيين و أصحاب ثقافة متنوعة[1]، و ظهور هذا النوع من التصوف يرجع إلى تطلع المتصوفة إلى معرفة الله. و حقائق الموجودات انطلاقاً من اهتمامهم بالكشف، و قد ظهرت خلال القرن الثالث الهجري/ القرن التاسع الميلادي نظريات فلسفية مع بعض المتصوفة طبعت تصوفهم[2] ، فبعد أن كان الزهاد يتعبدون بالانقطاع إلى الصلاة و يتقشفون

في حياتهم و ينبذون الدنيا و ملاذها، لنيل رضى المولى عزّ و جلّ و الفوز بنعيم الآخرة و خوفاً من عذابه، أصبحوا يُعرضون عن الدنيا و نعيمها لتتطهر أنفسهم أملاً في التقرب من الله و الإتصال به[3]، و غدا هدف المتصوف حب الله و الإتحاد به بعدما كان يتعبده خوفاً منه و من عذابه.[4]

و انفرد هذا النوع من التصوف كسابقه بخصائص إذ عمد أصحابه إلى ممارسة المجاهدات النفسية كغيرهم من المتصوفة، إلاّ أنهم لم يتوقفوا عند هذا الحد بل راحوا يتبنون عدة نظريات فلسفية طبعت مذاهبهم في التصوف و انعكس ذلك حتى على مؤلفاتهم و أشعارهم، فاستخدموا الرمزية و بالغوا في استخدامها مما انعكس على كلامهم إذ أصبح غير مفهوم عند غيرهم[5]، و جاء ذو النون المصري[6] (ت 245هـ/859م) بفكرة المعرفة في التصوف الإسلامي[7]، و التي يقوم من

---

(1) التفتازاقي: المرجع السابق، ص ص 187، 188.

(2) ابن خلدون: شفاء السائل ، ص ص106، 107، 111.

(3)كمال اليازجي: معالم الفكر العربي في العصر الوسيط، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1974م، ص ص 271، 272.

(4) بل: المرجع السابق، ص 375.

(5) التفتازاني: المرجع السابق، ص 192.

(6) هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم توفي سنة 245هـ/859م، و قد سُعي به في حياته إلى المتوكل إلاّ أنه عفى عنه و ذلك بعدما أبكى وعظه الخليفة أنظر القشيري: المصدر السابق، ص 33.

(7) جمهرة من المستشرقين إشراف سيرتوماس أرنولد: تراث الإسلام، تعليق جرجيس فتح الله، ط2، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، تشرين الأول (أكتوبر) 1972م، ص ص 312، 313.

خلالها المتصوف بمعرفة المولى عزّ و جلّ باستخدام الحدس و العاطفة و الخيال[1]، و اعتمد هؤلاء المتصوفة المصطلحات الغامضة ذات الدلالة الصوفية من أجل أن تبقى متداولة بين من يفهمها منهم دون غيرهم، و ذلك حتى لا تسمعها الآذان الرجسة على حد تعبير ذي النون المصري[2]، و جاءت نظرية الفناء مع أبي يزيد البسطامي (ت 260هـ/875م) الذي رأى وجوب اتحاد كل المخلوقات بالله[3]، و يتحقق ذلك عن طريق تطهير النفس بالمداومة على المجاهدات النفسية حتى يفقد صاحب المجاهدة شعوره بذاته، فيشعر بالله و لا يراه فلا يحس بما حوله و يتكلم بعبارات تعرف عند المتصوفة بالشطحات[4]، أما أبو منصور الحلاج (ت 309هـ /922م) فقد تبنى نظرية الحلول و الاتحاد [5]، و يكون ذلك بحلول الله في الجسم البشري ثم تتحد النفس البشرية بالله[6]، و رأى الحلاّج أن الله خلق الإنسان على صورته و يمكن للإنسان الإتحاد به عن طريق حبه له و تعلقه به، فيعاني من جراء هذا الإتحاد من تبدلات روحانية[7]، هذا فضلاً عن نظرية الإتصال التي جاء بها الفارابي (ت 339هـ/950م)[8] ، و

رأى فيها بأن الإنسان لا يمكنه أن يتصل بجبريل و هو العقل الفعّال إلا بسلوكه مجاهدات و رياضات تضمن له صفاء نفسه، فينتقل عندها الإنسان تدريجياً إلى حالة ملائكية بعدما كان بشراً، و في هذه الحالة يصبح مؤهلاً لتقبُّل المعارف التي لا يطّلع عليها إلا الملائكة المقربون[9]، و قد وجدت نظرية الإشراق آذاناً صاغية في البيئة الإسلامية فتبناها عدد من الفلاسفة المسلمين جاء في طليعتهم ابن سينا (ت 428هـ/1037م) [10]، و ذلك من خلال كتابه "الإشارات و التنبيهات" الذي بلور إهتمامه بالتصوف[11]،و تقوم هذه النظرية على

(1) بونابي: المرجع السابق، ص 41.

(2) ارتولد: المرجع السابق، ص 313.

(3) أوليري: المرجع السابق، ص 166.

(4) بونابي: المرجع السابق، هامش 5، ص 41، و قد كان البسطامي يقول في حالة غيبته " لا إله إلا الله أنا فاعبدوني سبحاني ما أعظم شأني "، نفسه : هامش 5، ص 41. و الشطح: يُعرّفه الطوسي فيقول: " هو حركة أسرار الواجدين إذا قوي وجدهم فعبّروا عن وجدهم ذلك بعبارة يستغرب سامعها " الطوسي: المصدر السابق، ص 453.

(5) فتاح: المرجع السابق، ص 19.

(6) أوليري: المرجع السابق، ص 165.

(7) ارنولد، المرجع السابق، ص 316.

(8) بونابي: المرجع السابق، ص 42.

(9) هلال: المرجع السابق، ص ص 33، 34.

(10) فيليب حتى: الإسلام منهج حياة، ترجمة عمر فروخ، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، أيار (مايو)، 1972م، ص 131.

(11) مرفت عزّت بالي: الاتجاه الإشراقي في فلسفة ابن سينا، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1414هـ / 1994م، ص 47.

أساس أن الإنسان بعد تخلصه من سلطان القوى البدنية تتطهر نفسه فتشرق عليها الأنوار الإلهية[1]، و يتم له في الأخير معرفة حقائق الوجود، و أصبحت نظرية الإشراق هذه مذهباً صوفياً[2]، فكان لشهاب الدين يحي بن حبش السهروردي[3] (ت 580هـ /1191م) دورٌ في إرساء أسس الإشراقية إذ عُرف بشيخ الإشراق[4]، لأنه هو الآخر صاحب نظرية في الإشراق[5]، و له في ذلك كتابان هما: " حكمة الإشراق " و " هياكل النور "[6]، و قام مذهبه على أساس الجمع بين أفكار مختلفة أي الجمع بين الفلسفة اليونانية الممثلة في الأفلاطونية الحديثة[7] و بين ديانات الفرس[8].

و خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/ الثاني عشر و الثالث عشر الميلاديين عمد بعض المتصوفة إلى الإهتمام بعلوم المكاشفة، و أصبحوا يسعون للكشف عن الروح و الملك و الوحي و العرش و الكرسي و أخذوا طريق الفلسفة في التعبير عن نظرياتهم[9]، و ظهرت بذلك آراء و نظريات عكست مدى تأثرهم بالفلسفة و عرف التصوف الفلسفي ذروته خلال هذه الفترة[10]، فظهر

مذهب وحدة الوجود في التصوف الإسلامي بأكمل صورته. و كان رائده ابن عربي (ت 638هـ/1240م)[11]، و أصحاب هذا المذهب يقولون بأن الوجود حقيقته واحدة

(1) أحمد محمود صبحي : الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي العقليون و الذوقيون أو النظر و العمل، ط2، دار المعارف، القاهرة، د.ت.ط، ص 216.

(2) حتى: المرجع السابق، ص ص 130، 132.

(3) هو شهاب الدين يحي السهروردي (1155-1191م) من أهم أعلام التصوف الإسلامي، و لد قرب بسهرورد، أنظر شوفيلي: المرجع السابق، ص 54.

(4) ارثور سعد بيف، توفيق سلوم: الفلسفة العربية الإسلامية(الكلام و المشائية و التصوف) ، ط2، دار الفارابي، بيروت، 2000م، ص 295.

(5) فتاح: المرجع السابق، ص 19.

(6) بونابي، المرجع السابق، ص 42.

(7) الأفلاطونية الحديثة هي الفلسفة التي ضمت فلسفة أفلاطون اليوناني بعد إعطائها صيغة شرقية و نقحها أفلوطين و غيره من الفلاسفة: أنظر حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الإجتماعي، ط14، دار الجيل، بيروت، لبنان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1416هـ/1996م، هامش 1، ص 229.

(8) فتاح: المرجع السابق، ص 238.

(9) ابن خلدون: شفاء السائل، ص ص 106، 107.

(10) غني: المرجع السابق، ص 689.

(11) التفتازاني: المرجع السابق، ص 198، و عن ابن عربي فهو أبو عبد الله محمد بن علي الطائي الحاتمي من مرسية يعرف بابن سراقة و يلقب بمحي الدين ابن العربي سكن إشبيلية و دخل بجاية سنة 567هـ/ 1171م له عدة مؤلفات اشتهر بها، أنظر أبو العباس أحمد بن أحمد العبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار. الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 18 جانفي 1970م/ 11 ذي القعدة 1389هـ، ص 158.

و هو صادر عن صفة الوحدانية و يُسمون هذا بالتجلي، و أن الله أراد أن يُظهر المخلوقات ليعرف نفسه، و استند أتباع هذا المذهب إلى الحديث الذي كانوا يتداولونه و هو قولهم: " كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق ليعرفوني "[1]، أما القائلين بالوحدة المطلقة فهم يرون بأن الوجود واحد و هو الله و وجوده المطلق كان و مازال و سيكون و أن باقي الكائنات وجودها عين وجوده عزّ و جلّ، و أهم من قال بهذا المذهب عبد الحق بن إبراهيم المعروف بابن سبعين[2] (ت 669هـ/1270م) ، و أبو الحسن عبد الله النميري الششتري[3] (ت 668هـ/1269م) و ابن دهاق.[4]

II – عوامل انتشار التصوف بالغرب الإسلامي:

إن تواصل انتشار التصوف بالغرب الإسلامي، لدليل على أنه قد توفرت عوامل تشبه تلك التي أفرزته بالمشرق، ليمد بجذوره إلى الغرب الإسلامي، الذي شكل البيئة الملائمة له، فحركة التصوف

كانت نتيجة لتراكم عدة عوامل سياسية و دينية و اقتصادية و اجتماعية، أدى تفاعلها إلى انتشار التصوف خلال عصر المرابطين في شكله البسيط ليعرف ازدهاراً و تطوراً في توجهه الفلسفي مع الموحدين.

غير أن مجموعة من المؤرخين اختلفت أراؤها حول أسباب ظهور هذه الحركة بالغرب الإسلامي، فحصرها بعضهم في عامل واحد لا غير إذ ردّها أنخل حنثالث بالنثيا (A. Gonzailez Palencia) إلى أفكار محمد بن عبد الله بن مسرّة [5] (269-318هـ/883-921م) و حركته التي عرفتها بلاد الأندلس[6]، أما بل ألفرد (Bel Alfred) فرأى أن ذلك يرجع إلى الحياة

(1) ابن خلدون: المقدمة، ص ص 384، 385.

(2) هو عبد الحق إبراهيم بن محمد بن سبعين من مرسية كتابته مستحسنة في طريق الأدباء و له أشعار في التصوف، أنظر العبريني : المصدر السابق،ص 209.

(3) هو أبو الحسن علي النميري الششتري فقيه صوفي و أديب نبغ في علم النظم و النثر و له أشعار رائعة و قد اشتهر بنظمه الهزلي الزجلي، أنظر نفسه، ص 210.

(4) ابن خلدون: شفاء السائل، ص 111 ، و عن ابن دهاق هو إبراهيم ابن دهاق المعروف بابن المرأة الأوسي المالقي من مالقة توفي سنة 611 هـ/1214م و كانت العامة حزبه، أنظر: ابن القاضي: المصدر السابق، القسم1، ص 90.

(5) ابن مسرّة: ولد بقرطبة و والده كان معتزلي مما أثّر فيه، نشأ زاهداً في حياته، و يعتبر من الفلاسفة الأوائل الذين مستهم النزعة الصوفية بالأندلس، أنظركامل محمد، محمد عويضة: ابن مسرّة محمد بن عبد الله بن مسرّة بن نجيح القرطبي الفيلسوف الزاهد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1414هـ/1993م، ص 21...

(6) أنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ماي 1955م، ص 326.

الإجتماعية المترفة و الباذخة التي عاشها المرابطون، هذا فضلاً عن سيطرة الفقهاء على الأمراء المرابطين، كما أنه رأى في النزعة العقلية التي اتبعها بن تومرت و الموحدون من بعده عاملاً ساهم في إنتشار التصوف، إلى جانب أن عقلية المجتمع المغربي التي كانت عقلية مقدّسة للأولياء منذ القديم[1]، و تميز الإنسان المغربي بسرعة التصديق للمعتقدات الغيبية و الإيمان بها، فانتشرت بينهم الديانة الوثنية و معتقدات أخرى[2]، في حين عزا الهادي روجي إدريس انتشار التصوف إلى ذلك الإزدهار الذي عرفه المذهب المالكي في القيروان خلال القرن الثالث للهجرة/ القرن التاسع للميلاد في إطار الصراع الذي جرى بين المالكية و الشيعة[3]، غير أنه لا يمكن رد ظهور التصوف و إنتشاره بالغرب الإسلامي إلى عامل معين لأنه كان نتاجاً لتفاعل مجموعة من العوامل و التي تمثلت فيما يلي:

1/ العوامل الدينية:

أ- نزعة الزهد:

عرف الغرب الإسلامي نزعة الزهد منذ القرن الرابع للميلاد لتأثره بنظام الرهبنة المسيحي الذي انتقل إليه من مصر في الفترة التي كان يشهد فيها اشتداد الصراع بين المغاربة و السلطة الرومانية، كما كان للفتوحات الإسلامية دور هام في نشر الزهد الذي ميز حياة الفاتحين أنفسهم[4]، إذ عملوا على الجهاد من أجل نشر العقيدة الإسلامية بشكلها البسيط[5]، نذكر منهم البهلول بن راشد الزاهد الورع التقي و غيره كثير[6]، و في تلمسان نجد وهب بن منية أحد

---

(1) بل: المرجع السابق، ص 378.

(2) بوتشيش: المرجع السابق، ص 111.

(3) روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص 308 و ما بعدها.

(4) دبوب محمد: دور حركة صوفية المغرب الإسلامي في الحياة الثقافية و الفكرية و تفاعلاتها بالمشرق الإسلامي، حولية المؤرخ، العدد2، إصدار اتحاد المؤرخين الجزائريين، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر، الأبيار، 2002م، ص ص 104، 105.

(5) محمد قريبز: تاريخ دخول التصوف إلى الغرب الإسلامي (النشأة و التطور)، محاضرات الموسم الثقافي 98-99م منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 1428هـ/1999م، ص 305.

(6) ابن أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي: ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تصحيح أحمد بكير محمود، منشورات دار الحياة بيروت، و دار مكتبة الفكر طرابلس ليبيا 1388هـ/1968م، ج1، ص 11.

التابعين الزهاد و قد اتُخذ قبره مزاراً يتبرك به بعد وفاته.[1] و بوهران اشتهر سيدي هيدور الزاهد المتعبد بجبلها[2]، الذي سمي باسمه و بقي كذلك إلى غاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي حيث تغير اسمه[3]، كما عرفت حركة الزهد بإفريقية ازدهاراً مع سحنون بن حبيب التنوخي[4] (ت 240هـ/854م) و أتباعه من الزهاد[5]، و كان العُبَّاد من ضمن الطلبة الذين كانوا يحضرون مجلسه أملاً في الإستفادة من علومه و محاولة منهم للوصول إلى سبل النجاح في الآخرة، فهذا أحد طلبته قد استخدم الشعر وسيلة للدفاع عن العقيدة و محاربة البدع[6]، و دعا إلى توحيد الله في قوله:

تهتك الستر عن ذي الغيّ و الفند و حصحص الحق بعد البغي و اللّدد

و أيقن المشرك الداعي له ولداً بأن الله لم يولد و لم يلد

لا موت يدركه لا شيء يشبهه يبلي الآباد وو لا يبلي على الأبد

و سيح ابن آدم من عاصٍ لخالقه و من مصرّ على الآثام معتقد[7]

و كان لهذا أثره على العلماء و الطلبة الوافدين إلى إفريقية أمثال الشاعر بكر بن حماد بن سمك

---

(1) يحي بن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م، ص 117.

(2) أبو راس محمد بن أحمد: عجائب الأسفار و لطائف الأخبار، مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم 1632 ورقة 67.

(3) المازاري: المصدر السابق، ج1، هامش رقم 02، ص 67.

(4) قدم إلى إفريقية سنة 191هـ/803م. و قد برع في الفقه و القضاء و كان زاهداً في حياته، أنظر أبو العرب محمد بن تميم القيرواني: طبقات علماء إفريقية و تونس، تقديم و تحقيق علي الشابي، نعيم حسن اليافي، ط2، الدار التونسية للنشر ، تونس، 1985، ص 185.

(5) عياّض : المصدر السابق، ج2، ص ص 606، 607، 617.

(6) رابح بونار: المغرب العربي تاريخه و ثقافته، ج1، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981م، ص ص 116، 117، 131.

(7) عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسيدي الدبّاغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، محمد ماضور، تعليق أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى التنوخي، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، المكتبة العتيقة بتونس، 1972م، ص 248.

بن إسماعيل الزناتي[1] (ت 296هـ/909م) الذي أخذ عن سحنون أثناء تواجده بالقيروان[2]. و قد غلب على شعره الوعظ و الزهد لأنه كان عالماً زاهداً في الدنيا[3]، و مما نظمه في الإعتبار بالموت ما يلي:

لقد جمعت نفسي فصدت و أعرضت و قد مرقت نفسي فطال مروقها

فيما أسفي من جنح ليل يقودها وضوء نهار لا يزال يسوقها

إلى مشهد لا بدلي من شهوده و من جرع للموت سوف أذوقها[4]

إلاّ أنه يجدر بنا الإشارة إلى دور المذهب المالكي نفسه في نشر حركة الزهد و التقشف، فمما أوثر عن فقهاء القيروان المالكيين عدم رضوخهم لرغبات الأمراء و إغراءات الحياة فشكلوا بذلك مثالاً للزهد[5]، و خلال القرن الرابع للهجرة/ القرن العاشر للميلاد زاد انتشار الزهد حيث كثُر عدد الزهاد بالمغرب، منهم الحارث بن أسد القفصي و جِبِلة بن عبد الرحمان بن جِبِلة الصدفي الذي عُرف بزهده و ورعه، و كان والده من أصحاب السلطان مما اضطر جِبِلة إلى التخلي عن أموال والده و تبرأ منها،

إلى جانب أبي الفضل العباس بن محمد الصوّاف القداسي (ت 349هـ/ 969م) ، و كذلك أبي عبد الله محمد الخيّاط الواعظ الملقب بابن قمرة المتقشف[6]، و امتد تأثير القيروان إلى صقلية إذ انتشر فيها تيار الزهد، و ذلك بحكم علاقتها بإفريقية منذ فتح المسلمين لها حيث مال أهلها للجهاد و المرابطة و مع قيام الدولة الفاطمية و سيطرتها على صقلية زادت حركة الزهد و لعب القضاة الذين هاجروا من إفريقية إليها دوراً في نشر الزهد و على سبيل المثال نذكر منهم

---

(1) ولد بتيهرت سنة 200هـ/816م من رواة الحديث نظم عدة مقطوعات شعرية في شتى الأغراض رحل إلى البصرة و لقي بها جماعة من العلماء، ثم رحل إلى القيروان. و أقام بها بعدها رحل إلى تاهرت و توفي بها سنة 296هـ/ 909م، أنظر الدبّاغ: المصدر السابق، ج2، ص ص 281، 282؛ محمد بن رمضان شاوش: الدرا الوقّاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، ط1، مستغانم، 1966م، ص ص 43، 50، 56.

(2) محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1349هـ/1930م، ص ص 56، 57.

(3) شاوش: المرجع السابق، ص ص 56، 57.

(4) سليمان باشا الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة و ملوك الإباضية، تحقيق محمد علي الصليبي،ج2، وزارة التراث القومي و الثقافة، سلطنة عمان 1407هـ/1987م، ص 116.

(5) عيّاض: المصدر السابق، ج1، ص 10.

(6) دبوب: المرجع السابق، ص ص 105، 106.

أبا عمر و ميمون بن عمرو (ت 310هـ/992م) الذي زهد في حياته و تقشف[1]، و من زهادها الذين اتبعوا طريقة التصوف أبو القاسم عبد الرحمان البكري الصقلي[2]، و ظلت القيروان منبعاً ينهل منه الطلبة و العلماء الوافدون إليها، خاصة في مجال الزهد إلى غاية سنة 449هـ/1057م حيث خُربت على إثر قدوم الهلاليين إليها[3].

و قد احتفظت لنا كتب التراجم كالصلة لابن بشكوال و تاريخ العلماء لابن الفرضي بأسماء الكثير من الزهاد ممن برزوا ببلاد الأندلس، هذه الأخيرة التي عرفت أيضاً انتشاراً لنزعة الزهد فيها، فكانت حركة بن مسرّة (269-319هـ/ 883- 931م) الذي مزج الزهد بالفلسفة و التصوف و استطاع أن يؤثّر في الناس بالأندلس العامة منهم و الخاصة، فانتشرت بذلك أفكاره في عدة مناطق بداية من قرطبة[4]، كما تجلت مظاهر الزهد و التقوى في مجموعة من العلماء الأندلسيين الزهاد أمثال أبي الأجنس الذي زهد في طعامه و اقتصر على أكل ثلاث وجبات كل سبعة أيام في شهر رمضان، و قد عاش بين سنتي 180-206هـ/796-822م و سعيد بن عمران بن مشرف(ت 275هـ/888م) هو الآخر كان كثير

الإحسان و بلغ به الأمر إلى أن تصدّق بمعظم ميراثه على الفقراء، هذا فضلاً عن يُمن بن رزق صاحب المؤلَف الذي سماه " كتاب الزهد "[5]، غير أنه قد برز من الزهاد الأندلسيين من زاوج ما بين الزهد و الجهاد، و حسبنا في ذلك نِعْمَ الحلف بن أبي الخطيب الذي أُستشهد سنة 298هـ/910م.[6]

و تواصلت هذه الحركة بالأندلس خلال القرن الرابع الهجري/ القرن العاشر الميلادي مع

(1) علي بن محمد بن سعيد الزهراني: الحياة العلمية في صقلية (212-484هـ/ 826-1091م) ، سلسلة الرسائل العلمية، المملكة العربية، السعودية، 1417هـ/1996م، ص ص 463، 464.

(2) ابن مخلوف: المصدر السابق، جـ1، ص 98.

(3) ابن خلدون: العبر..، ج6، ص 349.

(4) قريبيز: المرجع السابق، ص 308.

(5) دومينيك ايرفوا: (علماء الأندلس)، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس(– الفن و العمارة – التاريخ الإجتماعي – التاريخ الإقتصادي – الفلسفة – الدراسات الدينية، العلم و التكنولوجيا و الزراعة)، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، ج2، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، تشرين الثاني، نوفمبر 1999م، ص ص 1231، 1234.

(6) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس (تاريخ العلماء و الرواة للعلم بالأندلس)، تحقيق روحية عبد الرحمان السوّيفي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م، ص 416.

عفان بن محمد المعروف بأبي عثمان (ت 307هـ/919م) الذي كان كثير التعبد و الصوم، و محمد بن يزيد المكنى بأبي عبد الله(ت 390هـ/999م) و هو الآخر زهد في الدنيا و لم يتزوج قط، إلى جانب مسلمة بن محمد بن مسلمة المعروف بأبي أحمد (ت 391هـ/1000م) و عُرف بكثرة الجهاد[1]، و من أشراف قرطبة نجد عبد الله بن محمد بن مغيث الأنصاري الزاهد (ت 352هـ/963م)[2]، و أبا عبد الله محمد بن أبي زمنين (ت 399هـ/1008م) الذي اتبع طريقة الصالحين و تفنن في الزهد، فأخذ عن أبي إبراهيم ابن مسرة و ألّف في الزهد[3]، هذا دون أن ننسى فضل العلماء الوافدين إلى بلاد الأندلس إذ كان لهم دور فعال في نشر نزعة الزهد، كأحمد بن قاسم بن عبد الرحمان التميمي التاهرتي البزّاز الذي جاء إلى قرطبة سنة 317هـ/ 930م رفقة والده و اشتهر بزهده في الدنيا[4]، كما رحل إليها أحمد بن مخلوف المسيلي المعروف بالخيّاط حيث عمل على المرابطة بإحدى ثغورها للجهاد[5] ، و ممن أعرضوا عن الدنيا و كانوا فيها من الزاهدين

عبد الله بن محمد المعروف بابن الحاج (ت 419هـ/1028م)، و القاسم بن الفتح المعروف بابن الربوي (ت 451هـ/ 1059م) الزاهد المتقشف و قد رحل إلى المشرق و أشعاره في الزهد كثيرة.[6]

---

(1) نفسه: ص ص 252، 376، 395.

(2) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص 348.

(3) بن مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص ص 101، 102.

(4) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص 140.

(5) عياض: المصدر السابق، ج4، ص 628.

(6) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص ص 405، و ما بعدها.

ب- إنتشار الربط:

تزامنت حركة المرابطة و انتشار الربط[1] بالغرب الإسلامي مع تعرضه لغارات البيزنطيين بعد الفتوحات الإسلامية، و قد رأى المسلمون أنّ حركة المرابطة في الثغور المتاخمة للعدو جهادا في سبيل الله، فاتخذت بذلك القيروان رباطاً للدفاع عن المسلمين من غارات الروم ، و كان الرباط الذي بناه الوالي العباسي هرثمة بن أعين سنة 179هـ/795م من أقدم الرُبُط بإفريقية[2]، و زاد إنتشار الربط فأنشأ الأغالبة رباط سوسة سنة 206هـ/ 822م و عرف برباط المنستير، و اشتهرت الربط عندهم باسم القصور و المحارس، و عمل المرابطون في هذه الربط على الإهتمام بالتدريب العسكري و الفروسية حتى يصدون هجمات العدو، كما ركزوا اهتماماتهم في وقت السلم على الجانب العلمي كحفظ القرآن الكريم و تفسيره [3]، إلاّ أن الربط لم تظهر بالمغرب الأوسط إلاّ بعد القرن الخامس للهجرة/ القرن الحادي عشر للميلاد، و يرجع ذلك لحركة

(1) الرباط لغة: ما رُبِطَ به و جمعه رُبُطٌ، و الرّباط من الخيل الخمسة فما فوق، أنظر ابن منظور الإفريقي: لسان العرب، مج7، دار صادر، بيرو ت، لبنان، د.ت.ط، ص 302.

إصطلاحاً: هو ارتباط الخيل و ملازمة ثغر العدوّ، أنظر نفسه، ص 302؛ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان، ج4، ط2، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده 1373هـ/1954م، ص ص 222، 223، و قد وردت كلمة رباط في القرآن الكريم في سورة آل عمران الآية 200 في قوله: " يا أيها الذين آمنوا اصبروا و صابروا و رابطوا و اتقوا الله لعلكم تفلحون "، و قد رأي أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي أن القصد من " رابطوا " الإقامة في الثغور رابطين الخيل ترصداً للعدو و هي نوع من الصبر، أنظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السّبع المثاني، مج2، ج1، دار الفكر ، بيروت، 1398هـ/1978م، ص 175. أما أبو القاسم البرزلي فقد رأى أن المعنى المراد به هو المكان الذي يُحرس من العدو فإذا حضر هذا الأخير فهو الحرس، أنظر جامع مشائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين و الحكام، تقديم و تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002م، ص 30، و رأى السهروردي أنه ما يُربط فيه الخيل ثم تحوّل و أصبح يطلق على الثغور التي يدافع عنها من العدو، أنظر المصدر السابق، ص 104، كما ورد الرباط في سورة الأنفال، الآية 60، في قوله تعالى: " و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة و رباط الخيل "، و قد رأى أبو بكر بن العربي على أن المراد من " رباط الخيل " هو حبس النفس في سبيل الله حراسة للثغور أو ملازمة للأعداء، أنظر أحكام القرآن، مراجعة و تخريج و تعليق محمد عبد القادر عطا، مج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.ط، ص 422.

(2) محمود: المرجع السابق، ص ص 114، 115، 291.

(3) سعدون عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغرب و الأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، ط1، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م، ص 24.

الجهاد البحري التي كانت المراسي مركزاً لها فنابت عن حركة المرابطة[1]، و قد عرفت البحرية الإسلامية نمواً كبيراً خاصة بعد أن أُنشأت دار لصناعة الآلات البحرية بتونس، ليتواصل ذلك الإهتمام مع الدولة الفاطمية و نظيرتها الأموية بالأندلس، و شكّلت كل من المرية و بجاية مراكزا تنطلق منها الحملات، ففتحت مناطق عديدة و أُرهب العدو النصراني و انتشر الأمن بالسواحل المغربية، حتى دبّ الضعف و الوهن في الدولتين الفاطمية و الأموية و انقلبت الموازين لصالح المسيحيين[2]، و يعتبر رباط شاكر[3] من الربط الأولى التي قامت بالمغرب الأقصى [4] ، و هو يحمل اسم أحد أصحاب عقبة بن نافع[5] ،و قد جمع بين جهاد كفار برغواطة و التعليم [6]، إلى جانب مجموعة من الربط التي انتشرت بالمغرب الأقصى و أشهرها رباط هرغة ببلاد السوس و أصيلا و رباط أقيم قرب فاس[7]، و رباطي آسفي و جبل الفتح هذا الأخير الذي شكّل خلوة للعُبَّاد و العاكفين[8]، و رباط نفيس الذي أنشأه وجاج بن زلو اللمطي و سماه بدار المرابطين، و كان يلقن فيه طلبته العلم و القرآن الكريم[9] ،و قد تشبع فيه عبد الله بن ياسين الجزولي بمبادئ الزهد و التقشف و الورع و الإخلاص و الجهاد في سبيل الله[10]، و ساهم هو الآخر بإنشاء رباط كان نقطة بداية نشوء دولة المرابطين، حيث عمد فيه إلى تعليم المرابطين معه أموراً تتعلق بالدين إلى جانب تحفيظهم القرآن الكريم[11]، و وضع فيه نظاماً مضبوطا وفقا لقواعد معينة

(1) روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص 24.

(2) ابن خلدون: المقدمة، ص ص 198، 199.

(3) يقع على ضفة وادي نفيس جنوبي مراكش دفن فيه شاكر أحد أصحاب عقبة بن نافع، و يعرف عند المسيحيين باسم سيدي شُكير، أنظر إبراهيم حسن: المرجع السابق، ج3، ص 414.

(4) محمد الأمين بلغيث: الربط بالمغرب الإسلامي و دورها في عصري المرابطين و الموحدين، رسالة لنيل درجة ماجستير في التاريخ الإسلامي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1406-1407هـ/ 1986-1987م، ص 144.

(5) ابن الزيات التادلي: التشوق إلى رجال التصوف، نشر و تصحيح أدولف فور، مطبوعات إفريقية الشمالية الفنية، الرباط، 1958م، ص 26.

(6) إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص 415.

(7) حسن محمود: المرجع السابق، ص 121.

(8) ابن الخطيب: معيار الاختيار في ذكر المعاهد و الديّاز، دراسة و ترجمة محمد كمال شيانه، المعهد الجامعي بالمغرب، 1397هـ/1977م، ص ص 50، 70، 76.

(9) ابن الزيّات: المصدر السابق، ص ص 66، 189.

(10) حسن محمود: المرجع السابق، ص 121.

(11) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 76.

يلتزم بها من يرابط معه، إذ عمل على إمتحان كل من أراد الدخول في رباطه، و خصص له فترة مراقبة يتمكن من خلالها من معرفة مدى استعداده للتلاؤم مع قواعد الرباط، و قد أوجب على كل من تأكد استعداده للمرابطة معه أن تُقام عليه حدود الذنوب التي ارتكبها قبل دخوله الرباط، و اعتمد أصحاب عبد الله بن ياسين في رباطهم على أنفسهم في الحصول على قوتهم الذي اكتفوا بالقليل منه فقط، كما عمدوا إلى لبس الخشن من الثياب و تشددوا في آدائهم للعبادات، و خضع كل من في الرباط إلى قوانين كانت مخالفتها تؤدي إلى العقوبة لا محالة[1]، و عمل ابن تومرت هو أيضاً على تكوين دعاة في رباط تينمل و كُلّل ذلك بقيام دولة الموحدين[2]، و الجدير بالذكر هنا هو وجود نوعين من الربط التي عرفتها كلاّ من بلاد المغرب و الأندلس، إذ شكّلت ربط مدن بكاملها[3] كرباط ماسة[4] و رباط تيط[5]، و رابطة زرهون التي كانت مركزاً لاجتماع المتصوف أبي عبد الله محمد بن موسى الأزكاني مع الصالحين[6]، أما النوع الثاني من الربط فهو عبارة عن مكان يرابط فيه المجاهدون[7]، و أُقيمت الربط على مقربة من مقابر الأولياء و الصالحين كرباط العبّاد الذي نسب لأبي مدين شعيب بتلمسان.[8]

و خلال القرن الخامس الهجري/ القرن الحادي عشر الميلادي عرف المغرب الأقصى نوعاً من الربط سبق الإشارة إليها، جمعت بين التربية و التعليم من جهة و الجهاد من جهة أخرى[9] كرباط

عبد الله بن ياسين الذي أقامه للتعبد و التعليم رفقة المرابطين معه و عكف على تعليمهم ما يتعلق بالشريعة الإسلامية، و بعدما تمكن منهم دعاهم إلى جهاد من خالفهم من القبائل

---

(1) عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430-515هـ/ 1038-1121م. مع نشر و تحقيق رسائل أبي بكر بن العربي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م، ص ص 73، 74.

(2) بلغيث: الربط...، ص 280.

(3) عبد العزيز بن عبد الله: معطيات الحضارة المغربية، ج1، ط3، دار الكتب العربية، 1963م، ص 144.

(4) الحميري: المصدر السابق، ص 522.

(5) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص ص 50، 70، 76.

(6) ابن الزيات: المصدر السابق، ص ص 329، 373.

(7) بن عبد الله: المرجع السابق، ص 144.

(8) ابن خلدون: التعريف بابن خلدون و رحلته غرباً و شرقاً، تعليق محمد بن تاويت الطنجي، لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، 1370هـ/1951م، ص 135.

(9) بلغيث: الربط، ص 148.

الصنهاجية[1]، و بالمغرب الأوسط بادر أحد الفقهاء الزهاد و هو أبو عبد الملك مروان بن محمد الأسدي البوني الأندلسي (ت 440هـ/1048م) إلى إنشاء رباط بونة هذه الأخيرة التي أقام فيها[2]، و دوام فيه على تعليم الطلاب الوافدين عليه من بلاد الأندلس و إفريقية، هذا فضلاً عن قصر اللؤلؤة ببجاية الذي كان رباطاً للجهاد[3]، و رباط ملالة الذي فرّ إليه ابن تومرت خوفا من الحماديين، و قد أقام فيه شهر رمضان لسنة 512هـ/ 1118م يلقي فيه دروساً للطلاب الذين كانوا يجتمعون حوله[4]، و بوهران نجد رباط صلب الكلب الذي عُرف فيما بعد مع الموحدين باسم صلب الفتح[5] ، و اعتاد طلبته ختم القرآن الكريم في ليلة 27 رمضان و كان يجتمع فيه العبّاد[6]، إضافة إلى مرسى ندرومة الذي احتوى رباطاً تبرك به.[7]

و قد عرفت صقلية هي الأخرى حركة المرابطة و الربط، إذ قصدها الزهاد و المرابطون بعد فتحها من قبل الأغالبة و باتت رباطاً للجهاد، و خلال زيارة ابن حوقل لها سنة 362هـ/973م وجد بها " رباطات كثيرة على ساحل البحر" [8]، و قد أُعفي فيها المعلمون من الجهاد إلى جانب العديد ممن هربوا من الجهاد أيضاً ، و وصفهم ابن حوقل بالخسة و الوقاحة لتهربهم من المشاركة في جهاد النصارى[9]، و إثر سقوطها على يد النورمانديين عرفت هجرات متتالية للعائلات إلى المشرق و بلاد المغرب.[10]

(1) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص 76، 77.

(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ط2، دار صادر، بيروت، لبنان، 1995م، ص 512.

(3) بونابي: المرجع السابق، ص 59.

(4) ابن خلدون: العبر، ج6، ص 467.

(5) المهدي اليوعبدلي: (الرباط و الفداء في وهران و القبائل الكبرى)، مجلة الأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، السنة الثالثة، العدد 13، مارس- أفريل 1973م، ص 24.

(6) ابن خلكان: المصدر السابق، ج7، ص 126.

(7) الحميري: المصدر السابق، ص 576؛ مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، مخطوط بالمكتبة الوطنية، بالجزائر، رقم 1560، ورقة 71.

(8) ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ت.ط، ص 116.

(9) نفسه: ص 116.

(10) بلغيث: الربط ..، ص ص 152، 153.

أما بلاد الأندلس فقد قامت فيها الربط على سواحلها هي الأخرى لحمايتها من ضربات النصارى و كان أهلها من المتحمسين للجهاد و الرباط[1]، و انتشرت بها مجموعة من الربط الساحلية كرباط المرية[2]،و رباطي عمروس و الخشني و هما بجوار المرية[3]، وبغرب بلاد الأندلس قام رباط روطة[4]،فضلاً عن مجموعة الربط التي أقام فيها الفقهاء أمثال بن محمد الشنتجالي (ت436هـ/1044م)الذي رابط ببطليوس وشلب والريحانة من أعمال شلب[5].

و قد أشار الأستاذ بونابي إلى أنه مع بداية النصف الأول من القرن 6هـ/12 م بدأ الرباط يفقد وظيفته العسكرية و المتمثلة في الحراسة، وبات المرابطون فيه يعملون على ممارسة العبادة و الذكر، و اتخذ شكلا آخر عُرف بالرابطة و هي عبارة عن بناء صغير يعمل فيه المتصوفة على تعليم طرقهم في التصوف للمريدين و نشرها بينهم[6.] ومن الرابطات التي عرفتها بلاد الأندلس نذكر رابطة القابطة أو القبطية التي كانت بشرق المرية على الساحل[7]، و رابطة العقاب التي كان يتردد عليها ابن سبعين و الششتري من حين لآخر مع أتباعهما، يلقون فيها دروسهما و هذه الرابطة كانت من إحدى الرابطات التي تقام فيها العبادة.[8]

(1) حسن محمود: المراجع السابق، ص 296.

(2) الحميري: المصدر السابق، ص 537.

(3) حسن محمود: المرجع السابق، ص ص 297، 298.

(4) الحميري: المصدر السابق، ص 340.

(5) حسن محمود: المرجع السابق، ص ص 299، 300.

(6) بونابي: المرجع السابق، ص 62.

(7)البكري: المصدر السابق، ص 89.

(8) ابن الخطيب: الإحاطة، ج4، ص ص 37، 207.

جـ- دور الرحلات الحجية و العلمية و مؤلفات المتصوفة:

لم يكن الغرب الإسلامي في معزل عمّا يجري بالمشرق و ذلك بحكم العلاقة بينهما، و قد شكّلت رحلات المغاربة من فقهاء و طلبة و زهاد لآداء فريضة الحج عاملاً مهماً ساعد على التأثر بما يجري في المشرق الإسلامي، خاصة و أن الحجاج المغاربة كانوا يلتقون كبار العلماء و الفقهاء المشارقة ممن ذاع صيتهم في كل أنحاء العالم الإسلامي، هذا فضلاً عن رحلات طلب العلم التي تمكنوا من خلالها من تكوين معارف مختلفة، إذ كانوا يحضرون حلقات التدريس و مجالس العلم بالمساجد و الرابطات، و إنطلاقاً من هذا حمل العلماء و الفقهاء الأفكار و الثقافات التي تأثروا بها إلى بلادهم[1]، و قد رأى ابن خلدون وجوب القيام برحلات طلب العلم " لاكتساب الفوائد و الكمال بلقاء المشايخ و مباشرة الرجال."[2]، فهذا ابن مسرّة قد رحل إلى القيروان ثم حج إلى مكة حيث إلتقى أبا سعيد بن العربي، الذي أخذ رواية الحديث على مذهب أهل السنة ستاراً عمل عن طريقه على تعليم و شرح دقائق آراء الصوفية، فتأثر به ابن مسرة و اتضح ذلك بعد عودته إلى قرطبة و اتخاذه من جبلها مكاناً خاصاً به يلتقي فيه مع أتباعه[3]. يشرح لهم فيه تعاليمه سراً ، في حين كان يُظهر للفقهاء ما لا يتطابق مع تعاليمه

الفلسفية و هو صاحب مؤلف بعنوان خواص الحروف و حقائقها و أصولها[4]، و رأى أنخل بلنثيا على أن طريقة حياته مع جماعته بالجبل تتشابه مع ما كان عليه ذو النون المصري[5] ، و المتصفح لكتابه الحروف يتبين له تأثره بما كتبه التستري في علم الحروف و من الممكن لقاؤه بتلاميذه عند تواجده بالمشرق، إذ كانت له رحلتان إلى هناك طال بقاؤه بالمشرق في إحدى الرحلتين، و من المحتمل أن ذلك قد سمح له

---

(1) دبوب: المرجع السابق، ص 103.

(2) ابن خلدون: المقدمة، ص 464.

(3) بلنثيا: المرجع السابق، ص ص 327، 328.

(4) محمد عويضة: المرجع السابق، ص 22.

(5) بالشيا: المرجع السابق، ص 328.

بالالتقاء بالعديد من المتصوفة[1]، كما رحل عبد الرحمان بن مروان بن عبد الرحمان الأنصاري (ت 413هـ/1022م) للحج و عاد إلى قرطبة سنة 371هـ/981م ، ليقبل فيما بعد على الزهد و قراءة القرآن و العمل على التعليم[2]، و القاضي أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة (ت 565هـ/1169م) هو الآخر رحل إلى المشرق سنة 520هـ/1126م ، و روى ما حمله عن تلامذة الغزالي من مصنفات، هذا إلى جانب أبي مدين شعيب الذي نهل عن علماء المشرق أثناء تواجده هناك، و استفاد من زهاده و أوليائه كالشيخ عبد القادر الجيلاني (ت 560هـ/1164م) الذي لقيه بعرفة، و قد وصل عدد المتخرجين على يدي أبي مدين شعيب ببجاية أكثر من ألف شيخ.[3]

أما ببلاد الأندلس فنجد القاضي أبا بكر بن العربي (ت 543هـ/ 1148م) الذي تتلمذ على يدي الغزالي و اتبع طريق التصوف حيث أخذ عليه كتابه " الإحياء "[4]، و عمل على حمل الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري(ت 465هـ/ 1072م)، و أدخلها إلى الأندلس، إلى جانب كتاب " المستصفى" لأبي حامد الغزالي (ت 505هـ /1111م)، و كتاب " قوت القلوب " لأبي طالب مكي (ت القرن 3هـ/9م) الذي جاء به أبو بكر محمد بن نعمة القرشي (494-518هـ/ 1100-1125م)[5]، إلاّ أن الملاحظ هو رواج مصنفات كل من الجنيد و الغزالي بين المغاربة[6] ، فهذا صالح بن حرزهم قد أخذ عن الغزالي ببلاد المشرق، ثم قام بتدريس طريقته في التصوف بفاس[7]، إضافة إلى أبي مدين شعيب الذي لقي الشيخ عبد القادر الجيلاني أثناء تواجده بالمشرق حيث أخذ عنه الطريقة[8]، و كان عبد

القادر الجيلاني دائماً يشير إلى وجود متصوف يضاهيه و هو أيو يعزى[9]، ما يؤكد قوة تأثير مشايخ التصوف المشرقي و علمائه على أمثالهم من المغرب.

---

(1) عدّاس: المرجع السابق، ص 1267.

(2) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص 481.

(3) بن مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص ص 149، 164.

(4) سعيد أعراب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م، ص 151.

(5) الغبريني: المصدر السابق، ص ص 320، 321، 322.

(6) بوتشيش: المرجع السابق، ص 129.

(7) ابن القاضي: المصدر السابق، قسم 1،ص 261.

(8) ابن مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص 236.

(9) بوتشيش: المرجع السابق، ص 130.

و قد رحل أبو محمد عبد الجليل بن ريحلان إلى المشرف أيضاً إذ لقي به أحد شيوخ التصوف فأخذ عنه طريقته في التصوف[1]، كما لعبت الإجازات العلمية التي تحصل عليها بعض العلماء دوراً مهماً في نقل التصوف إلى الغرب الإسلامي، إذ عملوا بعد رجوعهم من المشرق على تدريس ما أخذوه هناك من علوم، هذا إلى جانب مساهمة رحلات التجار[2]، فنُقلت بذلك كتب و مصنفات الصوفية كرعاية حقوق الله للمحاسبي التي كان بدرسها عبد العزيز التونسي (ت 486هـ/1093م)[3] ، و درّس سعدون القروي (ت في القرن 5هـ/11م) مجموعة من المصنفات التي جاء بها إلى المغرب الأقصى[4] ، و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقط بل تعداه، إذ أن بعض المتصوفة المشارقة كانت لهم زيارات إلى بلاد المغرب، مما زاد في انتشار حركة التصوف أكثر.[5]

بيد أن كتاب " إحياء علوم الدين " للغزالي كان من أهم المصادر الصوفية التي عرفها متصوفة الغرب الإسلامي، و قد جلبه ابن العربي عند عودته من المشرق، كما أن ميمون بن ياسين المغربي هو الآخر أحضر معه " الإحياء" إلى مراكش[6]، بعد عودته من الحج سنة 497هـ/1104م[7]، و مما يؤكد رواجه و تداوله أنه وُجِدَ ببلاد المغرب معروضاً للبيع، و في سنة 503هـ أصدر الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين مرسوماً يقضي بحرق " كتاب الإحياء " للغزالي[8] ، و طورد كل من وجد

عنده، غير أن إقدام المرابطين على عداء مؤلّف الغزالي لم يمنع من تداوله فيما بعد بين الناس حتى أن بعضهم كتبه بماء الذهب[9]، فنسخه أبو الفضل النحوي

(1) نفسه: ص 130.

(2) نفسه: ص 129.

(3) ابن الزيات: المصدر السابق، ص 72.

(4) بونابي: المرجع السابق، ص 63.

(5) ابن الزيات: المصدر السابق، ص ص 125، 164.

(6) ابن القطان: المصدر السابق، ص 15.

(7) محمد المنوني: إحياء علوم الدين في منظور الغرب الإسلامي أيام المرابطين و الموحدين(أبو حامد الغزالي. دراسات في فكره و عصره و تأثيره)، سلسلة ندوات و مناظرات رقم 09 ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط. 1988م، ص 126.

(8) ابن القطان: المصدر السابق، ص 16.

(9) محمد رضا: أبو حامد الغزالي(حياته و آراؤه و مصنفاته) ، مطبعة الوفد ، مصر 1343هـ/1924م، ص 30.

(ت 513هـ/1119م) في ثلاثين جزءاً و عارض أمر إحراقه[1]، و قد أخذه عنه طلبته الذين كانوا يحضرون مجلسه[2]، و قام بمدح الغزالي الأمر الذي أكد شدة تأثره و إعجابه به[3]، و في عصر الموحدين عرف كتاب "الإحياء" انتشاراً واسعاً إذ سُمح بقراءته[4]، و قام محمد بن محيو الهواري بنسخه و اعتكف على حفظه إلى جانب أبي عبد الله محمد بن إسماعيل الهواري (ت 581هـ/1185م) الذي نسخه هو الآخر، و استعمل أذكاره و أدعيته و أشاد أبومدين شعيب بمكانة الإحياء[5]، و درّس في مجالسه رسالة القشيري أيضاً، كما تأثر أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي بالغزالي حتى سُمي أبو حامد الصغير و ألّف كتابه " التفكير فيما تشمل عليه السور و الأيات من المبادىء و الغايات "، و سلك فيه نفس أسلوب أبي حامد في كتابه الإحياء[6]، و قد قامت سيدة بنت عبد الغني العبدرية (ت 647هـ/ 1249م) بنسخ الإحياء عند تواجدها بتونس[7]، و بيع كتاب " الإرشاد" لأبي المعالي بفاس[8]، و درّس أبو علي الصدفي (ت في النصف الأول من القرن 6هـ/12 م) لطلبته بمرسية مصنفات الصوفية التي جُلبت من المشرق "كآداب الصحبة" للسلمي و "رياض المتعلمين" و "حلية الأولياء" لأبي نعيم الأصفهاني [9]، و أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن ساعدة المرشي (ت 565هـ/ 1196م) التصوف و الفلسفة و الفقه، كما أخذ عن أبي بكر بن العربي و كانت له رحلة إلى المشرق سنة 520هـ/ 1126م و عاد إلى مرسية سنة

(1) ابن الزيات: المصدر السابق، ص ص 72، 73.

(2) ابن مريم: السبتان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، راجعه و طبعه محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.ط، ص 300.

(3) و ما قاله في الغزالي: أبو حامد أحيا من الدين علمه *** و جدد منه ما تقادم من عهدي

و وفقة الرحمان فيما أتى به *** فألهمه فيما أراد من الرشد

ففصّلها تفصيلا فأتى بها *** فجاءت كأمثال النجوم تهدي

عماد الدين محمد الأصفهاني: خريدة القصر و جريدة العصر، تحقيق محمد المرزوقي و آخرون ، ج1، الدار التونسية للنشر 1966م، ص ص 325، 326.

(4) المنوني: المرجع السابق، ص 132.

(5) ابن الزيات: المصدر السابق، ص ص 159، 195، 260.

(6) الغبريني: المصدر السابق، ص ص 66، 67.

(7) محمد المنتصر الرسيوني: الشعر النسوي في الأندلس، تقديم عبد الله كنون، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1978م، ص 144.

(8)ابن الزيات: المصدر السابق، ص 158.

(9) بونابي: المرجع السابق، ص .68

526هـ/1131م و حمل معه مؤلفات الغزالي[1]، و قام أبو المطراف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي (ت 658هـ/1259م) بتدريس تلحيقات السهروردي ببجاية [2].

بيد أننا نجد متصوفة الغرب الإسلامي قد ساهموا بأنفسهم في نشر التصوف من خلال ما ألفوه من كتب في هذا المجال، أمثال عبد الله بن محمد بن سليمان المعروف بابن الحاج(ت 419هـ/1028م) الذي ألّف في الزهد كتاباً كبيراً[3]، و محمد بن عبيد بن حسين بن عيسى الكلبي (ت 519هـ/1125م) ألّف بدوره في الزهد كتابه "المونس"[4]، إلى جانب أبي محمد عبد الحق الإشبيلي (582هـ/1186م) الذي عمد إلى جمع شعره في الزهد في كتاب، و عرفت مؤلفاته رواجاً كبيراً ببلاد المشرق، و أخذ طلبته على عاتقهم الإلتزام بقراءتها[5]، كما صنّف ابن العريف الطنجي (ت 536هـ/1142م) كتابه " النفائس و محاسن المجالس، و شبكة الألباب و ملاطفة الأحباب "،و يختصر بمحاسن المجالس، و قد ضمّنه طريقته في التصوف و أفكاره، و اتبع فيه تعاليم الغزالي و كان هدفه من وراء تأليفه تسهيل الطريق على المريد، و بما أنه درّس بالمرية فلا بد من أنه قد لقنه لطلبته[6] ، و ساهم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان التجيبي (ت 610هـ/1214م) بالمؤلفات التي جاء بها في نشر التصوف، فله أربعون حديثا في المواعظ و أخرى في الفقر و فضله و في الحب في الله تعالى، و كذلك في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم، إلى جانب كتاب " الترغيب في الجهاد "، و هو خمسون باباً في مجلد واحد و كتاب " المواعظ و الرقائق "[7]، و قد أخذها عنه طلبته[8]، و صنّف أبو محمد صالح الماجري (ت 631هـ/1234م) كتاب " بداية

الهداية " و شرح في كتاب آخر كتاب " المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى " للغزالي "، كما ألّف كتاباً شرح فيه الرسالة القشيرية[9] ،التي قد يكون لقنها لطلبته في مجالسه كأبي عبد الله

(1) المقري: المصدر السابق، ج2، ص ص 158، 159، 160.

(2) الغبريني: المصدر السابق، ص ص 250، 253.

(3) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص ص 405، 406.

(4) أبو عبد الله بن عسكر و أبي بكر بن خميس: أعلام مالقة، تقديم و تخريج و تعليق عبد الله المرابط الترغي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دار الأمان للنشر و التوزيع، الرباط، 1420هـ/1999م، ص 80.

(5) الغبريني: المصدر السابق، ص ص 73، 74، 75.

(6) بلغيث: الربط، ص ص 285، 286.

(7) المقري: المصدر السابق، ج1، ص 161؛ ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، نشر و تصحيح و طبع السيد عزت العطار الحسيني، ج2، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، 1375هـ/1956م، ص ص 588، 589، 591.

(8) ابن الآبار: المصدر السابق، ص 591.

(9) بونابي: المرجع السابق، ص 67.

محمد بن القاسم السجلماسي الذي أخذ عنه برباط آسفي[1]، هذا دون أن ننسى كتاب " الفقراء " الذي ألّفه أبو بكر بن العربي و يتعلق بالمتصوفة و قد ذكره في كتابه أحكام القرآن[2]، و كذلك ألّف أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي (ت 637هـ/1239-1240م) كتاب " شمس مطالع القلوب و بدر طوالع الغيوب " و " صلاح العمل لإنتظار الأجل "[3]، الأمر الذي ساهم في نشر اتجاهه الصوفي الذي اتبع فيه طريقة السهروردي، و كان لطلبته ببجاية الحظ في دراسة تلك المؤلفات[4]، فضلاً عن مصنفات محي الدين بن عربي(638هـ/1240) الكثيرة التي حملت بين صفحاتها مذهبه في وحدة الوجود، و قد شرح فيها طريقته الصوفية و جاء في مقدمتها كتابه " فصوص الحكم " الذي ألفه سنة 626هـ/1229م و تضمن مذهبه الصوفي، هذا ناهيك عن كتاب " الفتوحات المكية في معرفة الأسرار الملكية و الملكية " و الذي يعتبر من أهم ما ألّفه بن عربي، إذ جمع فيه كل مؤلفاته و اعتبره أسين بلاثيوس إنجيل التصوف الإسلامي.[5]

كما أن كل من أبي محمد عبد الحق المعروف بابن سبعين (ت 669هـ/1270م) و تلميذه قد لعبا دوراً مهماً في نشر التصوف، فابن سبعين ألّف كتاب " بدء العارف " و كتاب " ترتيب السلوك و الوصايا و المواعظ "، و كذلك كتابه " السفر " إلى جانب رسائله الكثيرة في الأذكار[6]، أما تلميذه أبو الحسن علي الششتري (ت 668هـ/1269م) فقد لقي في رحلته الحجية العديد من المشائخ و أخذ عن أصحاب السهروردي، و له مجموعة من التأليف منها. " المراتب الإيمانية و الإسلامية و الإحسانية " و "

المقاليد الوجودية في معرفة أسرار الصوفية " و له أيضاً ديوان شعر[7]، هذا ما ساهم في نشر تصوفهما على مذهب الوحدة المطلقة، و من ضمن الرسائل التي تركها ابن سبعين، كانت هناك رسالة تضمنت وصية لمريديه فيها نصائح صوفية[8]، و قد استفاد طلبة بجاية من علوم هذين المتصوفين.[9]

(1) الغبريني: المصدر السابق، ص ص 132، 133.

(2) أعراب: المرجع السابق، ص 158.

(3) حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، تصحيح و تعليق و ترتيب محمد شرف الدين بالتقايا، ج2، مكتبة المثنى ، بغداد، د.ت.ط، ص 1061.

(4) الغبريني: المصدر السابق، ص ص 148، 157.

(5) بالنثيا: المرجع السابق، ص ص 371، 376، 377.

(6)المقري: المصدر السابق، ج2، ص ص 199، 202، 203.

(7) نفسه، ص ص 185، 186.

(8) بلنثيا: المرجع السابق، ص 388.

(9) الغبريني: المصدر السابق، ص ص 209، 210.

و فيما يخص صقلية نجد محمد بن إبراهيم بن موسى المصري الصقلي الذي كانت له رحلة إلى العراق، حيث أخذ عن علماء الحديث بها و حضر مجالس الجنيد[1]، و ممن ساهموا بمؤلفاتهم في نشر التصوف أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله البكري الصقلي (ت 380هـ/990م) إذ اتجه إلى المشرق للحج و سمع هناك من الزهاد، فنقلوا له عن سهل بن عبد الله التستري (ت 283هـ/896م)[2]، و له كتاب " الأنوار في علم الأسرار و مقامات الأبرار " ضمّنه قواعد تصوفه القائمة على الكتاب و السنة و ما كان عليه السلف الصالح[3]، و له أيضاً " الشرح و البيان لما أشكل من كلام سهل بن عبد الله التستري" [4] ، و خلال القرن الخامس الهجري/ القرن الحادي عشر الميلادي نجد بصقلية عتيق السمنطاري الفقيه المحدث الزاهد السائح في الأرض الذي حجّ و لقي الزهاد و سمع منهم، و له مؤلف بعنوان " دليل القاصدين " يفوق عشرة مجلدات صنّفه في أخبار الصالحين[5].

2- العوامل السياسية:

أ- سياسة الدولة المرابطية:

عمل المرابطون بعد نجاح دعوتهم على اتّباع سياسة المذهب الواحد فقامت دولتهم على المذهب المالكي، و أصبحوا يرجعون إليه في أمور دولتهم الدينية و الدنيوية، و قد وجدوا سكان بلاد

المغرب يتبعون جملة من المذاهب انتشرت بينهم مما ساهم في اضطراب أحوال البلاد و اشتعال نار الفتن و الخلافات بين منتحلي تلك المذاهب[6]، أما بلاد الاندلس فنجدها قد اتبعت المذهب الأوزاعي إمام الشام في بداية الأمر، غير أن المذهب المالكي بدأ فيها مع عهد الأمير الأموي الحكم بن هشام (ت 206هـ/821م) إذ أصبحت في أيامه الفتوى على رأي الإمام مالك[7]، و بات

(1) إحسان عبّاس: العرب في صقلية دراسة في التاريخ و الأدب، دار المعارف بمصر، القاهرة 1959م، ص 115.

(2) الزهراني: المرجع السابق، ص ص 471، 472، 473.

(3) عبّاس: المرجع السابق، ص 115.

(4) الزهراني: المرجع السابق، ص 474.

(5) عبّاس: المرجع السابق، ص 119.

(6) بلغيث: الربط، ص ص 210، 211.

(7) مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، تشرين الثاني، نوفمبر، 1992م، ص 74.

أمراء الأندلس يحفُون هذا المذهب بالعناية و شغفوا به و بعلمائه فأحاطوهم بالرعاية و الاحترام و الثناء حتى أن الشعراء راحوا يتغنون بالموطأ و مما قيل فيه:

و دع للموطأ كل علم تريده

فإن الموطأ شمس و الغير كوكب.[1]

و المغرب الأقصى هو الآخر وجد أهله ضالتهم في هذا المذهب الذي يرجع الفضل في تبنيه و حمايته للمرابطين، و قد ازدهر هذا المذهب بالقيروان و الأندلس و مدّ بجذوره فيهما و ساعدت على ذلك عدة عوامل جاء في مقدمتها أن الإمام مالك من المدينة المنورة، هذه الأخيرة التي كانت مركزاً للإسلام و عاصمة النبي صلى الله عليه و سلم و الخلفاء الراشدين من بعده، إلى جانب هذا فإن رحلات الحج و العلم ساهمت أيمّا مساهمة في تبني المذهب المالكي لذا اقتصر المغاربة على الأخذ عن علماء المدينة و شيخهم الإمام مالك، كما أن مصر شكّلت محطة ثانية في رحلات المغاربة، فكانوا يُعرّجون عليها و هي إذ ذاك مركزاً مهماً للمالكية حيث استقر فيها العديد من أئمتها[2]، و الأهم من هذا كله طبيعة المذهب المالكي نفسها كانت عاملاً مساعداً سمح للمغاربة بتبنيه فقد اعتمد على التقليد و لم يكن للعقل مجالٌ فيه، أضف إلى ذلك أنه كان يقوم على " التنفير من الجدل و الحجج و يكره التفريع و التفلسف و المنطق" [3]، و أوْلَى الكتاب و السنة الإهتمام الأول ثم بعدهما عمل أهل المدينة[4]، و علماء المرابطين

ذاتهم كانوا قد تبنوا المذهب المالكي و نهلوا منه، كأبي عمران الفاسي و وجاج بن زلو اللمطي و عبد الله بن ياسين الجزولي مؤسس الدعوة المرابطية[5]، و الذي زار بلاد الأندلس و نهل من علومها[6]، و اعتبر المرابطون هذا المذهب مذهباً رسمياً لدولتهم[7] ،فحوربت على إثر ذلك المذاهب الأخرى و أُضطهد كل من تكلم في غير المذهب المالكي، و حسبنا في ذلك ما جرى

---

(1) قريبز: المرجع السابق، ص 305.

(2) محمد محمود عبد الله بن بيه: الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، ط1، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م، ص ص 98، 100.

(3) قريبيز: المرجع السابقن ص 306.

(4) نفسه: ص 179.

(5) بن بيه: المرجع السابق، ص 98.

(6) ابن عذاري : المصدر السابق، ج4، ص 10.

(7) بن بيه: المرجع السابق، ص 101.

للفقيه بقي بن مخلد[1] (201-272هـ/816-889م) الذي أوقع به الفقهاء عند محمد بن الحَكَم بن هشام (ت 273هـ/ 886م)، و أتهم بالزندقة و الإلحاد لأنه جاء من المشرق بعلوم و اختلافات فقهية أثارت عليه هؤلاء الفقهاء المعروفين بزهدهم و تقليدهم، و بات كل علم متعلق بالفلسفة و خارج عن مذهبهم من العلوم التي مُنع الخوض فيها[2]، و تكرر نفس الموقف مع ابن مسرّة فهو الآخر أثارت آراؤه الفلسفية و مؤلفاته ككتاب " التبصرة و الحروف" الفقهاء بالمشرق و الأندلس على حد السواء، فأتهم بالإلحاد و التفسخ و أقدموا على حرق مؤلفاته، و تواصل العداء للفلسفة حتى مع الأمير المنصور محمد ابن أبي عامر الذي أمر بإحراق كتب الفلسفة سنة 386هـ/978م، و قام بإحراق بعضها بيده في قرطبة، و تعدى هذا العداء إلى العامة و الأدباء إذ حاربوا هم بدورهم الفلسفة[3]، و بما أن المرابطين قد عملوا بظاهر القرآن[4] اقتداءً بالإمام مالك الذي عمل بظاهر النص القرآني لابباطنه، فإن موقفهم اتجاه الفلسفة تميز بالعداء فحاربوا علم الكلام لأنهم رأوا بأن الخوض فيه يفسد العقيدة.[5]

و عندما دخل كتاب " إحياء علوم الدين " للإمام أبي حامد الغزالي أقدموا على حرقه طبقاً للمرسوم الذي أصدره الأمير المرابطي علي بن يوسف و الذي يقضي بحرقه[6]، و كفّر كل من خاض في علم الكلام، و لم يكن يحظى عند الأمير علي " إلا من عَلْمَ عِلْمَ الفروع "[7]، لكن هذا لم يمنع من الإهتمام بالحديث، فمن المحدثين الذين عُرفوا أنذاك القاضي عيّاض (ت 544هـ/

1149م) و أبو علي الحسين بن محمد الصدفي (ت 514هـ/1120م)، و اعتنوا كذلك بتدريس القرآن الكريم و تحفيظه، و ممن نبغ في علم القراءات أبو علي محمد بن سعيد المقري (ت 547هـ/1152م)، كما نجد في التفسير أبا بكر بن العربي المعافري الذي ألّف في تفسير القرآن كتاب سماه " أحكام القرآن "[8].

(1) هو بقي بن مخلد بن يزيد أبو عبد الرحمان القرطبي الأندلسي. صاحب التفسير و المسند كانت له رحلة إلى المشرق حيث التقى كبار العلماء، عُرف بزهده و صومه و صدقه، المقري: المصدر السابق، ج2، ص 518.

(2) قريبيز: المرجع السابق، ص ص 306، 307.

(3) محي الدين عزوز: التطور المذهبي بالمغرب و دراسة قصة حي بن يقظان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1976م، ص ص 11، 15.

(4) Bel Alfred: Coup D'oeil sur L'islam en berbérie, Extrait de la revue des religious, paris , janvier, fevrier, 1917, p 24.

(5) بن بيه: المرجع السابق، ص 118.

(6) ابن القطان: المصدر السابق، ص 15.

(7) المراكشي: المصدر السابق، ص 172.

(8) بن بيه: المرجع السابق، ص ص 102.

يتضح مما سبق أن الفقهاء المالكيون قد حضوا بمكانة مرموقة لدى أمراء الدولة المرابطية إذ إلتزم هؤلاء الأخيرون بتوجيهاتهم، فيوسف بن تاشفين عظُم شأن الفقهاء و العلماء عنده فكان " يصرف الأمور إليهم "[1] ، و هذا ابنه الأمير علي قد " اشتد إيثاره لأهل الفقه و الدين و كان لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء... فبلغ الفقهاء في أيّامه مبلغاً عظيما "[2]، و لم تعلو مكانة الفقهاء عند الأمراء فقط بل راحت العامة ترفع من شأنهم أيضاً[3]، و حتى الشعراء كتبوا و نظموا في مكانتهم القصائد[4]، و لم يمنع موقف الفقهاء المعادي للفلسفة ظهور فلاسفة اشتهروا و ذاع صيتهم في عصر المرابطين أمثال ابن باجة (ت 533هـ/1138م) و ابن طفيل (506-581هـ/1110-1185م) و ابن رشد الحفيد (526-591هـ/1126-1194م)[5]، فضلاً عن وزير الأمير علي بن يوسف الفيلسوف مالك بن وهيب الإشبيلي الذي نبغ في الفلسفة هو الآخر.[6]

لذا و في ظل التعصب العقدي الذي ميز سياسة المرابطين و خضوع هؤلاء الأخيرين للفقهاء، فقد ظهرت مجموعة من الزهاد و المتصوفة ممن أرادوا تغيير تلك السياسة، و محاولة التفتح و الإطلاع على العلوم المحضورة في عهدهم.

---

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص 82.

(2) المراكشي: المصدر السابق، ص 171.

(3) أبو يحي عبد الله ابن أحمد الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، تحقيق محمد بن شريفة، القسم الثاني، مطبعة محمد الخامس الثقافية و الجامعية، فاس، المغرب، 1971م، ص 189.

(4) ابن خفاجة: ديوان ابن خفاجة؛ دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1381هـ/1961م، ص ص 152، 153.

(5) عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني، 510-546هـ/ 1116-1151م، تاريخ سياسي و حضارة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م، ص 364.

(6) حمدي عبد المنعم محمد حسين: التاريخ السياسي و الحضاري للمغرب و الأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، 1997م، ص 411.

و بالرغم مما سبق ذكره إلاّ أن الأمراء المرابطون قد ساهموا أيضاً في نشر التصوف، و ذلك بترغيب الناس في الزهد فحياتهم غلب عليها الزهد و التقشف، فهذا عبد الله بن ياسين مؤسس دعوتهم مكث بين الجدالين " متورعاً عن أكل لحمانهم و شرب ألبانه لما كانت أموالهم غير طيبة و إنما كان عيشه من صيد البرية "،[1] و يوسف بن تاشفين " كان رجلاً فاضلاً زاهداً يأكل من عمل يده كثير الخوف من الله عزّ و جلّ "[2]، و لبس الصوف و إعتاد على أكل الشعير و أحب الفقهاء و الأولياء و كان يقر بهم منه [3]، و ابنه علي هو الآخر كان "حسن السيرة جيد الطوية نزيه النفس بعيداً عن الظلم، كان إلى أن يعدّ في الزهاد و المتبتلين أقرب منه أن يعدّ في الملوك و المتغلبين "[4]، و تاشفين بن علي اشتهر بقراءته لكتب المريدين و إبتعاده عن شرب المسكرات و غيرها من ملاذ الحياة[5]، هذا إلى جانب الأمير أبي زكرياء بن يوغان الصنهاجي الذي اتبع طريقة الصوفية، و كذلك أبو إسحاق باران بن يحي المستوفي أحد الزعماء الملثمين الذي تلقى الطريقة على بعض مشائخ الصوفية.[6]

و خلاصة القول هي أن الأمراء المرابطين قد شكلوا قدوة لغيرهم من خلال تقشفهم و زهدهم، مما ساهم في إقبال العامة على هذه الحياة التي آثرها ذوو السلطان من أمرائهم و زعمائهم.

ب- سياسة الدولة الموحدية و عقيدة ابن تومرت:

قامت الدولة الموحدية كنظيرتها المرابطية على أسس دينية و ذلك بفضل مؤسسها المهدي بن تومرت الذي سنّ لأتباعه مذهب التوحيد[7]، و كان " ورعاً ناسكاً متقشفاً "[8]، و في أثناء

(1) البكري: المصدر السابق، ص 165.

(2) مجهول: الحلل الموشية، ص ص 81، 82.

(3) ابن القاضي: المصدر السابق، القسم 2، ص 545.

(4) المراكشي: المصدر السابق، ص 171.

(5) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص 79.

(6) ابن الزيات: المصدر السابق، ص ص 101، 102، 241، 242.

(7) بل: المرجع السابق، ص 249.

(8) ابن خلكان: المصدر السابق، مج5، ص 46.

طريق عودته من بلاد المشرق عمل على تغيير المنكر و النهي عنه و الأمر بالمعروف قدر مستطاعه، فمما أوثر عليه أنه قام و هو على ظهر سفينة من الإسكندرية متوجهاً إلى بلاد المغرب بتكسير دنان الخمر و إراقتها، و شدّد على ركابها في الصلاة، و كذلك فعل عند وصوله إلى المهدية. أما ببجاية فقد وجد الصبيان بها يتشبهون بالنساء في اللباس فضلاً عن " إختلاط الرجال بالنساء و الصبيان المتزينين المتكحلين ما لا يحل "،[1] فغير بها ما كان فيها من منكر و نهى عنه و تكرر معه ذلك و هو بتلمسان و فاس و مكناسة إذ كسّر آلات اللهو و غير بها المنكر[2]، هذا فضلاً عن محاربة المرابطين الذين اتهمهم بالتجسيم في كتابة " أعز ما يطلب "، و أعاب عليهم تلك العادات السيئة التي وجدهم عليها من تشبه بالنساء و شرب للخمر و غيرها[3]، و روح النقد و التغيير و محاربة الفساد التي اتصف بها المهدي هنا ما هي إلاّ نتيجة لتحصيله العلمي ببلاد المشرق، حيث نهل من علومها و تأثر بكبار مشائخها أمثال أبي حامد الغزالي و أبي بكر الطرطوشي ممن ثاروا على التقليد و حاربوا البدع [4]، و كان لرحلته إلى بلاد المشرق في طلب العلم و تحصيله الأثر البالغ في تكوينه المذهبي إذ أخذ هناك لعلم عن أكبر العلماء و أشهرهم.[5]

و الحقيقة أن تتلمُذ ابن تومرت بالمشرق على أئمة الأشعرية[6]، و أخذه عنهم كان له الأثر الكبير في تكوين مذهبه، إذ " أخذ بمذاهبهم في كافة العقائد و أعلن بإمامتهم و وجوب تقليدهم و ألّف العقائد على رأيهم مثل المرشدة في التوحيد"[7]، فقال في العدل و الإحسان الإلهي " أنه انفرد سبحانه بالعدل و الإحسان يهدي و يظل و يعز و يذل لا مدير سواه و لا مالك غيره لا يتصف

بالظلم و العدوان... يفعل في ملكه ما يريد و يحكم في خلقه ما يشاء يعذب من يشاء و يرحم من يشاء لا يرجو ثواباً و لا يخاف عقاباً "[8]، و هي النظرية التي قال بها الأشاعرة إلاّ أنه

---

(1)ابن القطان: المصدر السابق، ص ص 39، 40، 41.

(2) البيذق: المصدر السابق، ص ص 39، 43، 44، 45.

(3) ابن تومرت: المصدر السابق، ص ص 258، 263.

(4) النجار: المرجع السابق، ص 105.

(5) سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي تأسيس الدولة و قيامها، ج5، منشأة المعارف بالإسكندرية، 2000م، ص 206.

(6) الأشعرية: نسبة لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري الذي ينسب إلى أبي موسى الأشعري، أنظر الشهرستاني: الملل و النحل، تحقيق أمير علي مهناء علي حسن فاعور، جـ1، ط6، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م، ص 106.

(7) ابن خلدون: العبر...، جـ6، ص 226.

(8) ابن تومرت: المصدر السابق، ص ص 236، 237.

خالفهم في بعض المسائل كنفيه لصفات الله[1]، و ذهب إلى القول بأن الله: " لا يسمى إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه لا يجوز القياس و الإشتقاق و الإصطلاح في أسمائه..."[2]، و بالرغم من تأثره بالغزالي إلاّ أنه خالفه هو الآخر في مسألة التكليف التي رأى فيها الغزالي أن الله يكلف عباده فوق طاقتهم.[3]

كما أن المهدي أنكر الصفات عن الله، و رأى بأنه من الواجب تصوره روحياً دون تشبيه و لا تجسيم[4]، حيث رأى بأنه لا يمكن تصور الله بالعقل لأن العقل محدود و هذا يقود حتماً إلى التجسيم، فاستخدم هذه الحجة ضد المرابطين و فقهائهم[5]، و قوله بفكرة الإمام المعصوم و المهدية[6] فيه خلاف كذلك مع الغزالي الذي نفاها في كتابه " المنقذ من الضّلال "[7]، غير أن فكرته هذه تحمل طابعاً شيعياً و لكنها لا تؤكد تطابقها مع ما هو عند الشيعة في مذهبهم، ذلك أنه اختلف عنهم في استخدامه للأحاديث المروية عن السيدة عائشة و التي رفضها الشيعة و لم يعترفوا بها[8]، كما خالفهم في مسألة الإمامة التي اقترنت بالإتحاد و غيره مما قاله غلاة الشيعة منهم[9]، و قد أجمل صاحب المعجب كل ما سبق ذكره في قوله بأن المهدي " جُل ما كان يدعو إليه علم الإعتقاد على طريق الأشعرية...، ثم صنّف لهم تصانيف في العلم منها كتاب سماه " أعز ما يطلب" و عقائد في أصول الدين و كان على مذهب أبي الحسن الأشعري في أكثر المسائل، إلاّ في إثبات الصفات، فإنه وافق المعتزلة في نفيها، و في مسائل قليلة غيرها، و كان يبطن شيئاً من التشيّع، غير أنه لم يظهر منه للعامة شيء ".[10]

كما اهتم المهدي بالجانب الاجتماعي لتشكيل مجتمع جديد قائم على الأخلاق و العادات التي تتوافق مع الشريعة الإسلامية، فعمل على تحقيق عدالة اجتماعية بين أفراده من خلال المؤاخاة

---

(1) يحي هويدي: تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965م، ص ص 236، 237.

(2)ابن تومرت: المصدر السابق، ص 237.

(3) بل: المرجع السابق، ص 272.

(4) سعد زغلول: المرجع السابق، جـ5، ص ص 209، 210.

(5) بل: المرجع السابق، ص 270.

(6) هويدي: المرجع السابق، ص 232.

(7) الغزالي: المصدر السابق، ص 71.

(8) بل: المرجع السابق، ص 267.

(9) هويدي: المرجع السابق، ص 232.

(10) المراكشي: المصدر السابق، ص 188.

بين القبائل، و أخذ من الأغنياء الزكاة و ردها للفقراء و شجع الزواج بين أفراد القبائل المختلفة أملاً في القضاء على العصبية القبلية[1]، هذا إلى جانب أن استخدامه للعقل كأساس لعقيدته و قوله بالتأويل في القرآن الكريم[2]، كان له الأثر البالغ في بروز نخبة من المتصوفة ممن عملوا على رفض الحجج العقلية التي نتجت عن هذه العقيدة، و محاولة استبدالها بعقيدة أبسط تقوم على ما كان عليه السلف الصالح ليسهل على الناس اتباعها[3]، فقام تصوفهم على الزهد و التقشف و الإقبال على المولى عزّ و جلّ في الباطن و الظاهر، نذكر منهم أبو مدين شعيب (ت 594هـ/1197م) معتمداً في ذلك على دراسة الرسالة القشيرية للقشيري و إحياء علوم الدين للغزالي، و كذلك أبو زكرياء يحي الزواوي (ت 611هـ/1214م) الذي انقطع عن الدنيا[4]، و هو من أصحاب أبي مدين شعيب و غيرهم كثير.[5]

و بعد وفاة المهدي بن تومرت (ت 524هـ/1130م) واصل الموحدون الطريق الذي بدأه هو، ففرضوا تدريس المذهب الأشعري من خلال ما أُلّف فيه كمؤلفات الغزالي (ت 505هـ/1111م)، إلى جانب إستخدامهم التأويل الذي اعتمد عليه مذهب مؤسس دولتهم كما سبق الإشارة إليه[6]، و قد عرف التيار الصوفي الفلسفي ازدهاراً في عصر الموحدين نظراً لوجود حركة تشجيع الفلسفة و التي تبناها الخليفة أبو يعقوب (ت 580هـ/1184م)، الذي أقدم

(1) النجار: المرجع السابق، ص ص 124، 126، 127.

(2) هويدي: المرجع السابق، ص ص 232، 233، 240؛ بونابي: المرجع السابق، ص 88. و التأويل الذي قال به المهدي ابن تومرت يقوم على شروط فهو يقبل الآيات المتشابهة و يؤمن بها من غير تأويلها كآية الاستواء مثلاً، يجب الإيمان بها و قبولها كما نزلت إذ قال تعالى: " الرحمان على العرش استوى " سورة طه الآية 5، كما أن المهدي نبّه إلى وجود ألفاظ لها معنى لغوي و اتخذت في الشرع معنى آخر، أو أنها أوّلت في الشرع و ثبتت على ذلك التأويل كالصلاة و معناها اللغوي الدعاء و في الشرع تدل على الركوع و السجود و القيام و القعود، و الصيام الذي يعني الإمساك و في الشرع يعني الإمساك على الطعام و الشراب و الشهوات في وقت معين، أنظر هويدي: المرجع السابق، ص 241.

(3) بونابي: المرجع السابق، ص ص 88، 89.

(4) الغبريني: المصدر السابق، ص ص 55، 56، 58، 73، 135، 136.

(5) ابن القنفذ: أنس الفقير و عز الحقير. نشره و صححه محمد الفاسي، أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م، ص 27.

(6) بونابي: المرجع السابق، ص 89.

على تعلم الفلسفة، حتى أنه اجتمع إليه أشهر الفلاسفة أنذاك أمثال أبو بكر بن محمد بن طفيل[1] (ت 581هـ/1185م) و محمد بن أحمد بن رشد[2]، و أقدم على حرق كتب المذهب المالكي بعد تجريدها من الأحاديث و القرآن الكريم و في مقدمتها مدوّنة سحنون، من أجل القضاء على هذا المذهب و محوه[3]، و قام بامتحان القائمين على تدريسه[4]، فكان بذلك لسياسة أبي يعقوب اتجاه الفلسفة أثر بالغ في ظهور متصوفة أصحاب النزعات الفلسفية كابن عربي و الششتري و ابن سبعين و غيرهم ممن كانوا بالمغرب[5].

3- العوامل الإقتصادية:

حملت الدولة المرابطية لواء الجهاد منذ بدايتها مما جعل اقتصادها يتأثر بهذا الطابع العسكري فقام على الموارد الحربية من غنائم و مصادرات و غيرها، إلى جانب الضرائب الشرعية و غير الشرعية، فضلاً عن زيادة مواردها المالية بسيطرتها على تجارة السودان و تحصيلها لمداخيلها. و الحقيقة أنه في هذه الحالة يتبين لنا ذلك الارتباط الشديد لاقتصادها بقوتها العسكرية، فشكل بذلك اقتصاداً ظرفيا آنيا يزدهر بحجم الانتصارات المحققة، و هذا ما يطلق عليه اقتصاد المغازي[6]، و قيام الدولة المرابطية على أساس الجهاد جعل من تكاليف الحروب دافعا لزيادة الدخل لتغطية نفقاتها، و الأمر لم يتوقف عند هذا الحد فقط بل راح الأمراء بالأندلس ينغمسون في حياة البذخ و الترف، و زيادة الثروة مبتعدين بذلك عن سُنة أمير المسلمين بالمغرب مما زاد الطينة بلة[7]،

(1) عاش في ظل حكم الموحدين و قد كان عصرهم أكثر تحرراً من الناحية العقلية، و ركز اهتمامه في قصة حي بن يقظان على الفرد وحده، و رأى أنه يستمد إلهامه من إشراق العقل الفعَّال الذي يعتبر مصدر العلم و المعرفة للإنسان، أنظر: محمد علي أبو ريّان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1976م، ص ص 446، 447.

(2) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد ولد بقرطبة سنة 520هـ/1126م، نشأ في بيت علم و دين درس الفقه المالكي و الأدب، و اهتم بالطب و الرياضيات و الحكمة استدعاه عبد المؤمن و استعان به في إنشاء المدارس و تنظيمها، كما اتصل بأبي يعقوب يوسف سنة 1169م و عينه قاضيا في إشبيلية سنة 1169م ثم قاضيا لقرطبة ثم عينه طبيباً خاصاً و بعدها أصبح قاضيا لقضاة قرطبة، و في فترة اتصاله بأبي يعقوب عمل على تلخيص كتب أرسطو و تفسيرها، أُتهم بالزندقة و توفي سنة 595هـ/1198م ، أنظر نفسه ص ص 453 و ما بعدها.

(3) المراكشي: المصدر السابق، ص 237 و ما بعدها.

(4) عز الدين عمر موسى: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ط1، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م، ص 105.

(5) الغبريني: المصدر السابق، ص ص 158، 159، 160، 209، 210.

(6) بوتشيش: المغرب و الأندلس، ص ص 17، 126.

(7) إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف، ط1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، آذار، مارس 1962م، ص 45.

و بتدهور أوضاع الدولة انعكس ذلك على اقتصادها فكانت الزراعة أُولى القطاعات التي تأثرت فظل العاملون فيها يستخدمون وسائل متخلفة[1]، و اعتمد جُلهم على ما تجود به الطبيعة عليهم من أمطار في ري أراضيهم[2]، الأمر الذي جعلهم يقصدون المتصوفة للاستسقاء[3]، و قد دفعت الحاجة إلى زيادة الأموال و الدخل لتغطية مصاريف الحروب من جهة، و تلبية رغبات الأمراء المترفين من جهة أخرى إلى فرض ضرائب مجحفة في حق العامة. و استخدموا النصارى لجبايتها، و كان الأمير علي بن يوسف أول من استخدمهم في ذلك[4]، و تمثل رد فعل العامة على هذا الإجراء في الرفض، إذ نجد أهل دانية بالأندلس قد عبّروا عن رفضهم لاستخدام المرابطين اليهود في جباية المكوس[5]. التي فرضوها عليهم، و مما جاء فيها ما يلي:

يا أهل دانية لقد خالفتهم حكم الشريعة و المروة فينا

مالي أراكم تأمرون بضدما أمرت تُرى نسخ الإله الدينا

كنا نطالب لليهود بجزية و أرى اليهود بجزية يطالبونا

ما إن سمعنا مالكا أفتى بذا لا لا و لا من بعده سحنونا[6]

و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقط بل أصبح جباة الضرائب يحصّنون بحملات عسكرية أثناء عملهم على الجباية بالمناطق النائية[7]، و شملت هذه الضرائب كل القطاعات، ففي ميدان الزراعة عمدوا إلى إقطاع الأراضي لقادة الجيش، و أثقلوا كاهل الفلاحين بالضرائب التي حدّت من

(1) بوتشيش: المرجع السابق، ص 126.

(2) جمال طه: الحياة الإجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الوسيط الإسلامي (عصري المرابطين و الموحدين)، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر بالاسكندرية، 2004م، ص 118.

(3) ابن الزيات: المصدر السابق، ص 116.

(4) مجهول: الحلل الموشية، ص ص 84، 85.

(5) المكوس: هي عبارة عن ضريبة تؤخذ عن أشياء معينة عند بيعها أو عند إدخالها المدن، أنظر جبران مسعود: الرّائد – معجم لغوي عصري – دار العلم للملايين، ط1، بيروت، لبنان، 1964م، ص 1423.

(6) السلفي: أخبار و تراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي، إعداد و تحقيق إحسان عبّاس، ط1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1963م، ص ص 37، 38.

(7) هوبكنز: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1980م، ص 111.

نشاطهم الزراعي، و أدى ببعضهم إلى التوقف عن عملهم[1]، و فرضت عليهم القبالة[2]التي قام ابن عبدون بنقد طرق جبايتها، و عمل على تحديد مقاييس لها للحد من تجاوزات هؤلاء الجباة[3]، ناهيك عن فترة الصراع الحاد الذي كان بين المرابطين و الموحدين، إذ شكلت هي الأخرى عاملا أثّر على الزراعة فانعدم الأمن و تمّ الاعتداء على الممتلكات، و حسبنا في ذلك ما عرفته مدينة مكلناسة أثناء الحصار الموحدي لها، فبعد دخولهم إليها إستولوا على الأراضي، فصار أصحابها " عماراً في أملاكهم يؤخذ منهم نصف الفواكه الصيفية و الخريفية و ثلثا غلة الزيتون..."[4]، فضلاً عن ضربات النصارى بين الفينة و الأخرى لمدن الأندلس، كإشبيلية التي تعرضت قراها لإغارات النصارى و نهبت ممتلكات أهاليها، ليتكرر لها ذلك سنة 526هـ/1131م و بالضبط بشرقها[5]، و تسببت بذلك الفتن و الثورات الداخلية في الإضرار بالثروات الإقتصادية، و من الثورات التي أدت إلى اضطراب الأوضاع ثورة ابن مردنيش بشرق الأندلس التي أثرت سلباً على الزراعة في مرسية[6]، هذا فضلا عن هجومات عرب الخلط على مراكش و تخريبهم لثرواتها، الأمر الذي أدى إلى زيادة الأسعار و حدوث مجاعة، و تواصلت الأزمة الإقتصادية أيّام الرشيد الذي دخل في حروب أهلية مع الخلط من جهة و يحي بن الناصر من جهة أخرى[7]، و كان لهذا الأثر الكبير في انعدام الأمن، غير أن الموحدين مع بداية نشوء دولتهم دعوا إلى اتباع الشرع فيما يخص الجباية، إذ دعا عبد المؤمن في رسائله الرسمية إلى ذلك، و كان شعاره الذي نادى به في حملاته للقضاء على المرابطين، و قد ورد ذكر ذلك في الرسالة التي وجهها إلى الطلبة و المشيخة و الأعيان

---

(1) بوتشيش: إسهامات في التاريخ الاقتصادي الاجتماعي لمدينة فاس خلال العصر الوسيط، تقديم محمد المنوني، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1997م، ص 37.

(2) القبالة: هي في الأصل الصريبة التي تدفع لبيت المال، و أُستعمل هذا اللفظ على الضرائب الزائدة على ما يقضي به الشرع و دلت في المغرب و الأندلس على الضرائب التي يدفعها أهل الحرف و بائعوا السلع الرئيسية. أنظر ابن القطان: المصدر السابق، ص 156؛ أحمد بن يحي الونشريسي:

المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية و الأندلس و المغرب، تخريج جماعة من الفقهاء، إشراف محمد حجّي، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000م، ص 202.

(3) بوتشيش: مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين، ط1، دار الطليعة و النشر بيروت، لبنان، حزيران (يونيو)، 1998م، ص 206.

(4) محمد ابن غازي العثماني: الروض الهنون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط3، المطبعة الملكية، الرباط، 1420هـ/1999م، ص ص 25، 27.

(5) ابن القطان: المصدر السابق، ص 197.

(6) كمال السيد: المرجع السابق، ص 95.

(7) ابن عذاري: البيان الموحدي، ص ص 307، 347.

و كافة أهل الأندلس في ربيع الأول سنة 543هـ/1148م، و تحدث فيها عن المكوس و القبالات وغيرها من المظالم التي دعا إلى ضرورة القضاء عليها[1]، و تشدد الخلفاء الموحدون في قمعهم للظلم و توطيدهم لدعائم العدل، إذ عملوا على تتبع الظلمة و تطلب الأمر في بعض الأحيان إلى عزلهم و اعتقالهم، بل و إعدامهم و كان للخليفة الموحدي عبد المؤمن و ولده أبي يعقوب يوسف حفيده يعقوب المنصور جهوداً جبّارة في تحقيق العدل و محاربة الظلم، غير أن هذا لم يدم طويلاً فبعد أن توسعت الدولة الموحدية و زادت نفقات جيشها بات الاقتصار على ما تجود به الضرائب الشرعية من أموال غير كافٍ لتغطية متطلباتها، الأمر الذي اضطر الخلفاء الموحدون إلى البحث عن طرق أخرى لزيادة الجباية[2]، فعمد عبد المؤمن إلى تنظيم الخراج[3] و ذلك بأن قام بمسح بلاد إفريقية و المغرب، فأسقط الثلث من الأراضي غير الصالحة للزراعة من جبال و أنهار و غيرها، و فرض على الأراضي الصالحة للزراعة الخراج، و ألزم كل القبائل دفع قسطها من الزرع و المال، هذا إلى جانب فرضهم لمختلف الضرائب و المكوس على معاملات البيع و الشراء و الصادرات و الواردات، و ساء وضع الدولة الموحدية مع تجاوزات القبائل العربية بإفريقية، إذ قاموا بتخريب مدنها و اجتاحوا أراضيها و زال الأمن بنهبهم للتجار و قطعهم للطرق، و بما أن إفريقية كانت أغنى المناطق التي تنطوي تحت لواء الموحدين فقد انعكس ذلك على اقتصاد المغرب، غير أنه بعد القضاء على ثورة ابن غانية مع بداية عهد الناصر الموحدي (ت 595هـ/1198م) عادت الأمور إلى طبيعتها بعودة الأمن إلى إفريقية، و مع انتقال الناصر إلى الأندلس و انهزام الموحدين في معركة حصن العقاب تغيرت الأمور، إذ امتد تأثير ذلك على كل القطاعات فانهارت الزراعة و التجارة و انتشرت المجاعة، و ازدادت الأزمة الاقتصادية في عهد المستنصر الذي كان غافلاً عما يجري لدولته[4]، و كان لكل هذه العوامل أثر و

انعكاس على الفلاحة[5]، كما كان للآفات الزراعية دوراً في تدهورها كانتشار الجراد الذي أفسد الزرع ببلاد الأندلس سنة 527هـ/1132م

(1) عبد الله عنان : عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس، القسم 2، ط1، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، 1383هـ/1964م، ص 625.

(2) نفسه 620، 625.

(3) بوتشيش: إسهامات في التاريخ...، ص 41.

(4) عنان: المرجع السابق، ص ص 625، 626.

(5) بوتشيش: إسهامات في التاريخ ...، ص 43.

و في سنة 528هـ/1133م أثّر الجراد على الزرع ببلاد الأندلس أيضاً، فضلاً عن ما أصاب المحاصيل الزراعية من جراء هجوم الجراد عليها سنة 530هـ/ 1135م و سنة 531هـ/1136م.[1]

و لم يقتصر هذا التدهور على الزراعة فقط بل تعداها إلى الصناعة، التي تمثلت في الصناعات البسيطة و الحربية و الكمالية الخاصة بذوي السلطان، إلاّ أنها عرفت التدهور مع أواخر الدولة المرابطية[2]، و يرجع السبب في ذلك للأزمة المالية التي عانت منها فاقتصر الأمراء على فرض الضرائب، و ابن خلدون رأى بأن زيادة فرض الضرائب على العامة مظهر من مظاهر انهيار الدول و نهايتها[3]، ففرضت القبالات على كل الصنّاع إلاّ أن هذا تغير مع بداية الدولة الموحدية و أصبحت تفرض حسب دخل الصانع[4]، حيث حرص عبد المؤمن على حماية الصنّاع و اسقاط كل القبالات المفروضة عليهم، و الملاحظ هنا هو أن بعض الصناعات كانت ملكية لجملة من الأشخاص كصناعة المعادن و الأجبان، و أغلب مالكيها كانوا إمّا فقهاء أو أصحاب النفوذ الإداري في الدولة[5]، و قام المرابطون بفرض الضرائب على التجار أيضاً بل و أحياناً شملت البائع و المشتري، حتى أن المراسي هي الأخرى فرضت عليها القبالات[6]، و مما زاد الأمر سوءاً جباة هذه الضرائب الذين تفننوا في جمعها و تجاوزوا الشرع في ذلك، ففي عصر المرابطين مثلاً كانوا يخرصون الزيتون قبل وقت قطفه و إذا تعرض لآفة يكون الدفع على صاحبه، و تعدوا ذلك إلى خرص الحبوب رغم تأكيد الفقهاء على اقتصادره على الثمار فقط[7]، و راح المرابطون يتفننون في فرض ضرائب أخرى جديدة غير التي فرضت على الزرّاع و الصنّاع و التجار، كضريبة التعتيب بالأندلس التي فرضت لبناء الأسوار و إصلاح القديمة منها، و تلاعب الجباة كالعادة في جمعها[8]

---

(1) ابن القطان: المصدر السابق، ص 201 و ما بعدها.

(2) بوتشيش: المغرب و الأندلس...، ص 127.

(3) ابن خلدون: المقدمة، ص 219.

(4) بوتشيش: إسهامات في التاريخ...، ص ، ص ، 56، 57.

(5) عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشروق، بيروت، لبنان، القاهرة، 1403هـ/1983م، ص ص 210، 213.

(6) بوتشيش: إسهامات في التاريخ...، ص 58.

(7) أحمد موسى: النشاط الإقتصادي، ص 267.

(8) ابن عذاري: المصدر السابق، جـ4، ص 73.

و فأُجبرت العامة على دفعها، و كان مصير من يرفض دفعها السجن مثلما جرى مع الزجّال ابن قزمان، و الغريب في الأمر هو أن دواب النقل هي الأخرى لم تسلم من الضرائب التي فرضت على أصحابها، و كذلك بالنسبة لأضحية العيد و الأنهار أثناء المرور عبرها، فقد طولب المهدي ابن تومرت و أتباعه بها عند مرورهم عبر نهر أم الربيع و تسمى هذه الضريبة بالمكرى[1]، ناهيك عن الضريبة التي فرضت على الجراد الذي كان أهل مراكش يأكلونه[2]، و الغريب في الأمر كله هو إقدام أحد الوزراء في العصر المرابطي على فرض غرامة على العامة بسبب نعامته التي قتلت[3]، و في أواخر العصر الموحدي كانت العامة بمكناسة تدفع ضريبة في عهد الخليفة عبد الواحد الرشيد ابن المأمون بن المنصور الموحدي (ت 640هـ/1242م) لبني حمامة، و هم من فروع المرينيين الذين اشتد ضغطهم على بلاد المغرب[4]، كما استخدموا العرب على جباية الضرائب[5].

و لعبت بذلك الأزمة الإقتصادية دوراً فعالاً في بروز تيار صوفي دعا إلى الفقر و التقشف في الدنيا، مما دفع الكثير من الناس إلى الدخول في التصوف، فنجد منهم من كان صاحب مال و جاه إلاّ أنه تخلى عن ذلك كله أمثال أبو محمد صالح بن عمر الذي زهد في الدنيا و هو من أرباب الدولة، و أبو عمران موسى (ت 594هـ/1197م) و هو من ذوي المال و المسرفين و غيرهما كثير[6].

لهذا ارتأيت أن أركز على دور الأزمة في بروز تيار التصوف، باعتبار أنه دائماً يُرجع ظهور هذا التيار إلى الثراء و البذخ و الإهتمام بالأمور الدنيوية، و يهمل جانب الأزمات و أثرها في انتشار الزهد و الابتعاد عن الدنيا، غير أن هذا لا يجعلنا نهمل دور الثراء، إذ نجد أن معظم المناطق التي اقترن

إسمها باسم أشهر المتصوفة كانت من ضمن المناطق الثرية، فمدينة تلمسان مثلاً تميزت بكثرة مزارعها و غلاّتها و الأسعار بها كانت رخيصة، و تجارتها رائجة

(1) بوتشيش: مباحث في التاريخ...، ص 208.

(2) الحميري: المصدر السابق، ص 541؛ الإدريسي: المصدر السابق، ص 138.

(3) البيذق: المصدر السابق، ص 41.

(4) السلاوي: المصدر السابق، ج3، ص 231.

(5) هوبكنز: المرجع السابق، ص 112.

(6) ابن الزيّات: المصدر السابق، ص ص 237، 301.

و مربحة و أهلها عاشوا في رفه لكثرة أموالهم، كما شكلت وهران مرسى للمراكب التجارية الأندلسية، و كان التجار يقصدون بجاية من كل مكان براً و بحراً، و عرفت صناعة السفن و المراكب فيها ازدهاراً و رواجاً، و مما ساعد على ذلك وفرة مادة الخشب بجبالها[1]، كما أن مكناسة الزيتون قد كثرت فيها الثمار خاصة الزيتون الذي اشتهرت به، و مدينة فاس هي الأخرى عرفت الرخاء و كثرت بها الغلاّت، و في بلاد الأندلس كانت المرية من المراسي المهمة التي ترسو بها السفن التجارية، و مرسية عرفت أيضاً رخصاً في أسعار الفواكه، و كثرت بها المعادن[2]، أما إشبيلية فقد امتازت بكثرة أسواقها و غنى أهلها، و قرطبة اشتهر تجارها بالغنى و الثروة، و جيّان هي الأخرى أسعارها كانت رخيصة و اللحوم فيها متوفرة بكثرة[3]، إلى جانب كثرة الحرير فيها للإعتناء الكبير فيها بدود الحرير، و كان الزعفران ببيّاسة يصدّر منه إلى بلدان أخرى، و أبدة شهدت وفرة العنب لكثرة الكروم فيها[4]، و في المقابل رافق ظاهرة الثراء و الرخاء التي عرفتها تلك المدن تيار دعا إلى الزهد و الفقر، إذ نجد من المدن السابقة من جمعت بين الظاهرتين معاً، فهذه تلمسان التي برز فيها من المتصوفة من مثّل حياة الزهد و التقشف و حمل لواء التصوف كأبي مدين شعيب و تلامذته من بعده، و بجاية نجد بها أبا علي الحسن المسيلي (ت 582هـ/1186م) ، و غيره ممن نادى بالزهد و التقشف مع اتّباع الشريعة [5] ، و المرية برز فيها ابن العريف الذي دعا إلى الزهد في كل شيء ما عدا الله.[6]

العوامل الإجتماعية:

عرف المجتمع بالغرب الإسلامي في ظل الدولتين المرابطية و الموحدية فوارق طبقية، فقيام هاتين الدولتين كان له دور في بروز طبقة الفقهاء و القضاة، و نظرا لكون كلتا الدولتين قامتا على أساس ديني فقد احتل المنشغلون بعلوم الدين مكانة مرموقة و مميزة في المجتمع[7]، فجاءت طبقة

(1) الإدريسي : المصدر السابق، ص ص 150، 153، 161.

(2) الحميري: المصدر السابق، ص ص 444، 537، 539، 545.

(3) الإدريسي: المصدر السابق، ص ص 295، 296.

(4) المقري: المصدر السابق، ج3، ص 217.

(5) الغبريني: المصدر السابق، ص 66 و ما بعدها.

(6) بوتشيش: المغرب و الأندلس...، ص 132.

(7) سامية مصطفى محمد مسعد: الحياة الإقتصادية و الإجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين و الموحدين من 484 إلى 620هـ (من 1092 إلى 1223م) ، ط1، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، 1423هـ/2003م، ص 202.

الأمراء و العمال و الفقهاء على رأس الهرم خلال العصر المرابطي، إذ كان ثراء هذه الطبقة يزداد يوما بعد يوم، و احتل فيها الفقهاء المكانة الأولى، لما أهلتهم إليه ثروتهم، حتى أنهم باتوا يستقبلون بشكل يشبه ما يستقبل به الأمراء عند دخولهم المدن، فاشتغلوا في التجارة و سكنوا منازلاً كالقصور. و اتخذوا من الرشوة طريقا لثرائهم[1]، و ذاع صيتهم و اشتهرت أسرهم كأسرة بني حمدين بقرطبة، و أسرة بني عيّاض بستة [2]، و اختلف بذلك فقهاء هذا العصر عن الفقهاء الذين رأى فيهم ابن خلدون الفئة التي لا تكثر أموالها في أغلب الأحيان لانشغالها عن الدنيا بأمور الدين[3] و راحت تتعرض للنقد اللاذع من قبل الشعراء فهذا أبو جعفر أحمد بن محمد قد وجه أبياتاً شعرية للقاضي أبي عبد الله محمد بن حمد بن قاضي قرطبة قال فيها:

أهل الرياء لبستمو ناموسكم كالذئب أُدلج في الظلام العاتم

فملكتمو الدنيا بمذهب مالك و قسمتوا الأموال بابن القاسم

و ركبتمو شهب الدواب بأشهب و بأصبغ صبغت لكم في العالم[4]

و في العصر الموحدي عمد المهدي إلى تقسيم أتباعه إلى طبقات، جاءت في مقدمتها طبقة العشرة و هم أهل الجماعة ثم أهل الخمسين فأهل السبعين فالطلبة و أخيراً الحفاظ، و هم صغار الطلبة و تأتي بعدها بقية طبقات المجتمع، و بتولي عبد المؤمن السلطة عرفت طبقة الطلبة الصدارة إذ أصبحت في مقدمة الطبقات المميزة و تمتعت بامتيازات مالية، فكانت تصرف المرتبات و الأعطيات لهذه الطبقة من خزانة الدولة[5]، و قد شكّلت الخلافة الموحدية ملكاً دنيوياً[6]، و انحصرت الخلافة فيها على عبد المؤمن و أولاده، و تصدرت قبيلة كومية قائمة القبائل المقربة من الخليفة إذ صارت من

أعظمها عند الموحدين، و احتلت بذلك الصدارة لكون الخلفاء الموحدون منها[7]، و في ظل هذه الطبقية التي عرفها مجتمع الغرب الإسلامي تأثرت طبقة العـامة

(1) بوتشيش: مباحث في التاريخ.....، ص ص 143، 145، 146.

(2) أحمد موسى: النشاط الإقتصادي، ص 356.

(3) ابن خلدون، المقدمة، ص 310.

(4) المراكشي: المصدر السابق، ص ص 171.

(5) سامية مسعد: المرجع السابق، ص 202.

(6) عنان: المرجع السابق، ص 619.

(7) جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين و الموحدين 448-668هـ/ 1056-1269م دراسة سياسية و حضارية، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الاسكندرية ، 2002م، ص ص 160، 161.

التي تدهورت أوضاعها و انعكس ذلك على كل الميادين دون استثناء، مما زاد الهوة بينها و بين باقي الطبقات الأخرى، و قد عانت طبقة العامة إبّان هذه الفترة من الإضطهاد جراء كثرة الضرائب و غلاء الأسعار، و ازداد الوضع تأزما في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ القرن الثاني عشر الميلادي، إذ أدت كثرة المكوس بالتجار إلى حسابها ضمن ثمن المبيعات فحدث بذلك الغلاء، و المتضرر الأكبر هي طبقة العامة، فرغم محاولة السلطة التدخل للحد من ذلك بتحديد الأسعار، إلاّ أنها فشلت بسبب تهرب التجار بإغلاق مخازنهم و إخفاء البضائع، و مما زاد الأمر سوءاً هو ضعف القدرة الشرائية للعامة الذين تميزت أجورهم بالقلة و الزهادة، و قد مسّ الغلاء كل المبيعات بما فيها الألبسة و المنسوجات كالحرير الذي ارتفعت أسعاره[1]، و بلغ سعر مد[2] القمح بقرطبة سنة 526هـ/1131م خمسة عشر ديناراً[3] و اشتد الغلاء بالأندلس سنة 647هـ/1249م.[4]

و انتشرت ببلاد الغرب الإسلامي خلال هذه الفترة عدة آفات اجتماعية تغلغلت بالمجتمع، و شكّلت عاملاً مساعداً على بروز تيار التصوف، و كان في مقدمتها عادة شرب الخمر التي انتشرت صناعتها و ازدهرت خلال القرن السادس الهجري/ القرن الثاني عشر الميلادي، فعمّ شربها عند العامة و الأمراء [5]، و مثّل شرب الخمر لدى الأمراء مظهراً من مظاهر الترف و البذخ، أما العامة فاعتادوا على شربها لينسوا مشاكلهم اليومية[6]، و راح الشعراء يتغنون بشرب الخمر و يصفونها[7]، و وضع أهل السوس انزير و هو شراب مفعوله أقوى من الخمر، و يتم صنعه من عصير العنب، حيث يطبخ على النار و يتم تناوله بعد خلطه بمقدار يماثله من الماء[8]، و قد اتخذت الدولة المرابطية على عاتقها محاربة هذه الظاهرة إذ أمر ابن عبدون بجلد كل من يشرب

(1) بوتشيش: مباحث في التاريخ...، ص ص 210، 211.

(2) المد: كيل معين اختلفت سعته في العالم الإسلامي بحسب المكان و العصر و المذهب، أنظر أبو الحسن علي ابن يوسف: الدوحة المشتبكة في ضوابط السكة، تحقيق حسين مؤنس، ط2، دار الشروق القاهرة ،1986، ص ص 85، 86.

(3) ابن القطان: المصدر السابق، ص 197.

(4) عنان: المرجع السابق، القسم 2، ص 627.

(5) أحمد موسى: النشاط الاقتصادي، ص 241.

(6) الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص 410.

(7) ابن حمديس: ديوان ابن حمديس، تصحيح و تقديم إحسان عبّاس، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1379هـ/1960م، ص ص 19، 21، 193؛ ابن سهل: ديوان ابن سهل، تقديم إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 1967م، ص ص 125، 148، 259.

(8) الإدريسي: المصدر السابق، ص 131.

الخمر بعد الإستفاقة من سكره[1]، كما قام القاضي عيّاض بإقامة الحد على الفتح بن خاقان عندما قصد مجلس قضائه و هو مخمراً.[2]

و بادرت المصادر الموحدية التي تتبعت رحلة عودة ابن تومرت من المشرق إلى وصف حالة المجتمع إبّان العصر المرابطي، و سلّطت الأضواء على ظاهرة شرب الخمر و عملت في نفس الوقت على إبداء موقف ابن تومرت من ذلك و كيفية محاربته لها، إذا أراق الخمر بالسفينة التي ركبها من الاسكندرية باتجاه بلاد المغرب، و عند وصوله إلى المهدية " رأى بها سوقا تباع فيه الخمر فكسّر دنانها و أراقها "[3]، حتى أنه كان يضرب الناس على شربها[4]، و راح يخصص لها أبواباً في كتابه " أعز ما يطلب " لتحريمها و الدعوة إلى إراقتها و كسر الأواني التي تحفظ فيها[5]، كما دعا في إحدى رسائله الموجهة إلى جماعة الموحدين إلى وجوب اجتنابهم الخمر و بيّن فيها حكم الشرع إزاء هذه الآفة المحرّمة[6]، إلاّ أن هذا لم يحد من انتشارها فمحمد بن عبد المؤمن كان يشرب الخمر الأمر الذي ساعد على خلعه عن تولي الخلافة من قبل والده قبل وفاته[7]، و قد سار خلفاء عبد المؤمن على دربه في محاربة الخمر، فهذا الخليفة أبو يعقوب المنصور أمر " باراقة المسكرات و قطعها و التحذير بعقاب الموت على استعمالها و أنفذ المخاطبات بذلك إلى كافة ولاته بالأمصار"[8]. و ما تغنّي الشعراء بالخمر في قصائدهم إلا دليلاً على كثرة انتشارها[9].

و رافق شرب الخمر انتشار مجالس الأنس و اللهو و الطرب و هو أمر حتميٌ لا محالة[10] و اشتهرت بلاد الأندلس بهذه الظاهرة إذ خصصت مدناً للملاهي و الخلاعة، كـإشبيلية

---

(1) بوتشيش: المغرب و الأندلس...، ص ص 98، 99.

(2) الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص 410.

(3) ابن القطان: المصدر السابق، ص ص 39،40.

(4) المراكشي: المصدر السابق، ص 193.

(5) ابن تومرت: المصدر السابق، ص ص 363، 366، 375.

(6) البيذق: المصدر السابق، ص 5.

(7)عبد الملك بن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة و جعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي النازي، ط1، دار الأندلس للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1383هـ/1964م، ص 216، 221.

(8) ابن عذاري : البيان الموحدي، ص 173.

(9) بن قزمان: ديوان ابن قزمان، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 31717، ورقة 37 الظهر؛ أبو الحسن علي بن بسّام الشنتريني: الذخيرة السنية في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق سالم مصطفى البدري، مج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ/1998م، ص 404.

(10) ابن حمد يس: المصدر السابق، ص 112؛ ابن خفاجة: المصدر السابق، ص ص25 و ما بعدها.

التي انتشرت بها آلات الطرب[1]، و بها مرج الفضة و هو من المتنزهات التي كان يؤتى فيها بكل المحرمات و الملذات[2]، إلى جانب أبدة [3]، و برشانة التي شكلت معقلاً للمجون و الفسوق حتى أن النساء بها " لهن بالسفارة في الفقراء علاقة ".[4]

و بالرغم من سهر المحتسبين على محاربة انتشار الملاهي إلاّ أن ذلك كان دون جدوى[5]، و تأثر حتى الأمراء أنفسهم بالغناء و الطرب، فيوسف بن تاشفين مال إلى الإستماع للغناء رغم ما عرف به من تقوى و زهد و أهدى المعتمد بن عبّاد جارية تجيد الغناء[6] ، و ابنه علي هو الآخر مال إلى الطرب و مما قاله فيه:

لا تلمني إذا طربت لشجو يبعث الأنس فالكريم طروب

ليس شق الجيوب حق علينا إنما الحق أن تشق القلوب [7]

و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل راح الشعراء ينظمون أبياتاً شعرية يصفون فيها آلات اللهو و في مقدمتها العود[8]، و قاوم المهدي ابن تومرت ظاهرة اللهو و الغناء منذ وطأت قدماه أرض بلاد المغرب عند عودته من المشرق، إذ كسّر آلات اللهو و الموسيقى عند دخوله مدينة تلمسان و كذلك فعل بمدينة فاس[9]، و فيما يخص صناعة آلات الموسيقى فقد عرفت ازدهاراً خاصة مع قدوم أمية ابن الصلت (ت 528هـ/ 1133م) من المشرق، إذ وضع الألحان للأغاني و اشتهرت إشبيلية بصناعة هذه الآلات، و منها نقلت إلى بلاد المغرب، و بإحكام المنصور الموحدي سيطرته على أمور الدولة الموحدية أقبل على محاربة عادة شراء الجواري المغنيات اللّواتي كنّ غاليات الثمن أنذاك[10]، هذا إلى جانب عادة إختلاط الرجال بالنساء و تشبههم

(1) المقري: المصدر السابق، ج3، ص ص 213، 217.

(2) ابن سهل: المصدر السابق، ص 165.

(3) المقري: المصدر السابق، ج3، ص 217.

(4) ابن الخطيب: معيار الإختيار، ص 57.

(5) بوتشيش: المغرب و الأندلس، ص 100.

(6) أحمد محمود: المرجع السابق، ص 442.

(7) بوتشيش: المغرب و الأندلس، ص 100.

(8) و مما قيل في العود: عجباً لهذا العود لا ينفك عن غرد مؤانس. شدت الحمام عليه رطبا و الفواني و هو يابس.

أنظر الأصفهاني: المصدر السابق، ص 228.

(9) البيذق: المصدر السابق، ص ص 39، 44.

(10) أحمد موسى: النشاط الإقتصادي، ص ص 235، 236.

بهن في اللباس التي نهى عنها ابن تومرت عند دخوله مدينة بجاية[1]، و باتت النساء المرابطيات تسيطرن على الأمور و صارت " كل إمرأة من أكابر لمتونة و مسوفة مشتملة على كل مفسد و شرير و قاطع سبيل و صاحب خمر و ماخور "[2]، كما كثرت العادات الشاذة كعادة التغزل بالغلمان سواءً في العصر المرابطي أو الموحدي[3]، حتى بات الشعراء يتباهون بهذه العادة كابن قزمان[4]، و قد عرفت هذه العادة انتشاراً كبيرا في طبقة الخاصة كما عرفتها العامة، لكن بشكل أقل من سابقتها فكثر الغلمان في دُور الخاصة و بلغ بهم الأمر إلى أنهم كانوا يُورثون[5]، فضلاً عن الزّنا التي انتشرت بشكل فضيع و باتت تهدد استقرار المجتمع خاصة ببلاد الأندلس، و مما يؤكد ذلك ما حفظته لنا أمثال العامة حول هذه الظاهرة[6]، و فتخبط المجتمع في تلك العادات و الآفات و ما نتج عنها من تدني للأخلاق و اختلاط للأنساب، و قد ورد ذكر هذه الآفة في كتب النوازل، إذ ورد في إحداها أن امرأة زانية قتلت ما ولدت مرتين[7]، و هذا إن دل على شيء دل على مدى انتشار الزنا في مجتمع الغرب الإسلامي خلال هذه الفترة حتى أنه اشتهرت أحياء بكاملها بشيوع مثل هذه العادات فيها كدرب ابن زيدون بقرطبة[8] .

إلى جانب هذا كله عانى العامة و المجتمع بالغرب الإسلامي من انتشار المجاعات التي نتجت عن فترات الجفاف و قلة الأمطار، فضلاً عن ارتفاع الأسعار و كثرة الفتن و الحروب و الغارات التي تعرضت لها المدن، ففي سنة 526هـ/1131م عمّت بقرطبة مجاعة و وباء " و بلغ مد القمح فيها خمسة عشر ديناراً " [9]، و خلال سنة 537هـ/1142م حدثت مجاعة بسبتة " فكان

(1) البيذق: المصدر السابق، ص 31.

(2) المراكشي: المصدر السابق، ص 177.

(3) الأصفهاني: المصدر السابق، ص ص 224، 258.

(4) و قد ذكر تغز له بالصبيان في قوله:

عشقت لواحد صبي و نعشق ما دمت حي

أنظر ابن قزمان: المصدر السابق، ورقة 92 الوجه.

(5) بوتشيش: المغرب و الأندلس، ص ص 99، 100.

(6) الزجّالي: المصدر السابق، ص ص 260، 410، 419.

(7) أبو الوليد بن رشد: مسائل أبي الوليد بن رشد الجد، تحقيق محمد الحبيب التجكاني، مج 2، ط2، دار الجيل بيروت، دار الآفاق الجديدة المغرب، 1414هـ/1993م، ص 1243.

(8) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ج1، دار المعارف بمصر، 1953م، ص 172.

(9) ابن القطان: المصدر السابق، ص 197.

الغلاء المفرط و المجاعة العظيمة...حتى عدم فيها الطعام بالكلية في هذا العام "[1]، و في سنة 591هـ/1194م كانت هناك مجاعة أخرى بمراكش[2]، و تكرر بها ذلك سنة 632هـ/1234م[3] و اضطرت العامة إلى أكل أعشاب لا تصلح للغذاء[4]، و إبّان هذه المجاعات " كان يباع خبز يصنع من نبات ينمو في الصهاريج و الأنهار و السواقي و هو تشبيه من القصب... يتخير منه ما جف و يطحن كما تطحن الحنطة و يعمل منه خبز يخيل لمن يراه فإذا التمس شيئاً منه لاستعماله و مذاقه لم يجد شيئاً ".[5]

ناهيك عن كثرة الأوبئة و الأمراض التي لم تتزامن في معظمها مع المجاعات، لأنه في بعض الأحيان تحدث دون وجود مجاعات و جفاف كالوباء الذي أصاب مراكش سنة 571هـ/1175م، إذ ذكر ابن عذاري أنه "لم يعهد مثله فيما تقدم من الأزمنة قبله و انتهى عدد الأموات في كل يوم إلى مائة و تسعين شخصاً و أكثر... و دام هذا الطاعون بقية سنة إحدى و سبعين و ذلك مدة سنة كاملة "[6]، و ذكره لهذا العدد الهائل من الأموات يقودنا إلى القول بأنه أراد وراء ذلك وصف مدى معاناة الناس من جراء هذا الوباء الفتاك الذي انتشر بسرعة بينهم، كما انتشر الطاعون سنة 572هـ/1176م بالمغرب[7]، و خلال سنة 635هـ/1237م عرفت بلاد الأندلس و المغرب انتشار وباء شديد.[8]

و من الأمراض التي عُرفت خلال هذه الفترة مرض الحميات و الطحال الذي انتشر بأودغشت[9] ،و داء القلاع الذي يصيب الفم و اللسان،و الجرب و الصرع و الجنون و الشقيقة،

---

(1) ابن عذاري: البيان الموحدي، ص 351.

(2) ابن الزيات: المصدر السابق، ص 293.

(3) ابن عذاري: البيان الموحدي، ص 325.

(4) طه: الحياة الإجتماعية، ص 371.

(5) ابن عذاري: البيان الموحدي، ص 326.

(6) نفسه: ص ص 136، 137.

(7) العباس بن إبراهيم السملالي المراكشي: الأعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، ج3، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1418هـ/1997م، ص 116.

(8) كمال السيد أبو مصطفى : تاريخ الأندلس الإقتصادي في عصر دولتي المرابطين و الموحدين، مركز الاسكندرية للكتاب، الإسكندرية، د.ت.ط، ص 93.

(9) البكري: المصدر السابق، ص 158.

إلى جانب اليرقان و السعال[1]، الذي عزا طبيب يوسف بن تاشفين زهر بن عبد الملك بن زهر سببه إلى الهواء الجاف بمراكش[2]، و البرنسام الذي يصيب الدماغ و السلاق الذي يصيب الفم و اللسان، و الإسهال و النزلة الباردة و داء البطن و العقم[3]، و مرض الجذام الذي انتشر بكثرة و ورد ذكره في كتب المناقب و سير الصلحاء و المتصوفة[4]، و قد خُصص للمرضى به بفاس حارة سميت بحارة الجذمى [5]، و مرض البرص[6]، كما انتشرت أمراض العيون بسجلماسة كالعمش الذي كثر بين أهلها[7]، و مرض الرمد[8]، و الجدير بالذكر هنا هو ظهور أمراض ناتجة عن أكل الفواكه الجافة و الإكثار منها فابن زهر أصيب بنغلة في جنبه نتيجة لمداومته على أكل التين و توفي على إثر ذلك[9]، إضافة إلى الحمى[10]، و مرض الخذر[11]، إلى جانب مرض الزجار الذي أوعز الطبيب زهر بن عبد الملك ابن زهر سببه إلى الماء الراكد بمنابع مراكش، كما أنه ذكر كثرة انتشار و جع الكبد بمراكش[12].

هذا دون أن ننسى ما خلّفته الكوارث الطبيعية من آثار جسيمة، فبلاد الأندلس مثلاً تعرضت لسيول و فيضان بعض الأنهار خلال فصل الشتاء، و أدى ذلك إلى هلاك عدد كبير من الناس ففي سنة 481هـ/1088م عرفت بلنسية سيلاً دمرها إلى جانب ما جاورها من القرى[13]،

---

(1) أبو مروان عبد الملك بن زهر: التيسير في المداواة و التدبير، تحقيق و تعليق محمد عبد الله الروداني، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1991م، ص ص 81، 82، 113، 143، 157، 207، 203.

(2)العباس المراكشي: المصدر السابق، ج3، ص ص 250، 251.

(3) بوتشيش: المغرب و الأندلس....، ص ص 102، 103.

(4) أبو علي الهواري: مناقب أبي العباس السبتي، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 1713 ، الورقة 18.

(5) المقري:أزهار الرّياض في أخبار عيّاض، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية و الإمارات العربية المتحدة، د.ت.ط،ص 86.

(6) ابن زهر: المصدر السابق، ص 371.

(7) الإدريسي: المصدر السابق، ص 129.

(8) ابن حمد يس: المصدر السابق، ص 201، ابن سهل : المصدر السابق، ص 279.

(9) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، شرح و تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت، 1965م، ص 520 .

(10) ابن سهل : المصدر السابق، ص 186.

(11) ابن القاضي: المصدر السابق، القسم 2، ص ص 480، 481.

(12) العباس المراكشي: المصدر السابق، ج3، ص 251.

(13) ابن الكرد بوس: المصدر السابق، ص ص 98، 99.

كما حدث بإشبيلية نفس الشيء سنة 564هـ/ 1168م الأمر الذي أدى إلى تهدم سورها من ناحية الوادي[1]، أما في سنة 597هـ/ 1200م فقد تعرضت المدن المطلة على الوادي الكبير لسيل عظيم ذكر ابن عذارى على أنه كان شنيعاً بوادي إشبيلية و " هلك فيه أمم لا يحصيهم إلا الله و ذلك بجفن إشبيلية و بكل من كان بضفتي الوادي من قرطبة إلى جزيرة قادس "[2].

هذا ناهيك عن الزلازل التي تعرضت لها بعض مناطق المغرب و الأندلس، كالزلزال الذي حدث في جمادى الأولى سنة 565هـ/1169م بالأندلس حتى " تهدمت من ذلك ديار كثيرة و صوامع مساجد مدينة قرطبة و غرناطة و اشبيلية "[3]، و الزلزال الذي ضرب المغرب سنة 651هـ/1253م.[4]

و في ظل هذه الظروف الصعبة و تدني الأخلاق كادت القيم الإنسانية تنعدم، و قد أشار الشعراء إلى ذلك في قصائدهم[5]، فكان كل واحد يسعى إلى تحسين مستواه المعيشي و تكوين ثروة بشتى الطرق و الوسائل دون مراعاة للجانب الأخلاقي، و مما يؤكد ذلك ما عُرف من انتشار لصفة اللؤم بفاس التي قبل في أهلها أنهم:

قوم غذوا اللؤم حتى قال لقائلهم *** من لا يكون لئيماً لم يعش رغداً[6]

و شكّلت الرشوة إحدى الوسائل التي استخدمت لتحقيق الرغبات و انعدمت روح التعاون بين أفراد المجتمع، و بات كل فرد فيه يعمل لمصالحه دون مراعاة لمصالح غيره[7] ، و قد استطاع الشاعر ابن حمديس أن يصف الأزمة الإجتماعية التي عانى منها المجتمع بشكل يؤكد ما سبق ذكره [8]،

---

(1) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 234.

(2) ابن عذاري: البيان الموحدي، ص 239.

(3) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 397.

(4) بوتشيش: إسهامات في التاريخ...، ص 120.

(5) ابن الزقاق: ديوان ابن الزقاق البلنسي، تحقيق عفيفة محمود ديراني، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 29 أيار 1964م، ص 232، و مما قاله:

و ما حيز المعيشة لابن إرب إذا افترقت إلى الجهل العقول

و قد نلت التجمل في زمان قبيح عند أهليه الجميل

شراب المعلوات به سراب و منتجع الندى طلل محيل

و أعلام المودّة طامسات فلا عيش يسرُّ و لا خليل

(6) البكري: المصدر السابق، ص 117.

(7) الزجالي: المصدر السابق، ص ص 29، 94، 272.

8- ابن حمديس: المصدر السابق، ص 365.

و في خضم تلك الظروف الإقتصادية و الإجتماعية التي تخبط فيها المجتمع برزت فئة المتصوفة ممن أرادوا إعادة التوازن للمجتمع، و محاولة محاربة الآفات التي انتشرت فيه، و من هؤلاء الذين نشدوا المثل العليا أبو يعزى الذي أخذ على عاتقه محاربة ظاهرة الزنا، كما أن أبا الفضل ابن النحوي راح هو الآخر يصف تذمره من أحوال المجتمع بتلمسان في أبيات شعرية[1]، و هذا إن دلّ على شيء دلّ على أن تيار التصوف كان ينشط أكثر خلال الظروف الحالكة التي مر بها المجتمع،لما كان يقدمه من حلول و أنه على دراية بما يجري فيه، كما أن تيار التصوف جاء لإحداث التوازن بين طبقات المجتمع، إذ آثر أصحاب هذا التيار الفقر و التقشف على ملاذ الدنيا و شهواتها، و مجدوا الفقر، و ذلك حتى يواسوا الفقراء و المساكين، و ممن اشتهر بكثرة الإحسان إلى هذه الفئة أبو العباس السبتي الذي احترمهم و دعا إلى ضرورة مساعدتهم و عدم تحفيزهم.[2]

نستنتج في الأخير أن ظاهرة التصوف لم تكن وليدة التأثر بالمشرق فقط بل تمخضت عن مجموعة من العوامل التي ساعدت على انتشارها بالغرب الإسلامي، هذا الأخير الذي كان الأرض الخصبة و المناخ الملائم لتأصلها في المجتمع و انتشارها بين أفراده، و لذا لا يمكن إرجاع هذه الظاهرة إلى عامل معين بل كان تفاعل مجموعة من العوامل سبباً في ظهورها و انتشارها، و ما يلاحظ هو أن التصوف سيعرف انتشاراً واسعا مع العصر الموحدي و ذلك نتيجة لسياسة حكامه و طبيعة أفكار زعيم دعوتهم، الذي قام بإشاعة المذهب الأشعري مما حفّز المتصوفة و فسح لهم المجال لكونه يقر بالأولياء و يؤكد صحة الكرامات، التي رأى أنها تصديق و إثبات لمعجزات الأنبياء[3]، هذا إلى جانب الانتعاش الذي عرفته الفلسفة مع أبي يعقوب الموحدي الذي شجع الفلاسفة و اشتهر بشغفه بالفلسفة و ولوعه بها، و هذا سيؤثر على طبيعة الإتجاهات التي ستظهر: لذا نتساءل عن حقيقة التصوف الذي عرفه الغرب الإسلامي و اتجاهاته التي انتشرت في عصري المرابطين و الموحدين؟

---

(1) ابن الزيّات: المصدر السابق، ص ص 84، 196.

و مما قاله:

أصبحت فيمن له دين بلا أدب و من له أدب عارٍ من الدين

أصبحت فيهم فقيد الشّكل منفرداً كبيت حسّان في ديوان سحنون

(2) أبو علي الهواري: المناقب أبي العباس، ورقة 9، ورقة 10.

(3) الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص 116.

الفصل الثاني:

الاتجاهات الصوفية بالمغرب الإسلامي في عصري المرابطين و الموحدين.

I- الاتجاهات الصوفية السنية:

1- اتجاه المجاهدة النفسية.

2- اتجاه المجاهدة العملية.

3- اتجاه الوعظ و التذكير.

4- اتجاه الترهيب و الترغيب.

5- اتجاه الخلوة و الانقطاع.

6- اتجاه التصوف التلقائي.

II – الاتجاه الصوفي السني الفلسفي:

1- الغزاليون.

2- المدينيون.

3 – الشاذليون.

4 – أصحاب التوجه الاحساني (أبو العباس السبتي)

5 – الاتجاه الصوفي الباطني:

أ – الاتجاه الباطني المعتدل.

ب – الاتجاه الباطني المتطرف (الثائر).

III – الاتجاهات الصوفية الفلسفية:

1- الاتجاه الإشراقي.

2– اتجاه الوحدة المطلقة.

3– اتجاه وحدة الوجود.

الإتجاهات الصوفية بالغرب الإسلامي في عصري المرابطين و الموحدين:

اختلفت مشارب المتصوفة الثقافية الأمر الذي أدى إلى تنوع اتجاهاتهم الصوفية، و تمثلت الاتجاهات التي عرفها الغرب الإسلامي إبّان هذه الفترة في ثلاثة اتجاهات صوفية و هي: الاتجاه الصوفي السني و الاتجاه الصوفي السني الفلسفي و الاتجاه الصوفي الفلسفي، وتضمّن كل اتجاه من هذه الاتجاهات مجموعة من الأسماء اللامعة لمتصوفة مغاربة وأندلسيين أسهموا أيّما إسهام في إثراء التصوف، وقد اهتديت إلى هذا التقسيم من خلال الاستفادة من دراسات سابقة تطرقت إلى ظاهرة التصوف بالمغرب، كدراسة الأستاذ الباحث إبراهيم القادري بوتشيش القيّمة، التي عمد فيها إلى تخصيص جزء منها لدراسة ظاهرة التصوف بالمغرب و الأندلس خلال العصر المرابطي، وتمكن من خلالها من تقسيم التيارات التي عرفها ذلك العصر إلى تيارين: التيار السني الساذج و التيار السني الفلسفي باعتبار أن العصر المرابطي لم تبرز فيه تيارات صوفية فلسفية اعتمدت على النظريات الفلسفية و الرموز في التعبير عن مذاهبها الصوفية، هذا إلى جانب دراسة الأستاذ الباحث الطاهر بونابي التي قسّم فيها التيارات الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرنين 6-7هـ/ 12-13م إلى ثلاث تيارات: التيار الصوفي السني والتيار السني الفلسفي والتيار الفلسفي، وبما أن المغرب الأوسط كان من ضمن المناطق التي امتدت إليها التوسعات المرابطية و الموحدية على حد السواء فإن الغرب الإسلامي عرف التيارات نفسها إبّان الفترة المدروسة، هذا فضلا عن استفادتي من مقال الأستاذ دبوب محمد بحولية المؤرخ[1] ،الذي قسّم فيه الاتجاهات الصوفية التي عرفها المغرب الإسلامي إلى اتجاه سني واتجاه سني فلسفي وأخيرا الاتجاه الباطني، وعمدت في كتابة هذا الفصل إلى إتباع المنهج الإحصائي من خلال البحث عن أعلام كل إتجاه صوفي وإدماجه في عنصره مع شرح طبيعة مذهبه الصوفي الذي اتبعه، ويمكن إجمال الاتجاهات الصوفية التي عرفها الغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين فيما يلي:

---

(1) – دور حركة صوفية المغرب الإسلامي في الحياة الثقافية و الفكرية و تفاعلاتها بالمشرق الإسلامي، حولية المؤرخ الصادرة عن المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر الأبيار، الجزائر، العدد الثاني 2002م.

I- الاتجاهات الصوفية السنية:

اتبع أصحابها الشرع وابتعدوا عن الخوض في المسائل الفلسفية، فكان تصوفهم بسيًطا[1] وتمثلت ملامحه في الزهد ومجاهدة النفس والإقبال على العبادة والأذكار والإكثار منها[2] ونجمل هذه الاتجاهات فيما يلي:

1_اتجاه المجاهدة النفسية:

نهج أصحابه أسلوب المجاهدات والرياضات كالصّيام والقيام والزهد في الحياة[3]، إلى جانب ميلهم إلى قراءة الرقائق[4]، واجتهد العديد منهم في أداء العبادات ومحاسبة النفس وتأنيبهم لها، وكان بعضهم دائم العبادة والحزن والخوف من الله، فقد عمي أبو زكريا يحي بن صالح من كثرة بكائه إلاّ أنه حرص في الوقت نفسه على العبادة[5]، حتى أن أحدهم بلغت به درجة محاسبته لنفسه أن رفض تناول الدواء عند مرضه وأقبل على الصّيام حتى قبض صائما[6]، هذا إلى جانب أبي عمرو عثمان بن علي التلمساني (542هـ/1147م) الذي كان يختم القرآن الكريم في كل ليلة[7]، كما أن المتصوفة آمنة بنت يغروسن (ت في النصف الأول من القرن 6هـ/12م) كانت تقضي نهار يومها كاملا معتكفة بجامع تلمسان، وأقبل زكرياء بن يوغان الصنهاجي(ت573هـ/1177م) على القيام بالمجاهدات و الرياضيات النفسية وهو ممن تتلمذوا على عبد السلام التونسي(ت512هـ/1118م)، وأبي إسحاق إبراهيم بن يسول الاشبيلي(ت في النصف الأول من القرن 6هـ/12م) الذي لم يكن أجلد منه على الصيام والقيام، وأبي عبد الله محمد بن علي العمراني المعروف بمداومته على العبادة وبكراماته

---

(1) بوتشيش: المغرب و الأندلس...، ص130.

(2) حسن علي حسن :الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين و الموحدين)، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1980م، ص 476.

(3) ابن الزيّات: المصدر السابق، ص ص171، 384، 426.

(4) بلغيث: الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، قرص مضغوط، ص 445.

(5) ابن الزيّات: المصدر السابق، ص ص 271، 291، 366.

(6) نفسه: ص142.

(7) ابن الزّيات: المصدر السابق، ص180، وقد عمل المتصوفة في أواخر القرن 7هـ /القرن 13م على شرب القهوة ليتمكنوا من إقامة طقوسهم الدينية أثناء الليل، انظر Yves thiraval :Larousse dictionnaire de

civilisation musulmane abin umprimeur Ligugé Poitiers, paris France, 1995, p58.

الصوفية، حتى أن الناس كانوا يعظّمونه ويرفعون من شأنه، وفُضِّل على أبي مدين شعيب [1]، واندرج ضمن هذا الاتجاه أبو جعفر أحمد بن عبد الملك الضبّي (ت577هـ/1188م) وهو من ذوي الزهد و الصيام و القيام منقبضًا عن الدنيا[2]، وكان "إمامًا في طريقة التصوف"[3]، وداوم أحدهم على الصّيام فلم يكن يفطر إلا يومي الفطر و الأضحى[4]، أما عبد الحميد بن صالح الهسكوري فقد أمر أن يُكبّل من رجليه وانعزل في غرفة لوحده، ولم يكن يأكل الطعام الذي يؤتى له به ، وبقي على تلك الحالة طيلة ثمانية وعشرين يومًا [5]،كما برز في هذا الاتجاه أحمد بن عمر بن أفرند الذي زهد في الدنيا[6]، وقد زهد عبد الرحمان بن الصّقر الأنصاري (ت559هـ/ 1163م) في الدنيا وكان قانعا باليسير إلى جانب هذا نبغ في علم الكلام[7]، واشتهر بالصدقة والإيثار فكان يتصدق بكل ما يأتيه على الفقراء والمحتاجين حتى أنه لم يخلِف بعد وفاته شيئا[8]، واعتكف على قراءة الرقائق[9]، وعلي بن هذيل (ت564هـ/1168م) هو الآخر اشتهر بالزهد و الصّيام وكثرة صدقاته[10]، وأقبل أبو عبد الله محمد المعروف بابن الكتاني (ت595هـ/1198م) على القيام بالمجاهدات كالصيام و الزهد في الدنيا، ولكثرة الرياضات النفسية التي داوم عليها " لم يبق منه إلا رسمه"[11]، وقد وصف حالته هذه بعد صبره على تلك المجاهدات في قوله:

---

(1) ابن الزيّات: المصدر السابق، ص ص 90، 101، 288 ،472.

(2) ابن الأبار : التكملة...ج1، ص ص 79، 80.

(3) ابن عبد الملك المراكشي: الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة، تحقيق محمد بن شريفة، السفر1 القسم1، دار الثقافة، بيروت، لبنان،د، ت، ط، ص ص 264، 265.

(4) طاهر الصدفي: السر المصون في ما أكرم به المخلصون، تحقيق وتقديم حليمة فرحات، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص 86.

(5) ابن الزيات: المصدر السابق، ص 177.

(6) أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمان السويفي،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1997م، ص184.

(7) ابن الخطيب: الإحاطة...ج1، ص ص، 182، 183، 186.

(8)إبراهيم بن نور الدين ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنان،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1996م، ص ص 117، 118، 119.

(9)ابن القاضي: المصدر السابق، القسم2، ص 409.

(10) إبن عبد الملك المصدر السابق، السفر5، القسم1، ص ص 369، 370، 371.
(11) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 174.

وما أبقى الهوى والشوق مني سوى نفسٍ تردد في خيال
خفيت عن المنية أن تراني كان الروع مني في مُحال[1]

بالإضافة إلى أبي محمد يسِكر الجراو الغفجومي (ت598هـ/1201م) أحد أصحاب أبي الحسن بن حرزهم وأبي يعزى، وكان يقضي ليله قائمًا وفي شهر رمضان يختم القرآني الكريم في تسليمه واحدة[2]، وأبو جعفر أحمد بن محمد القرطبي (ت611هـ/1214م) صاحب المجاهدات زهد في الدنيا واعتكف على عبادة الله [3]، وأبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الغرناطي (560-658هـ/1164م- 1259م) الذي سار على نحوه [4].

2 – اتجاه المجاهدة العملية:

آثر أتباع هذا الاتجاه اقتفاء أثر السلف الصالح وقالوا بمبدأ المجاهدة العملية رافضين بذلك مبدأ المجاهدة النفسية، وعملوا على المرابطة بالثغور و الربط دفاعا عن المسلمين ولأجل الاستشهاد[5]، وحسبنا في ذلك الإمام الزاهد الفقيه أبو علي الصدفي الذي لم يتردد في المشاركة بمعركة كتندة لاغتنام الشهادة[6]، واندرج ضمن هذا الاتجاه أيضا أبو محمد عبد الواحد ابن تومرت الهسكوري الأسود إذ حارب إلى جانب الموحدين بالأندلس في معركة الأرك (591هـ/ 1195م) واستشهد فيها [7]، وأبو الصبر أيوب بن عبد الله (ت609هـ/1212م) الذي اشتهر بالزهد و التصوف وكان له أتباع أخذوا عنه، وهو من المتصوفة المجاهدين إذ استشهد بمعركة حصن العقاب (ت609 هـ/ 1212م) [8]، وقد شارك في هذه المعركة عدد من المتصوفة الزهاد الذين آثروا الجهاد و المرابطة بالثغور على الاعتكاف للعبادة و القيام بالمجاهدات، فهذا أبو محمد تاشفين بن محمد المكتب هو الآخر ممن شاركوا في معركة حصن العقاب، وكان كثير التردد على قبور الصالحين، واجتهد على لقاء المشايخ الزهاد عند قدوم

---

(1) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 174.
(2) نفسه: ص 174.
(3) ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر1، القسم،1 ص ص 397، 398.
(4) نفسه: السفر6، ص ص394، 395.
(5) بوتشيش: المغرب و الأندلس... ص131.
(6) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة 512هـ/ 1118م مع أربع وثائق جديدة، مكتبة الثقافة الدينية بورسعيد 1413هـ/1992م، ص 28.
(7) ابن الزيّات: المصدر السابق، ص 362.
(8) نفسه: ص431؛ ابن الأبار التكملة...ج1، ص202.

إلى قرطبة سنة 608هـ/ 1211م، غير أن المصادر لا تفصح عن تاريخ وفاته، وربما استشهد في المعركة[1] مثل أحمد بن أبي محمد النفزي الذي لم يعثر عليه بعد معركة حصن العقاب، وهو ممن زهدوا في حياتهم ولزموا العبادة وآثروا إتباع سنن غيرهم من الصالحين، وقد لقي عبد الحق الاشبيلي وابن العريف وربما أخد عنهما أيضا[2]، وانكب أصحاب هذا الاتجاه على الدفاع عن الإسلام ونشر مبادئه، وحسبنا في ذلك وجاج بن زلو اللمطي الذي بنى دار للطلبة وعمل على نشر أفكاره ومبادئ الإسلام[3].

3 – اتجاه الوعظ و التذكير:

عمد أصحابه إلى إتباع أسلوب الوعظ و التذكير لدعوة الناس إلى حب الله و الحث على العمل للآخرة، واجتهدوا في محاربة البدع وتشددوا في ذلك وتميزوا بثقافة متنوعة[4]، والتزموا بإتباع السنة[5]، وبرز في هذا الاتجاه علي بن مبارك (ت500هـ/1106م) الذي عمل على وعظ الناس بمرسية[6]، وأبو الحسن عبد الرحمان القرطبي المعروف بالزيتوني (ت501هـ/1107م) [7]، وعُليم بن عبد العزيز (ت564هـ/1168م) الزاهد الورع أخذ أثناء تواجده بالمرية في نصح الناس ووعظهم وحرص على تغيير المنكر، إلى جانب ذلك حافظ على أداء أوراده والمواظبة عليها و التفرغ للعبادة وقراءة كتبه، وقد حظي بمحبة العامة و الخاصة واجتمع حوله أتباعه الذين حظوا بصحبته[8]، وعلي بن حسين بن محمد الشقري(ت578هـ/1182م) عمد أيضا إلى وعظ الناس ودعوتهم إلى المعروف ونهيهم عن المنكر. وكانت تنفعل نفوسهم له وما التفاف العامة حوله إلا دليل على اتساع انتشار اتجاهه الوعظي[9]، وعمل بعض المتصوفة على اتخاذ

---

(1) ابن الابّار: التكملة...ج1، ص 235.
(2) ابن فرحون: المصدر السابق،ص ص 126، 127.
(3) ابن الزيات: المصدر السابق، ص 66.
(4) الغبريني: المصدر السابق، ص ص94، 97، 98.
(5) السيوطي: طبقات الحفاظ، تحقيق علي محمد عمر،ط1، مطبعة الاستقلال الكبرى، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة، رجب 1393هـ/ أغسطس 1973م،ص479.
(6) ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر5، القسم1، ص405.
(7) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص106.
(8) ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر5، القسم1، ص ص 429، 430.
(9) ابن عبد الملك: المصدر السابق، ص 205.

الربط مكانا لوعظ غيرهم كأبي محمد تيلجي الذي كان واعظا برباط شاكر[1].

بيد أن المتصوف عبد الحق الاشبيلي(510-581هـ/1116-1185م) هو الذي تزعم هذا الاتجاه، وكان من تلامذة المتصوف أبو مدين شعيب وحضر مجالسه، وعاصر ببجاية المتصوف أبا علي المسيلي(ت580هـ/1184م) المتأثر بأفكار الغزالي الصوفية[2]، كما روى عن ابن برجان، وقد لزم الزهد فتقلل من الدنيا، وعند تواجده ببجاية عمل على التدريس ونشر العلم بها واشتهر بالتزامه السنة[3]، وحارب أصحاب البدع و الشعوذة فكان يقول:

لا يخدعنّك عن دين الهدى نفرٌ لم يرزقوا في التماس الحق تأييدًا

عُميُ القلوب عُروا عن كلِّ فائدة لأنهم كفروا بالله تقليدًا[4]

واجتهد في تقسيم يومه إلى عدة أقسام، فكان يدرّس بعد صلاة الصبح في الجامع حتى الضحى يصلي ثماني ركعات ويعمل على التأليف بمنزله إلى وقت الظهر، فإذا صلى عاد إلى التدريس إلى غاية العصر" فإذا صلى مشى في حوائج الناس"[5]، أما ليلة فقد قسّمه هو الآخر إلى ثلاثة أقسام ثلثا للقراءة وثلثا للعبادة وثلثا للنوم[6]، واجتمع حوله أتباعه الذين حرصوا على الاستفادة منه قدر المستطاع، والنهل من علومه واتجاهه الصوفي[7]، الذي أثراه بالمؤلفات و المصنفات التي كتبها في هذا المجال، فله" الأحكام الكبرى" و"الأحكام الصغرى" في الحديث، وكتاب في علم التذكير وكتاب"العاقبة"[8]، وكتاب" التوبة" في سفرين وكتاب" الرقائق والأنيس في الأمثال و الآداب و المواعظ والحكم"[9]، ومقالة في الفقر والغنى، وكتاب"التهجد"[10]، كما يلاحظ فقد كثرت مؤلفاته التي عرفت تداولا كبيرا بين الناس خاصة الأحكام الكبرى و الصغرى والعاقبة، وحرص

---

(1) ابن الزيّات: المصدر السابق، ص 414.

(2) رابح بونار: عبد الحق الاشبيلي محدث القرن السادس الهجري، مجلة الأصالة، العدد19، السنة الرابعة، مارس، أفريل 1974م، ص154.

(3) ابن فرحون: المصدر السابق، ص ص276، 277.

(4) المقري: نفح الطيب...ج4،ص117.

(5) الضبي: المصدر السابق، ص341.

(6) الغبريني: المصدر السابق ص 73.

(7) الضبي: المصدر السابق، ص341.

(8) الغبريني: المصدر السابق، ص74.

(9) ابن فرحون: المصدر السابق، ص278.

(10) بونار: عبد الحق الاشبيلي... ص154.

طلبته على قراءتها حتى بعد موته إذ كانوا يقرؤونها عند قبره[1]، هذا إلى جانب أشعاره التي تناول فيها مواضيع مختلفة إلاّ أن الزهد غلب عليها وما قاله في هذا الشأن:

دع الدنيا لطالبها وجاف بنفسك عن مزاحمة القوافي

وخذ منها كفاف من خلال فإنك لا تلام عن كفاف[2]

واتبع أسلوب التذكير بالموت وأهواله لينهى الناس عن حب الدنيا وملذاتها ويدعوهم إلى العمل للآخرة ومما قاله في ذلك :

ياآمن الساحة لا يذعرُ بين يديك الفزع الأكبرُ

والمرء منصوب له حتفهُ لو أنه – بزعمه- يبصرُ

وهذه النفس لها حاجةُ و العمر في تحصيلها يقصرُ

وكلها تزجرُ عن مطلب كانت به أهيم إذ تزجرُ

وربما ألقت معاذيرها لو أنها يا ويحها تعذرُ[3]

وقال أيضًا:

قالوا صفِ الموتَ يا هذا وشدّتهُ فقلت وامتّد مني عندها الصوتُ

يكفيكمُ منه أنّ الناس إن وصفوا أمرا يروّعهم قالوا هو الموتُ[4]

وضّمن كتابه "العاقبة" ذكر الموت وما بعده[5]، فنصح الناس بضرورة استغلال الصحة الجيّدة ووقت الفراغ للعمل ونهاهم عن تضييع أوقاتهم حتى يفلحوا في الآخرة فقال:

إنّ في الموت و المعاد لشغلاً وادكارًا لذي النُهى وبلاغا

فاغتنم خطّتين قبل المنايا صحة الجسم يا أخي و الفراغا[6]

واعتمد في تأليفه على مصنفات كل من أبي حامد الغزالي و المحاسبي وسلك فيه اتجاه الغزالي في الإحياء، مما يؤكد على أنه من المتأثرين بأفكاره الصوفية، ووجه كتابه" العاقبة" إلى وعظ الناس

---

(1) الغبريني: المصدر السابق، ص ص74، 75.

(2) أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير: صلة الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، سعيد أعراب، مطبعة فضالة المملكة المغربية، 1414هـ/ 1994م، القسم4، ص5.

(3) نفسه ص6.

(4) المقري: نفح الطيب...ج4، ص ص315، 316.

(5) ابن فرحون: المصدر السابق، ص278.

(6) المقري: المصدر السابق، ج4، ص ص 328، 329.

وتذكيرهم بضرورة العمل للآخرة وعدم الاغترار بشهوات الدنيا وملذاتها، ودعاهم إلى الزهد فيها والتزم في كل ذلك بإتباع السنة، وابتعد في كتابته عن استخدام الرموز و الألغاز التي اشتهر بها غيره من متصوفة الغرب الإسلامي أمثال ابن عربي وابن سبعين، فكان" أسلوبه ذا نزعة زهديه سنية لا تشوبها شائبة الرموز و الألغاز، وما إلى ذلك من سمات الباطنية..."[1].

وقد تتلمذ على عبد الحق الاشبيلي مجموعة من الأتباع أخذوا على عاتقهم نشر اتجاهه الوعظي الصوفي، أمثال علي بن محمد بن علي المعافري المالقي(ت605هـ/1208م) الذي لقيه ببجاية وأخذ عنه" وكان زاهدا ورعا فاضلا" [2]، كما لقن بعض تصانيفه لتلميذه أحمد بن محمد بن أحمد الأنصاري الذي زهد في حياته هو الآخر وحرص على أعمال البّر، وكان يذكر أخبار ومناقب الصلحاء وكراماتهم التي خصهم الله بها[3]، وتأثر بأفكار عبد الحق الاشبيلي مروان بن عمار بن يحي البجائي (ت610هـ/ 1213م) [4]، وممن أخذ عن عبد الحق الاشبيلي محمد بن عبد الله الرحمان التُجيبي (540-610هـ/1145-1213م) الذي دخل تلمسان وألّف عدة مصنفات في الزهد و المواعظ نذكر منها: أربعون حديثًا في المواعظ وأخرى في الفقر وفضله، وكتاب سماه" الترغيب في الجهاد" و" المواعظ و الرقائق"[5]، وعرفت أفكاره في الوعظ و الزهد رواجا وانتشارا بتلمسان أين اجتمع حوله المريدون ينهلون من علومه [6]، وقد عمد محمد بن حماد الصنهاجي(ت628هـ/1230م) إلى تأليف كتاب" الإعلام بفوائد الأحكام" بيّن فيه قيمة كتاب الأحكام لشيخه عبد الحق الاشبيلي في مجالي الحديث و الفقه، ونبغ إلى جانب هذا في الأصول وعلوم الرقائق[7]، وأخذ عن عبد الحق كل من ضياء الدين أبي العباس الأنصاري القرطبي(578-656هـ/1182-1258م)، وأبي محمد عبد العزيز التميمي التونسي(606-662هـ/1209-1263م) الذي تخرج عليه وألّف كتاب" الإسعاد في شرح الإرشاد" وشرح الأحكام الصغرى،مما يدل على تأثره به

---

(1) بونار: عبد الحق الاشبيلي...،ص 159.

(2) ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر5، القسم1، ص ص 314، 315.

(3) نفسه: السفر1، القسم1، ص363.

(4) ابن الأبار: التكملة، ج2، ص 678.

(5) المقري: نفخ الطيب...ج2 ص ص160، 161؛ ابن مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص248.

(6) ابن مخلوف: المصدر السابق، ج1 ص 248.

(7) بونار: عبد الحق الاشبيلي...ص 159.

وبلوغه شأوًا كبيرا في إتباع اتجاهه الصوفي في الوعظ [1] ، وبرز في هذا الاتجاه أيضا أبو عبد الله محمد بن يحي القرطبي (ت600هـ/1203م) الذي كان يجلس حوله الناس لأجل التذكير والوعظ[2]، وأبو العباس أحمد بن محمد الواعظ الذي أخذ على عاتقه وعظ الناس فتجول ببلاد الأندلس لأجل الوعظ و التذكير، وأقرأ بمجلسه الرسالة القدسية للغزالي[3]، ناهيك عن أبي زيد عبد الرحمان الفزازي (ت627هـ/1130م) الذي نزل بتلمسان، واجتمع حوله الأتباع، وغلب على أشعاره الطابع الزهدي وتميز بموقفه المتشدد إزاء البدع وانتقاده لأصحابها[4]، ومحمد بن عبد الله الأنصاري البلنسي (ت640هـ/1242م) هو الآخر كان من المتصوفة الواعظين وأخذ عنه بعضهم بمنزله، وعمد أيضا إلى تعزيز اتجاهه الوعظي بمؤلفاته في المجال نفسه"كنسيم الصّبا في الوعظ"و" بغية النفوس الزكية في الخطب الوعظية"[5]، وأفنى أبو إسحاق إبراهيم بن جابر المخزومي عمره في وعظ الناس، وقصد لأجل ذلك مراكش سنة 629هـ/1231م وعمل فيها على الوعظ و التذكير إلى غاية وفاته [6]، كما اندرج ضمن هذا الاتجاه أيضا يحي بن محمد بن موسى التجيبي التلمساني (ت652هـ/1254م)[7].

4 – اتجاه الترهيب و الترغيب:

اتّبع أصحاب هذا الاتجاه أسلوب المجاهدات و الرياضات النفسية كالقيام و الصيام [8]، مع زهدهم وتقللهم من الدنيا [9]، وانقطاعهم عن الناس وعزلتهم في كثير من الأحيان [10]، واندرج ضمنه أبو عمران موسى الميرتلي الزاهد (522-604هـ/ 1128-1207م)، وكان ممن يلازم المساجد باشبيلية حيث درّس فيها، ونبغ في الشعر الذي غلب عليه طابع

---

(1) ابن مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص ص 273، 278.

(2) ابن الابار: المصدر السابق، ج2، ص 569.

(3) نفسه: ج1، ص96.

(4) أبو العباس بن أحمد بايا التنبكتي:نيل الابتهاج بتطريز الديباج، المطبعة الجديدة، فاس،طبعة حجرية،د،ت، ط،ص 187.

(5) ابن الابار : التكملة، ج2، ص ص 651، 652.

(6) ابن الابار: ج1، ص 177.

(7) جلال الدين السيوطي: طبقات المفسرين، طهران، 1960م، ص 42.

(8) الغبريني: المصدر السابق، ص 136.

(9)الغبريني:المصدر السابق، ص 136؛ ابن الابار: المصدر السابق،ج2، ص657.

(10) ابن الزيّات: المصدر السابق، ص 447.

الزهد و التخويف، ويكون قد لقن لطلبته باشبيلية وفاس اتجاهه الصوفي [1]، الذي اتبع فيه قواعد الحياة الصوفية للحارث المحاسبي [2]، هذا إلى جانب أبي زكريا يحي الزواوي (ت611هـ/1214م) الذي أقام ببجاية بعد عودته من المشرق، وعمل على نشر العلم فدرّس بها الفقه و الحديث [3]، وانقطع في بعض الأحيان بجبل خارج بجاية، وكان ينقطع طيلة شهر رمضان مختليا بنفسه [4]، إلاّ أنه كان يتعبد بمسجده وغلبت عليه حالة الخوف فعمد في مجالسه إلى تذكير الحاضرين بالنّار و الأغلال و السّعير، وفي الوقت نفسه كان يبسط أمالهم ورجاءهم في رحمته عزّوجلّ ومغفرته، فكان الناس يتوافدون على مجلسه وفي شهر رمضان كان يحدد وقتا للقراءة وتفسير القرآن الكريم، وبعد صلاة الظهر يلقي على طلبته أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد حرص على وعظ الناس حتى قبل وفاته، إذ عقد مجلسه وأخذ يتكلم فيه على رحمة الله الواسعة ومغفرته التي وعد بها عباده الصالحين وتجاوزه عن سيئاتهم[5]، وأسلوب أبي زكريا الزواوي لم يعجب بعض المتصوفة أمثال أبا مدين شعيب الذي عارضه ورأى ضرورة التخفيف على الناس، غير أن أبا زكريا كان حازما متشبثا برأيه، وحسبنا في ذلك رده على بعض الحاضرين بمجلسه ممن أرادوا أن يتكلم لهم عن الجنة حيث قال لهم:" متى خرجنا عن النار حتى نذكر الجنة" [6]، وبرز في الاتجاه نفسه صاحبه أبو النجم هلال بن يونس الغبريني (عاش خلال القرن 7هـ/13م) الذي عمل على ملازمة الجامع الأعظم فيقضي فيه ليله قائما ويمضي نهاره بالقراءة والدراسة، وأبو العباس أحمد المعافري (توفي في النصف الثاني من القرن 7هـ/ 13م) هو الآخر تأثر باتجاهه فعمد إلى التشديد في منح الإجازات العلمية للطلبة الذين كان يدرسهم [7] ،كما برز أبو تمام الواعظ الوهراني الذي عمل على الوعظ و التذكير ببجأية بالجامع الأعظم حيث كان الناس يجتمعون

---

(1) ابن الابار: المصدر السابق، ج2، ص257؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، تحقيق محمد نافع ،مج4، ط12، دار العلم للملايين: بيروت، لبنان، شباط/فبراير 1997م، ص322.

(2) Annemarie schimmel : le soufisme ou les dimensions mystiques de l’islam, les éditions du cerf, paris, 1996, pp 76, 77.

(3) الغبريني: المصدر السابق، ص ص 135، 136.

(4) ابن الزيات: المصدر السابق، ص 447.

(5) الغبريني: المصدر السابق ص ص 82، 136، 137.

(6) ابن الزيات: المصدر السابق، ص ص 447، 448.

(7) الغبريني: المصدر السابق، ص ص 169، 170، 265.

على دراسة الذي غلب عليه طابع التخويف [1]، وبتلمسان ظهر أبو عبد الله ابن الحجام (558-614هـ/ 1162-1217م) صاحب المواعظ الكثيرة و التي صنّف فيها كتابه المسمى" حجة الحافظين ومحبة الواعظين"[2]، وقام مجلسه على وعظ وتذكير الناس من جهة وتحذيرهم وتخويفهم من جهة أخرى[3]، والحاضرون كثيرا ما تهتز قلوبهم لخطابه ومواعظه[4]. وظهور هذا الاتجاه بالغرب الإسلامي إبّان عصري المرابطين و الموحدين يرجع للأوضاع التي تخبط فيها المجتمع أنذاك، وانتشار المنكرات به و التفسخ الأخلاقي، فكان بمثابة تيار معاكس لتلك الأوضاع جاء ليقضي عليها [5]، واعتمد رواده على أسلوب التخويف و التشدد كأساس لردع النفس البشرية الأمارة بالسوء و التي لا تنفعل إلا بالخوف و الترهيب[6].

5 – اتجاه الخلوة و الانقطاع:

عمد أصحابه إلى اعتزال الناس و الانقطاع عنهم إمّا في منازلهم أوفي زوايا المساجد أو في الجبال و الكهوف و المغارات وحتى في المقابر، واشتهرت مجموعة من المتصوفة بالانقطاع عن الناس للعبادة و العلم بجبل خارج بجاية خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[7]، وممن برز ضمن هذا الاتجاه نذكر خلف بن سليمان (ت505هـ/1111م)، الذي لم يكن يغادر بيته إلاّ يوم الجمعة وألزم نفسه بصيام الدهر، وأبا الحسن علي بن عبد الرحمان المالقي(ت533هـ/1138م)هو الآخر اعتكف في بيته طيلة خمسة وعشرين سنة إلى أن وافته المنية [8]، وأبا إسحاق إبراهيم بن أحمد الطليطلي الذي قام بوادي آش واشتهر بالصلاح والورع والزهد والانقباض عن الناس[9]، وسار على نهجه أحمد بن عبد القادر الهمذاني الغرناطي (ت606هـ/1209م)[10]، وكذلك أبا جعفر أحمد بن يوسف البلنسي

---

(1) نفسه: ص ص179، 180.
(2) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 102.
(3) ابن الزيات: المصدر السابق، ص 463.
(4) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 103.
(5) ابن الزيات: المصدر السابق، ص 447.
(6) الغبريني: المصدر السابق، ص136.
(7) ابن الزيات: المصدر السابق، ص ص81، 102، 162، 214، 223، 256، 259، 316، 434، 499.
(8) الضبي: المصدر السابق، ص ص244، 372.
(9) ابن الابار: التكملة...ج1، ص 145.
(10) ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر1، القسم1، ص 257.

(ت615هـ/1218م)[1]، وأبا عبد الله محمد بن يحي المصالي (عاش خلال القرن (6هـ/12م) الذي انقطع عن الناس ولم يكن يُرى إلاّ أيّام الجمعة وفي الأعياد، وكان يتردد من حين لآخر على أبي يعزى [2]، كما برز أبو الحسن علي بن خلف الكومي(599هـ/1202م) بتلمسان [3]، وكان أبو محمد عبد السلام ابن أبي عبد الله آمغار من المتصوفة الذين اعتكفوا مبتعدين عن الدنيا، وابنه أبو يعقوب يوسف (ت614هـ/1217م) أيضا من المتصوفة واشتهر بعلو شأنه بين الناس، وتميزت أسرة آل آمغار بأنها أسرة الخير و الصلاح[4]، وحرصوا على اتباع السنة في تصوفهم[5] ورغم انقباض وانقطاع أبي جعفر أحمد بن مليك التجيبي (ت 630هـ/ 1232م) عن الناس إلاّ أنّه عمل على بلبدة على التدريس ولقن أفكاره الصوفية لطلبته، أما أبو جعفر أحمد بن علي الأنصاري المعروف بابن الفحّام (ت645هـ/1247م) فقد لزم مسجده في غالب الأحيان ودرّس فيه طلبته[6]، وانقبض محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم (ت619هـ/1222م) عن الناس هو الآخر وحرص على إتباع الشرع في تصوفه[7]، وكذلك نجد أحمد بن عبد الله المالقي(ت652هـ/1254م) الذي اشتهر بخوفه الكبير من الله وبكائه الكثير، وكان سريع العبرة، زهد في الدنيا وآثر الخمول على العمل و المشاركة في الحياة وتقشف في كل شيء، ودرّس بمالقة القرآن الكريم والفقه و الحديث و الأدب وشعره غلب عليه طابع الزهد و الحِكَم، وقد وصف مراودة نفسه الأمّارة بالسوء له بالتمتع بالدنيا وملذاتها وعدم إنصاته للناصحين له فقال:

ولما رأيت الشيب بيّن صبحه وليل شبابي قد مضى لسبيله
أقمت على نفسي فناء دليلها فصرت بوجه معرض عن دليله.

---

(1) ابن الابار: التكملة...ج1، ص ص108، 109.

(2) الصدفي: المصدر السابق، ص ص 64، 65.

(3) تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي المكي: العقد الثمين في تاريخ البلد الامين، تحقيق فؤاد سيد،ج6، مطبعة السنة المحمدية عابدين،القاهرة، مصر، 1385هـ/1966م، ص157.

(4) ابن الزيات، المصدر السابق، ص ص 217، 445.

(5) نفسه ص 191.

(6)ابن الأبار : التكملة ... ج1، ص 119، وما بعدها.

(7) ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر6، ص 413 وما بعدها

وقالت تمتّع من زمانك ساعة ولا تبكيّن الهول قبل نزوله.

وبادر إلى لذات ذاتك واغتنم طلوع محيّا البدر قبل أفوله.

وغرّت وما برّت ولكن أحببتها وكم ناصح لي ما أصخْت لقبله[1]

واندرج ضمن هذا الاتجاه أبو القاسم أحمد القيسي (ت675هـ/1276م) الذي اهتم بدراسة الفقه و الحديث، وآثر الخمول والانزواء وحرص في كل ذلك على إتباع الشرع، أما أبو الحسن عبد الله الأزدي (ت 691هـ/ 1291م) فقد رحل من رندة إلى بجاية واستوطن بها، وكان ينقطع عن مخالطة الناس وتشدد في محاربة أصحاب الشطحات من المتصوفة، كما لم يكن متسامحا مع من خالف الشريعة [2].

6 – اتجاه التصوف التلقائي:

مثلته جماعة من الذين اتبعوا طريق التصوف دون سابق دراية بمبادئه ونظرياته ولم يكن لهم اطلاع عليه، وكان تصوفهم ناتجا عن ظرف ما أو حادثة غيّرت سلوكهم ودفعتهم إلى ولوج الزهد و التقشف، فكان تصوفهم تلقائيا بيد أن أتباع هذا الاتجاه شكّلوا نسبة قليلة إذا ما قورنت بغيرهم ممن درسوا عن التصوف ونهلوا عن مشايخه.

ويندرج ضمن هذا الاتجاه مروان بن عبد الملك اللمتوني العابد(ت572هـ/1176م) الذي عمل على حفر كهف انعزل فيه للتعبد وسمى باسمه" درب العابد"[3]،وأبو محمد صالح بن عمر تخلى عن الدنيا والتزم حياة الزهد و التقشف، وأبو إبراهيم إسحاق بن محمد الهز رجي رأى الله في نومه فتصدق بكل أمواله واعتزل حياة الترف والبذخ، وأبو عبد الله محمد التاونتي المعروف بابن الميلي (ت590هـ/1193م) الذي لبس جبة راعي ومنحه ثوبه ورحل عن الأندلس إلى تلمسان فآثر بذلك حياة الزهد و التصوف عن الترف و الإسراف اللذين كان فيهما من قبل [4]، فضلا عن أبي علي بن العباس المعروف بالحبّاك(ت613هـ/1216م) الذي تاب في جنازة أبي مدين شعيب حين رأى التفاف الناس حول المتصوفة الأمر الذي دفع به إلى ترك حياة الغنى

---

(1) ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر1، القسم1، ص 138وما بعدها

(2) الغبريني: المصدر السابق، ص ص 116، 121.

(3)ابن الزيات: المصدر السابق ص223؛ ابن القاضي: المصدر السابق، القسم1، ص 335.

(4) ابن الزيات: المصدر السابق، ص ص 237، 358، 373.

و الترف التي كان فيها، وأقدم على إعطاء ملابسه لفقير ولبس مرقعته[1]، واجتمع حوله المريدون فيما بعد[2]،هذا إلى جانب أبي عبد الله محمد بن موفق البجائي الذي ناداه منادي في نومه دعاه

للذهاب إلى جبل ببجاية، عندها لبس ثيابا بالية وقصد الجبل وحضر مجالس الصوفية فزهد وتقشف بعدما كان من أهل الرفاهية [3]، ناهيك عن العديد من المتصوفة ممن تابوا بعدما كانوا سُرّاقًا أو من أصحاب الدعارة وقطاع الطرق، فضلا عمن كان مغنيا في الأعراس مسرفا على نفسه أو ممن يشربون الحمر[4].

II – الاتجاه الصوفي السني الفلسفي:

اتبع أصحابه المجاهدة النفسية و الخلوة و الذكر للوصول إلى كشف حجاب الحس للإطلاع على الحقائق الإلاهية، وإدراك العلوم اللدنية، وحافظوا في كل ذلك على أن يكون سلوكهم موافقا للشريعة[5] وقد شمل مجموعة من المتصوفة نجملهم فيما يلي:

1 – الغزاليون:

تأثر أصحاب هذا الاتجاه بمبادئ الغزالي(ت505هـ/1111م) التي كانت لهم بمثابة القاعدة، فداوموا على قراءة مؤلفاته ونشروا أفكاره وآرائه[6]، التي قامت أساسا على التزام الشرع، واعتمدوا في ذلك كله على القيام بأنواع المجاهدات والرياضات النفسية التي تضمن لهم تنقية النفس كالصيام والذكر والخلوة والقيام، ليخلصوا في الأخير إلى الكشف حيث يطّلعون من على الحقائق الالاهية والعلوم اللدنية[7]، وتمكن أتباع الغزالي من الإطلاع على أفكاره الصوفية من خلال مؤلفاته وفي مقدمتها كتابه"الإحياء" الذي نُقل إلى الغرب الإسلامي مع العلماء أثناء تأديتهم لمناسك الحج أو من خلال الرحلات العلمية و الإجازات كما سبق ذكره، وسمح لهم ذلك بالالتقاء بأتباع الغزالي فأخذوا عنهم أفكاره ومؤلفاته[8]، وساهموا بنشرها رغم الظروف ـــــ

(1) يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص107، 108.

(2) ابن الزيات: المصدر السابق، ص ص 458، 459.

(3) نفسه: ص ص 449، 450.

(4) نفسه: ص ص109، 212، 307، 369، 440، 449.

(5) ابن خلدون: المقدمة، ص 382.

(6) عصمت عبد اللطيف دندش: أضواء جديدة على المرابطين،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت لبنان،1991، ص43.

(7) بونابي: المرجع السابق، ص116.

(8) بن مخلوف: المصدر السابق ج1، ص ص149، 164؛ ابن القاضي: المصدر السابق، القسم1، ص261.

الصعبة التي وقفت حاجزا أمام الاطّلاع على مؤلّفه الذي قُوبل بالرفض من قبل السلطة المرابطية التي أقدمت على حرقه وسنتعرض لهذه الفكرة لاحقا[1].

وكان أبو بكر بن العربي المعافري (ت543هـ/1148م) من المهتمين بالزهد و التصوف وتتلمذ على الإمام الغزالي وسمع منه"الإحياء" ولقاؤه به كان سنة 490هـ/1096م بالقدس[2]، كما أنه لم يقتصر على الأخذ عليه فقط بل التقى بمجموعة من متصوفة المشرق وأخذ عنهم[3]، وقد استفاد منه عدد كبير من العلماء ،كما أخذ عنه بعض المتصوفة ممن اشتهروا فيما بعد[4] ومُساعد بن أحمد بن مساعد الأصبحي(ت545هـ/1150م)، هو الآخر رحل للحج سنة (494هـ/1110م)، ولقي هناك أصحاب الغزالي وأخذ عنهم لينشر بعدها أفكارالغزالي ويلقنها لتلامذته بالأندلس[5]، وأبو محمد موسى البلنسي (ت549هـ/1154م) الذي كانت له رحلة للحج قبل سنة 520هـ/1126م وأثناء تواجده بمكة حصل على كتاب الإحياء فحمله إلى بلده[6]، إلى جانب محمد بن يوسف بن سعادة المرسي(ت566هـ/1170م) فهو الآخر رحل للحج سنة (521هـ/1127م)، وبعد رجوعه روى ما حمل عن الغزالي من مؤلّفه الإحياء عن أحد أصحابه، فحافظ على قيامه بالمجاهدات كالصّيام وتلاوة القرآن الكريم[7]، واستطاع متصوفة الغرب الإسلامي رغم كل الظروف من الاطّلاع على مذهب الغزالي الصوفي من خلال كتابه الإحياء، فنجد منهم من كان أميّا إلاّ أنه بلغ شأنا كبيرا في التصوف كالمتصوف أبو يعزى يلنور(ت572هـ/1176م) الذي وُصِف بالقطب [8]، وكانت العامة تدعوه باسم مولاي بوعزة على سبيل التعظيم له [9]، وقد كان كثير الخلوة والسياحة إذ ساح في البر مدة خمسة ـــــ

(1) ابن القطان: المصدر السابق، ص ص14، 15.

(2) أبو بكر العربي: أراء أبي بكر العربي الكلامية من كتاب العواصم،والقواسم، تحقيق ونشر عمار طالبي ،ج2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص ص30، 31.

(3)بلغيث: الحياة الفكرية...ص458.

(4)ابن فرحون: المصدر السابق، ص133.

(5) ابن الابار: التكملة، ج2، ص ص736، 737، 738.

(6) نفسه: ج1، ص ص343، 344.

(7) نفسه، ج 2 ص ص506، 507.

(8) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص172، وعن القطب فهو الجامع للأحوال والمقامات بالأصالة أو بالنيابة ويسمى قطب كل من دار عليه مقام ما من المقامات وانفرد به في زمانه على أبناء جنسه، أنظر رفيق العجم: المرجع السابق ص77.

(9) عبد الوهاب بن منصور: أعلام المغرب العربي،ج2، المطبعة الملكية، الرباط، 1399هـ/1979م،ص 211.

عشرة سنة[1]، وأخذ طريقته عن أبي شعيب السارية وأبي الحسن علي بن حرزهم، وساهم هو الآخر في نشر أفكاره وتلقينها لأتباعه الذين كانوا يكثرون من الثناء عليه كالمتصوف أبي مدين شعيب[2]، كما عُظّم من قبل العامة التي التمست منه الدعاء وتبركت به [3]، فذاع صيته في عدة مناطق[4]،ويعد أبو عبد الله التاودي(ت580هـ/1184م) من أصحابه [5]، وممن تأثروا بالغزالي أيضا أبو شعيب بن سعيد الصنهاجي (ت561هـ/1165م) الذي ألزم نفسه، التصدق بكل

الأموال التي رجعت إليه من أجرته على تعليمه للأطفال وذلك لخوفه الشديد من الله [6]، ولكثرة قيامه للصلاة وإطالته الوقوف فيها سمي بأيوب السارية، وكان كثير الصلاة لا يجلس في أي مكان حتى يصلي ركعتين، وداوم على القيام بالمجاهدات و الرياضات فرمى بنفسه في الوادي ليقهرها حتى لا تنازعه في الوضوء بالماء البارد، وكان لا يحس بما يحيط به ويخرج هائما بالليل لغيبته[7]، وقد تأثر علي بن محمد بن عبد الله الجذامي المعروف بالبرجي(ت509هـ/1115م) بأفكار الغزالي وكتابه الإحياء، فأفتى بتأديب محرقة وتضمينه لثمنه، وهو من أحد المشايخ الذين أخذ عنهم المتصوف الأندلسي ابن العريف[8]، وبرز في هذا الاتجاه أبو الفضل ابن يوسف بن النحوي(ت513هـ/1119م) الذي شبّه بالغزالي في علمه[9]، وحرص على إتباع الشرع[10]، والفقه المالكي الذي أشاد بإمامه مالك[11]، وتأثره بالغزالي بدا واضحا جليا من خلال اعتنائه الكبير بكتابه الأحيّاء حتى أنه دافع عنه بشدة عندما ـــــ

(1) محمد بن محمد بن علي الصبّاغ القلعي: بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر، رقم1707، ورقة50 الظهر.

(2) ابن مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص235.

(3) الصبّاغ القلعي: بستان الأزهار، ورقة52 الوجه.

(4) زين الذين محمد عبد الرؤوف المنّاوي: الكواكب في تراجع السادة الصوفية، تحقيق محمد الجادر،ج2، ط1، دار صادر، بيروت لبنان، 1999م، ص526.

(5) السلاوي: المصدر السابق، ج3، ص175.

(6) نفسه: ج2، ص ص 396، 401.

(7) ابن الزيّات: المصدر السابق، ص ص168، 170، 171، 409.

(8) التنبكتي: نيل الابتهاج، ص183؛ ابن عد الملك: المصدر السابق، السفر5، القسم1، ص308.

(9) التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج(في التراجم المالكية)، تغليف أبو يحي عبد الله الكندري ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1422هـ/2002م، ص471؛ابن مريم: المصدر السابق، ص300.

(10) ابن الزيّات: المصدر السابق، ص72.

(11) عيّاض: المصدر السابق، ج1، ص252.

أفتى الأمير المرابطي بإحراقه، فأكد بطلان تلك الأيمان التي حُلّفت بها العامة وكتب بنصرته للإحياء إلى الأمير علي بن يوسف[1]، وقام بنسخه في ثلاثين جزءا وعمل في شهر رمضان على قراءة جزء منه كل يوم وقال: "وددت أني لم انظر في عمري سواه"[2]، وقد غلبت عليه حالة الحضور مع الله فكان يصلي ولا يأبه بكثرة اللغط والأصوات بداره، حتى أنه لم يحس بالسراج الذي أدناه ابنه من عينيه لقوة حضوره مع الله أثناء صلاته[3]، وكان المتصوف أبو الحسن ابن إسماعيل بن حزرهم يتردد عليه لالتماس الدعاء منه فقد عرف ابن النحوي بدعوته المجابة حتى

أنهم كانوا يتعوذون منها، تأثر به أيضًا أبو عبد الله محمد بن الرمّامة الذي كان من أحد أتباعه وقد أخذ عنه هو الآخر[4].

وانْدرج ضمن هذا الاتجاه أيضا أبو عبد الله الدقاق السجلماسي الذي كان" يُصرّح بأنه ولي ويتكلم عن أشياء تنكر عليه"[5]، إلاّ أن ابن العريف وابن برجان كانا يأمران غيرهما بعدم إنكار الأحوال التي تحدث له، وقد تأثر أبو مدين شعيب(594هـ/1197م)هو الآخر بالغزالي وكان يقول:" نظرت في كتب التصوف فما رأيت مثل الإحيّاء للغزالي"[6]، واستطاع أن يبني أفكاره على أسس التصوف القائم على فكر الغزالي مكونًا بذلك اتجاها مبسطًا كان له أتباعه ومناصروه عرفوا بالمدينيين.

هذا إلى جانب المتصوف ابوجبل (ت501هـ/1107م) صاحب المجاهدات والسياحات الكثيرة التي أراد من خلالها الوصول إلى إدراك العلوم اللدنية وهذا ما بدا واضحًا من قوله:

سافر لتكسب في الأسفار فائدة ... فرب فائدة تُلقى مع السفر

ولا تُقم بمكان لا تصيب به ... شيئا ولو كنت بين الظل والزهر

فإن موسى كليم الله أعوزه ... علم تكسّبه في صحبة الخضر[7].

ولم يكتف متصوفة الغرب الإسلامي بقراءتهم لكتاب الإحياء بل نصحوا تلاميذهم بالاطّلاع

---

(1) ابن مريم: المصدر السابق، ص301؛ السلاوي: المصدر السابق،ج2،ص 258.

(2) ابن الزيات: المصدر السابق،ص 73؛ ابن مريم: المصدر السابق، ص301.

(3) ابن الزيّات:المصدر السابق، ص ص73، 74.

(4) ابن مريم: المصدر السابق، ص303.

(5) ابن الزيّات: المصدر السابق، ص135.

(6) نفسه: ص ص135، 195.

(7) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص107.

عليه حتى أنهم أمروهم بذلك، وحسبنا في ذلك المتصوف عبد السلام التونسي(ت512هـ/1118م) الذي أمر أبا عبد الله محمد بن محيو الهواري بالنظر إليه، فقام هذا الأخير بنسخه واعتكف على حفظ واستخدام ما جاء فيه من الأذكار و الأدعية والأوراد[1]، كما أن حسين بن علي بن محمد المسيلي (توفي أواخر القرن 6هـ/12م) تأثّر بالغزالي حتى سمي بأبي حامد الصغير ذلك لأنه ألّف "كتاب التذكير" وسار فيه على نهج الغزالي في الإحياء، إلاّ أنه أبدع فيه أيّما إبداع وتداوله الناس فيما بينهم، مما

دل على استحسانهم لأفكاره وأسلوبه، هذا فضلا عن تلقين اتجاهه لطلبته أثناء تدريسهم إذ اشتغل مدرسا ومال الناس إليه كثيرا[2].

2 – المدينيون:

هم أتباع أبي مدين شعيب(ت594هـ/1197م) كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك، وقد تنوعت ثقافة هذا المتصوف بحكم المناطق التي رحل إليها والمشايخ الذين أخذ عنهم، واكتسب بذلك ثلاث ثقافات– أندلسية ومغربية ومشرقية– فتتلمذ عن أبي الصبر أيوب بن عبد الله الفهري السبتي بفاس [3]، وأبي الحسن علي بن غالب القرشي(ت568هـ/1172م) وهما ممن تتلمذ عن ابن العريف[4]، وأخذا عنه تصوفه القائم على الزهد في كل شيئ ماعدا الله[5]، وأخذ العلم أيضا عن أبي عبد الله الدقاق الذي اعتمد أسلوب المجاهدة النفسية في تصوفه [6]، وأبي الحسن السلاّوي [7]، إلى جانب أبي الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم الذي سمع عليه رعاية المحاسبي [8]، إلاّ أنه انتفع واستفاد أكثر من أبي يعزى يلنور (ت572هـ/1176م) الذي ألزمه القيام بالمجاهدات والرياضات كالصيام، إذ تركه دون طعام لمدة ثلاثة أيام وذلك لتطهير نفسه[9]، وكان أبو يعزى

---

(1) ابن الزيّات: المصدر السابق،ص ص 159، 260.

(2)التنبكتي: كفاية المحتاج...،ص116.

(3) ابن القنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، نشر وتصحيح محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث كلية الآداب، الرباط، 1965م، ص32.

(4) ابن الزيات: المصدر السابق، ص211.

(5) بلنثيا: المرجع السابق، ص369

(6) ابن الزيات: المصدر السابق، ص ص135، 136؛ ابن القنفذ: أنس الفقير، ص27.

(7) ابن الزيات: المصدر السابق، ص319.

(8) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص173؛ ابن القاضي: المصدر السابق، القسم2، ص 531.

(9) ابن مريم: المصدر السابق، ص109؛ ابن القنفذ: أسس الفقير، ص15.

يثني عليه كثيرا وقدتأثّر به حتى أنه فضل الأخذ عنه[1]، وعند انتقاله إلى المشرق أخذ عن مشايخه تعاليم ومبادئ المتصوفة الكبار أمثال الجنيد والقشيري و الغزالي [2]، والتقى أثناء تواجده بعرفة بالشيخ عبد القادر الجيلاني (ت560هـ/1164م) وتأثّر بأفكاره ومبادئه وقرأ عنه الحديث، كما ألبسه خرقة التصوف [3]، وخلص في الأخير إلى طرح مذهب صوفي مزج فيه بين ما أخذه من الأندلس و المغرب و المشرق من ثقافات، وقد قام على عدة أسس فرأى أن الزهد الحقيقي هو

الذي يطهر قلب المريد من شهوات الدنيا ويغمره بحبه لله فقال:"التعظيم امتلاك القلب بإجلال الرب"[4]، ويتم ذلك بالمداومة على ذكره تعالى عزّوجّل وقال في هذا السياق:

إنِّي إذَا مَا ذَكَرْتُ ربِّ يَهْتَزُ شَوقِي إلى لِقَاهُ

طابَتْ حَيَاتِي وَضَاءَ قَلْبِي بِذِكْرِ رَبِي خِلَّ ثَنَاهُ[5]

وحارب الزهد في المظهر الخارجي وتجلى ذلك في ثيابه الجميلة التي ارتداها ورائحة الطيب و المسك التي كانت تفوح منه حتى أنه شبه بالملوك في مظهره[6]، كما رأى ضرورة محاسبة المريد لنفسه بالقيام بالريّاضات فقال:"من لم يجد في قلبه زاجرًا فهو خراب"[7]، حتى يفرغ بذلك قلبه من أمور الدنيا وعمّا سوى الله، وهذا ما عبّر عنه بقوله:"علامة الإخلاص أن يغيب عنك الخلق من مشاهدة الحق"[8]. ويتمكن المريد من الوصول إلى مرحلة الكشف بعد تطهيره لقلبه وذلك حسب قوله:" ولا يسمو إلاّ من أوتي قلبا سليما الذي يسلم مما سواه، ولا يكون في الوعاء إلاّ ممّا جعل فيه مولاه فقلب العارف يسرح في الملكوت بلا شك"[9]، وتكشف له حينها الحقيقة الالاهية فيكتسب العلوم

---

(1) الغبريني: المصدر السابق، ص56.

(2) روبار برنشفيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، ترجمة حمادي الساحلي، ج2،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ص332.

(3)المقري: نفح الطيب...ج7، ص138.

(4) الغبريني: المصدر السابق، 62.

(5) العربي بن مصطفى الشواز : ديوان القطب الرباني العارف بالله الغوث الصمداني الشيخ سيدي شعيب أبي مدين بن الحسين الأنصاري الأندلسي الاشبيلي ت 594هـ، ط1، مطبعة الترقي بدمشق، 1357هـ/1938م ص 80

(6) ابن القنفذ: أنس الفقير، ص 94.

(7) نفسه: ص18؛ التبكي: نيل الابتهاج... ص 112.

(8)ابن القنفد:أنس الفقير، ص 19؛ الغبريني : المصدر السابق، ص 64.

(9)المقري: نفح الطيب .. ج7 ، ص 139.

اللدنية وأشار إلى ذلك في قوله:

أَزَالَ حُجْبَ الغِطَاءِ عَنْهُمْ فَاسْتَنْشَقُوا نَفْحَةَ هَوَاهُ

تَجَلَّى بالنُّورِ البهـاء لَهُمْ فقالُوا يَاهُوَ يا هُوَ

فقالَ إنِّي لَكُمْ مُحبٌّ رَبٌّ كَرِيمٌ نِعْمَ الإِلـهُ[1]

وقد أجاب عندما سُئل عن ما خصّه الله به بقوله:" مقامي العبودية، وعلومي الألوهية وصفاتي مستمدة من الصّفات الربّانية، ملأت علومي سرّي وجهري وأضاء بنوره برّي وبحري" [2]، وهو بذلك يبين أن المريد إذا انكشف له حجاب الحسّ تطلّع إلى الحصول على العلوم اللدنية كما سبق

ذكره، ويتم له إدراك ذلك بقلبه وليس بالعقل إذا أوضح بأن تصوفه قام على أساس" الزهد والاجتهاد"[3]، ورأى أن المريد يفنى ويغيب في حبه لمعبوده وصرّح بذلك في قوله:

وَصُنْ يسرَّنا في سُكْرِنَا عن حُسُودنا وَإِنْ أَنْكَرَت عيْناك شَيئًا فسامِحْنَا

فإنّا إذا طِبْنَا وطابت عُقُولُنَا وخامرنا خَمْرُ الغَرَامِ تَهتَّكْنَا

فَلاَ تَلُمِ السَّكْرَانَ فِي حَالِ سُكْرِهِ فَقَدْ رُفِعَ التَّكْلِيفُ فِي سُكْرِنَّا عَنّا[4]

واستطاع أبو مدين شعيب بآرائه التي برز بها في التصوف أن يوافق بين عدّة نظريات صوفية تقمصها من خلال ثقافته المشرقية والمغربية والأندلسية، التي ضمنت له ذلك فدمجها وخلص في الأخير إلى مذهب صوفي حمل أفكاره، وفي الوقت نفسه حافظ على نظريات شيوخه فتضمن منهج محاسبة النفس الذي أخذه عن الرعاية للمحاسبي بقوله:"بالمحاسبة يصل العبد إلى درجة المراقبة"[5]، ووافق كل من المتصوفين المشرقيين القشيري والغزالي فيما يتعلق بفراغ القلب عمّا سوى الله[6]، إلى جانب قوله بقدرة القلب على إدراك الحقيقة الإلاهية وهو ما قال به الغزالي[7]، كما أنه أكّد نظرية المتصوف ابن العريف فيما يخص الحب الإلاهي وفناء المريد المحب في محبوبه[8].

---

(1)الشوار:المصدر السابق ص 80.

(2) المقري: نفح الطيب،ج7، ص139.

(3) ابن القنفذ: أنس الفقير، ص19.

(4) الشوار: المصدر السابق، ص80.

(5) ابن القنفد: أنس الفقير، ص18؛ الغبريني: المصدر السابق، ص63.

(6) بونابي: المرجع السابق، ص121.

(7) ابن خلدون: شفاء السائل...، ص40.

(8) بلثيا: المرجع السابق، ص371.

وقد لقيت أفكاره وتقبلا واسعا بالغرب الإسلامي[1]، وأشار إلى إتّباعه الشرع في مذهبه بقوله:

لا تحسبوا الزمر الحرام مرادنا مزمارنا التسبيح والأذكارُ

وشرابنا من لطفة وغناؤنا نعم الحبيب الواحد القهار. [2]

وكان أبو مدين شعيب يدرّس الحديث والفقه ومؤلفات كبار متصوفة المشرق كالرسالة القشيرية وإحياء علوم الدين والمقصد الأسنى في شرح أشماء الله الحسنى [3]، ورأى أنه من الضروري أن يكون الشيخ المربي للمريدين على دراية بعلمي الفقه و التصوف على السواء لأن ذلك يضمن له الابتعاد عن البدع، واشترط فيه الرأفة بمريديه وأن لا يلقنهم إلاّ الأوراد المعروفة عنده[4]، كما أنه اشترط أيضا

على المريدين شروط مهمة نذكر منها الزهد والعلم والتوكل [5]، وكان يلقي درسه في بجاية بمسجد أبي زكريا الزواوي بحومة اللؤلؤة، إلى جانب مجلس الوعظ الذي خصصه بعد صلاة الصبح وتحدث فيه عن مناقب الزهاد والمتصوفة وأخبارهم[6]، وقد كان له ببجاية مسجدان اجتمع فيهما بأتباعه وأصحابه الذين استفادوا من علومه، وإلى جانب ذلك عمل على الإجابة على الفتاوى التي كانت ترد إليه في الفقه المالكي[7]، كما كان يتردد على رابطة ابن الزيّات[8] لمراقبة طلبته وهم يؤدون أورادهم ويسبحون ويذكرون الله[9]، وقد ألّف كتاب" أنس التوحيد ونزهة المريد" الذي أراد من خلاله تقريب الطريق للمريدين إلى جانب بعض أشعاره التي كانت تتضمن اتجاهه الصوفي وأفكاره[10]، وتخرّج على يده عدد كبير من الطلبة تأثروا باتجاهه الصوفي الذي أخذوه عنه وعملوا بدورهم على نشره[11]، وممن تتلمذوا له أبو عبد الله محمد الصنهاجي القلعي (ت628هـ/1230م) الذي لقيه ببجاية وأخذ عنه وقرأ عنده الفقه فتأثر باتجاهه

---

(1) برشفيك: المرجع السابق، ج2، ص334.

(2) المقري: نفح الطيب...ج7، ص143

(3) الغبريني: المصدر السابق، ص ص 58، 192.

(4) بونابي: المرجع السابق، ص124.

(5) ابن القنفد: أنس الفقير، ص18.

(6) بن منصور: المرجع السابق، ج2، ص16.

(7) الغبريني: المصدر السابق، ص ص 57، 237.

(8) ابن الزيّات: المصدر السابق،ص 329.

(9) المقري: نفخ الطيب... ج7، ص143.

(10)المناوي: المصدر السابق، ج2،ص239، 244.

(11) ابن مريم: المصدر السابق، ص 108؛ السلاوي: المصدر السابق ج3، ص176.

وأفكاره الصوفية[1] ، وأخذ عنه أبو محمد عبد العزيز المهداوي(621هـ/1225م) ببجاية ثم عمل على ملازمة قصر المنستير عند عودته إلى مدينة تونس واعتكف للعبادة والتعليم، وتمكن بذلك من نشر أفكار شيخه بين طلبته[2]، كما تأثر أبو محمد صالح بن محمد الفاسي الهسكوري (ت653هـ أو656هـ/1255-1258م) باتجاه أبي مدين الصوفي واشتهر بالعدالة [3]، وكان المريدون يسافرون للقاء أبي مدين من كل مكان لينهلوا من علومه ويتشبعوا بأفكاره الصوفية التي عرفت انتشارا واسعا، فإلى جانب أبي محمد المهداوي رحل أبو علي النفطي (ت625هـ/1224م) للقاء أبي مدين ودرس عنده، واستفاد من متصوفة المشرق أيضا عند حجه سنة

595هـ/1198م، وقد درّس بالمهدية والقيروان، واجتمع حوله المريدون ومن دون شك أنه لقنهم أفكار شيخه [4] ، والشيخ طاهر المزوغي[5]، (ت646هـ/1248م) الذي تأثر بأبي مدين هو الآخر وعمل على نشر أفكار بسوسة [6]، إلى جانب أبي سعيد يحي الباجي (ت628هـ/1231م) الذي اتّبع اتجاه أبي مدين الصوفي وربطته بتلامذة هذا الأخير بمدينة بونة علاقة أخوة[7]، وأبو محمد جعفر الخزاعي(ت624هـ/1226م) نهل أيضا عن أبي مدين وصحبه وعُرف بانقطاعه للعبادة واجتمع حوله عدد كبير من الأتباع[8]، وكان أبو مدين يسمى بشيخ الشيوخ وتلميذه ابن عربي هو من أطلق عليه هذا الاسم[9]، وصحب أبو عبد الله عبد الرحمان القرشي أبا مدين شعيب وتأثّر بأفكاره ورافقه سنة 594هـ/1198م من بجاية إلى العُبّاد، وعمل بعد وفاته على الاعتزال بتلمسان وعكف على العبادة، فكان أثناء صلاته لا يشعر بأي شيء حوله لحضوره مع اللّه[10]، كما لازم

---

(1) ابن القنفذ، أنس الفقير: ص93؛ الغبريني: المصدر السابق، ص 192.

(2)ابن القنفد: أنس الفقير، ص97، 99.

(3) ابن مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص266.

(4) برنشفيك: المرجع السابق، ج2، ص336.

(5) هو من عرب مزوغة بافريقية وانتقل إلى تونس للدراسة ثم تجول بعدة مناطق ودخل بجاية ثم عاد إلى افريقية حيث توفي بها سنة 646هـ/1248م، انظر ابن مخلوف ج1 ص244.

(6) بونابي: المرجع السابق، ص279.

(7) نفسه، ص278.

(8) ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص ص461، 462، 463.

(9) الحنبلي: المصدر السابق، مج2، ج4، ص303

(10) المقري: نفح الطيب..ج5، ص ص 303، 304، 305.

أبو علي حسن بن محمد الغافقي أبا مدين ثلاثين سنة واستفاد منه طيلة تلك المدة[1]، وأما خادمه بلال بن عبد الله الحبشي فلازمه خمسة عشر سنة وعمل بعد وفاة أبي مدين على إلباس خرقة التصوف لعدد من متصوفة تلمسان ممن اتبعوا الاتجاه المديني كمحمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي[2]، وكان محمد بن عبد الحق بن سليمان اليعفري البطوي(ت625هـ/1227م) ممن صحبوا أبا مدين وأخذوا عنه تعاليم اتجاهه الصوفي، وفيما بعد عدّمن خواص أصحاب عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق[3]، كما أن ابن يعقوب بن يخلف الكومي كان هو الأخر ممن تتلمذوا على أبي مدين[4]، والجدير بالذكر هو أن بعض متصوفة الغرب الإسلامي حرصوا على الأخذ عن أبي

مدين و الاستفادة منه حتى ولو لم تسمح لهم الظروف بلقائه والاجتماع به، وحسبنا في ذلك أبو مروان الفحصيلي الذي كان يقيم في رابطة بساحل بونة خلال النصف الثاني من القرن السادس وهو شيخ صوفيتها، تأثر بأفكار أبي مدين ومثّل تلميذه أبو عبد الله البوني رابطة وصل بينهما، إذ تردد أكثر من مرة على زيارة أبي مدين ببجاية للأخذ عنه واستفتائه في بعض القضايا و المسائل الخاصة بالتصوف[5].

بيد أن الاتجاه المديني تمخض عنه اتجاه آخر قام على مبادئ تصوف كل من الغزالي وأبي مدين وتزعمه أحد تلاميذة، هذا الأخير وهو أبو محمد صالح بن ينصارن الماجري(550هـ-631هـ/1155-1233م) صاحب الرياضات و المجاهدات الكثيرة، زهد في كل شيء وأكثر من الصلاة والصيام[6]، وإلى جانب تتلمذه على أبي مدين أخذ عن تلميذه عبد الرزاق الجزولي[7]، ثم أنشأ رباطا بأسفي[8]، حيث اجتمع إليه المريدون ولقّنهم ما أخذه عن أبي مدين من تعاليم فضلا عن أفكار الغزالي الصوفية، وكان اتجاهه الصوفي الذي اعتمده في تربية المريدين يقوم على عدة خطوات، فاشترط أن يصرّح المريد منذ البداية بعيوبه ثم يُلزم نفسه العزلة عن الناس ويعمل

---

(1) ابن الزيات: المصدر السابق، ص36.

(2) المقري: نفح الطيب...ج5، ص ص 205، 242.

(3) يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج 1 ص 112.

(4) Annemarie schimmel : op. Cit. p59.

(5)ابن القنفد: أنس الفقير...ص ص 94، 95.

(6) عبد الله بن عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير المغرب،ط3، دار الأمان، الرباط، 1421هـ/2000م،ص ص 107، 108، 114.

(7) ابن القنفد أنس الفقير: ص ص 35، 36.

(8) ابن الزيّات: المصدر السابق، ص13.

على أداء أوراده، وبقي هذا الأسلوب متداولا بين أتباعه حتى بعد وفاته[1]، وتخرج على يده عدد كبير من المريدين ممن اتبعوا طريقته في التصوف وعملوا على نشرها[2]، وحرصوا على تأدية الزكاة إلى رباط شيخهم الماجري بأسفي حيث توزع على الفقراء والمساكين[3] ،وسمي أتباعه بالماجريين [4]، كما أن أبا الحسن الشاذلي هو الآخر كون اتجاها تأثّر فيه بأفكار أبي مدين الصوفية وسمي أتباعه بالشاذليين[5].

3- الشاذليون:

نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي[6]، الذي تتلمذ على يد مجموعة من المشايخ الذين نهلوا عن المتصوف الشهير أبا مدين شعيب، كأبي محمد عبد السلام بن مشيش [7] (ت625هـ/1227م) الذي لم تذكر المصادر أحدًا من تلاميذته وأصحابه غير الشاذلي وأبي عبد الله محمد بن حرزهم[8]، كما أخذ بتونس عن أبي سعيد خلف الباجي التميمي[9]

---

(1) ابن القنفذ: أنس الفقير، ص61.

(2) أبو العباس المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص367.

(3)بونابي: المرجع السابق، ص131.

(4) محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، ط2، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب الرباط، 1416هـ/1996م، ص409.

(5) بونابي: المرجع السابق، ص130.

(6) نسبة إلى قرية شاذلة بإفريقية تلقى العلوم الشرعية وأتقنها، ثم سلك التصوف ورحل إلى الإسكندرية، توفي وهو في طريقه إلى الحج بصحراء عيذاب سنة 656هـ/1258م، أنظر المناوي: المصدر السابق: ج2،ص ص 470، 482،471 .

(7) محي الدين الطعمي: طبقات الشاذلية الكبرى،ط1، دار الجيل، بيروت، 1416هـ/1996م، ص173؛ Louis Rinn : Marabouts et Khauan(étude l'islam en Algérie)Libraire de làcadémie ,1884,pp218,219.

أما عن عبد السلام بن مشيش فقد ولد سنة 559هـ/1163م أو سنة563هـ/1167م بقرية الحصين وهو من بني عروس بتطوان وهو إمام أئمة الطريقة الشاذلية، وكان من كبار المتصوفة توفي مقتولا سنة 625هـ/1227م، أنظر التليدي: المرجع السابق،ص ص 90، 91، 93 ؛ Bel(A) : l'islam mystique, Typoligraphie jules carbonel, Alger, p p20,21.

(8) التليدي: المرجع السابق،ص ص 93، 123.

(9) المنوني: ورقات...، ص474.

وكان يدرّس برباط في جبل زغوان [1]، الرسالة القشيرية وقوت القلوب والإحياء[2]، الذي كان شديد التأثر بصحابه أبي حامد الغزالي، وقد دعا تلامذته بأن يتوسلوابه إلى المولى عزّوجلّ عند قضاء حوائجهم، وتمثلت تعاليم إتجاهه خمسة أسس هي:" تقوى الله في السر والعلانية وإتباع السنة في الأقوال و الأفعال والإعراض عن الخلق في السر والعلانية...، والرضا عن الله في القليل والكثير، والرجوع إلى الله تعالى في السراء والضّراء"[3]، وبما أنه تتلمذ على يد شيوخ أخذوا تصوفهم عن أبي مدين شعيب فمن دون شك أنهم لقنوه أفكاره، وهذا ما جعله يتأثر

بمذهبه الصوفي إذ اعتمد على القرآن الكريم والسنة كأساس في سلوكه الصوفي وحافظ على أداء كل الفرائض، كما عمل على تطهير نفسه بالمداومة على الرياضات و المجاهدات حتى يخلص في الأخير إلى فراغ قلبه من أمور الدنيا وشهواتها[4].

وقد اعتكف ببعض الجبال مدة سنة وكان يقول:"لولا لجام الشريعة على لسان لأخبرتكم بما يحدث في غد وبعده إلى يوم القيامة"،[5]، وكان يعرض عن لبس ما يظهر طريقته أو سلوكه الصوفي وحتى تلامذته تقيدوا بذلك بعده[6]، فكان يرتدي الملابس الجميلة التي رأى فيها ما يعبر عن التعفف[7]، وفي هذا الصدد قال:"ليست الطريقة بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة إنما هي بالصّبر واليقين والهداية"[8]، كما أقرّ في مذهبه بقدرة العقل البشري على إدراك الحقائق الالاهية ومعانيها[9]، وشكّل ذكر الله إحدى الأسس التي قامت عليها طريقته الصوفية ولأجل ذلك كتب لمريديه مجموعة أحزاب داوموا على قراءتها[10]، إلى جانب بغضه الدينا ومما

---

(1)عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي (الأديب في المغرب و الأندلس من أوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة)، ج6، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، حزيران (يونيو) 1983،ص205.

(2) المنوني: ورقات، ص ص 474، 475.

(3) التفتازاني: المرجع السابق،ص ص 240، 241.

(4) بونابي، المرجع السابق،ص 133.

(5) المناوي: المصدر السابق،ج2،ص 472.

(6) عبد الحليم محمود: العارف بالله أبو العباس المرسي، منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت.د.ت،ط،ص45.

(7) المناوي: المصدر السابق،ج1، ص343.

(8) نفسه: ج2، ص ص 472، 473.

(9) بونابي: المرجع السابق،ص 133.

(10) التليدي: المرجع السابق،ص ص 123، 126.

قاله في هذا المجال:"لا كبيرة عندنا أكبر من حب الدنيا وإيثارها على الأخرة"[1]، وكان يأمل في كل ذلك الوصول في الأخير إلى المحبوب وهو الله والاتصال به، واشتهر بميله إلى الجهاد و العمل الاجتماعي[2]، حتى أنه كان يرابط بثغر الإسكندرية[3]، وحرص على أن يعتمد أتباعه على أنفسهم ورفض الاتكال على الغير[4]، وكان يمشي والناس حوله[5]" وتنشر الأعلام على رأسه وتضرب الكوسات[6]، بين يديه... ويأمر أن ينادي أمامه من أراد القطب الغوث[7]، فعليه بالشاذلي"[8]، وقد تعرض للنقد حتى أنه خرج من تونس لينتقل بعدها إلى مصر، إلاّ أنه لقي بها مضايقات وضغوطا كانت ناتجة عن طلب من الرافضين لمذهبه بالمغرب إذ رموه بالزندقة[9]، فعارض

الفقهاء أحد الأحزاب التي تركها لأتباعه والذي ادّعى بأنه تلقاه من الرسول صلى الله عليه وسلم حرفًا بحرفٍ[10]، ومن تلامذته الذين أخذوا عنه نذكر أبا العباس المرسي(ت685هـ/1287م) الذي أخذ على عاتقه رئاسة أتباع الشاذلي، فكان يلقن لطلبته في مجلسه الإحياء لأبي حامد الغزالي وقوت القلوب لأبي طالب مكي[11]، كما تشبعت المتصوفة السيدة عائشة المنوبية أوللا المنوبية(ت665هـ/1266م) بأفكار الشاذلي بتونس وأقدمت على الخلوة والاعتكاف للعبادة بجبل زغوان، كما تميزت بشعبيتها الكبيرة التي حالت دون اعتقال السلطة لها خوفا من حدوث ثورة[12]، وهناك من أخذ عن الشاذلي وتأثر به وهو

---

(1) المناوي: المصدر السابق،ج2، ص450.

(2) فروخ: تاريخ الأدب، ج6، ص206.

(3) المناوي: المصدر السابق، ج2، ص470.

(4)بونابي: المرجع السابق، ص134.

(5) محمد بن محمد الأندلس الوزير السّراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ج1 ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت ، لبنان،1985م ، ص833.

(6) هي عبارة عن صنوج من النحاس تشبه الترس الصغير يدُق بأحدها على الآخر بإيقاع خاص وهي أيوبية الأصل، انظر المنّاوي: المصدر السابق، ج2، هامش(1)ص 471.

(7) الغوث: هو قطب عظيم وسيد كريم يحتاج إليه عند الاضطرار لتبيين ما خفي من الأمور المهمة وهو مستجاب الدعاء ويطلب منه غيره الدعاء دائما، انظر العجم: المرجع السابق، ص694.

(8) المنّاوي: المصدر السابق، ج2، ص ص470، 471.

(9) المنّاوي: المصدر السابق، ج2، ص471.

(10) نفسه، ج1، ص342.

(11) ابن مخلوف: المصدر السابق،ج1، ص269.

(12) برنشفيك: المرجع السابق، ج2، ص345.

بمصر كأبي إسحاق إبراهيم بن ميمون الزواوي وأبي عبد الله البجائي وأبي الحسن البجائي[1]، وبقي سكان تونس إلى حد اليوم ينظرون بنظرة إجلال واحترام إلى مقام الشاذلي ومغارته والمكان الذي كان يلقي فيه دروسه[2].

4- أصحاب التوجه الإحساني:

خلال النصف الثاني من القرن 6هـ/12م برز المتصوف أبو العبّاس أحمد بن جعفر السبتي الخزرجي(524-601هـ/1129-1204م)بمذهبه القائم على الصدقة، رحل من سبتة إلى مراكش حيث عمل على حث الناس على الصدقة وتذكيرهم بالآيات والأحاديث الواردة في

حقها[3]، وعمد إلى الاعتكاف والانقطاع لعبادة الله بإحدى جبال مراكش حيث توجد مغارات ورابطة فأقام بإحدى المغارات مدة طويلة، وكان يخدمه في تلك الأثناء رجل فقير كرّس نفسه لخدمته والأخذ عنه، وحرص أبو العباس في كل ذلك على دعوة غيره للصدقة والإحسان[4]، ولم يلتزم بلبس الخرقة أو المرقعة التي اعتاد المتصوفة على لبسها إذ كانت ثيابه حسنة[5]، ومذهبه قام على أساس أن "الوجود ينفعل بالجود"[6]، وكان يقول دائما "افعل مع عبيد الله ما أردت أن يفعله الله معك"[7]، وهو بكلامه هذا يرى أن أساس تواصل الحياة واستمراريتها مرتبط بالصدقة والإحسان، فمن خلالها تزول الفوارق الطبقية ويتساوى البشر في الدنيا الغني والفقير على حد السواء، كما أنه دعا إلى ضرورة إيثار الغير على النفس حتى نضمن أن نحب لغيرنا ما نحبه لأنفسنا، فراح يربط كل ما يجري في الحياة بالصدقة وهذا ما يفهم من كلامه السابق، إذ أشار إلى أن الشر لا يمكن دفعه إلاّ بالصدقة و الإحسان، وهو بمذهبه هذا يرقى بأخلاق الإنسان إلى أعلى المستويات، وقد بنى مذهبه الصوفي في الصدقة على أساس قوله تعالى:﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [8]، ومنذ أن علم معنى ما قاله المولى

---

(1) بونابي: المرجع السابق، ص134.

(2) المنوني: المرجع السابق، ص476.

(3) أبو العباس المراكشي: المصدر السابق،ج1، ص236.

(4) الهواري: مناقب أبي العباس السبتي، ورقة6 الوجه، ورقة7 الظهر

(5) نفسه: ورقة 30 الظهر؛ السلاوي: المصدر السابق،ج3، ص253.

(6) أبو العباس المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص238.

(7) المقري: نفخ الطيب...ج7، ص276.

(8) سورة النحل، الآية90.

عزّوجلّ في هذه الآية من أن العدل والإحسان هما مشاطرة الغير في المال عمل على التصدق بكل ما عنده[1] ، واستخدم القرآن لتدعيم مذهبه هذا[2] وعمد إلى الدعوة لبذل الأموال للفقراء و المحتاجين فربط مبدأه في الصدقة والإحسان بالعبادة، إذ فسّر في رفع اليدين للتكبير في الصلاة بأنها تشير إلى التخلي عن كل شيء للمولى، وأن المؤمن لم يحتفظ بشيء لنفسه، أما الركوع فعبّر عنه بمشاطرة غيره في كل شيء والسلام لإنهاء الصلاة رأى بأنه التسليم لله بعدم الاحتفاظ بأي شيء، كما أنه فسّر تحية المسجد بركعتين بأن المؤمن حينها يضع وجهه على الأرض وهو الذي يمثل عزّته، وفي نفس الوقت مثّل ماله أعز الأشياء التي يملكها وتخلى عنه لأجله[3]، أما الصوم والزكاة فقال عنهما:"سر الصوم أن تجوع فإذا جعت تذكرت الجائع وعلمت قدر ما يقاسيه من نار

الجوع فتتصدق عليه، والزكاة إنما فرضت عليك في كل عام لتتدرب على البذل والإعطاء ، وفرض الحج سره أن تبرز في زي المساكين بحلق الرأس ولبس النعلين والتجرد من ثياب الرفاهية و البذل لله تعالى وإظهار العبودية"[4]، وهو بذلك جعل مبدأ التخلي عن الأموال و الممتلكات للغير أساس الحياة، وحركته الإصلاحية هذه كانت دعوة اجتماعية إلى ضرورة مشاركة الغير في ما نملكه [5]، لذا يمكن أن نعتبره قد دعا إلى مبدأ الملكية العامة[6]، وقد اجتمع حوله المريدون والأتباع للأخذ عنه والاستفادة من مذهبه الصوفي القائم على الصدقة والإحسان، فكان يلقنهم ذلك بزاويته بمراكش التي حبسها عليه الخليفة الموحدي يعقوب المنصور، وكان أبو العباس يدعو على كل من يكذّب كراماته وينكرها فتطير عيناه[7]، ورغم حرص كل متصوفة الغرب الإسلامي على الصدقة كأبي عمران موسى الذي اشتهر بالسخاء والإيثار[8]، وعبد الرحمان بن الصقر الأنصاري[9](ت559هـ/1163م)،

---

(1) الهواري: مناقب أبي العباس، الورقة 4 الوجه .

(2) بوتشبش: المغرب والأندلس...ص158.

(3) بوتشيش: المصدر السابق، ص ص 157، 158.

(4) أبو العباس المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص237.

(5) بلغيت: الربط، ص 291.

(6) هناك من الباحثين من اعتبر أبا العباس السبتي أول من جاء بفكرة الاشتراكية، انظر محمد بن تاويت: الأدب المغربي،ط1، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت، لبنان، مايو1960، ص134.

(7) الهواري: مناقب أبي العباس السبتي، الورقة10 الوجه، الورقة18.

(8)ابن الزيات: المصدر السابق، ص367.

(9) ابن فرحون: المصدر السابق، ص ص 117، 118.

وعلي بن محمد هذيل (ت564هـ/1168م)[1]، إلاّ أن أبا العباس السبتي ذهب إلى أبعد من أن تكون الصدقة مجرد محاولة لمساعدة الغير بل جعلها أساس الدين والدنيا.

5- الاتجاه الصوفي الباطني:

عمل أصحابه على المداومة على الرياضات ليخلصوا في الأخير إلى معرفة الله وهذا ما عرف عندهم بالوصول الذي اعتبروه المثل الأعلى للمعرفة الالاهية[2]، والاتجاه الصوفي الباطني الذي عرفه الغرب الإسلامي تمثل في اتجاهين هما:

أ –الاتجاه الباطني المعتدل:

تأثر أصحابه بأفكار الغزالي واعتمدوا على المجاهدات والرياضات النفسية للوصول إلى الله فضلا عن ميلهم إلى العلوم الباطنية[3]، واتخذوا من الزهد شعارًا حتى في كراماتهم والعطايا الالاهية ، فزهدوا بذلك في كل شيء ما عدا الله، وقد أوصى أحد شيوخ الصوفية مريده بالزهد في الرؤيا التي يراها في نومه[4]، وحافظوا في كل ذلك على إتباعهم للمذهب المالكي وارتكازهم عليه، وتميز هذا الاتجاه برفضه لسياسة السلطة القائمة ومعارضتها لكن بطريقة سلمية مبتعدا عن استخدام العنف والثورة، وكانت بوادر هذا الاتجاه مع عصر المرابطين إذ بدأ التصوف ينحو من مجرد تصوف ساذج إلى تصوف فلسفي تأثر بالفلسفة اليونانية، وذلك بعد أن ترجمت في المشرق ونهل منها المتصوفة المشارقة، ثم انتقل تأثيرها إلى الأندلس، إلى جانب التأثر بمؤلفات الفارابي وابن سينا وإخوان الصفا مما سهل الطريق على المتصوفة الذين نحوا المنحى الباطني[5]، وقد تزعم هذا الاتجاه بالمرية أبو العباس أحمد بن العريف الصنهاجي(ت535هـ/1140م)[6]، وتضمن كتابه محاسن المجالس أفكاره واتجاهه الصوفي الذي نحاه والذي ألّفه لمريديه حتى يسهل عليهم تخطى الصعاب أثناء ولوجهتم طريق التصوف[7]،

---

(1) ابن عبد الملك:المصدر السابق السفر5، القسم1، ص 369 وما بعدها

(2) بونابي: المرجع السابق،ص136.

(3) بوتشيش: المغرب والأندلس...ص132.

(4)بونابي: المرجع السابق،ص 136.

(5)بوتشيش،: المرجع السابق، ص132.

(6)ابن الابّار: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، دار الكتاب اللبناني، مجريط، مطبعة روخس، 1885م، ص19.

(7)بلغيث: الحياة الفكرية...ص 452.

وناقش فيه المقامات[1] الصوفية التي يمر بها المريد من أجل الوصول إلى الله كالإرادة والزهد والمحبة وغيرها من المقامات التي انطوت معانيها على المنحى الباطني الذي اتبعه ابن العريف[2]، والذي قام على أساس رفضه للمقامات والأحوال[3]، التي يسلكها المريد فهو يعتبر أن "الأحوال والهمم الناتجة عن المريد الذي يعاند عقله غير ذات فائدة بل يعتبرها ضارة"[4]، لأن المريد يسعى عبر تلك الأحوال والمقامات إلى مقام الفناء في الله المتعالي عن كل مخلوق، هذا إلى جانب أنه من يصل إلى مقام الفناء في الله يصبح حينها لا إرادة له ولا رجاء ولا شوق[5]، ورفض ابن العريف للمقامات والأحوال كان مبنيا على أساس أنها من منازل العامة والاعتماد عليها يمنع السالك من

الوصول إلى إدراك الحقيقة الالاهية، غير أن رفضه هذا قام على أساس أن تلك المقامات والأحوال تحمل معاني مختلفة، فالعامة منها هي المقصودة بالرفض، وهناك معاني خاصة بهم يعتمدون عليها فمثلا الزهد" يعني زهد العام وهو ترك الحرام وزهد الخاص وهو ترك الفضول من الحلال وزهد الأخص وهو ترك ما يشغله عن الله تعالى"[6]، ولاشك أن رفض ابن العريف كان موجها للمعنى العام والخاص اللذين اعتبرهما من الآفات التي تعوق المريد عن الوصول إلى إدراك الحقيقة الالاهية[7]، وهذا ما أكده في قوله:

قد تاب أقوام كثير وما تاب عن التوبةإلاّ أنا [8].

وأكد على أنه اتبع في مذهبه الشرع، كما دعا فيه إلى ضرورة التزام المريد بحرفة لا تشغله عن

---

(1) المقامات هي العبادات والمجاهدات والرياضات التي يقوم بها المريد من أجل الاتصال بالله وتتمثل في التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والرضا والتوكل، انظر الطوسي: المصدر السابق، ص 65.

(2) بوتشيش: المغرب و الأندلس...ص ص 132، 133.

(3) الأحوال تمثل الحالة النفسية التي يعيشها المريد في أثناء تقدمه في المقامات السابقة، انظر عمر فروخ: التصوف،ص 54، وقد حصرها الطوسي في عشرة أحوال وهي:المراقبة والقرب والمحبة والخوف والرجاء والشوق والأنس والطمأنينة والمشاهدة واليقين، انظر الطوسي: المصدر السابق،ص 66.

(4) أبو العباس بن العريف: مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة، جمع أبو بكر عتيق بن مؤمن، تحقيق ودراسة عصمت عبد اللطيف دندش، ص1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1993م، ص48.

(5) نفسه: ص48.

(6) هويدي: المرجع السابق، ج1، ص ص303، 310.

(7) نفسه: ص310.

(8) المناوي: المصدر السابق، ج2 ص288.

عبادة المولى عزّوجلّ ولا تعوزه لأحد[1]، وتخرج على يديه تلامذة درسوا عنده وأخذوا عنه مذهبه الصوفي فساهموا بنشره، ونجد ممن تتلمذ عليه أحمد بن عمر بن خلف الغرناطي (ت526هـ/1131م)[2]،وأبا العباس أحمد بن معد المعروف بابن الأقليشي (ت550هـ/1155م) الذي لقبه بالمرية وحدّث بالأندلس وكان زاهدا في الدنيا يبغض أهلها، وأقبل على العلم و العبادة وإذا قُرئ عليه القرآن كان يضع يده على وجهه ويبكي، وتبعه تلميذه أحمد بن محمد المخزومي العابد وأخذ عنه مذهبه الصوفي[3]، وأبو عبد الله بن الصقيل المرسي (توفي بعد سنة 550هـ/1155م) هو الآخر درس عند ابن العريف[4]، إلى جانب ابراهيم بن يوسف الوهراني

المعروف بابن قرقول(ت569هـ/1173م) الذي كان كثير الرحلات لطلب العلم، ومما لا شك فيه أنه عمل على نشر ما أخذه عن شيخه في المناطق التي حل فيها[5]، كسبتة وفاس وتلمسان[6]، التي ذكر ابن تومرت على أنه وجد بمسجدها رجلا من أهل العرفان يتعبد الله، وذلك أثناء نزوله بها سنة 512هـ/1118م في رحلة عودته من المشرق إلى المغرب[7]، والمصادر التي اطلعت عليها لم تفصح عن أسماء الذين احتك بهم ابن قرقول وأخذوا عنه هناك.

وممن أخذ عن ابن العريف أيضا أبو الحسن علي بن خلف القرشي(ت573هـ/1177م) الذي ساهم هو الآخر في نشر أفكار شيخه بين تلامذته الذين كانوا يحضرون مجلسه[8]، كما ساهم أبو العباس ابن اليتيم البلنسي(ت581هـ/1185م) في تلقين ما أخذه عن شيخه ابن العريف لتلامذته بمالقة والمرية[9]، هذا إلى جانب أبي الربيع الكفيف المالقي الذي أخذ أيضا عن

---

(1) ابن العريف: المصدر السابق، ص52.

(2) ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر1، القسم1، ص349.

(3) ابن الأبّار: التكملة، ج1، ص ص60، 61، 62، 76.

(4) ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر5، القسم 2، ص 671.

(5) ابن الآبار التكملة...ج1، ص ص 151،152؛ الحفناوي: المصدر السابق،ج2، ص ص 20، 21.

(6) الحفناوي: المصدر السابق،21.

(7) ابن عبد الملك: المصدر السابق،ص183:المقري: نفخ الطيب...ج5،ص 262.

(8) ابن الزيات: المصدر السابق، ص211.

(9) ابن الأبار: التكملة،ج1، ص ص 83، 84

ابن العريف[1] وعبد الله الغزّال المغربي الذي لزم مجلسه واقتصر على الأخذ عنه[2]،كما أن ابن عربي تتلمذ عليه أيضا وعرف معه التصوف قفزة كبيرة نحا من خلالها إلى القول بوحدة الوجود، وسنتطرق لهذا بالتفصيل فيما بعد، أما أبو القاسم أحمد بن قسي فاختلفت الآراء حول تتلمذه على بن العريف[3]، كما تأثر أصحاب هذا الأخير بمذهبه الصوفي كمحمد بن عبد الله الكتامي الأديب وبكر بن أبي الجليل التميمي المعروف بابن ولّم(ت557هـ/1161م) الذي صحبه ومال إلى مذهبه في التصوف[4]، وأبي الحسن بن محمد المعروف بابن الدلال القريشي الذي كان يكثر من السياحات في الليل والنهار لأنه يحب الوحدة والانفراد كما كان كثير البكاء[5]، ومن الذين نحوا هذا الاتجاه أبو عبد الله بن شعيب الهسكوري(ت664هـ/1265م) الذي برع في كل فنون العلم وأحاط بالمذهب المالكي وهومن أهل العرفان حسبما وصفه به أبو الحسن الحرالي، وبما أنه

درّس بالمغرب يكون قد لقن أفكاره لتلامذته أيضا[6]، كما نجد أبا محمد عبد الحق الأنصاري البجائي(ت675هـ/1276م) قد نحا المنحى نفسه إذ أشار إلى مرحلة الوصول إلى الحقيقة الإلاهية التي قال بها ابن العريف في قوله:

---

(1) محي الدين بن عربي: الفتوحات المكية، ج1، دار صادر، بيروت، لبنان، د ، ت، ط، ص577؛ المنّاوي: المصدر السابق، ج4، ص133.

(2) المنّاوي: المصدر السابق،ج4، ص ص 399.

(3)هناك من الباحثين من اعتبر أن بن قسي كان تلميذ ابن العريف، أنظر سحر السيد عبد العزيزسالم: تاريخ بطليوس الإسلامية أو غرب الأندلس في العصر الإسلامي، ج2، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، 5 مايو 1991 م، ص ص 170، 171 أما الأستاذ بوتشيش فقد أثبت عكس ذلك إذ خلص إلى أن ابن قسي ستلك طريق التصوف قبل أن يتعرف على ابن العريف، كما رأى أن صلته به لم تكن علاقة شيخ بتلميذه بل كانت صلة أخوة، وما زيارة ابن قسي للمرية إلا محاولة لإقناع ابن العريف بإعلان الثورة على المرابطين انظر بوتشيش: المغرب والأندلس...ص167، وأنا أشاطره الرأي وذلك بعد إطلاعي على رسالتي ابن العريف إلى ابن قسي فمن خلال أسلوبه في مخاطبته له بدى تعجب ابن العريف في رسالة الأولى من معرفة ابن قسي له مما يؤكد رأي الباحث بوتشيش، أنظر ابن العريف: المصدر السابق، ص ص207، 208، 209، كما أن ابن العربي ذكر أن الأستاذين الروحيين لابن قسي هما ابن خليل من لبلة وخلف الله الأندلسي ولم يذكر ابن العريف أنظر، Goodrich David Raymound :A « Sufi » Revalt in Portugal : IBN Quasi and His-Kita Khal- Al- NaLayni, (Arabic texte), Columbia university, Ph- d- ,1978, P17 .

(4)ابن الأبار: التكملة، ج2، ص ص484، 492.

(5) الصدفي: المصدر السابق ، ص ص 62،64.

(6) الغبريني: المصدر السابق، ص ص 173، 175.

وبها فينتُ عن الفناء وعُصتُ في ماءِ الحياة مسرْمدًا ومدهَّرًا[1]

وإلى جانب ابن العريف برز المتصوف أبو الحكم عبد الرحمان بن أبي الرجّال المعروف بابن برجان(ت536هـ/1141م)الذي اشتهر بزهده واجتِهاده في العبادة[2]، والتزم بدراسة الرقائق والحديث كما ادّعى الإمامة ومال إلى الباطنية[3]، ويتبين ذلك من خلال تأليفه لكتاب" تفسير القرآن الكريم"[4]، وتمثل جنوحه إلى الباطنية في"حساب الجمل"الذي اعتمد عليه للتنبؤ بالأمور قبل حدوثها، ويتم ذلك بإخضاع القيمة العددية لحروف القرآن إلى عمليات حسابية[5]، وقد تنبأ بفتح بيت المقدس بحساب الجمل وفعلا فتحت على يد صلاح الدين الأيوبي وفي السنة نفسها التي تنبأ بها ابن برجان[6]. وتمكن من استخراج ذلك من قوله تعالى: ﴿ ألم(1)غلبت الروم(2)في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون(3)في بضع سنين ﴾[7]، وألّف إلى جانب كتاب" تفسير القرآن" كتابًا سماه"شرح الأسماء الحسنى" الذي ذكر فيه أسماء الله تعالى[8]، غير أنه وازن

بين التيارين السني التقليدي والفلسفي من خلال التزامه بعدم التعمق في الباطنية من جهة وبعدم الانتصار للظاهر من جهة أخرى[9]، وكانت له مراسلات مع ابن العريف تبادلا فيها أوجه النظر وأحوال الصوفية[10]،ومن أصحابه وأتباعه نذكر علي ابن خلف بن غالب بن مسعود الأنصاري (ت568هـ/1172م) وقد صحبه هو وابن العريف وكان من أهل الخمول والسياحة، وانقطع مع الزهاد وكان كثير المجاهدات والرياضيات ونبغ في علوم القرآن، إلى جانب علم الرياضات وغلبت عليه المراقبة للّه والتأهب للقائه، ومن المؤكد

---

(1)الغبريني : المصدر السابق ص ص85، 87.

(2)التنبكتي: نيل الإبتهاج، ص 135؛ ابن الوزير السّراج: المصدر السابق، ج1، ص809.

(3) بلغيت: الحياة الفكرية، ص ص453، 455.

(4) السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص259.

(5) بوتشيش: المغرب والأندلس، ص133.

(6)أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن السّبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناجي، عبد الفتاح محمد الحلو، ج9، ط2، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، جيزة 1413هـ/1992م، ، ص88.

(7) سورة الروم: الأيات (1)، (2)، (3)، (4).

(8) خليفة: المصدر السابق،ج2، ص ص 1031، 1032.

(9) دندش: أضواء جديدة، ص46.

(10) ابن العريف: المصدر السابق، ص ص108، 109.

أنه لقن اتجاهه لتلامذته الذين كانوا يقصدونه بقصر كتامة[1]،كما أنه ترك لهم مؤلفات في هذا المجال منهاكتاب"اليقين"[2] واتبعه أحمد بن محمد الكناني الاشبيلي(ت640هـ/1242م) الذي روى عنه وتميز بالانقطاع للعبادة [3]، كما حدّث عنه أبو القاسم القنطري، وبرز أيضا في هذا الاتجاه أبو الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم(ت559هـ/1163م) وكان ممن تأثروا بفكر الغزالي الذي عارض بعض المسائل في كتابه الإحياء، والتي رأى فيها ما ينافي الشرع إلاّ أنه تراجع عن إعراضه ذلك واعتكف على قراءته [4]، إلى جانب" المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى"للغزالي و"الرسالة القشيرية" للقشيري[5]،و"الرعاية" للمحاسبي[6]، ورغم ذلك إلاّ أنه كان يميل إلى العلوم الباطنية[7]، وسلك طريقة تصوف الملامتية[8]، وهذا ما ألّب عليه السلطة والفقهاء فتعرض للنقد اللاذع من قبلهم[9]، وممن لزمه وأخذ عنه أبو مدين شعيب الذي تردد كثيرا على مجلسه، كما تمكن ابن حرزهم من تلقين أفكاره لتلامذته بمراكش التي درّس بها هي الأخرى وجعل أميرها يسلك طريق التصوف، وممن أخد عنه أيضا أبو عبد الله التاودي وكثر بذلك أتباعه

وتلامذته [10] فالتزم التدريس ببجاية مع إقباله على الله في الظاهر والباطن[11]. كما لا ننسى خادمه المعروف بأبي قرن الذي أثّر فيه أيضا، فكان يحرص دائما على دعواته له بالعفو

---

(1) قصر كتامة: القصر قرية صغيرة وقصر كتامة على مقربة من نهر درعة شمال المغرب الأقصى، أنظر مجهول: الإستبصار، ورقة 113.

(2) ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر5، القسم1، ص ص208، 209، 210، 211.

(3)ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر1، القسم1، ص376.

(4) ابن الزيات: المصدر السابق، ص148؛ السبكي: المصدر السابق، ج2، ص ص259، 260.

(5) عبد القادر الخلادي: أبو مدين الغوث دفين تلمسان 520-594هـ/1126-1197م، مجلة الأصالة، مطبعة البعث قسنطينة الجزائر، العدد26، جويلية1975م ص292.

(6)ابن القاضي: المصدر السابق، القسم 2، ص464.

(7)التنبكتي: كفاية المحتاج...، ص234؛ التنبكتي: نيل الابتهاج...، ص 182.

(8)ابن الزّيات: المصدر السابق،ص148، وعن الملاميتة": سمي أصحابها كذلك لأنهم كانوا يظهرون ملا يُلامون عليه أملا للتستر والخلاص، أي أنهم لا يظهرون الخير ولا يضمرون الشر في آن واحد وذلك حتى لا يطّلع الناس على أحوالهم وأعمالهم، وسموا بذلك ملامتية إلى الملامة أنظر بوتشيش: المغرب والأندلس...، هامش7، ص133.

(9) ابن القاضي، المصدر السابق القسم2، ص466؛ المناوي: المصدر السابق، ج2، ص262.

(10) التنبكتي: نيل الابتهاج...، ص ص 182، 183.

(11) الخلادي: المرجع السابق، ص293.

والعافية [1]، كما أخذ عنه أبو عمر ميمون ابن الخطاب الصوفي[2].

واندرج في هذا الاتجاه كذلك المتصوف أبو بكر محمد بن الحسين الميورقي ت537هـ/1142م) الذي نحا هو الآخر المنحى الباطني، إذ كان هو"وابن برجان وبن العريف نمطا واحدا في الانتحال والاتصاف بصلاحية الحال"[3]، ومن دون شك أنه لقن اتجاهه لتلامذته الذين أخذوا عنه أثناء تواجده بغرناطة وحتى في العديد من مناطق الأندلس بعد (عودته من رحلته للحج، كما لقن ذلك لتلامذته وأتباعه ببجاية عند هروبه من متابعة السلطة المرابطية له، خاصة بعد استدعائه مع ابن العريف وابن برجان فعمل مدة إقامته بها مدرسا وحدّث بها[4].

ب – الاتجاه الباطني المتطرف(الثائر):

عمد أصحابه إلى تبني الثورة ضد السلطة القائمة بالغرب الإسلامي إبّان عصري المرابطين والموحدين، وقد عملوا على البحث عن مصدر يساعدهم على بناء نظريتهم في السلطة وهذا ما جعلهم يتجهون نحو التشيع، فراحوا يوظفون بعض أسس الفكر الشيعي الباطني في صراعهم السياسي ضد السلطة المرابطية و الموحدية[5]، وتزعم هذا الاتجاه المتصوفان الثائران أبو

القاسم أحمد بن الحسين بن قسي بالأندلس ومحمد بن عبد الله بن هود الماسي بالمغرب[6] وأول الأفكار الشيعية التي وظّفها أصحاب هذا الاتجاه الإمامة عند الشيعة، والتي كان فيها الإمام الشيعي الفقيه والقائد الروحي والسياسي في آن واحد وقابلتها الولاية عند الصوفية، التي شملت فيما بعد الجانب الفقهي والسياسي وتطورت إلى دولة باطنية، وأصبحت كل من الولاية

---

(1) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 171.

(2) مجهول: مفاخر البربر،دراسة وتحقيق محمد يعلي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي، مدريد 1996، ص209.

(3)أبو العباس المراكشي: المصدر السابق، ج4، ص 85.

(4) ابن الأبار: المعجم...ص 139؛ المقري: نفخ الطيب...ج2، ص155؛ ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر6، ص ص 169، 170.

(5)مصطفى بنسباع: السلطة بين التسنن والتشييع والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين، تقديم احمد بنعبود،ط1 منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، مطابع الشويخ، تطوان، 1999،ص97.

(6) ابن خلدون: العبر...ج6،ص ص 232، 234.

والإمامة تعبران عن المعنى نفسه[1]، وفعلا جسّد أتباع هذا الاتجاه مسألة الولاية وحسبنا في ذلك ابن قسي الذي "إبتنى رابطة بقرية جلّة من قرى شلب، كان يجمع بها دائرته التي دارت بها على الأندلس دائرة السوء، وادّعى الولاية"[2]، وتسمى فيما بعد بالإمام[3]، كما وظّف نظيره في عصر الموحدين بالمغرب، بن هود الماسي فكرة المهدوية إذ"ادّعى الهداية وسمى نفسه بالهادي"[4]،ووظّفوا أيضا فكرةً علم الإمام "الشيعية التي اعتمدها الشيعة في التشريع إلى جانب الكتاب والسنة فألغوا بذلك الإجماع والقياس اللذين اعتمدهما أهل السنة[5]، وهذا العلم الذي اعتمده الشيعة اعتبروا أن أئمتهم قد أخذوه عن جدهم الرسول صلى الله عليه وسلم[6]، واستعان به متصوفة الغرب الإسلامي ووظفوه في صراعهم ضد المرابطين والموحدين، فابن قسي كان يدّعى أن الله كلّمه في المنام وقال له:

أردُدْ على قوس العُلى أَوْتَارَهْ ... وَارْمِ العدا بِسهامها العقّارهْ

وانفُض يَدَيكَ بشِلْبَ مِفتاح البلا ... دُ المنجيات وأُمَّها المختارَهْ

ويكون ذاك إذا تكاثرت العدا ... وتملأّت قُنَنُ الجِبال نصارَه[7]

وهو في ذلك يشير إلى أن الله أمره بالاستلاء على مدينة شلب والثورة على المرابطين، وقد غضب عندما أعاب عليه بعضهم قوله" نصاره "بدل "نصارى"، وعمد إلى تأكيد ما قاله على أساس أن الله أنشده

إياه فلم يتصرف هو فيه[8]، وسارا بن هود الماسي على نحوه في ثورته على الموحدين إذ زعم أن البُشرى كانت تأتيه من المولى عزّوجلّ وأنه يَؤيده[9]، كما قالوا بالحفظ الذي قابلته العصمة عند الشيعة غير أن استخدامهم له لم تفصح عنه المصادر، ولذا نجد ابن قسي قد انفرد

---

(1)بنسباغ: المرجع السابق، ص ص97، 98 .

(2) ابن الخطيب: أعمال الأعلام...ص 249.

(3) نفسه: ص 250.

(4) ابن عذارى: البيان الموحدي ...ص30.

(5) بنسباع: المرجع السابق، ص ص98، 99.

(6) مصطفى كامل الشيبي: الصلة بين التصوف والتشيّع، ج1، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1982م، ص409.

(7) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص252.

(8) نفسه، ص252.

(9) بنسباع: المرجع السابق، ص100.

بتوظيفه لهذه الفكرة[1] من خلال موقفه إزاء البدوي الذي شكّك في قدرته على إخراج المال من الفراغ والذي قال لأصحابه:"عجبًا لهذا المال الذي يصل الإمام من السماء كيف عليه طابع المرابطين؟ ولم يكن عليه طابع غير ذلك"[2]، واختفى البدوي منذ ذلك الحين مما يشير إلى إمكانية قتله من قبل ابن قسي[3].

وبالنسبة للكرامة هي الأخرى شكّلت فكرة أساسية من أفكار الشيعة الإسماعيلية وكذا عند المتصوفة، فمما أوثر عن الإمام محمد بن الحسين المهدي أنه "حك الأرض بالسوط فاستخرج خمسمائة دينار أهداها إلى أحد الشيعة"[4]، وبالفعل كان ابن قسي يجزل" العطاء من غير عمل ولا خراج، وكان إذا أعطى يحثو بيده من غير عدد، وكان أصحابه يقولون للناس إنّ المال يتكون عنده إذا فرغ"[5]، أما فيما يخص التقية فقد اعتمد عليها الشيعة للتستر خوفا على أنفسهم، وهذا ما أشار إليه إمامهم، ووظّفها المتصوفة حفاظا على حياتهم فتستروا وراءها خوفا من السلطة[6]، وهذا ما حدث بالفعل مع ابن قسي الذي تستر وراء قراءته لمؤلفات الغزالي في الظاهر في حين عمل على التحريض إلى الثورة على المرابطين في الباطن[7].

وقد اعتمد المتصوفة على الأخذ عن الشيخ وكان من الواجب "على المريد أن يتأدب بشيخ، فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبدًا"[8]، وهم بذلك يلتقون مع الشيعة في الأخذ عن الأشخاص بدل

الكتب، وارتبط هذا مع مبدأ الإمامة عند الشيعة الذين كانوا يأخذون عن إمامهم المعصوم، ويصطلح على كل هذا بالصحبة، وابن قسي كانت تربطه بأصحابه صحبة وصداقة والتي قد تعني صحبة المريد لشيخه أو" صحبة التنظيم السياسي السري"[9].

---

(1) صالح يوسف بن قربة:(دور تيار التصوف وأثره في الحياة السياسية خلال القرن السادس في العهد المرابطي) ، مجلة التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة، 28أيار- ماي2002م، ص98.

(2) ابن الخطيب: أعمال الأعلام... ص ص250، 251.

(3) نفسه: ص 251.

(4) الشيبي: المرجع السابق، ص425.

(5) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص250.

(6) بنسباع: المرجع السابق، ص ص101، 102.

(7) سحر السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص171.

(8) القشيري: المصدر السابق، ص479.

(9) بنسباع: المرجع السابق، ص ص102، 103.

وفكرة المهدية عند الشيعة تمثلت في الهداية عند المتصوفة ويرجع استخدام هؤلاء الأخيرين لهذه الفكرة إلى أوائل القرن4هـ/10م مع الحلاج، وأعاد توظيفها بعض متصوفة القرن السادس الهجري/ القرن الثاني عشر الميلادي في كل من المغرب والأندلس إبّان عصري المرابطين والموحدين مع ابن قسي، الذي اشترط في المهدية على أن تكون من أناس ورثوا روحيا الرسول صلى الله عليه وسلم، باعتبار أن الولي الصوفي وريث النبي صلى الله عليه وسلم وبالتالي لم يشترط فيها النسب القرشي ولا العلوي[1]، وذلك لكونه مُولَّد[2]، ومن أصل مسيحي[3]، وقد أسهب في الحديث عن المهدية في كتاب أفرده لأخبار المهدي المنتظر[4]، أما ابن هود الماسي فقد بدأ دعوته من رباط ماسة وأصله من مدينة سلا، وذلك لإضفاء الشرعية على ما يدّعيه لأن العامة بالمغرب كانت تزعم أن المهدي الفاطمي سيخرج من ذلك الرباط[5]، وادّعاء المتصوفة بالمهدية كان أملاً منهم في الحصول على أكبر عدد ممكن من الأتباع.

كما انكب هؤلاء المتصوفة على قراءة كتب التصوف ورسائل إخوان الصفا هذا فضلاً عن الاستفادة من الأفكار الشيعية[6]. وقد بلغ ابن قسي شأوًا كبيرًا في كل العلوم[7]، ونبغ في نظم الشعر[8]، وكانت له مراسلات مع ابن العريف بالمرية، وعمد في بداية سلوكه طريق التصوف إلى التصدق بكل أمواله[9]، وأشار في كتابه" خلع النعلين واقتباس الأنوار من موضع القدمين" إلى أنه كشفت له الحقائق الإلاهية

فقال:"وفُتِحَ لي عن مغالق الأبواب وبطائن الأسباب فرأيت حدائق الرحمة علمًا حقًا وكشفًا صدقًا من غير حجاب"[10]، وكان أصحابه وأتباعه من الطبقة الثرية بالأندلس فأبو محمد بن سيدراي كان من الأثرياء وكذلك صاحبه أبو الوليد محمد بن عمر

---

(1) نفسه ، ص ص 103، 104.

(2) بير غيشار:(التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين)، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس تحرير سلمى الخضراء الجيوسي،ج2، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1999م، ص967.

(3) بلغيث: الحياة الفكرية...ص456.

(4) بنسباع: المرجع السابق، ص103.

(5) ابن خلدون: العبر...، ج6، ص274.

(6) بنسباع: المرجع السابق، ص105.

(7) بوتشيش: المغرب والأندلس...،ص 167.

(8) أشباخ: المرجع السابق، ص206.

(9) بلغيث: الحياة الفكرية...، ص456.

(10) Goodrich : OP Cit, p 67 .

ابن المنذر الذي سار على نهج ابن قسي، إذ قام بتوزيع ثروته الطائلة على الفقراء والمساكين واعتزل الناس على ساحل البحر[1]،برباط الريحانة[2]، هذا إلى جانب محمد بن يحي الشلطيشي المعروف بابن القابلة، الذي سمّاه المصطفى لأنه إصطفاه من ضمن كل أصحابه [3]، وقد كثر أتباع ابن قسي بغرب الأندلس[4]، وجعلوا من التهليل والتكبير شعارًا لهم [5].

أما ابن هود الماسي فما نعرفه عنه هو أن دعوته كانت قد لقيت هي الأخرى أصداء بالمغرب إذ التف حوله عدد كبير من الأتباع [6]، وفيما يخص أحداث ثورته وثورة ابن قسي على السلطة فسيأتي التفصيل فيهما فيما بعد.

III–الاتجاهات الصوفية الفلسفية:

عمد متصوفتها إلى القيام بالمجاهدات والرياضات والعمل على كشف حجاب الحس والإطّلاع على حقائق الوجود مما لا يدركه سواهم وتحصل لهم حينها المواهب الربّانية، [7] فتكشف لهم حقائق الملك و الروح والعرش واختلفوا في أساليب قيامهم بالمجاهدات وكيفية تقوية نفوسهم بالذكر [8]، ونجمل هذه الاتجاهات فيمايلي:

1 – الاتجاه الإشراقي:

يرى أصحاب هذا الاتجاه على أن المريد يتمكن من الوصول إلى معرفة حقيقة الوجود من خلال النور الذي يقذف في قلبه من قبل المولى عزّ وجلّ، ويتم له ذلك كله بعد مجاهدة النفس وتطهيرها، واعتبروا

أن الملأ الأعلى من نور يتمكن المريد من الوصول إليه بعد تطهير نفسه [9]، وانتشر هذا الاتجاه بالغرب الإسلامي ومما ساعد على ذلك تلك المؤلفات التي ساهم أصحابها بها في تسهيل الطريق على المريد، وقد سبق وأن ذكرنا ذلك ككتاب" الإشارات والتنبيهات" لابن سينا ومؤلفات شهاب الدين يحي بن حيش السهروردي[10].

---

(1) أشباخ: المرجع السابق، ص207.
(2) عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين...ص54.
(3) سحر السيد عبد العزيز: المرجع السابق، ج2، ص172.
(4) بلغيث: الحياة الفكرية...، ص ص 456، 457.
(5) بوتشيش: المغرب والأندلس...، ص167.
(6) ابن عذارى: البيان الموحدي...ص31، ابن خلدون: العبر...ج6، ص232.
(7) ابن خلدون: المقدمة، ص382.
(8)بونابي: المرجع السابق، ص143.
(9) فروخ: المتصوف...ص130.
(10) بونابي :المرجع السابق ،ص 144

وممن نحا هذا المنحى المتصوف أبو إسحاق إبراهيم بن محمد النفري (توفي سنة 562هـ أو563هـ/1166-1167م) وقد عرف بمجاهداته الكثيرة فكان من "أصبر الناس على مجاهداته وأدومهم على عملٍ وذكرٍ وصلاةٍ وصومٍ لا يفتر عن ذلك ولا ينام لا يدخر شيئا لغدٍ"[1]، وعبّر عن مذهبه الإشراقي وعن الأحوال التي يتعرض لها المريد أثناء ولوجه طريق التصوف فقال:

يضيق عليّ وَجْدِي الفضاء ويُقلقُني من الناس العَناء
وأرضُ الله واسعة ولكن ابَتْ نفسي تحيط بها السماء
رأينا العرش والكرسّي أعلا فوالينا هما حَرَم الوَلاء[2]

ثم يواصل في ذكر باقي الأحوال كالقبض والبسط والسكر فقال.

ويُقبضُني ويُبْسطني ويقضي بتفريقي وجمعي ما يشاء
فلكم أُخفي وجودي وقت فقدي كأن الفقد و الإحْيا سواء
فسُكرٌ ثم صَحْوٌ ثم سكر كذلك الدهر ليس له انقضاء
فوصفي حال من وصفي ولكن ظهور الحق ليس له خفاء[3]

وفي الأخير يصل المريد إلى مرحلة الإشراق حيث يشرق نور الله عليه فقال في ذلك :

إذا شمْسُ النهار بَدَتْ تولّت نُجُمُ الليل ليس لها انجلاء[4]

كما أفصح عن مذهبه الإشرافي الصوفي في قوله:

كم عارف سرحتْ في العلم همّته فعقلُهُ لحجاب العقل هتّاكُ

كساه نور الهدى بُردًا وقلّدَهُ دُرًّا ففي قلبه للعلم أسلاكُ

كسب ابن آدم في التحقيق كسوتهُ إن القلوب لأنْوار وأحلاكُ

كلّفِ فؤادك ما يبدي عجائبه إن ابن آدم للأسرار درّاك[5]

وقد تتلمذ له عدد كبير من الطلبة كان من بينهم أبو الحسن علي بن أحمد

---

(1)ابن الخطيب: الإحاطة... ج1، ص367.

(2) نفسه: ص370.

(3) نفسه: ص370.

(4) نفسه: ص370.

(5) ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص370.

الحرالي(ت637هـ/1239م)[1]، الذي اجتهد في مجاهدة نفسه وداوم على ذلك مدة طويلة حتى استوى عنده من يعطيه دينارًا أو يزدريه، واعتمد على الزهد سواء في باطنه أو في ظاهره[2]، وقام اتجاهه الصوفي الإشراقي على كون أن نور الله هو أساس كل الموجودات وأن العقل لا يكفي للوصول إلى مشاهدة الله، بل على المريد القيام بمختلف المجاهدات حتى تتحقق له المشاهدة، ويكون ذلك وفق مراحل يتدرج فيها المريد حيث يزداد إشراق الأنوار الإلاهية عليه وتصبح نفسه حينها عاكسة للإله، وتحصل له الغيبة التي تتم له من خلالها مشاهدة الله[3]،ويلخص هذا كله في قوله" من عرف نفسه عرف ربه" [4]، ويصرح عن مذهبه في قوله:

أشرقت أنفسنا من نوره فوجودُ الكلِّ عن فيض الكرم

فترى النّفسُ عن عالمها باختباءٍ ليس تُدنيه الهمم

ليس يدري من أنا إلاّ أنا هاهنا الفهم عن العقل انبهم[5]

كما برع في علم الحروف والأعداد ومن خلاله تمكن من التنبؤ بالوقت الذي سيخرج فيه المسيح الدّجال وطلوع الشمس من المغرب وخروج يأجوج ومأجوج [6]، وكان طلبته يقرؤون عليه كتابِ "النجاة" لابن سينا[7]، وعند قدومه إلى بجاية ألقى دروسه بمسجد أبي زكريا الزواوي[8]، وقد تخرج على يده عدد كبير من الطلبة نذكر منهم عبد العزيز بن عمر الذي

(1) محمد قريبيز: الشعر الصوفي في الأندلس في المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1406هـ/1986م، ص126، وكان الحرالي من مرسية مال إلى النظريات وعلم الكلام، انظر التنبكتي: كفاية المحتاج، ص241، كما أنه أحاط بالمذهب المالكي أنظر ابن مخلوف: المصدر السابق ج1، ص260.

(2) بدر الدين القرافي: توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق أحمد الشتيوي،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م، ص ص 163، 164.

(3) الغبريني: المصدر السابق، هامش(1) ص157.

(4) المناوي: المصدر السابق: ج2، ص466.

(5) الغبريني: المصدر السابق، ص ص 156، 157.

(6) السيوطي: المصدر السابق، ص ص22، 23.

(7) – القرافي: المصدر السابق، ص163.

(8) Emile Dermenghen: vies des saints Musulmans, Editions D'aujourd'hui plan de la tour (var), 1981, P385.

الذي اعتمد أسلوبه في تدريسه للفقه المالكي لطلبته[1]، وأبا الفضل القرطبي (ت662هـ/1263م) الذي أخذ برباط آسفي عن أبي محمد صالح الماجري وأخذ ببجاية عن الحرالي، وساهم في نشر اتجاهه من خلال تلقينه لطلبته كمعاوية الزواوي وأبي محمد عبد الله التدلسي، وكان يدّرس بزاويته التي أنشأها ببجاية وبمسجد النطاعين [2]، فضلا عن أبي الحسن بن علي بن عمران المليانى المعروف بابن أساطير(ت670هـ/ 1271م) الذي كان من أصحاب الحرالي المقربين واقتصر على تدريس كتاب" الإشارات والتنبيهات" لتلامذته، وأبي محمد عبد الحق بن الربيع الأنصاري(ت675هـ/1276م)الذي راح هو الآخر يلقّن لطلبته اتجاهه الصوفي وقد نظم قصيدة من خمسمائة بيت أفصح فيها عن مراحل الولوج إلى مشاهدة الله كمرحلة الغبية[3]

وممن أخذ عن الحرالي نجد تقي الدين الموصلي الذي لقيه ببجاية، وكذلك أبا زكريا بن محجوبة القريشي السطيفي(ت677هـ/1278م)الذي لقيه وتتلمذ له وساهم في نشر اتجاهه الإشراقي عن طريق مؤلفاته ككتاب" شرح أسماء الله الحسنى"، هذا فضلا عن أشعاره التي جسد فيها اتجاهه الصوفي[4]، كما أخذ عنه أبو عبد الله التجيبي [5].

يتبين مما سبق أن تلامذة الحرالي أخذوا على عاتقهم نشر مذهبه الصوفي الإشراقي حتى في الوقت الذي كان فيه مقيما بالمشرق الأمر الذي ضمن تواصل انتشار مذهبه بالغرب الإسلامي.

2 – اتجاه الوحدة المطلقة:

قام هذا الاتجاه على أساس أن المولى هو سر كل الوجود، وأن العقل البشري يتوهم كل ما يحيط به إذ تتقاسم الإنسان قوتان قوة الحق وقوة الباطل، وهذه الأخيرة هي سبب حصول تلك الأوهام للعقل، وبقيام الإنسان بالمجاهدات والرياضات يستطيع التغلب على هذه القوة له فيحصل له بذلك حلول الحق في ذاته [6]، ويتوصل في الأخير إلى حالة الكشف فتنكشف له أسرار الكون وتتجلى له كل معانيه[7]، واندرج ضمن هذا الاتجاه مجموعة من المتصوفة نذكر منهم:

---

(1) المنوني: ورقات ...، ص456.
(2) الغبريني: المصدر السابق، ص ص161، 162، 163.
(3) نفسه: ص ص85 وما بعدها.
(4) نفسه: ص ص 119، 120، 162، 170.
(5) ابن الأبار: التكملة...ج2، ص579.
(6) ابن خلدون: شفاء السائل...ص 52.
(7) المقري: نفخ الطيب...ج5، ص260.

- **الدراويش:**

عرف أتباعه بالشوذية نسبة إليه وقد نزل إلى تلمسان في زي المجانين، وكان يبيع الحلوى للأطفال الذين ينقرون له فيشطح ويدور مردداً أشعاراً له في المحبة ولذا عرف بالحلوي، ثم كان ينصرف بعدها بركوبه قصبة على هيئة الفرسان وهو في كل ذلك يعمل على التستر على مذهبه الصوفي[1]، غير أنه هناك من المتصوفة من سبقه واعتمد على التستر بالبله كأبي محمد عبد الحق أمسطوط أي المجنون وسمي كذلك لركوبه قصبة وجريه بها [2]، وأبي عبد الله العربي(ت611هـ/1214م) هو الآخر تستر بالبله لإخفاء مذهبه الصوفي، إذ كان على سيرة الحلوي يركب قصبة ويسيح بها في الأرض[3]، وعمل أبو عبد الله الحلوي في مذهبه على الإحسان والصدقة فكان يتصدق بثمن الحلوى التي كان يبيعها للأطفال، وإلى جانب هذا اعتمد على حياة السياحة في الأرض في العديد من الأوقات للاختفاء عن الأنظار، كما نجده قد داوم على القيام بالمجاهدات كالصيام حتى أنه لم يأكل في النهار قط، وصرّح بمذهبه في الوحدة المطلقة في بعض أشعاره إذ قال:

إذا نطَقَ الوُجودُ أصاخَ قومٌ بآذان إلى نُطقِ الوُجود.
وذاك النُّطق ليس به انعجامٌ ولكن دقَّ عن فهمِ البليد[4].

وهو بذلك رأى بأنه عندما يحل الله في البشر يكون بصرهم الذي يبصرون به وسمعهم الذي يسمعون به، وحينها يحصل لهم الكشف فيدركون بذلك حقائق الكون وأسراره [5].

ودرّس الحلوي بتلمسان، وممن كان يحضر درسه أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف ابن المرأة(ت610هـ/1214م) الذي لزمه مدة سنتين واقتصر الحلوي في تدريسه على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فضلاً عن الأدب، وقد قرأ عليه ابن المرأة بسم الله الرحمان الرحيم فتكلم له في فضلها عشرة أيام[6]، وإلى جانب ابن المرأة التف حوله بعض المتصوفة[7]،

---

(1) يحي بن خلون: المصدر السابق،ج1 ص 453.

(2) ابن الزيات: المصدر السابق، ص453.

(3) الغبريني: المصدر السابق، ص80.

(4) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص128.

(5) بونابي : المرجع السابق، ص148

(6) ابن مريم: المصدر السابق، ص 69؛ يحي بن خلدون : المصدر السابق، ج1، ص128

(7)المقري: نفح الطيب... ج5، هامش رقم 4، ص 260

وكان ابن المرأة ممن غلب عليه علم الكلام إذا اشتهر به [1]، واستطاع كسب أتباع إلى جانبه بمالقة ومرسية وذلك لحسن أسلوبه وبساطة فهمه[2]، وتمكن بذلك من تزعم مذهب الحلوي بعد وفاة هذاالأخير، فعمل على كسب أنصار له وممن تتلمذ له أبو محمد عبد الحق بن برطلة الأزدي (661 هـ/ 1262م) الذي أخذ عنه بتونس[3] .

ووجد ابن المرأة عند انتقاله إلى مرسية مضايقات حتى من قبل من سعوا إلى انتقاله إليها، وذلك يرجع لسبب بعض التصرفات التي بدت منه ورأوا فيها ما ينافي الدين والشرع [4]، بيد أنه كان هناك متصوف آخر تقاسم مسؤولية الشوذية إن صح التعبير مع ابن المرأة وهو أبو عثمان سعيد بن عبد الله المعروف بالجمل وهو أحد أصحابه وتصدّر التدريس ببجاية، وعمل على نشر مذهبه بين طلبته الذين كانوا يحضرون مجلسه هناك [5]، وقد نادى أتباع أبي عبد الله الشوذي بالزهد في كل شيء وكانوا يميلون أكثر إلى الخمول ولم يتأخروا في كشف كراماتهم[6]. هذا فضلا عن طرحهم هذا فضلا عن طرحهم لأفكارهم بأسلوب بسيط يسهل على المريد فهمه كما سبق ذكره.

والجدير بالذكر هنا هو أن أتباع الشوذي تحولوا فيما بعد إلى الجانب السياسي، حتى أنهم أنكروا صحة العلوم الشرعية [7]، وبما أن الشودي قد اتخذ من البله والجنون وسيلة لإخفاء اتجاهه الصوفي خوفا من السلطة فمن المؤكد أن أتباعه اتبعوا الأسلوب نفسه، ومما يثبت ذلك عدم تحدث المصادر التي اطلعت عليها عن أتباعه، وقلة المادة التاريخية في هذا المجال تحول دون معرفة المزيد عن أسماء تلامذته، غير أن هذا لم يمنع من أن يكون للشوذية أنصار وأتباع عبر السنين[8].

(1) السلاوي: المصدر السابق: ج2، ص 153؛ أبو العباس المراكشي: المصدر السابق، ج1 ص153، ابن فرحون: المصدر السابق، ص147

(2) بن منصور: المرجع السابق ج1، ص 78

(3) ابن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص 281

(4) بن منصور : المرجع السابق ، ج1، ص 78

(5) الغبريني: المصدر السابق ، ص 198.

(6) ابن الخطيب : الإحاطة ... ج1، ص 325

(7) المقري: نفح الطيب...،ج5، هامش رقم 4 ص260.

(8) بونابي: المرجع السابق، ص148.

2- عبد الحق ابن ابراهيم ابن سبعين(ت669هـ/1270م):

قرأ على مذهب أبي عبد الله الشوذي من خلال ما صنّفه تلميذه ابن المرأة[1]، وكان ابن سبعين جميل اللباس على عكس ما عرف به المتصوفة[2]، وقد اشتهر بابن دارة وذلك لأنه كان يكتب على نفسه ابن 0 أي ابن الدارة التي تشبه الصفر، وهي تعني في الحساب عند بعض المغاربة سبعين، وقد عمل على خدمة الفقراء ممن وصفهم المقري"بالسفآرة أصحاب العباءات والدفافيس"[3]، وعُرف أتباعه بالسبعينية منهم علي بن عبد الله النميري الششتري(ت668هـ/1269م)[4]، ويحي بن أحمد بن سليمان الذي تتلمذ له أيضا[5].

وكان لابن سبعين اطلاع على الفلسفة إلى جانب أصول الدين، إلاّ أن علم الفلسفة غلب على ثقافته العلمية، وعمل على إخفاء اتجاهه الصوفي الفلسفي واجتهد في إنتقاء ألفاظه حتى لا تطغى عليها المصطلحات الفلسفية فينفر الناس من مذهبه[6]، واطّلاعه على الفلسفة لم يختص بالفلسفة اليونانية والفارسية والهندية بل كانت له روح الاطلاع على مؤلفات الفلاسفة المشارقة كالفرابي وابن سينا، فضلا عن الفلاسفة المغاربة أمثال ابن باجة وابن طفيل ، وحتى رسائل إخوان الصفا ألمّ بها هي الأخرى وهذا ما تؤكد على سعة اطّلاعه العلمي وتنوع ثقافته[7]، وقد تولى بنفسه الإجابة على المسائل الفلسفية التي جاءت من صقلية إلى علماء سبتة للاستفسار عنها وسميت بالمسائل الصقلية مما يدل على باعه في الفلسفة [8]، واستخدم شطحاتٍ ورموزًا جعلته ينحو سلوك أتباع الوحدة[9]، أثارت عليه حفيظة فقهاء مدينة سبتة عندما نزل فيها[4]، والمصنفات التي ألّفها حملت ألغازًا وإشارات وحروفًا وتسميات انفردت بها واستخدمها كرموز يصطلح

(1) التفتازاني: المرجع السابق، ص206.
(2) ابن الخطيب: الإحاطة...ج4، ص ص 32،33
(3) المقري: نفح الطيب: ...، ج5، ص ص 196، 197.
(4) الغبريني: المصدر السابق، ص ص 209، 210.
(5) المقري: نفح الطيب...،ج5، ص ص107، 108.
(6) تقي الدين المكي: المصدر السابق، ج5، ص ص 326، 327.
(7) التفتازاني: المرجع السابق ، ص 208.
(8) ابن الخطيب: الإحاطة..ج4، ص34.
(9) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج3، ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962م، ص80.
(10) المقري: نفح الطيب...ج2، ص197.

عليها أتباعه في مذهبه[1]، الذين عملوا بدورهم على نشرها وقد عبّر عن محتواها ابن الخطيب[2]، فقال:"وهي إلى وساوس المجنونين أو هذيان الممروضين أقرب منها إلى منازع أهل العلم"[3]، واعتبره بعض المؤرخين زنديقا أبطن اتجاهه في الوحدة المطلقة[4]، ويعتبر كتابه"بد العارف" من أهم مؤلفاته إذ ضمّنه اتجاهه الصوفي الفلسفي فعبّر عن" سعة ذرعه وانفساح مدى نظره لما اضطلع به من الآراء والأوضاع والأسماء والوقوف على الأقوال والتعمق في الفلسفة والقيام على مذاهب المتكلمين"[5]، ولقد كُفّر ابن سبعين لما كان يقوله من أمور لا تطابق الشرع[6] .

وتميزت الرموز التي استعملها بااخفاء والتعقيد والغموض وشرح من خلالها مذهبه الفلسفي في التصوف الذي اتبع فيه منحى الوحدة المطلقة، وقد عبّر عن ذلك في بعض أشعاره فمما قاله:

كم ذاتُموّه بالشَّعبين والعلم والأمر أوضح من نار على علم
وكم تعبِّر عن سلع وكاظِمة وعن زرود وجيرانٍ بذي سَلَم
ظللتَ تُسئل عن نَجْدٍ وأنت بها وعن تِهامة هذا فعل مُتَّهم [7]

والمحور الأساسي الذي قام عليه مذهب ابن سبعين في الوحدة المطلقة يكمن في أن وجود المولى عزّوجل هو الوجود الواحد الذي يتمثل فيه، وباقي المخلوقات الموجودة وجودها عين وجوده عزّوجل، أي أن الوجود واحد في حقيقته ثابت وهذا ما عبّر عنه ابن سبعين" بالإحاطة"، ورأى أن وجود الله هو أصل الوجود كله، وهو ما كان وما كائن وما سيكون أي وجوده مطلق ووجود باقي المخلوقات المشاهدة روحي، وهو بذلك يجعل مذهبه قائما على أساس أن الوجود المطلق هو لله وباقي الموجودات هي روحية لا مادية ملموسة، وذهب إلى أبعد من ذلك بجعله يشبّه الوجود

بالدائرة يمثل الوجود المطلق الذي هو الله بالمحيط أما وجود باقي الموجودات فهو مقيد داخل الدائرة،ولا يوجد فرق بينهما في نظره لأن محيط الدائرة هو نفسه مساحتها، أوبمعنى

---

(1) التنبكتي: نيل الابتهاج، ص163.
(2) الإحاطة..ج4، ص32.
(3) نفسه: ص32.
(4) تقي الدين المكي: المصدر السابق، ج5 ، ص332.
(5) ابن الخطيب: الإحاطة...،ج4، ص34.
(6) تقي الدين المكي: المصدر السابق، ج5، ص 329.
(7)ابن الجطيب: الإحاطة...ج4، ص37.

آخر هناك وحدة مطلقة بينهما وانتهي في الأخير إلى أن الوجود واحد وهو الله[1]، غير أنه لم يكتف بوضع مذهبه في الوحدة المطلقة هكذا دون دليل بل استند إلى نصوص من القرآن الكريم كقوله تعالى:﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾[2]،وقد رأى نفسه راقيًا عن كل من الفلسفة والتصوف[3]، وما يدل على ذلك هو استخدامه لمصطلح "المحقق" أو "المقرب" والذي يمثل أكمل أفراد البشر ورأى فيه أنه أشمل من الفقيه والفيلسوف والصوفي[4]، وقد توفي على إثر نزيف أصابه وهو بمكة مما حال دون زيارته لمقام الرسول صلى الله عليه وسلم ووفاته كانت سنة 669هـ/1271م[5]، وخلفه تلميذه الششتري الذي أخذ عنه مذهبه الصوفي كما أخذ من قبل عن أصحاب الشهروردي صاحب كتاب"عوارف المعارف"، وعمد دوما على لقاء المشايخ للنهل من علومهم إلى أن التقى بابن سبعين الذي أراد أن يكون من تلامذته، وهذا يفهم من قوله للششتري:"إن كنت تريد الجنة فسر إلى أبي مدين وإن كنت تريد رب الجنة فهلم إلي"[6]،واستطاع الششتري أن ينشر مذهب أستاذه بين طلبته عند تدريسه ببجاية، فكانوا يفضلونه ويرجحونه عن أستاذه ابن سبعين[7]، وقد تولى رئاسة الفقراء من أتباع شيخه وكان عددهم كبيرا وصل إلى أربعمائة فقير داوموا على خدمته ومرافقته حتى في أسفاره[8]، وسمي بعروس المتجردين[9]، وكان في سياحاته يقول الأزجال والموشحات التي فسّرت مذهبه الذي انتحله[10] وقد سمع مجودًا للقرآن يقرأ قوله عز وجل:﴿ إني أنا الله لا إله إلا أنا فأعبدوني ﴾[11]، فرد عليه مصرحًا عن اتجاهه الصوفي قائلا:

أنظر للفظ أنايا معزما فيه من حيث نظرننا لعلّ ندريه

---

(1) التفتازاني: المرجع السابق، ص210.
(2) سورة الحديد الآية 3.
(3) تقي الدين المكي: المصدر السابق، ج5، ص327.
(4) التفتازاني: المرجع السابق، ض210.
(5) تقي الدين المكي: المصدر السابق، ج5،ص ص 334، 335.
(6) المقري: نفح الطيب...ج5، ص185.
(7) الغبريني:المصدر السابق، ص210؛ القرافي: المصدر السابق، ص166.
(8) المقري: نفح الطيب...ج5 ص185.
(9) المناوي: المصدر السابق، ج2،ص357.
(10) الششتري: ديوان أبي الحسن الششتري شاعر الصوفية الكبير في الأندلس والمغرب، تحقيق علي سامي النشاره، ط1، المعارف الإسكندرية، 1960م، ص ص272، 273.
(11) سورة طه الآية 14.

خلِّ ادخارك لا تفخر بعارية لا يستعير فقير من مواليه
جسوم أحرفة للسِّر حاملة إن شئت تعرفه جرّد معانيه[1]

وكان الششتري يستخدم الطار أو الدف أثناء تأديته لأذكاره الصوفية ولكثرة استخدامه له عرف باسمه فأصبح الدف يعرف بالششتري[2]، واعتمد أتباع ابن سبعين على مذهب اشتمل على الفلسفة إلى جانب "مذهب الششتري والسهروردي المقتول...وابن قسي وابن مسرة وابن سينا والغزالي وابن طفيل وابن رشد وأبي مدين وابن عربي والحرالي..."[3]، هذا فضلا عن اتجاه ابن سبعين، فجمعوا بذلك ما بين عدة مذاهب مما أثار حفيظة الفقهاء عليهم حتى لباسهم تعرض للنقد اللاذع هو الآخر[4]، غير أن الششتري عمد في كثير من الأحيان إلى الدفاع عن مذهبه الصوفي والتأكيد على أنه اتبع فيه الشرع، وهذا ما دلت عليه إحدى أزجاله التي خاطب فيها الفقهاء دفاعًا عنه[5].

3 –اتجاه وحدة الوجود:

يقول أصحابه بأن الوجود واحد ويتمثل في الله وأنه صادر عن صفة الوحدانية [6]، وقد برز في هذا الاتجاه متصوف أندلسي شهير حمل لواء التصوف الفلسفي وبلغ معه شأوًا كبيرا وهو محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي المعروف بابن عربي(638هـ/1240م)، أخذ عن عبد الحق الاشبيلي[7]، الذي حدّثه بمصنفاته التي ألّفها[8]، كما أخد عن أبي عمران الميرتلي، وأبي الحسن بن حرزهم وأبي بكر بن العربي، وكان يلازم قراءة الرسالة القشيرية حتى عرف بالقشيري[9]، وتتلمذ على يد العجوز المتصوفة نونة فاطمة بنت ابن المثنى القرطبية التي أخذ عنها مدة سنتين[10]، ويعتبر ابن عربي امتدادًا لمدرسة ابن مسرة بالأندلس فقد كان بعض أساتذته متشبعين بأفكار

(1) الغبريني: المصدر السابق، ص212.
(2) صالح المهدي: الموسيقى العربية مقامات ودراسات، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1993م، ص92.
(3) التفتازاني: المرجع السابق، ص ص 208، 209.
(4) نفسه: ص ص 208، 209.
(5) الششتري: المصدر السابق، ص ص 275، 276، 277.
(6)ابن خلدون: المقدمة، ص384.
(7) المقري: نفح الطيب...ج2 ص ص161، 162.
(8)المنّاوي: المصدر السابق، ج1، ص203.
(9) ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر6، ص493.
(10)بلنثيا: المرجع السابق، ص372،

ابن مسرة[1]، مما ساهم في اطلاعه على مؤلفاته[2]، وقد جمع مذهبه بين الفلسفة والتصوف معًا[3]، والمحور الأساسي الذي قام عليه هو وحدة الوجود على أساس أن الوجود واحد في جوهره لكنه أكثر من ذلك في الظاهر وهذا ما تدركه حواس البشر وعقولهم[4]، ويعد ابن عربي أول من وضع مذهب وحدة الوجود في التصوف الإسلامي،ورأى أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق بما فيهم الإنسان ليرى لنفسه ويعرفها فيهم فتتجلى له صفاته وأسماؤه فيهم، وهذا لا يفهم منه أن الله أظهر ذاته المطلقة بل كشف عنها بتقييد لأن الموجودات الظاهرة المقيدة تزول والله لا يزول[5]، وقد أشار إلى مذهبه في وحدة الوجود في قوله:

ياخالق الأشياء في نفسه أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهي كونه فيك، فأنت الضيّق الواسع[6]

وقال أيضًا:

فرق وجمع فان العين واحدة وهي الكثرة لا تبقى ولا تذر [7]

كما أنه صرح عن ذلك في قوله:" سبحان من خلق الأشياء وهو عينها"[8]، وحتى يتمكن المريد من الوصول إلى الحقيقة حسب ابن عربي عليه أن يقوم بالرياضات والمجاهدات التي تعمل على تطهير نفسه، ويستطيع حينها أن يحلّ فيه الله ويسيّر كل حواسه ويبعث فيه النور الإلاهي، وبالتالي يمتلك قدرة جديدة يدرك من خلالها حقائق تفوق قدرة العقل البشري العادي، ورأى بأن تلك الملكة والأنوار الإلاهية من الأجدر أن يتوصل إليها الإنسان العادي البسيط[9]، وذهب إلى أبعد

(1) أحمد أمين، المرجع السابق، ج3، ص70.

(2) Albin Michel Ibn Arabie : les soufis D'Andalousie/ suivi de la vie Merveilleuse de DHμ-L- NμN l'égyptien, première éditions sindbad, Paris 1979, P329.

(3) –إبراهيم غافة: الشيخ محي الدين بن عربي وتأثيره في العالم الإسلامي والعالم المسيحي، دار هومة للطباعة والنشر، بوزريعة، الجزائر، 2001م،ص 27.

(4) محي الدين بن عربي: فصوص الحكم، تعليق أبو العلاء عفيفي، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 23رمضان 1365هـ/20 أغسطس 1946م، مقدمة الكتاب، ص ص 23، 24.

(5) التفتازاني: المرجع السابق، ص ص 201، 202.

(6) أحمد أمين: المرجع السابق، ج3، ص72.

(7) نفسه: ص72.

(8) ابن عربي، الفتوحات، ج2،ص604.

(9) بلنثيا: المرجع السابق، ص ص 382، 183.

من ذلك إلى القول بوحدة الأديان وهذا ما يفهم من شعره القائل فيه:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذ لم يكن ديني إلى دينه واني
لقد صار قلبي قابلا كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توارة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أين توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني[1]

كما قال:

عقد الخلائق في الإله عقائدًا وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه[2]

بمعنى أن الإنسان يسعى جاهدا في كل الأديان إلى عبادة الله ولهذا فإن كل الأديان واحدة ما دام البشر يسعون فيها ككل إلى عبادة إله واحد وهو الله أي أن الغاية تبرر الوسيلة

وقال أيضا:

يا من يراني عاصيا ولا أراه أخذًا
كم ذا أراك منعما ولا تراني لائذا[3]

وقد أراد من وراء ذلك الرد على من أعاب عليه قوله:

يا من يراني ولا أراه كم ذا أراه ولا يراني[4]

بيد أنه لم يفصح عن مذهبه القائم على وحدة الوجود في مؤلّف معين من المؤلفات التي كتبها ولعل ذلك خوفًا من مهاجمته، فعمل على تشتيت أفكاره بين مختلف الموضوعات التي تطرق إليها في كتاباته، وقد أشار إلى ذلك في قوله:" وأما عقيدة خلاصة الخاصة في الله تعالى فأمر فوق هذا

جعلناه مبددًا في هذا الكتاب (الفتوحات) لكونه أكثر العقول المحجوبة بأفكارها تقصر عن إدراكه لعدم تجريدها"[5]، فراح يستخدم الرموز والإشارات والخيال لشرح مذهبه، ورأى أن اللغة الرمزية هي السبيل الوحيد لذلك وهذا ما أشار إليه في قوله:

ألا أن الرموز دليل صدق على المغني المغيب في الفؤاد

---

(1) التفتازاني: المرجع السابق، ص ص 203، 204.

(2) نفسه: ص204.

(3) المقري: نفح الطيب...ج2، ص168؛ ابن عبد الملك: المصدر السابق السفر6، ص496.

(4) أحمد أمين: المرجع السابق، ج3، ص71.

(5) ابن عربي: الفتوحات...، ج2، ص47.

وأن العالمين له رموز وألغاز ليدعى بالعباد

ولولا اللغز كان القول كفرًا وأدّى العالمين إلى العناد

فهم بالرمز قد حسبوا فقالوا بإهراق الدماء وبالفساد

فكيف بنالو أن الأمر يبدو بلا ستر يكون له إستنادي

لقام بنا الشقاء هنا يقينا وعند البعث في يوم التنادي

ولكن الغفور أقام سترا ليسعدنا على رغم الأعادي[1]

وقد استخدم الرموز للدلالة على الحب الإلاهي الذي يجعل الصوفي يمر بحالة السكر والغيبة والوجد[2]، كما استعان بالرسوم والتخطيطات والأشكال الهندسية لشرح أفكاره الصوفية الفلسفية مقتديا في ذلك بما فعله إخوان الصفا في رسائلهم فضلا عن استعانته بتفسير الأحلام[3]. وأشار في مؤلفاته إلى أنه لم يتبع فيها منهج باقي المؤلفين وأسلوبهم حتى أنه لم يكتبها بدافع من نفسه بل المولى عزّوجلّ هو من دفعه إلى التأليف وأملى عليه ذلك[4]، وحسب رأيه فإن ذلك تم عن طريق الكشف الذي يختص بورثة الأنبياء وهو علم يتعارض مع أدلة العقل البشري العادي. وبما أن الأنبياء قد بلّغوا بأمور لا يدركها العقل كالآخرة والجنة والنار ولم يشك في ذلك لأنهم معصومون، فإن الأولياء غير ملومين بما يأتون به من علوم تنافي العقل ذلك لأنهم ورثة الأنبياء في ذلك، ولذا استغرب مهاجمة أفكاره لأنه أخذها عن طريق الكشف الإلاهي كما ذكرنا سابقا[5]، وكان يتباهى بذلك العلم الذي خصه الله به دون غيره فقال:

خصصت بعلم لم يخص بمثله سواي من الرحمان ذي العرش والكرسي

وأشهدت من علم الغيوب عجائبًا تصان عن التذكار في عالم الحس
فيا عجبا أني الروح واعتدى غريبا وحيدا في الوجود بلا جنس
لقد أنكر الأقوام قولي وشنعوا علي بعلم لا ألوم به نفسي[6]

وأكّد على قوله في تفسيره لأوائل السور القرآنية من حروف، إذ ذكر أن تفسيرها كان بإذنٍ

---

(1) نفسه، ج1، ص248.
(2) محمد قريبيز: الشعر الصوفي في الأندلس...، ص191.
(3) بلنثيا: المرجع السابق، ص ص381، 382.
(4) خليفة: المصدر السابق، مج2، ص1238
(5) محمود قاسم: الخيال في مذهب محي الدين بن عربي، معهد البحوث والدراسات العربية، 1969، صص88، 97.
(6) ابن عربي: ديوان ابن عربي الشيخ الأكبر أبو بكر محي الدين بن عربي الحاتمي، مكتبة المثنى، بغداد 1855م،ص48.

إلاهي وهو غير قادر على التوقف عن ذلك إلا بطلب من الله لأنه هو من أملى عليه فعل ذلك، وذهب إلى القول بمطابقة علمه الكشفي الذي احتوته كتبه لما يقول به الشرع، فهو مستمد من القرآن الكريم ويستغرب مهاجمة أفكاره في هذه الحالة[1]، وعمل على الدفاع عن مذهبه ورفض اتهامه بالنقل والتقليد وفي هذا الصدد قال:

نسبوني إلى ابن حزم وإني لست ممن يقول قال ابن حزم
لا ولا غيره فإن مقال قال نص الكتاب ذلك علمي[2]

وقد أثرى اتجاهه في وحدة الوجود بمؤلفاته الكثيرة نذكر منها" المعارف الإلاهية"، "مواقع النجوم ومطامع أهلة أسرار العلوم"، الرسالة الملقبة" بمشاهدة الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلاهية"[3] ومن أهمها على الإطلاق" الفتوحات المكية" الذي تطرق فيه إلى المهدوية إذ كان متأثرًا بها كما تناول فيه أشراط الساعة[4]، أما كتاب" فصوص الحكم" فقد عالج فيه طبيعة الوجود وركّز فيه

على البحث في "الحقيقة الإلاهية متجلية في أكمل مظاهرها في صورة الأنبياء عليهم السلام"[5]،وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم نفث هذا الكتاب في روحه [6]، وكانت له شطحات في أقواله وشعره كقوله بأنه يعرف اسم الله الأعظم[7]، ولعبت أفكاره دورًا مهما في تحديد العلاقات الإنسانية إذ دعا إلى ضرورة الرحمة بين البشر فحذّر من البغض والقتال، ودعا إلى الرفق بجميع المخلوقات، كما مجّد العائلة المتوازنة المتوحدة فأوصى بالمحبة بين أفرادها والاهتمام بالأطفال وتربيتهم تربية دينية[8]، بيد أنه عربي قد تعرض للنقد اللاذع لأفكاره التي شطح فيها فجاءت مناقضة لما يتقبله العقل البشري، وهذا ما تفسره كثرة أسفاره التي جال فيها عدة بلدان، ففي سنة 590هـ 1193م رحل إلى تونس ثم إلى فاس ليعود مرة ثانية إلى تونس سنة

(1) محمود قاسم: المرجع السابق، ص ص98، 99.
(2) ابن عربي: ديوانه...ص47.
(3) المقري: نفح الطيب...ج2، ص ص175، 177.
(4) عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن على، دار المعارف بمصر 1971م، ص345.
(5) بن عربي: فصوص الحكم، مقدمة الكتاب، ص23.
(6) عرفان: المرجع السابق، ص262; Aldin Michel : OP, cit, P330
(7) المقري: نفح الطيب...ج2، ص165، وعن اسم الله الأعظم هو الإسم الجامع لجميع الأسماء، وقيل هو اسم الذات الموصوفة بجميع الصفات أي المسماة بجميع الأسماء، أنظر العجم: المرجع السابق، ص59.
(8) إبراهيم عافة: المرجع السابق، ص ص29، 30.

598هـ/1201م[1]، ثم رحل إلى المشرق فكانت له رحلة هناك إلى بلاد الشام وبلاد الروم وبغداد التي لقن فيها بعض مصنفاته التي كتبها[2]، وقد أنكر عليه أهل مصر مذهبه حتى أنهم طالبوا بإراقة دمه[3]، ومن الأفكار التي كانوا ينكرونها عنه إنكاره لحقيقة الحساب، إذ نفى الجحيم والنار فرأى بأنه توجد جنة في عذابها يشعر البشر باللذة والنعيم، وهو بذلك يساوي بين العذاب والنعيم وأجمل ذلك كله في قوله:

فلم يبق إلا صادق الوعد وحدهُ وماو عبد الحق عينٌ تُعاينُ
وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم على لذّة فيها نعيم مباينُ
نعيم جنان الخلد فالأمر واحد وبينهما عند التجلي تباينُ
يسمى عذابا من عذوبة طعمه وذاك له كالقشر والقشر الصائن[4]

أما بالمغرب الإسلامي فنجده قد عمل عند نزوله ببجاية على تلقين مذهبه فأخذه عنه بعضهم[5]، وبفاس كان يجتمع حوله الطلبة للأخذ عنه [6]، إلاّ أن المصادر التي اطلعت عليها لم تشر إلى أسماء من اتبعوه، والذين قد يكونون تستروا خوفا من مهاجمتهم وتكفيرهم من قبل التيارات السنية التي عملت جاهدة على محاربة مثل تلك الأفكار التي كانت أقرب إلى الفلسفة منها إلى التصوف[7]، غير أننا نجد أحد المتصوفة قد نحا منحى ابن عربي في وحدة الوجود وهو أبو العيش بن أبي زيد عبد الرحيم الخزرجي، الذي تأثر بأفكار الغزالي وأخذ عن بعض مشايخ الصوفية باشبيلية وعمل أثناء تواجده بتلمسان على الزهد في الدنيا والدعوة إلى ذلك، فكان يعظ الناس من خلال أشعاره التي غلب عليها طابعه الزهدي، ورأى هو الآخر بأن الله يتجلى في كل الموجودات وأفصح عن ذلك في قوله:

الله قل وذر الوجود وما حوى إن كنت مرتاد بلوغ كمال

(1) عرفان: المرجع السابق، ص251.
(2) المنّاوي: المصدر السابق، ج2،ص514.
(3) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)، ج11، دار الإحياء التراث العربي، بيروت، لبنان د، ت، ط، ص40.
(4) سميح عاطف الزين: ابن عربي سلسلة أعلام التصوف، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م، ص ص90،91.
(5) ابن مخلوف: المصدر السابق، ج1،ص235.
(6) طه مدينة فاس...، ص ص 302، 303.
(7) الغبريني:المصدر السابق، ص ص 69، 70.

فاكل دون الله إن حقيقته عدم عن التفصيل والإجمال
فالعارفون فنوا ولما يشهدوا شيئا سوى المتكبر المتعالِ[1]

كما تواصل هذا التيار خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي بتلمسان[2].

نستشف مما سبق أن الغرب الإسلامي غرف تنوعا في الاتجاهات الصوفية إبّان العصرين المرابطي والموحدي، وكانت هذه الاتجاهات في حركة دائمة بحكم تنقلات المتصوفة، فبررت بذلك عدة مدن تمركز فيها المتصوفة حيث عملوا على إلقاء دروسهم وخطبهم الوعظية فضلا عن نشر اتجاهاتهم الصوفية وكسب أتباع لها، يعملون بدورهم على نشرها في باقي المدن الأخرى، وهذا ما أدى إلى ظهور ما يمكن تسميته مدن كبار المتصوفة كبجاية التي شكّلت معقلا للاتجاه المديني الذي اجتمع الطلبة حول صاحبه من كل مكان، فأخذوا عنه أفكاره الصوفية ومنهم من عمل على نشرها عند عودته إلى موطنه، فكان لبجاية تأثير على إفريقية إذ انتشر فيها هي الأخرى اتجاه أبي مدين، هذا إلى جانب ظهور عدة اتجاهات صوفية ببجاية جعلت منها مركزا صوفيا مهما، كاتجاهه الوعظ والتذكير الذي برز فيه عبد الحق الإشبيلي صاحب الخطب الوعظية، كما برزت مدينة تلمسان هي الأخرى كمدينة صوفية وكذا مدينة اشبيلية التي تواجد فيها اتجاه الوعظ والتذكير بقوة مع المتصوف أبي عمران الميرتلي الذي درّس بمسجدها ولقّن اتجاهه لطلبته، ومراكش عمل فيها أبو العباس السبتي على نشر مذهبه القائم على الصدقة والإحسان، حيث كان يجتمع حوله أتباعه بزاويته التي حبست عليه، وبرزت أيضا سجلماسة وفاس هذه الأخيرة التي تمركز فيها عدد من كبار المتصوفة منهم أبو الفضل النحوي الذي درّس فيها وبسجلماسة، وعمل على نشر

اتجاهه الصوفي المتأثر بأفكار الغزالي إلى جانب تمركز ابن حرزهم فيها وهو الأخر كان من المتأثرين بالغزالي، وعُرفت- تيط بآزمور- بآل أمغار الذين كان بيتهم بيت علم وزهد أبًا عن جد، أما المرية فقد برزت من خلال ابن العريف صاحب الاتجاه الباطني المعتدل، الذي تتلمذ على يديه عدد من الطلبة أخذوا عنه اتجاهه وتأثروا به، فأمتد بذلك تأثير المرية إلى باقي المدن المجاورة لها كمرسية وبلنسية وغيرهما من المدن، كما أن غرب الأندلس وبالضبط مدينة شلب برز فيها ابن قسي صاحب الاتجاه الباطني الثائر الذي تزعم ثورة المريدين على

---

(1) يحي بن خلدون: المصدر السابق ج1، ص ص 103، 104.

(2) بونابي: المرجع السابق، ص156.

السلطة المرابطية، وبالفعل كانت شلب مركزا هاما لنشاط أتباعه من المتصوفة الباطنيين، وامتد تأثيرها إلى كل غرب الاندلس كما سبق وأن رأينا.

وخلاصة القول أن الحركة الصوفية التي عرفها الغرب الإسلامي تمخضت عنها نتيجة هامة تمثلت في بروز مدن شكّلت العصب الرئيسي الذي عمل من خلاله كبار المتصوفة على بث اتجاهاتهم ونشرها، هذه الأخيرة التي أكدّت على أنهم لم يكونوا مجرد مقلدين لإخوانهم في المشرق بل أبدعوا أيمّا إبداع، وخير مثال على ذلك الاتجاه المديني الذي تمخض عن تأثر صاحبه بأفكار الغزالي التي شكلت إحدى أسس اتجاهه، وما يمكن ملاحظته أيضا هو أن مدن كبار المتصوفة كانت في علاقة تأثر فيما بينها نظرا لحركة المتصوفة وطلبتهم فيها.

الفصل الثالث:

دور المتصوفة في الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية

1- أسلوب حياة المتصوفة :

أ- لباسهم

ب- أكلهم وشربهم

ج- مساكنهم

د- حياتهم الأسرية

و- مهنهم

هـ- وفاتهم وقبورهم

2- موقف المتصوفة من مشاكل المجتمع

3- دور المتصوفة الاجتماعي والديني

4- دور المتصوفة السياسي:

1- علاقة المتصوفة بالسلطة:

أ- علاقة الاتجاه الصوفي المعتدل بالسلطة

ب- علاقة الإتجاه الصوفي المتطرف بالسلطة:

١-ثورة المريدين على المرابطين بالأندلس

٢-ثورة ابن هود الماسي على الموحدين بالمغرب

2- علاقة المتصوفة بالفقهاء

دور المتصوفة في الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية :

بالرغم من تعدد الاتجاهات الصوفية التي عرفها الغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين ،إلا أن المتصوفة اشتركوا في أسلوب حياتهم الذي تميز بطابع الزهد والتقشف،وشكّلت حياة هؤلاء وسيلة استخدموها لمواساة الفقراء ،وكان لهم دورًا فعّالاً في مختلف ميادين الحياة وسنتطرق إلى هذا بالتفصيل فيما يلي:

1-أسلوب حياة المتصوفة:

أ- لباسهم:

ظل اللباس الصوفي متميزا عن سائر الألبسة، لما حمله من سمات ودلالات صوفية عبّرت عن المسلك التقشفي الذي كان شعارهم وإعتمدوه أسلوبا لحياتهم الصوفية ،بل وحرصوا على أن يعكس اتجاههم الزهدي،وهذا ما ميّز مظهرهم الخارجي الذي اجتهدوا على أن يكون مرآة لباطنهم،وكانوا في كل ذلك حريصين كل الحرص على التمسك بسنن السلف الصالح،فمما أوثر على سيدنا علي كرم الله وجهه أن إزاره الذي كان يرتديه "لحق بركبتيه"[1]،كما أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ارتدى قميصا مرقعا باثني عشرة رقعة[2]،ولم يرتد المتصوفة اللباس إلا لأجل الضرورة،كستر لعوراتهم وحماية لهم من القر والحر غير مهتمين باقتناء الرفه منه قصد الزينة والتباهي،لأن لبس الخشن كان هو الأحب والأسلم بالنسبة إليهم[3]،فالمنصوف المغربي الشهير أبو العباس السبتي رأى بأنه من أهم أهداف الحج أن يبرز الحاج" أمام الله بلباسه البسيط الزاهد حالقا رأسه متذللا أمامه عزّ وجلّ متنزه في كل ذلك عن ملابس الرفه"[4].

واحتفظت لنا كتب المناقب والتراجم بين طيّاتها بأسماء مختلفة للألبسة التي اختصّ متصوفة الغرب الإسلامي بلبسها،والتي كانت في معظمها من الصوف كالجبة التي ارتداها أبو الفضل وعباءة الصوف،وخرقة الصوف التي لبسها أحدهم على كتفيه ،و وضع أخرى في وسطه،كما نجد

(1) محمد بن سعد بن منيع الهاشمي:الطبقات الكبرى ،تحقيق محمد عبد القادر عطا، ،مج3 ط2،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان 1418 هـ/1997 م ، ص19.

(2)التفتازاني :المرجع السابق،ص51.

(3)السهروردي ،:المصدر السابق ص ص 353 ،358.

(4) أبو العباس المراكشي:المصدر السابق،ج1 ،ص237.

كساء الصوف ومئزر الصوف الذي لبسه أبو عبد الله الأزكاني في وسطه مع جبة من صوف، كما اختص المتصوفة بلبس المرقعة والخرقة[1] ،وقد رأى ابن سبعين بأن التوبة لا تتم إلا "بحلق الرأس،ولبس الصوف"[2]،إلى جانب هذا لبس المتصوفة البرنس كأبي بعزي

الذي لبس برنسا مرقعا من تليس[3]،وهو عبارة عن لباس خشن عبّر عن الحزن[4]،واقتصر أحد المتصوفة على دراعة[5]قطن لبسها في الصيف،ومئزر قصير ودراعة ثانية في فصل الشتاء[6]،كما ارتدى كل من أبي زكريا يحي الزواوي وأبي الحسن علي الحرالي لباسا من الصوف وهو الطيلسان[7]، في حين بدى المتصوف أبو علي الحبّاك بزي المتسولين مرتديا لباسا باليا ومرقعا[8].

والجدير بالذكر فيما يخص اللباس الصوفي هو أن المتصوفة اختصوا بلبس ثوب واحد مدة طويلة [9] اشتهروا به،كأبي يعزي الذي اشتهر بأبي كرتيل نسبة إلى حصيرة كان يرتديها [10]،كما اختص أصحاب المتصوف ابن سبعين بلبس العباءات والدفافيس[11]،ولبس أبو العبّاس السبتي

(1)ابن الزيات:المصدر السابق ص ص 78،84،160،292،371،374،384،435.

(2)عبد الحق بن سبعين:رسائل ابن سبعين،تحقيق عبد الرحمن بدوي ،الدار المصرية للتأليف والترجمة،برن ،سويسرا 1956 م ص313 .

(3)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 197 ،198 ؛ابن أبي زرع :المصدر السابق ص 172 ؛أنظر أبو العباس المراكشي المصدر السابق ،ج1 ،ص408.

وعن التليس :هز لباس من وطاء خشن يستعمل لصناعة الأكياس من الصوف أو الكتان لحمل الغلال أنظر، Dozy(R):supplément aux dictionnaires arabes,librairie du liban Beyrouth,1991,T1,p150

(4)طه:الحياة الاجتماعية ،ص253.

(5)دراعة:ثوب صوف وجبة مشقوقة القدم، وتعتبر من الألبسة التي ارتدتها النساء أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ،كما لبسها الرجال ،أنظر صالح أحمد العلي:المنسوجات والألبسة العربية في العهود الإسلامية الأولى، ط1 ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ،بيروت ،لبنان، 2003 م ، ص197

(6)بوتشيش:المغرب والأندلس ،ص136 ؛ طه :مدينة فاس... ص 179.

(7)الغبريني :المصدر السابق ،ص ص 137 ،149 ،وعن الطيلسان :فهو لباس تراوح لونه بين الأسود والأغبر وهو مشتق من كلمة الأطلس ،أنظر إبراهيم أنيس وآخرون ،المرجع السابق ،ج2 ،ص562.

(8)يحي بن خلدون:المصدر السابق ،ج1 ، ص108.

(9)بونابي ،المرجع السابق،ص163.

(10)ابن الزيّات:المصدر السابق، ص199.

(11)المقري:نفح الطيب.....ج5ص197 ،وعن الدفافيس :هي نوع من الثياب إرتداه المتصوفة ،أنظر نفسه:هامش 3 ص 197.

سراويل وكساء صوفيين،هذا فضلا عن ابن البناء الذي ارتدى ثوبا من الكتان من عمل تونس.[1]واختصت المرأة الصوفية إبّان هذه الفترة بلباس خاص كأمية بنت يغمروسن التي ارتدت جبة صوف،ولبست متصوفة عجوز كساءً خلقا[2] ،ولبست عائشة المنوبية ملابس رثة[3] ،أما فيما يخص اللون فنجد أن اللون الأسود كان مفضلا لدى متصوفة هذه الفترة[4]،وهناك من تميزت ثيابه بالبياض[5]،وقد صبغ أحدهم لباسه الأبيض بلون حبري وذلك بعد أن سقط عليه الحبر من يد أحد مريديه ،وغلب على ألبسة المتصوفة القصر في الطول ،فكان يواري عورتهم فقط،وقد وصلت جبة أبو الفضل ابن النحوي الصوفية إلى ركبتيه[6] ،وهناك من المتصوفة من كانت ثيابه بالية ورثّة إلا أنه تصدق بها[7].

ومثّل لبس الخرقة إشارة الدخول في طريق التصوف، وهي عبارة عن ثوب غليظ عُرف الفقراء بلبسها، إلى جانب المتصوفة [8] الذين لبسوها إبّان عصري المرابطين والموحدين على يد أكبر مشائخ الصوفية ومشاهيرها إما تبركا أو عهدا عن صاحبها ويشترط في الحالة الثانية على لابسها أن يكون سالكا طريق الصوفية [9] ،وقد "اتصل اللباس اتصال المصافحة" [10]،وحسبنا في ذلك المتصوف أبو مدين شعيب الذي لبسها عن المتصوف المشرقي الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت 560هـ/1164 م) وهو بعرفه"[11] كما لبسها أبو الحسن الشاذلي

(1) طه، الحياة الاجتماعية ،ص257.

(2)ابن الزيات:المصدر السابق،ص ص 90 ، 395.

(3)برنشفيك:المرجع السابق،ج2 ص 344.

(4) ابن الزيات:المصدر السابق،ص ص 197 ،399 ؛ أبو العباس المراكشي:المصدر السابق،ج1 ، ص 408 .

الصباغ القلعي :بستان الأزهار،ورقة 50 الظهر.

(5) ابن الزيّات :المصدر السابق،ص ص 205 ،305 ؛أبو القاسم محمد الحفناوي:تعريف الخلف برجال السلف،ج1 ،ط2،مؤسسة الرسالة بيروت ،المكتبة العتيقة تونس،1405 هـ/ 1985م ،ص ص 197 ،199.

(6)ابن الزيات :المصدر السابق،ص 78 ؛التنبكتي :كفاية المحتاج،ص498.

(7)التنبكتي :المصدر السابق،ص ص 32،33.

(8)Dozy:op cit,T2,p36.

(9)طه:الحياة الاجتماعية .....،ص ص 254 ،255

(10)المقري:نفح الطيب.....ج5 ، ص242.

(11)نفسه..ج7،ص138 ؛التنبكتي :نيل الابتهاج،ص 109 ؛ابن مخلوف :المصدر السابق ج1 ص266 .

لذي صحب المتصوف علي بن حزرهم[1]،وبذلك كان لبس الخرقة أو الشراسيخ[2]وسيلة بين المريد والله عن طريق المتصوفة ومرت كيفية لباسها بمراحل وهي: أن يتقدم المريد بين يدي شيخه مستقبلا القبلة،فيسمي شيخه الله عليه ويكسوه إيّاها، وعليه في هذه الحالة أن يلتزم يتقوى الله ويتبرأ من الادّعاء ويكون واحدا من الفقراء.[3]

غير أن التقشف في اللباس لم يلتزم به متصوفة بالغرب الإسلامي في كل الأحيان،فأبو مدين شعيب رأى بأن الوصول إلى كشف الحقائق الإلهية غير مرتبط بلباس معين كالمرقعة والخرقة،بل يتم عن طريق الزهد والعلم والتوكل[4]،ونجده قد لبس أحسن الثياب حتى شبه بالملوك[5]،ومنهم من رأى ضرورة ترك الحرية للمريد في اختيار لباسه فابن عربي رفض أن يلتزم المتصوفة طريقة واحدة في الملبس ،بل رأى وجوب مراعاة ظروف الإقليم وعادات المناطق التي يعيش فيها المريد،ولكنه وضع شروطا للباس بأن "لا يكون القماش من النوع الثمين،وألاّ يفيد اللباس إلّا في ستر العورة مع الحشمة وألاّ يغسلوه أبدا"[6]،وكان أبو العبّاس السبتي حسن الثياب[7]،وبدى المتصوف أبو محمد عبد الخالق في لباس حسن أبيض اللون،واعتبر أن الزهد يكون في نفسه ولا حرج إن ارتدى أحسن الثياب، ويفهم ذلك من رده على أحدهم أعاب عليه طريقة لباسه إذ رد قائلا:"ماذا علي في لباسها إذا كنت مع الله[8]،وابن سبعين"كان ملوكي البزّة"[9]،ولبس أحدهم جبة صوف جميلة خضراء اللون،ومعها حزام من الصوف التلمساني وبدى كأنه من عمال الموحدين، وستر متصوف مرقعته التي كان يرتديها في داره بثوب أخضر عند الخروج، وأحيانا كان

(1) ابن مخلوف :المصدر السابق،ج1 ،ص266.

(2)الششتري. :المصدر السابق،ص281.

(3)طه،الحياة الاجتماعية،ص255.

(4)الغبريني:المصدر السابق،ص63.

(5)ابن القنفذ:أنس الفقر،ص94.

(6)أثين بلاثيوس:ابن عربي حياته ومذهبه،ترجمة عبد الرحمن بدوي،مكتبة الإنجلو المصرية القاهرة1965 م ، ص ص 132،133.

(7)أبو العباس المراكشي:المصدر السابق،ج4 ص 236 ،نفسه ،ج3 ،ص253

(8)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص205.

(9)ابن الخطيب:الإحاطة ...،ج4، ص33.

يرتدي ثوبا آخر أبيض اللون[1]،واستعمل المتصوفة أفضل أنواع الطيب فأبو جعفر الجبّار أكثر من استخدامه حتى "كان عرفه يصوغ ويسطح عن بعد"[2].

أما بالنسبة لغطاء الرأس فقد لبسوا القلنسوة[3]،والشاشية[4]فوضع أبو يعزي شاشيةمن عزف[5]،في حين كانت شاشية أحد المتصوفة من صوف[6]،إلى جانب الشاشية البسيطة[7]،وكان بعض المتعبدين يشترون الشواشي للفقراء ويتصدقون بها عليهم[8]،وانفرد البعض بوضع خرقة صوف على رأسه[9]،ولبس متصوفة مدينة فاس طاقية وعمامة قصيرة على رؤوسهم[10]،بينما اكتفى أحدهم بوضع عمامة على رأسه وبقي البعض كاشفا رأسه بعدما حلقه[11]،واختصت النساء المتصوفات بتغطية رؤوسهن بالخمار كأمية بنت يغمروسن[12].

---

(1)طه:الحياة الاجتماعية...ص258.

(2)ابن عبد الملك:المصدر السابق،السفر1،القسم 1،ص260.

(3)ابن الزيات:المصدر السابق،ص ص117 ،401 ،وعن القلنسوة فقد استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم وبالأخص اليمنية والبيضاء والمصرية،ولبس ذات الأذنين أثناء الحرب ،ويمكن أن تصنع من القلنسوة من جلد الثعلب، أنظر أحمد العلي:المرجع السابق ص217.

(4)الششتري :المصدر السابق،ص345 ،وعن الشاشية:هي طربوش طويل عرف قديما لدى المغاربة،أنظر نفسه ص345.

(5)ابن الزيات:المصدر السابق،ص198 ؛الصبّاغ القلعي:بستان الأزهار ،ورقة 50 الظهر ؛ابن أبي زرع: المصدر السابق،ص172 ؛أبو العباس المراكشي :المصدر السابق ج1 ،ص408.

(6)ابن الزيات :المصدر السابق ،ص371.

(7)نفسه،ص359؛التليدي :المرجع السابق،ص108.

(8) روجي إدريس:المرجع السابق،ج2،ص209.

(9)ابن الزيات:المصدر السابق،ص160.

(10)طه:مدينة فاس...ص179.

(11) ابن الزيات :المصدر السابق ص ص 231، 292، 435.

(12)نفسه: ص90 ؛والخمار كان فيما سبق مخصصا للمرأة الحرة دون الأمَة، أنظر العلي: المرجع السابق ،ص200.

وفيما يخص القدمين استعملوا النعل[1]،والبلغة[2]،إلى جانب الأقراق[3]،وانتعلوا أيضا القباب والنعل المرقع[4]،وبقي أغلب المتصوفة حفاة[5]،وصحب معظم المتصوفة معهم الغرارة في أعناقهم[6]،وعمد أحدهم على تعليق مخلاة في عنقه بها كتبه،هذا إلى جانب السبحة[7]،وكانوا يتوكأون على العصا[8] والعُكيكِز[9].

ب- أكلهم وشربهـم:

سار متصوفة هذه الفترة في مأكلهم ومشربهم على النحو الذي ساروا عليه فيما يخص لباسهم كما سبق ذكره من تقشف وزهد ،وعملوا في كل الأحوال على اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم[10]،وصحابته رضوان الله عليهم[11].

---

(1) الصدفي :المصدر السابق،ص92.

(2)ابن الآبار :التكملة ،ج2ص487 ،وعن البلغة هي عبارة عن نعل مصنوع من مادة الحلفاء وتعرف عند أهل الأندلس ومن جاورهم من أهل العدوة بالبلغة أنظرDozy:op,cit,T1 p113 ،وهي معروفة إلى حد اليوم بالمغرب وتصنع من الجلد العادي ذي اللون الأبيض أو الأصفر، أنظر فروخ:تاريخ الأدب ،ج6،ص143.

(3) الششتري :المصدر السابق،ص273 وعن الأقراق :هي نعل به خيوط من الفلين وقد لبسه المغاربة والأندلسيين أنظر Dozy:op,cit,T2 p342.

(4)طه:الحياة الإجتماعية ....ص258 .

(5)ابن الزيات:المصدر السابق ص ص 292 ،374

(6)الششتري:المصدر السابق ،ص273 ،وعن الغرارة فهي الخرج الذي يحمله الصوفي معه،أنظر نفسه ص272.

(7)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص248، 371.

(8)التليدي:المرجع السابق،ص108.

(9)الششتري :المصدر السابق،ص273.

(10)فعن عائشة رضي الله عنها قالت"إن كنا آل محمد صلى الله عليه وسلم ما نستوقد نار إن هو إلاّ التمر والماء،"أنظر مسلم بن الحجّاج:صحيح مسلم (بشرح الإمام محي الدين النووي المسمى المنهاج)،تحقيق خليل مأمون شيحا ،ج 18 ،ط5 ،دار المعرفة ،بيروت ،لبنان ،1419 هـ/1998 م ،ص307

(11)إذ اقتصر قوت أهل الصفة على مد من تمر بين إثنين في كل جمعة والمد رطل وثلث أنظر :أبي طالب المكي :قوت القلوب في معاملة المحبوب و وصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ،تحقيق سعيد نسيب مكارم، ج2،ط 1 ،دار صادر بيروت ،لبنان ،1995 م ،ص324.

وأُشترط في طعام المتصوفة أن يكون حلالا متبعا للشرع[1]،غير متنعما فيه كما دعى إلى ذلك المتصوف ابن عربي[2]،وزهد المتصوفة في مأكلهم فاقتصروا على أكل الشعير كعبد العزيز التونسي الذي خصص مدامن الشعير كل اثني عشرة يوما،واعتمد أبو زكريا بن ميمون الصنهاجي أيضا على أكل الشعير[3]،وأكل بعضهم عصيدة الشعير دون ملح،وهناك من أكل خبز الشعير بالماء[4]،وكان خبز الشعير خاص بالفئات الفقيرة بالمجتمع في الغرب الإسلامي،وذلك لعدم قدرتهم على تناول خبز القمح[5]،وإقتات أبو يعزى بأوراق الدفلى مسلوقة دون ملح أو زيت[6]،ورغم ما عرف به هذا النبات من مرارة المذاق إلا أنه وجد طعمه حلوا [7]،وإلى جانب أوراق الدفلى التي كان يأكلها أكل أقراص من دقيق البلوط مع أوراق اللبلاب المطحون،فكان يأكل نصف رطل منها بعد صلاة المغرب،ونجده اقتصر على ما تنبته الأرض كالخبازي الذي عمل على جمعه وطبخه ثم تجفيفه ،وعندما يريد أكله كان يقوم بوضعه في القدر ويأكل منه[8]،وعُرف بعض المتصوفة باسم الطعام الذي يأكله كأبي يعزى الذي سُمي" بأبي ونلكوط" نسبة لنبات ونلكوط الذي اختص بأكله[9]،وتميز متصوف آخر "بأكل الخبز ولحم وعسل ولبن" [10]،أما ابن العريف فكان أكله المفضل الباذنجان حتى أنه سمّ فيه[11] ،وصنع أحدهم أقراصا من نبـــات الأرض بعدما جمعه وجففه وطحنه ،وكانت تكفيه مدة سنـة كاملة،واكتفى آخر

(1)السهروردي :المصدر السابق،ص342.

(2) بلاثيوس :المرجع السابق،ص137.

(3)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 70 ،88 ،243 .

(4)نفسه:ص ص 124، 150 ،239، 303.

(5) الحسن الوزاني:وصف افريقيا ،ترجمة محمد حجّي ومحمد الأخضر ،ج2 ،ط2 دار الغرب الإسلامي بيروت ،لبنان 1983 ص96.

(6)الصدّفي:المصدر السابق،ص94.

(7)ابن الزيّات :المصدر السابق،ص197؛ الصدّفي :المصدر السابق ،ص95؛الصباغ :بستان الأزهار ،ورقة 49 الوجه ،ورقة 52 الوجه ؛أبو العباس المراكشي :المصدر السابق ،ج1 ،ص 408.

(8)ابن الزيّات :المصدر السابق،ص197 ؛أبو العباس المراكشي :المصدر السابق ،ج1 ،ص408.

(9)أبو العباس المراكشي:المصدر السابق،ج1، ص409 .

(10)الصدّفي :المصدر السابق،ص63.

(11)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص115 ؛أبو العباس المراكشي ،المصدر السابق ،ج2،ص10.

بأوراق الشجر الذي عمل على تجفيفها وطحنها،والمتصوف أبو ويعزان دقّ الزبيب وصنع منه كورا ،وعمل على مرس واحدة منها في الماء وكان يشربها عند وقت الإفطار[1].

وكانت المتصوفة فاطمة بنت المثنى قليلة الأكل، واقتصرت على ما يطرحه الناس على أبوابهم من الأطعمة [2]،والمتصوف أبو مدين أكل ما كان يؤتى إليه من طيب الطعام وخشنه[3]،واعتمد أحدهم على ما يأتي به مجرى الساقية من ورق تقوت به،لكن في المقابل كان منهم من أكل ما اشتهاه من اللحم ،فهذا متصوف كان يأكل من الحمام الذي يأتيه وبعد موته توقف الحمام عن المجيء،واعتمد المتصوفة على أكل ما يصطادونه من البحر، وقد اقتصر أحدهم على الأكل من لحم ماشيته[4]،واكتفى بعضهم بلحم السلاحف البرية[5]،و السمك[6]

غير أنه هناك من المتصوفة من قُدّمت له أنواع من الطعام الشهي، والتي كانت تعرف بأنها أطباق خاصة بالوزراء كالثريد[7]،والثريد الذي قُدّم للمتصوفة كان إما ثريد الفول أو ثريد باللحم أو باللبن[8]،وفيما يخص الفواكه فقد أكلوا العنب والتمر إضافة إلى الفواكه الجافة كالتين[9].

وحرص المتصوفة على أن يكون طعامهم من مصدر حلال ،وحبّذوا أن يعملوا بأنفسهم على اكتسابه بعرق جبينهم،فاكتفى بعضهم بما تجود به أرضه من زرع وثمر ليقتات به[10]،وكان أبو العبّاس السبتي يحمل طعامه على رأسه[11]،وجمع أحدهم بقل البريّة وما يطرحه

(1)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 290 ،435 ،451.

(2)يوسف بن إسماعيل النبهاني:جامع كرامات الأولياء ،تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوه عوض،ج2 ،المكتبة الثقافية ،بيروت لبنان،1411هـ/1991 م،ص435.

(3)نفسه: ج2،ص240.

(4)ابن الزيات:المصدر السابق،ص ص 119، 156، 217 ،339.

(5)نفسه:ص88؛ ابن مريم:المصدر السابق ،ص122.

(6)الصدّفي :المصدر السابق ص62؛الغبريني:المصدر السابق ،ص136.

(7)الثريد:يتكون من أنواع من اللحم والدجاج ممزوج بكثير من التوابل وكرات اللحم والبيض والزيتون ،أنظر:دايفد وينز:فنون الطبخ في الأندلس،ترجمة عبد الواحد لؤلؤة،مجلة الحضارة العربية الاسلامية،ج2، ص1021.

(8)ابن الزيات:المصدر السابق،ص ص 80 ، 284،372 .

(9)نفسه:ص ص 181 ،303.

(10) نفسه:ص ص 91 ،159 ؛الغبريني :المصدر السابق،ص169.

(11) التنبكتي:نيل الابتهاج...،ص 34.

البحر فباعه واشترى بثمنه خبزا ،ولم يأكل بعضهم ما يباع في الأسواق فاقتصر أحدهم على لحم ما يذبحه من ماشية[1]

وبالرغم من تقلل المتصوفة في أكلهم وتقشفهم فيه إلا أنهم تعودوا على زجر النفس حتى أثناء أكل القليل،كأبي يعزي الذي كان يأكل الخبازي"ويزأر كالقاهر لنفسه ويقول لها،ليس لك عندي إلا هذا "[2]مما يدل على أن المتصوفة في هذه الفترة حرصوا كثيرا على مجاهدة النفس وقهرها باعتبارها منبعا للشهوات والغرائز[3]، وفي المقابل اقتصر بعض المتصوفة على ما يجود به الناس عليهم من صدقات [4]،إلى جانب الهبات التي يهبها الله لهم وكانوا يسمونها بالفتوح[5]،كأبي العباس التوزري الذي وُجد عنده طعام أثناء اعتكافه، و هو عبارة عن خبز ولم يكن يعلم أحد من أين يأتيه الطعام[6]،غير أن هناك من المتصوفة من قضى معظم دهره صائما لا يفطر[7]، وتقشُّف المتصوفة وتزهدهم في الأكل لا يجعلنا نجزم بعدم قدرتهم على اكتساب أشهى أنواعه،فالمتصوف أبو يعزى كان يطعم ضيوفه العسل ولحم الضأن والدجاج،وأطعم آخر ضيوفه من الصلحاء الاسفنج والعسل[8] ،وهم بهذا تأنسّوا بالسلف الصالح[9]،وكانت البركة تنزل على طعامهم فيطعمون منه غيرهم من أكلهم حتى ولو كثر عددهم[10].

---

(1)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 186 ،339 .

(2)نفسه، المصدر السابق،ص115 ،197.

(3)نفسه:ص426.

(4)ابن عبد الملك:المصدر السابق، السفر1، القسم 2 ،ص305.

(5) برنشيفيك:المرجع السابق،ج2 ، ص340.

(6)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 427 ،428 ،442 .

(7)نفسه:ص228؛الضبّي:المصدر السابق،ص ص 166 ،244 ؛المقري:نفح الطيب ،ج2 ،ص159.

(8) ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 230،197.

(9)فعن عثمان رضي الله عنه أنه كان يطعم غيره طعام الإمارة ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت، أنظر أبو نعيم الأصفهاني:المصدر السابق ،ج1،ص98.

(10)ابن الزيّات:المصدر السابق ،ص ص 116 ،172.

أما بخصوص طريقة الأكل فقد كانوا يؤثرون غيرهم في الأكل على أنفسهم، فهذا أحد المتصوفة كان إذا أكل مع مجموعة من المريدين يبقى آخرهم في الأكل[1]،وقد جعل ابن عربي آدابا خاصة للأكل،فرأى أنه على"كل آكل أن يتناول من الطعام أقربه إليه دون التوغل ابتغاء الحصول على قطعة أطيب،ولا النظر إلى يد جاره أو وجهه... وعند كل لقمة عليه أن يحمد الله وهو يمضغها ويبتلعها حتى يبارك له الله في إطعامه"[2]ولم يَرِد استخدام المتصوفة للملاعق أو الموائد بل زهدوا فيها هي الأخرى على عكس غيرهم من أفراد المجتمع إبّان هذه الفترة[3].

جـ- مساكنهم:

تميزت مساكن المتصوفة خلال هذه الفترة بالتواضع، ورغم التقشف الذي عُرفوا به إلاّ أننا نجدهم قد امتلكوا بيوتا سكنوا فيها [4]،وانفرد المتصوفة بسمة خاصة بهم وهي اختيارهم لمواقع خاصة فضّلوا أن تبني فيها منازلهم ودُورُهم،ومن الأماكن التي اشتهرت بوجود بيوتهم بجوارها المساجد إذ نجد تراجم العديد من المتصوفة والمتعبـدين الزهاد ثرية جدا بهذه الميزة[5]

هذا فضلا عن أنهم اختاروا الأماكن البعيدة عن الضوضاء والعمران لبناء منازلهم[6]؛ويرجع ذلك لتفضيلهم الأماكن الخالية حتى تكون عاملا مساعدا لهم على مزاولة حياة الزهد والاعتكاف والانقطاع للعبادة.

وقد وردت في بعض التراجم كلمة دويرة تصغيرا لحجم المنزل الذي عاش فيه بعض المتصوفة لأنهم لم يسعوا لامتلاك أفخم البيوت ،والمنازل بل نجدهم زهدوا فيها هي الأخرى[7]

---

(1)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص292.

(2)بلاثيوس:المرجع السابق،ص137.

(3)وقد أُستعملت في الأكل خلال عصري المرابطين والموحدين الملاعق في أكل بعض الأطباق كما زُيّنت الموائد بسماطات جلدية إلى جانب مناديل جميلة للمسح بعد الأكل ؛أنظر Levi -provençal:Histoire de l'Espagne musulmanes,maisouneure et larose , paris Françe,1999,T3,PP420,421.

(4)الصدفي:المصدر السابق:ص ص 76 ،93 ،94 ؛الششتري :المصدر السابق،ص 91 ؛ابن أبي زرع:المصدر السابق ،ص171.

(5)ابن الزيات:المصدر السابق ،ص ص 104 ،297 ،399.

(6)نفسه:ص352.

(7)نفسه:ص399 ؛أبو العباس المراكشي: المصدر السابق ،ج1 ،ص229.

حتى أن المتصوف أبا الربيع التلمساني كانت لزوجته دار بفاس عمل على بيعها بتدبير من تلامذته واشترى بدلها دويرة[1]

والجدير بالذكر هنا هو إقبال أحدهم على بيع داره وآثر الإقامة بجامع القرويين مستقبلا القبلة مدة أربعين سنة[2]،وظاهرة حب البقاء في المسجد لم تميز هذا المتصوف فقط بل وُجدت لدى العديد منهم، فقد فضلوا العيش في المساجد والبقاء فيها معظم الوقت[3]،وانفردت جماعة من المتصوفة بإقامتها في الربط والثغور للعبادة كأبي محمد صالح الذي نزل برباط آسفي[4]،إلى جانب أنهم أقاموا برباط روطة[5]،والمنستير الذي اعتكف فيه أحد تلامذة أبي مدين[6]،هذا فضلا عن الرابطة التي بناها أبو اسحاق الأندلسي وانقطع فيها وكان المريدون يأوون إليها ،كما عُرفت المتصوفة العجوزمنية بإقامتها برباط شاكر[7]،بيد أن غالبية المتصوفة أمضوا جل حياتهم سائحين في الصحارؤى أو متنقلين بين المدن،لذا لم يلتزموا بمكان معين للإقامة فيه[8]،في حين سكن بعضهم الجبال واعتكفوا فيها للعبادة كالمتصوفة الهسكورية التي انعزلت عن الناس بجبل درن وسار على نهجها متصوف آخر[9]،وهناك من المتصوفة من آوى إلى الكهوف والمغارات[10]،وأقام أبو العباس

---

(1)الحفناوي:المصدر السابق،ج2،ص178.

(2)ابن أبي زرع:المصدر السابق،ص ص 173 ،174.

(3)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 81 ،176 ،298 ،387 ؛الصدفي :المصدر السابق، ص63 ؛ابن الآبار :التكملة،ج2 ص687؛ابن مريم:المصدر السابق ،ص69.

(4)السلاوي:المصدر السابق،ج3 ،ص254.

(5)الصدفي:المصدر السابق،ص83.

(6)برنشفيك:المرجع السابق ج2 ،ص337.

(7) ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 298 ،313.

(8)نفسه:ص102؛ابن أبي زرع:المصدر السابق،ص107 ؛النبهاني :المصدر السابق،ج2 ص ص 338 ،526

(9)ابن الزيّات :المصدر السابق ،ص ص 256 ،323.

(10)نفسه:ص ص 221 ،223 ،316 ،430؛ابن القاضي :المصدر السابق القسم1 ،ص335.

السبتي بالمقابر[1]،كما كان فيهم من أقام تحت ظل خيمة من الشجر ،بل هناك من لم يجد مأوا له سوى التظلل تحت الأشجار والجدران أو في المرتفعات وبطون الأودية ،وكان أحد المتصوفة يجلس رفقة الفقراء من أصحابه على السطح[2]،واعتبر أحدهم أن امتلاكه لسكن يدفعه إلى مخالطة أصحاب السلطة من العمال فتغاضى عن الإقامة بمكان يملكه[3].

وبالنسبة للأثاث الذي جهز به المتصوفة بيوتهم فقد تمثل في السُليخة[4] للنوم والحصير للصلاة[5]،ولم يمتلك أحدهم إلاّ حصيرة استعملها للنوم ،كما امتلكت المتصوفة منية هي الأخرى حصيرة ،في حين استغنى عنها البعض أثناء أوقات البرد[6]،ومن الممكن أن يكون بعض المتصوفة قد خصّصوا ركنا من بيوتهم للكتب التي كانوا يعتزلون لقراءتها.[7]

د- حياتهم الأسرية:

عاش المتصوفة حياتهم العائلية بشكل عادي ،فزُهدهم في الحياة واعتكافهم على العبادة وتقشفهم لم يسلبهم حقهم الشرعي في الزواج وتكوين عائلات تحمل أسماءهم،وكتب المناقب والتراجم غنية بأسماء متصوفة تزوجوا ورزقوا بأولاد[8]وقد بُشّر أبو مدين شعيب من قبل أبي يعزى بأنه سيتزوج جارية حبشية ويرزق منها ولدا وفعلا هذا ما حدث له[9]وابن عربي هو الآخر تزوج بالسيدة مريم التي كان يمتدحها لسمو فكرها وروحها[10]،والتزم المتصوفة المتزوجون بتوفير حاجيّات أسرهم، إذ أنفق أحدهم على زوجته وعياله من الأجرة التي كان يأخذها عن تعليمه

---

(1) التنبكتي:نيل الابتهاج:...ص34.

(2)ابن الزيات:المصدر السابق ، ص ص 186 ،242 ،248 ،458.

(3) نفسه:ص261؛ أبو العباس المراكشي:المصدر السابق،ج4،ص120.

(4)السُليخة:جلد شاة مدبوغ بصابونة،أنظر ابن الأبار:التكملة ج2، ص687.

(5)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 129،170؛ابن الآبار:التكملةج2، 687

(6)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 296،315،458.

(7)ابن الأبّار:المصدر السابق،ج1،ص61 ؛ ابن عبد الملك:المصدر السابق :السفر5 ،القسم 1 ،ص430.

(8)ابن الزيّات:المصدر السابق، ص ص 114 ،126، 129، 155، 233، 345 ؛الصدفي:المصدر السابق ص78؛ ابن عبد الملك:المصدر السابق ،السفر 1،القسم1،ص305.

(9)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص327.

(10)شوقيلي:المرجع السابق،ص95.

للصبيان ،إضافة إلى عائدات بيعه للقلانيس التي كان يصنعها[1] ،ورغم ما بلغه أحدهم من الفاقة إلا أنه تخلى عن نصف كسائه الذي كان يرتديه لزوجته التي ولدت،وهذا ابن حرزهم وقد اشتغل باله بكيفية شراء لباس لزوجته لحضور العرس، كما قام أبو عمران الهسكوري بتحمل مسؤولية تربية ابنه الصغير بعد وفاة زوجته [2]،وكان عبد الحق الاشبيلي يعطي لوصيفة بيته أضعاف ما تحتاجه لقضاء حوائج بيته[3]،وحتى النساء المتصوفات تزوجن كأم سلامة العجوز التي كان لها ولد اسمه محمد[4]،وقد نصح المتصوف أبو العباس السبتي فقيرا اشتكى من حاله مع الفقر بالزواج لأنه"كان يرى في أن ما يذهب الفقر من النكاح"[5].

والحقيقة أنه هناك من متصوفة هذه الفترة من كانت له نظرته الخاصة اتجاه المرأة بصفة خاصة والزواج بصفة عامة ،إذ اعتبروا "النساء أضر شيئ على الرجل فإنهن فاتنات وحبائل الشيطان فالسلامة في الابتعاد عنهن على كل الأحوال"[6]،لذا نجدهم ابتعدوا عن عائلاتهم واعتزلوها واعتكفوا في أماكن خاصة بهم[7]،حتى أن متصوفا آخر كانت له ابنة رحل عنها وتركها عند أحد أصحابه ،زيادة على هذا لم يتوان أحدهم عن ترك أبنائه وبناته وخرج رفقة ابنه الأكبر للرباط قرب البحر حتى مات،أما بن محيو الهواري فقد طلّق زوجته التي كانت ابنة صديقه وقام متصوف آخر بالزواج بعد وفاة زوجته بأخرى جميلة إلاّ أنّه طلّقها مخافة الفتنة،واعتبر أحدهم أن الزواج وتكوين عائلة ليس بأهمية عبادة الله عزّ وجلّ والانقطاع له[8]،والتزم بعض المتصوفة بعدم الزواج وتكوين أسر وبقوا على العزوبية بقية حياتهم إلى أن ماتوا[9]،حتى أن أحدهم لم يكن له لا أهل ولا ولد[10]،

---

(1)الصدفي:المصدر السابق،ص76.

(2)ابن الزيات :المصدر السابق،ص ص 126 ،152 ،345 ،418.

(3)الغبريني:المصدر السابق،ص75.

(4) ابن الزيّات:المصدر السابق،ص397.

(5)أبو العباس المراكشي:المصدر السابق،ج1،ص259.

(6)التليدي:المرجع السابق،ص57.

(7)ابن عبد الملك:المصدر السابق،السفر5،القسم1،ص430.

(8)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص144 ،155 ،159 ،274 ،430 ، 464.

(9)نفسه:ص ص 114 ،420 ،424 ؛ابن الآبّار :التكملة...ج1 ،ص ص 169-687

(10)ابن الآبار:التكملة...ج1 ،ص 104.

والنساء المتصوفات هن الأخريات كانت فيهن من رفضت الزواج وبقيت عازبة، كأخت المتصوف عبد العزيز التي انقطعت للعبادة وماتت وهي بكر[1]،والعجوز نونّة فاطمة بنت ابن المثنى التي لزمها ابن عربي خادما لها مدة سنتين[2].

و- مهنهم:

إن طابع الزهد والتقشف الذي عُرف به متصوفة الغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين لم يَحُل دون ممارستهم لمهن وحِرَفْ، إذ اعتمدوا على أنفسهم في كسب عيشهم،وقد تنوعت المهن التي زاولوها كل حسب قدرته،ومن المهن التي عملوا فيها الرعي[3]،وتجارة العطر[4]،و باع أحدهم بدكانه الاسفنج والهريسة،كما باع آخر الأطباق التي صنعها بيده،إلى جانب قيام متصوف آخر بصناعة حصائر الصلاة بالعزف وباعها هذا،فضلا عن من كان يبيع أحجار الأرحاء التي يصنعها بنفسه،والمتصوف أبو جعفر باع السمك والعسل،وهناك من تاجر في أواني الفخار[5] ،وباع متصوف آخر مراوح الحلفاء[6]،وكان الحلوي يبيع الحلوى للصبيان ويتصدق بثمنها[7]،وابن المرأة كان تاجرا بسوق الغزل بمالقة[8]،وهناك من عمل مع والده في التجارة كأبي العباس المرسي[9]،ولُقّب بعض المتصوفة باسم مهنهم كعبد الله مالك بن علي الذي عُرف بالقلانسي نسبة لاشتغاله في صنع القلانيس وبيعها[10]،وأبي عمران الحلاج الذي عمل

---

(1)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص70.

(2)بلنثيا:المرجع السابق،ص372.

(3)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 114، 197 ،317 ؛أبو العباس المراكشي:المصدر السابق ،ج1 ص408؛ بن منصور : المرجع السابق ج2 ،ص15.

(4) ابن الزيّات:المصدر السابق :ص ص 147 ،246 ؛ابن عبد الملك:المصدر السابق ،السفر1،القسم 1، ص260.

(5)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 228 ،259 ،288 ،316 ،362 ،415 ،429 ،451.

(6)ابن عبد الملك المراكشي:المصدر السابق ،السفر 1،القسم1 ،ص305.

(7)يحي بن خلدون:المصدر السابق:ج1،ص128.

(8)ابن الخطيب:الاحاطة...ج1،ص325.

(9)عبد الحليم محمود :المرجع السابق،ص36.

(10)الصدفي:المصدر السابق،ص76.

حلاجا للقطن[1]،كما عملوا بنسخ الكتب[2]،إضافة إلى هذا نجد من المتصوفة من عمل بالخياطة والحياكة[3]،فابن العريف عمل في صغره عند حائك[4]،وكان أبو مدين يعمل في أوقات الفراغ مع النّساجين[5]،كما نجد بعض المتصوفة قد عملوا في الفلاحة[6]،ومنهم من عمل جزّارا[7]،وعمل أحد المتصوفة حارسا لبستان قاضي سبتة، إلى جانب اشتغال متصوف آخر في خراطة الخشب[8]،وعمل أبو جعفر بحمل سلال العنب على ظهره ،وأبو علي الحبّاك عمل زبّالا[9]،واقتصر عمل مجموعة من المتصوفة على خدمة غيرهم من المتصوفة كأبي بكر بن مرزوق الذي عمل على خدمة أبي مدين شعيب، وتولت عائلته من بعده خدمة مقام أبي مدين بجبل العبّاد[10] ،وعمل آخر على خدمة أهل المكان الذي كان يسكن فيه وساعد الضعفاء إذ تولى بنفسه سقاية الماء للأرامل ،كما كان

---

(1)ابن الزيات:المصدر السابق،ص330.

(2)الضبي:المصدر السابق،ص60؛يحي بن خلدون:المصدر السابق،ج1،ص108.

(3)الهواري:مناقب أبي العبّاس،ورقة 2 الوجه؛ابن الزيّات :المصدر السابق ص ص 132 ،146 ؛الصدفي:المصدر السابق،ص ص 79 ،811.

(4)ابن الآبار:المعجم...،ص19.

(5)الخلاّدي:المرجع السابق،ص287.

(6)ابن الزيات:المصدر السابق،ص411؛الصدفي ،المصدر السابق،ص65؛الغبريني :المصدر السابق ص225.

(7)ابن الزيات:المصدر السابق،ص79 ؛ابن أبي زرع :المصدر السابق ،ص107.

(8)الصدفي:المصدر السابق،ص ص 91 ،92.

(9)ابن الزيات:المصدر السابق،ص ص 242 ،342 ،415 ،459.

(10)فرّوخ:تاريخ الأدب،ج6،ص546.

يحمل لهن الخبز إلى الفرن[1]،والمتصوف أبو الربيع التلمساني عمل موثقا بسلا،ولم يكن يأخذ أكثر من حقه فيها[2]،وعمل أحدهم مؤذنا، وأبو مدين شعيب عمل أجيرا لصيادين ،ثم دخل في جملة الأجناد بالأندلس،بينما كان المتصوف أبو علي المؤذن أجيرا يدبغ الجلود[3]،إلى جانب التعليم الذي مارسه العديد من المتصوفة[4].

والجدير بالذكر هو أن بعضهم نال شهرة وتولى مناصب عُليا كالقضاء[5]،وهناك من أسندت إليه الكتابة فكتب لدى أرباب السلطة [6]،هذا ناهيك عن المتصوفة الذين عملوا بالحسبة إبّان هذه الفترة كابن العريف الذي ولّ الحسبة ببلنسية [7]،ومروان بن عبد الملك اللمتوني الذي قدم إلى مدينة فاس وتولى الحسبة بمراكش [8]،بل حظي بعضهم بمكانة مرموقة لدى الأمراء وأرباب الدولة فهذا أبو العباس الخزرجي قد أسند إليه الخليفة الموحدي أبو يعقوب خدمة الخزانة العالية والتي كانت من المناصب الجليـلة[9]،غير أنه كان من المتصـوفة من

---

(1) ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 342.

(2)نفسه،ص273؛الحفناوي:المصدر السابق، ج2،ص178.

(3)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص146، 317 ،392.

(4)نفسه:ص ص 288،163 ؛الصدفي:المصدر السابق ،ص64؛ابن أبي زرع:المصـدر السابق ص173 ؛ابن الأبار التكملة ....،ج1 ص235 ؛التنبكتي :نيل الابتهاج :ص34.

(5)الضبي:المصدر السابق،ص244 ؛ابن القاضي:المصدر السابق القسم 2،ص420 ؛ابن الأبار :التكملة ...ج1 ص107 ، الغبريني :المصدر السابق ص ص 68 ،73 ،86.

(6)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص373 ا؛ابن عبد الملك :المصدر السابق،السفر6، ص494.

(7)ابن الآبار:المعجم:...،ص19 ؛ابن الأبار:المقتضب،ص70.

(8)ابن القاضي:المصدر السابق،القسم1،ص334

(9)ابن فرحون:المصدر السابق،ص118.

امتلك ثروة وانحدر من عائلة مشهورة كابن سبعين الذي نشأ مترفًا،وتلميذه الششتري الذي انتمى إلى عائلة الأمراء[1]،والمتصوف أبي بكر العابد الذي كان صاحب ثروة[2].

بيد أن المتصوفة لم ينتموا دائما إلى الطبقات الثرية،بل نجد فيهم من انتمى إلى الطبقات المهمّشة في المجتمع،فمنهم من كان لصًا من قطاع الطرق،بل ومنهم من زاول الدعارة ومن لم يكن له أصل، وحسبنا في ذلك أبو يحي ابن محيو الذي لم يُعرف عنه سوى اسمه ،كما كان بعضهم ممن يشرب الخمر ثم تاب عن ذلك[3].

وما يلفت الانتباه وبشدة عند تصفح كتب المناقب والتراجم هو أن المتصوفة إبّان عصري المرابطين والموحدين كانوا يرفضون تولّى مناصب عليا ،بل وتخلوا عنها فور انتحالهم التصوف كمحمد بن عبد الله الأنصاري الذي تولى عقد الشروط إلا أنه رغب عنه فيما بعد[4]،كما عُرض على آخر قضاء حاضرة افريقية وتمنّع عنه، وعُرض على أبي عبد الله بن شعيب القضاء وامتنع عنه هو الآخر[5]،وقد أعرض أبو العباس بن مطرف عن المال والجاه بالرغم من إقبال الثروة عليه[6].

هـ- وفاتهم وقبورهم:

فضّل متصوفة الغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين الموت يوم الجمعة،وكانوا يتمنون ويدعون المولى عزّ وجلّ بتحقيق ذلك ،فأبو عبد الله محمد بن الحسن البصلتي(ت595هـ/1198 م)دعا ربه الموت"يوم الجمعة بعد صلاة الصبح"[7]،وهذا متصوف آخر كان لا يُسمع منه الكلام خلال أيّام الثلاثاء والأربعاء والخميس إلاّ الدّعاء بالموت يوم الجمعة،وكان إذا جاوزه يوم السبت ولم يمت يأسف لذلك،فإذا حلّ يوم الثلاثاء بدت عليه البهجة والسرور لأمله في الموت يوم الجمعة إلى أن توفي يوم الخميس ،ودفن يوم الجمعة[8]،وفعلا من خلال تراجم العديد

---

(1)ابن الخطيب:الإحاطة...ج4 ،ص ص 32، 206.

(2)ابن الأبار:التكملة:....ج1، ص76.

(3)ابن الزيات:ص ص 100، 212 ،218 ،404، 424

(4)ابن الأبّار:التكملة...ج2، ص651.

(5)الغبريني:المصدر السابق،ص ص 116 ،173.

(6)ابن عبد الملك :المصدر السابق ،السفر 1، ،القسم 1، ص48.

(7)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص346.

(8)ابن عبد الملك:المصدر السابق،السفر5،القسم1،ص371.

من المتصوفة تبين لنا أن معظمهم كانت وفاته إما يوم الجمعة أو ليلتها[1]،كما أن وفاتهم كانت في أغلب الأحيان في شهر رمضان [2].

وكان المتصوفة يتنبؤون بدنو وقت وفاتهم[3]،وحرصوا إبّان هذه الفترة على ترك وصايا قبل وفاتهم تخص جنائزهم وقبورهم ،إذا أوصى أحدهم بشراء كفن وقُلة وقدح قبل وفاته،وأمر أبو موسى الدكالي أن تكون مصاريف جنازته من الدراهم التي تركها تحت فراشه، وهي ثمن المصحف الذي باعه،كما أوصت الشابة الهسكورية قبل وفاتها أن تستر بثوب خلق بعد وفاتها[4]،وقد أوصى أبو الحسن علي بن محمد الزواوي أولاده حين بكوا عليه بقوله:" لا عليكم مهما أصابكم أمر أو عارض فأتوا إلى قبري واذكروا شكواكم واسألوا الله يفرج عنكم"[5]،وأوصى أحدهم أن يصليّ عليه تلميذه وهو علي شفير القبر[6]،وأمر الحرالي أن يُقرأ عليه القرآن ويحضر له كفنه، وأوصى أن لا يحمله بعد موته إلاّ الفقراء[7]،وقام متصوف آخر بتطهير ملابسه الرثة بماء زمزم وأمر أن يكفن فيها[8]،والظاهرة التي ميزتهم قبل الوفاة هي الاغتسال والوضوء والصلاة إذ أن بعضهم توفي وهو يصلي[9]،حتى أنهم في بعض الأحيان كانوا يتزينّون قبل الوفاة ،فابن حرزهم قام بالتّطهر فتوضأ في

---

(1)ابن الزيّات :المصدر السابق،ص ص 96 ،241 ،301 ،447 ،478؛ابن أبي زرع:المصدر السابق،ص173 ؛المقري:نفح الطيب...ج2 ،ص162 ؛الغبريني:المصدر السابق،ص136.

(2)ابن الزيّات :المصدر السابق ص ص 64 ،295 ،436 ،447 ،469 ؛الغبريني :المصدر السابق ،ص136 ؛ابن عبد الملك المصدر السابق ،السفر6،ص70.

(3)ابن الزيات:ص ص 137 ،149 ،211 ،241 ،293 ،403 ،447؛التنبكتي :نيل الابتهاج ،ص183 ؛الغبريني المصدر السابق ص 155.

(4)ابن الزيات:المصدر السابق،ص ص 145 ،187 ،256.

(5)الغبريني:المصدر السابق،ص134.

(6)أبو العباس المراكشي:المصدر السابق،ج1،ص190 .

(7)الغبريني:المصدر السابق،ص155.

(8)ابن عبد الملك:المصدر السابق،السفر1، القسم 1 ،ص364.

(9)ابن الزيات:المصدر السابق،ص ص 137 ،186 ،232.

اليوم الذي توفي فيه وتطيب ونام فوُجد بعدها ميتا[1]،وفكرة الاغتسال والوضوء وشرب ماء زمزم وتطهير الكفن به والتطيب، تدل على مدى حرص المتصوفة إبّان هذه الفترة على الطهارة والتقرب من المولى عزّ وجلّ حتى أثناء الاحتضار،وأرادوا بذلك الموت على طهارة الظاهر بالماء والباطن بالدعاء والصلاة.

وكان متصوفة هذه الفترة يجمعون الناس قبل وفاتهم ويعظونهم ويودعونهم،إذ قام أحدهم بتوديع الحاضرين أمامه ثم غطى وجهه ومات،كما وعظ أبو زكريا بن الزواوي للناس يوم الجمعة وأخبرهم بدنو أجله وصلّى بهم الجمعة ومات بعدها[2]،وفيما يخص قبورهم فقد حرص بعضهم على حفرها قبل وفاته بنفسه أو بتوصية أحد من أهله أو أصحابه على حفرها[3]،وكانوا يحدّون أماكن دفنهم ويختارونها بأنفسهم ويوصون بعد ذلك بدفنهم فيها، وكانت تتمثل في الربط وبجوار قبور أصدقائهم ،وبالمساجد ،كما دفنوا في الأماكن التي جاؤوا منها كأبي علي مالك الذي دفن في بلاده رغم أنه توفي بمراكش[4]،وحملت الأماكن التي دفنوا فيها في كثير من الأحيان أسماءهم ،كرابطة التونسي التي حملت اسم أبي محمد عبد السلام التونسي والذي دفن بالعبّاد بهذه الرابطة[5]،ودفن أبو سعيد خلف بن يحي التميمي الباجي في ربوة حمت اسمه ،كما حمل المكان الذي دفنت فيه للا المنوبية اسمها فعرف بالمنوبية [6]،وقد بُني بقرب قبر أحد المتصوفة مسجد جامع حمل اسمه[7]ودفن بعضهم عند أبواب المدن كأبي عبد الله الشوذي الحلوي الذي دفن في شمال مدينة تلمسان وحمل مدخلها الشمالي اسمه فأصبح يعرف باسم باب الحلوى.[8]

2- موقف المتصوفة من مشاكل المجتمع:

لعبت كرامات المتصوفة دورا فعّالا في الحياة بالغرب الإسلامي إبّان عصري المرابطين و الموحدين، إذ مثّلت موقف هذه الشريحة من معاناة المجتمع،وكانت بمثابة وسيلة سلمية استخدمها

---

(1)ابن أبي زرع:المصدر السابق،ص71؛التنبكتي:نيل الابتهاج،ص183.

(2)ابن الزيات:المصدر السابق،ص225 ،447.

(3)نفسه،ص ص 144، 452 ؛الغبريني:المصدر السابق،ص155.

(4)ابن الزيات:المصدر السابق ص ص 104 ،108 ،119 ،259 ،439.

(5)نفسه ،ص88.

(6)برنشفيك:المرجع السابق،ج2 ، ص ص 337 ،344 ،345.

(7)السلاوي:المصدر السابق،ج3،ص253.

(8)بونابي :المرجع السابق ص 175.

هؤلاء المتصوفة للتعبير عن رفضهم لتلك الظروف والمشاكل التي يتخبط فيها،فعبرّت عن آمالهم في إيجاد حلول لها ،ونظرا لعدم قدرة هذه الشريحة على التعبير عن رفضها بشكل مباشر وعلني قامت بتوظيف رموز كراماتها المختلفة كوسيلة تعبرّ عن رؤيتها للواقع المعاش وعن الحلول التي تسعى لتحقيقها ،فترجمت تلك الكرامات مواقف المتصوفة إزاء العديد من القضايا فلم تكن مجرد قصص خرافية،فالكرامة"بنية أساسية في الفكر البشري،وهي مرتبطة بنمط مجتمعي وبأسلوب معيشي في الوجود "[1]،وقد عُبّر عنها بأنها"كل بعد خارق للعادة ظهر على يد عبد ظاهر الصلاح في دينه متمسك بطاعة الله في أحواله"[2]،وهي"تظهر على العبد تخصيصا له وتفضيلا ،وقد تحصل باختياره ودعائه،وقد لا تحصل له،وقد تكون يغير اختياره في بعض الأوقات "[3] ،وهناك من اعتبرها جزءًا مكملا لمعجزات الرسل عليهم السلام[4]، أما الونشريسي فرأى بأن الله اختص بها الصالحين من عباده.[5]

وتكون هذه الكرامات بشكل إجابة دعاء، أو طي الزمان والمكان، أو خرق كل قانون طبيعي كتوفير ماء في أوقات الجفاف وغيرها[6]،وهذا ما أطلق عليه ابن عربي اسم الكرامات الظاهرة أو المادية التي تشاهد[7]،وفيما يخص إثباتها وإنكارها فقد أفتى ابن رشد بصحتها، ورأى بأن مكذبيها ومنكريها أهل زيغ وبيّن أن انكارها بدعة وضلالة[8]،أما أبو مدين شعيب فاعتبرها من نتائج

(1) بوتشيش:المغرب والأندلس...ص141.

(2)نفسه:ص141.

(3)القشيري:المصدر السابق،ص430.

(4)ابن مريم:المصدر السابق،ص110.

(5)الونشريسي:المصدر السابق، ج1،ص209.

(6)بوتشيش:المرجع السابق،ص141.

(7)بلاثيوس:المرجع السابق،ص194.

(8)أبو الوليد بن رشد(الجد):مسائل أبي الوليد بن رشد ،،تحقيق محمد الحبيب التجكاني مج1:ط2 ،دار الجيل بيروت،دار الآفاق الجديدة المغرب، 1414 هـ/1993 م ،ص509.

معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم[1].

تنوعت الكرامات الصوفية بحسب الموضوع الذي طرحت لأجله ،وكان لها الأثر القوي في تغيير بعض الأمور ولو بشكل نسبي فقط، ففي الجانب السياسي عالجت الكرامة فكرة الظلم والاستبداد التي ارتبطت بالعمال والأمراء وكل المقربين من السلطة ممن سعوا وراء تحقيق مصالحهم على حساب المجتمع،وعالج المتصوفة مثل هذه المظاهر في كراماتهم ،فدعا أحد المتصوفة في احدى كراماته على عامل مرابطي أراد قتل أحد الأشياخ فأصابه وجع قتله،وسعى المتصوفة إلى التشفع للناس المطالبين من قبل السلطة كما جرى مع أبي شعيب الصنهاجي الذي شفع لجماعة عزم والي أزمور على قتلها ،إلاذ أن هذا الوالي لم يقبل تشفعه فأصابه وجع ولما علم أن المتشفع أحد المتصوفة تقبل شفاعته فشفي، حتى أنه كلما رآه وأراد أن يعاقب أحدا صرفه قبل وصول الشيخ إليه[2].

يتبين مما سبق أن العقاب الذي كان يسلطه المتصوفة على الظالمين لا يزول إلا بزوال السبب الداعي لتسليطه عليهم،وإذا لم يتوقف الظالم عن ظلمه سيكون مصيره الموت لا محالة[3].

ورغم إقدام السلطة الموحدية على معارضة ما كان يدعو إليه أبو علي الحسن المسيلي ،ونتيجة لتخوفها مما عُرف عنه من شعبية طالبته بالالتزام بأموره الخاصة فقط،إلا أنه أبدى عدم اهتمامه بما ستقدم عليه إزاءه،وفي الوقت الذي كان فيه رسول الخليفة الموحدي عنده أصيب هذا الأخير بوجع كاد يقضي عليه لو لم يَرُد باعتذاره لأبي علي المسيلي[4]،وفي بعض الأحيان كانت كرامات المتصوفة تحدث على أرض الواقع وعلى مرأى من السلطة،وحسبنا في ذلك ما جرى للمتصوف أبي شعيب أيوب سعيد الصنهاجي عندما أُشخص إلى مراكش للمناظرة،غير أنه عند دخوله على عبد المؤمن هابه هذا الأخير لما رآه من كرامته ،والتي تمثّلت في انهدام قبة قصره فهاله الأمر ودفعه إلى تعظيمه وأمر بزيارته[5]،وعبّرت الكرامات على موقف المتصوفة من جباة الضرائب الذين بالغوا في تعسّفهم وظلمهم للناس، فعمد المتصوفة في بعض الأحيّان إلى جعل

---

(1)التنبكتي:نيل الابتهاج،ص127.

(2)ابن الزيّات:المصدر السابق ،ص ص 109 ،129 ،130 ،167

(3)بوتشيش :المغرب والأندلس...ص145

(4)الغبريني:المصدر السابق،ص ص 68 ،69.

(5)بوبة مجاني:عبد المؤمن بن علي والحركة الصوفية ،الملتقى الوطني الثاني حول عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي الجزائري والدولة الموحدية ،الجمعية المحافظة على التراث التاريخي والثقافي لمدينة ندرومة وضواحيها ،ط1،ندرومة 03 إلى 06 نوفمبر 1998 م /13 إلى 16 رجب 1419 هـ، ص 111.

هؤلاء الجباة يُقْدمون على تصحيح ما فعلوه دون أن يدروا بذلك،[1] وقدسلط أبو مدين شعيب الجن على الجباة في البوادي.[2]

وأشارت كرامات المتصوفة إلى تفوقهم بحكمتهم على الأمراء أنفسهم، [3]فقد نصح أبو زكريا يحي بن محمد الجراوي الأمير المرابطي تاشفين بن علي بأن لا يجازف بمروره إلى وهران للقاء الموحدين إذ تنبأ بنهاية دولته[4]،كما أنهم سعوا من خلال كراماتهم إلى تحقيق الوحدة بين القبائل المغربية [5]،وتعدّوا ذلك إلى توظيفها في الحروب التي خاضها المسلمون ضدّ النصارى، كما جرى مع أبي مدين شعيب الذي خرج إلى الصحراء فور علمه بانتصار النصارى على إخوانه المسلمين،ورافقه أصحابه وجلس على كثيب فإذا بالخنازير قد انتشرت في الصحراء،فذهب ناحيتهم وعندما صار بينهم علا بسيفه على رؤوسهم حتى تمكن من قتل عدد كبير منهم والبقية عادت أدراجها هاربة ،حينها أخبر أتباعه بأن هؤلاء هم النصارى ،وبعد عودة المجاهدين إلى المغرب شكروه على حمايته لهم أثناء المعركة ،وأخبروه أنه لو لم يكن بينهم لقضي عليهم،وكان أبو مدين شعيب يبعد عن مكان المعركة بمسافة كبيرة –أكثر من شهر– هذا فضلا عن تحريره للأسرى المسلمين عند النصارى، إذ أظهرت كرامته أنه أُعتقل هو الآخر عندما كان على الساحل لكن السفينة توقفت عن الابحار فور صعوده عليها ،وبعدما تفطّن أصحابها بكون أن أبا مدين ولي أدركوا أن توقفهم ما هو إلا إحدى كراماته فأطلقوا سراحه،واشترط عليهم لنزوله من السفينة إخلاء سراح كل الأسرى فكان له ذلك،وهذه الكرامة تشير إلى أن المتصوفة قادرون على حماية الناس بقواهم الخارقة التي منّها الله عليهم دون غيرهم،[6]وأبدت الكرامات قدرة المتصوفة على مقاومة تعسف السلطة ،فمما أوثر عن عبد الله الأصم وهو بسجنه مكبلا أنه كلما حان وقت الصلاة يتنحى عنه الكبل فيخرج من سجنه ليؤم الناس في الصلاة دون أن يكشف أمره[7]وأبو

---

(1) ابن الزيات:المصدر السابق،ص466.

(2)بوتشيش:تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،أيلول(سبتمبر)1994 م ،ص116.

(3)بوتشيش:المغرب والأندلس،ص ص 145 ،146.

(4)ابن الزيات:المصدر السابق،ص116.

(5)نفسه:ص130.

(6)النبهاني:المصدر السابق،ج2،ص ص 117 ،120.

(7)ابن الزيات:المصدر السابق،ص134.

أبو يعزي هو الآخر سجن مع الوحوش والسباع الجائعة من قبل أحد العمال ،إلاّ أنّه تم إطلاق سراحه لما رآه العامل من كراماته ،إذ وجد الوحوش والسباع تحيط به ولم تفترسه حتى الكبل كان يسقط من رجليه،[1]وفي الوقت نفسه أبدت الكرامات موقف المتصوفة من ما كان يعانيه المجتمع من مشاكل وآفات كالجفاف والمجاعات،وجاءت بحلول لها، فقد ضرب ابن خزر الأوربي بعكازه في موضع انعدم فيه الماء فخرجت منه عين[2]،وعمد أحد المتصوفة إلى إخراج الماء من الحجارة [3]،كما أبدت كرامة أخرى مخاطبة متصوف للجراد الذي اجتاح تونس وأمره بالرحيل عنها فرحل من حينه ،وأبدى المتصوفة مواقفهم من السرقة من خلال كراماتهم التي جاءت لمعاقبة اللصوص، إذ عمد أحدهم إلى تسليط حشرة على المعتدين على بساتين إحدى القبائل ،فكانت تقتل كل من يقدم على نهب الثمار ،وقد أقدم أحد اللصوص على سرقة شاة المتصوف أبي محمد بن حمودة فوجد نفسه قد طاف بلحمها في كل مكان إلى أن وصل دار ابن حمودة وهو لا يشعر[4]، وتعكس هذه المكرامة موقف المتصوفة من السرقة ومحاولتهم معالجتها.

وحتى الجانب الأخلاقي أبدت فيه كرامات المتصوفة مواقفهم إزاء العديد من التجاوزات الأخلاقية التي عرفها المجتمع بالغرب الإسلامي ،وعبّرت من خلال رموزها عن رفضهم لما يجري من فساد وميوعة،واستخدم المتصوفة في ذلك مكاشفاتهم أو ما يعرف بالرؤية بالقلب ،إذ انفردوا بقدرة خارقة تجعلهم يكتشفون أسرار الناس وتفضح أخلاقهم الفاسدة[5] ،وحسبنا في ذلك أن أبا يعزى الذي كان يكشف أفعال الناس من خلال بروز العضو المسؤول على ذلك الفعل مخططا بالأسود[6]،كما أنه انفرد بكرامة أخرى استطاع من خلالها أن يدفع الناس إلى الصلاة وهي أنه كان يشم رائحة الكلب من الإنسان الذي لا يصلي فينهره ولا يدعه يدخل عليه[7]،ودخل أحدهم على أبي مدين شعيب وحضر مجلسه لرغبة الاعتراض عليه، بيد أنه كشف أمره بإحدى كراماته،

---

(1)الصباع القلعي:بستان الأزهار،الورقة 491 الظهر.

(2)ابن القاضي:المصدر السابق،القسم2 ص561.

(3)ابن الزيات:المصدر السابق،ص253.

(4)نفسه: ص ص 159،434،433،361.

(5)بوتشيش:المغرب و الأندلس،..،ص149.

(6)النبهاني :المصدر السابق،ج2،ص527.

(7)الصبّاع القلعي:بستان الأزهار، ورقة 51 ،الوجه .

إذ أمره أن يخرج المصحف الذي عنده ويفتحه ويقرأ أول سطر فيه[1]،فإذا به في قوله تعالى(الذين كذّبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين)[2]،وكانت هذه الآية هي جواب أبي مدين على ما كان في نية الرجل،وتبين من خلال هذا أن كرامات المتصوفة جاءت لتميط شك الناس في قدرتهم وإنكارهم لما يجري على أيديهم من كرامات ألهمهم الله بها.

وعبّرت الكرامات على رفض المتصوفة لظاهرة شرب الخمر، إذا ثبتت توبة العديد ممن كانوا مدمنين عليها، فهذا متصوف اعترض طريقة سكّير سأله في التصدق عليه حتى يشتري الخمر ، فما كان على هذا المتصوف إلا أن أعطى له سروالا فارتد إليه السكير وهو مقبل على الله معلن عن توبته[3].

واجتهد المتصوفة في بلورة مجتمع بديل تذوب فيه كل المشاكل ،فدعوا من خلال كراماتهم إلى مجتمع فاضل خال من كل التناقضات[4] يساعد فيه الناس بعضهم بعضا،وتذوب فيه الفوارق الطبقية التي شكلّت الصدقة إحدى وسائل محاربتها،ومن خلال تقاسم الغني والفقير المال ينعدم الفقر ويتساوى الناس،ويعتبر أبو العبّاس السبتي أحد أعمدة التصوف ممن نادوا بهذه الفكرة[5]،وحاول المتصوفة الانطلاق من القاعدة لإعادة بناء مجتمع جديد[6]، ومن الكرامات الواردة في هذا السياق أن واليا مرابطيا أُعجب بكرامات أبي عبد الله محمد الأزكاني فتاب إلى الله واتبع طريقة التصوف، فقصد هذا المتصوف للتبرك به فما كان على أبي عبد الله إلاّ أن قال له:"أنت الآن كثمرة أخذت في اللقاح"[7]،وإن دل مضمون هذه الكرامة على شيء فإنما يدل على أن المتصوفة أرادوا تغيير المجتمع انطلاقا من تغيير الفرد، إذ رأوا فيه البذرة التي تنتج ذلك المجتمع المنشود،وما الروايات التي تتعلق بالحج والتي تتضمنها تراجم مختلف المتصوفة، إلّا دليل على أنها إحدى الوسائل التي تعيد البناء للإنسان وتهيؤه للولوج إلى حياة جديدة،والحج عبارة عن تجديد للقوى الروحية للإنسان ومرحلة بداية النضج والكمال ،إذ يقدم الإنسان أثناء الحج على ترك ذنوبه فيتفرغ بذلك إلى عبادة الله،وقد توجه العديد ممن تابوا إلى الحج لاستكمال توبتهم، وحسبنا

(1)ابن الزيات:المصدر السابق،ص323.

(2)الأعراف :آية 92.

(3)الغبريني:المصدر السابق،ص152.

(4) بوتشيش:المغرب والأندلس ،ص143.

(5) أبو القاسم الهواري :مناقب أبي العباس السبتي،ورقة 6.

(6)بوتشيش :المغرب والأندلس ،ص143.

(7) ابن الزيّات:المصدر السابق،ص371.

في ذلك أحد ولاة مدينة فاس الذي أقلع عما كان فيه وتاب وقصد الحج لأجل ذلك[1]،كما أن أحدهم كان من أهل الدعارة ثم تاب وقصد بعد توبته هذه مكة للحج[2]،حتى أن فيهم من كان يحج في كل عام كأبي يحيى بن موسى المليجي[3]،وعمد عدد كبير من التائبين إلى قصد مشائخ الصوفية للإعلان لهم عن توبتهم،أي أن الوقوف بين يدي الشيخ الصوفي يشير إلى التوبة والإقلاع عن الذنوب،وحسبنا في ذلك أبو زكريا بن يوغان الصنهاجي الذي أعلن عن توبته لأبي محمد عبد السلام التونسي، وأراد أن يدخل طريقة التصوف على يديه[4].

وإلى جانب الحج ورد ذكر الماء بكثرة في كرامات المتصوفة بمختلف المناسبات، وهو الآخر من الوسائل المعبّرة عن الطهارة من الذنوب[5]، فقد زار ابن حرزهم المتصوف أبا الفضل ابن النحوي فوجده يتوضأ وبعد فراغه من وضوئه نظر ابن حرزهم إلى الإناء فوجده مملوءا ماء[6]،والوضوء هنا يشير إلى الطهارة والتخلص من النجاسة وخروج عن الذنوب واستقبال حياة نقية، أما عدم نضوب الماء من الإناء فهذا يرمز إلى وجود تواصل فرص التوبة، المتاحة لكل من يرغب في التوبة والانضمام لمجتمع جديد خالي من الذنوب والعيوب ،والماء يرمز للحياة النقية الجديدة[7]،وقد وردت عدة كرامات تشير إلى مشي بعض المتصوفة على مياه البحر دون غرقهم وحسبنا في ذلك أبو عثمان سعيد الرجراجي الذي "كان ينام على لجج البحر وفي حجره كتاب تعبث الرياح بأوراقه ولا يصل إليه من رشاش الموج شيئ" [8]،ومياه البحر ترمز في هاتين الكرامتين إلي استمرار الحياة النقية الطاهرة وامكانية النجاة والخلاص لمن يأمل في ذلك[9] ،و ورد في كرامات أخرى أن المياه كانت تصل إلى المتصوفة متى احتاجوا إليها،فقد كان أحدهم يتوضأ من البئر دون أن يستخدم دلو لرفع الماء منه ذلك لأن المياه كانت ترتفع إليه ،كما أن أبا عبد الله محمد بن تميم كان يتوضأ من أعلى الساقية والماء يصعد إليه[10]،

(1)بوتشيش:المغرب والأندلس،.....ص143.

(2)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص212.

(3)نفسه:ص103.

(4)نفسه:ص101.

(5)بوتشيش: المغرب والأندلس ص ص 143-144.

(6) ابن الزيّات،المصدر السابق،ص ص 74-75.

(7) بوتشيش:المغرب والأندلس،ص144.

(8) ابن الزيات :المصدر السابق،ص94.

(9) بوتشيش:المغرب والأندلس ..ص144.

(10) ابن الزيات:المصدر السابق،ص ص 141-405.

وصعود المياه إلى المتصوفة يرمز إلى أن أبواب التوبة مفتوحة دائما والطريق إليها سهلة على كل من أخلص النية فيها.

وعمد أحد المتصوفة إلى البحر وأخذ يغرف الماء من بين رجليه ويسقي به أصحابه ماء عذبا[1]،والماء هنا هو الباعث على الحياة والمتصوف يلعب دور الوسيط الذي يساعد على الخلاص والنجاة[2] ،و ورد ذكر سياحة المتصوفة على الساحل واعتمادهم على صيد السمك الذي يشكل قوت معظمهم[3]،والسمكة ترمز هي الأخرى إلى التجديد،وهي تعبّر عن الطهارة والنقاء من الذنوب وقد وردت في الأساطير والأديان بالمعنى نفسه،كما وردت كرامات أخرى دلت على رغبة المتصوفة الشديدة في التجديد[4]، وحسبنا في ذلك إقدام أبي عمر بن الدغدوغي على تحويل جدران بيته إلى فضة والتراب الذي كان يحفره إلى ذهب[5]،وتشير ظاهرة تحويل التراب إلى معدن ثمين إلى الأمل في الانتقال من حياة مليئة بالأخطاء إلى حياة جديدة ونقية[6]،وعزَم المتصوفة على إحداث مجتمع جديد وعكست كراماتهم أن هذا التغيير يتم على مستوى الفرد،الذي يجب إعادة تركيبه على أسس تتناسب والمجتمع الجديد ،ويتبين هذا بوضوح من خلال ما جرى لأحد التائبين الذين قصدوا الشيخ أبا يعزي للأخذ عنه، فأحس هذا الرجل بأن أبا يعزي فكك أعضاء جسمه كلها وأعاد بناءها من جديد من قدميه حتى رأسه[7]،مما يثبت عزم المتصوفة على التجديد باعتباره الحل الوحيد للخروج من مجتمع أنهكته الهزائم والأزمات الخانقة،وعمدوا إلى إحداث التغيير في سلوكه اتجاه باقي الكائنات الحية،فالروايات المنقبية عكست مدى اهتمام المتصوفة بالحيوانات وحمايتهم لها،فهذا أحدهم قد كسر رجل قنفذ دون قصد أثناء قطعه الشجر، فما كان منه إلا أن أخذه واهتم به حتى شفي ،فكان"يسقيه الماء ويطعمه التين والزبيب إلى أن انجبر فذهب"[8]،كما أن متصوفا آخر وجد هرّة نائمة على أشيائه وكان يود أخذها فلم يشأ إزعاج الهرة وهي نائمة

---

(1)نفسه:ص281.

(2)بوتشيش:المغرب والأندلس...ص144.

(3)ابن الزيات:المصدر السابق،ص162.،الصدفي :المصدر السابق،ص62 ،الغبريني :المصدر السابق ،ص136.

(4)بوتشيش:المغرب والأندلس...ص144.

(5)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص120.

(6)بوتشيش:تاريخ الغرب الإسلامي ،ص113.

(7)بوتشيش،المغرب والأندلس،ص144.

(8)ابن الزيات:المصدر السابق،ص62.

عليها،بل أقدم أحدهم على إرجاع مجموعة من النمل إلى مكانها، بعدما كان قد أخذها في منديله وهو لا يعلم فأراد إعادتها إلى موطنها خوفا من أنه قام بتغريبها عنه[1]،وهذه الروايات تعكس علاقة الود والتآنس التي أراد المتصوفة أن تسود المجتمع الجديد ،وهناك روايات أخرى أشارت إلى إمكانية التآنس بين الإنسان والحيوانات المفترسة ،وحطّمت بذلك العلاقة الطبيعية التي تجعل الإنسان يخاف من مثل تلك الحيوانات ،وحسبنا في ذلك أبو يعزى الذي كانت الأسود تألفه وتلمس جسده[2]،وتعدت علاقة المؤانسة هذا إلى استئناس الحيوانات الأليفة بالمفترسة فممّا أوثر عن أبي يعزي أن جماعة من المريدين ممن أتوا لزيارته تركوا دوابهم خارجا ودخلوا عليه،إلا أنهم لاحظوا عند خروجهم من عنده ما يثير العجب ،فدوابهم التي تركوها كانت إلى جانبها السباع هذه الأخيرة التي لم تفترسها وحتى الحمير لم تنفر منها[3]،وهي عبارة صريحة عن نوع العلاقة التي آمل المتصوفة في أن تسود المجتمع الفاضل الذي دعت إليه كراماتهم ،حتى أن النباتات هي الأخرى كان لها حق في هذا المجتمع الجديد ،إذ أحاطها المتصوفة بالحماية الكافية، فمنعوا قطعها إلاّ إذا دعت الضرورة إلى ذلك[4]،حتى أن إحدى الكرامات عكست لنا هذا،إذ صورت تحدث النباتات مع أحد المتصوفة وأخبرته بالنافعة منها والضارة[5]،وما هذه الكرامة إلاّ دلالة واضحة على أن المتصوفة وسيط لتواصل الحياة[6]،وهذه العلاقة تأكدت أكثر بإقدام أبي يعزي على أكل الدفلى رغم مرارتها والتي كان يجد مذاقها حلوا ،حتى أنه ورد في إحدى الكرامات أن بعض النخلات حضرت جنازة أحد الأولياء بمراكش وعادت إلى مكانها بعد دفنه[7]،وإن دل هذا على شيئ فإنما يدل على أن المجتمع الذي نادى به المتصوفة تتغير فيه حياة الإنسان وتسمو علاقته مع كل الكائنات الحية.وقد أشارت الكرامات إلى أن المتصوفة هم السلطة الوحيدة القادرة على قيادة وتسيير مثل هذا المجتمع[8]،وعكست لنا ذلك في العديد من الروايات الكرامية لبعض المتصوفة ،فإقبال أحدهم على سقاية أصحابه من ضمئهم بماء البحر من بين رجليه[9] وتحول ملوحته إلى عذوبة لدلالة على أن

(1)نفسه:ص281،264.

(2)الصبّاغ القلعي:بستان الأزهار،ورقة 49-الظهر

(3)ابن الزيّات :المصدر السابق،ص199.

(4)نفسه:ص281.

(5) المناوي:المصدر السابق،ج4،ص400

(6)بوتشيش :المغرب والأندلس ،ص 144.

(7) ابن الزيات:المصدر السابق،ص ص 200 ،229.

(8) بوتشيش: المغرب والأندلس ،ص142.

(9) ابن الزيات :المصدر السابق ،ص281.

المتصوفة هم المنقذ الوحيد[1]،وجاء في رواية أخرى أن أحدهم رأى في المنام أن الشمس نزلت إلى بيته ،وبعدما جاءته جماعة من الصوفية لم يجلس في ذلك المكان الذي رأى أن الشمس نزلت فيه إلاّ علي الدقّاق، الذي قال له:" أنا شمس هذا الوقت"[2]،وتؤكد هذه الكرامة على أن النور الوحيد الذي يسطع في مجتمع ساده الظلم والاستبداد وأغرقته الأزمات هو المتصوفة،وجعلتهم بذلك القوة القادرة على إحداث التغيير [3]،وفعلا استطاع المتصوفة من خلال كراماتهم اقناع الناس بقدراتهم الخارقة وأحقية القيادة لهم،حتى أنهم باتوا يرونهم معصومين عن الخطأ[4]

بيد أن المتصوفة لم يتمكنوا من إقامة المجتمع الذي نشدوه، ويرجع السبب في نظرهم إلى المال الذي رأوا فيه سبب ما تعرّض له الغرب الإسلامي من أزمات[5]،لذا صبّوا عليه كل سخطهم وراحوا يصفونه بالشياطين والأوساخ[6]،وعزّز المتصوفة موقفهم هذا برفضهم لاكتساب المال حتى ولو بطرق شرعية،فعمدوا إلى رفض حقوقهم من الميراث وتصدقوا بها عـلى الفقراء[7]،وصوّرت كراماتهم في المقابل أموالا أخرى خاصة بهم عرفت بالدراهم الطيبة[8]،حتى أن ابن سبعين كان يقص الورق على شكل الدراهم ويقضي بها حوائجه ويقبلها منه التجار[9]،وراحوا يساعدون بها الفقراء والمحتاجين، كإقبال أحدهم على التصدق بها على رجل شكى إليه عدم قدرته على شراء أضحية العيد[10]،ومثل هذه الكرامات ترمز إلى أن المتصوفة يُرزقون من مال الله الذي لا يفنى وأنهم أغنياء عن مال الدنيا المشوب بالحرام[11].

والفشل في إقامة المجتمع الذي نشده المتصوفة يرجع لكون الحلول التي طرحتها كراماتهم كانت مجرد حبر على ورق،إذ تحملوا لوحدهم مسؤولية تطبيقها ،حتى وإن نجحوا ولو نسبيا في نشر مبدأ

---

(1)بوتشيش: المغرب والندلس ،ص144

(2) ابن الزيات :المصدر السابق ،ص ص 136-137.

(3)بوتشيش:المغرب والأندلس،ص142.

(4)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص75.

(5)بوتشيش: المغرب والأندلس ،ص 147.

(6) ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص ،89-234.

(7) نفسه : ص ص 225-349-374.

(8) نفسه:ص ص 176 ،468.

(9)تقي الدين مكي:المصدر السابق،ج5،ص331.

(10)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص110.

(11)بوتشيش:المغرب والأندلس،ص148.

الصدقة ومشاركة الغير في الأموال،كما أن عدم تطبيق الحلول التي جاؤوا بها يعود لكونها هدّأت من الأوضاع أكثر مما عالجتها.

وكرامات المتصوفة التي عالجوا من خلالها ظلم السلطة ثبتت فكرة الانهزامية ،أي أن العامة أصبحت تنتظر الفرج من الله وذلك دون أن تحرك ساكنا أو تساهم في الوقوف في وجه ما يجري بالمجتمع من اختراقات وظلم، بل عمدت إلى الاتكال على كرامات المتصوفة ودعواتهم، كما أن فشل المشروع الذي طرحه المتصوفة دفعهم إلى الاعتماد على العامل النفسي للوقوف إلى جانب العامة ،والإقبال على تهيئتهم لتقبّل المصير الذي سيؤولون إليه،ألا و هو الموت[1]، لأن ظروفهم التي كانوا يعيشون فيها إن لم نجد حلولا حتما سيزداد تأزما ويدفع ثمن ذلك العامة لذا ظهرت لبعض المتصوفة كرامات في هذا المجال كأن يعلموا بدنو أجلهم ويقوموا بتوديع أهلهم قبل موتهم، فيبدون بذلك متقبلين لفكرة الموت، بل كانوا يتمنونها في كثير من الأحيان[2].

3- دور المتصوفة الاجتماعي والديني:

وقد نشط المتصوفة أكثر خلال الأزمات التي تعرض لها الغرب الإسلامي إبّان عصري المرابطين والموحدين، فلجأ إليهم أفراد المجتمع لمساعدتهم في تدبير بعض أمور حياتهم أو لدفع الخطر الذي يداهمهم وغيره من المشاكل المستعصية عليهم، ويبرز دورهم خاصة في الأزمات كأوقات القحط والجفاف والمجاعات، التي دفعت الناس للاستنجاد بهم وبكراماتهم ،فأهل نفيس كانوا يقصدون وجاج بن لواللمطي أيام القحط والجفاف للاستسقاء فكان يدعو لهم فتمطر وأصاب مدينة فاس جفاف ففوضوا أحداً منهم رسول إلى المتصوف يعلى أبي جبل قصد طلب دعائه للاستسقاء ،فلم يكد الرسول يرجع حتى غيّمت عليه السماء وأمطرت ،كما استسقى أهل تلمسان بأبي زكريا بن يوغان الصنهاجي فأمطرت عليهم السماء بعد ذلك،والمتصوف أبو زكريا الجراوي هو الآخر كان مقصودا للاستسقاء ،وكان ينزع قلنسوته عن رأسه ويدعو الله إلى أن تمطر ،وأبو يغري قصده أهل فاس بالمسجد الجامع في عام أجدب للاستسقاء، فما كان منه إلا أن بكى وتضرع ودعا الله إلى أن غيّمـــــت السماء ،وأمطرت[3]

---

(1) بوتشيش:المغرب والأندلس،ص150.

(2)ابن عبد الملك:المصدر السابق،السفر 5 ،القسم 1 ،ص371.

(3)ابن الزيّات:المصدر السابق ص ص 67 ،81، 116 ،117 ،199.

واشتكى أحدهم لأبي يعزى جذب أرضه فأخذ هذا الأخير بالمشي فيها حتى أمطرت ورويت أرض ذلك الرجل[1]، وأبو وكيل ميمون بن تاميمونت كان قد حفر حفرة لماء المطر ليستسقي بها وعندما عمّ الجفاف دعا الناس ليستسقوا بها،وبعد تمام مائها دعا الله متضرعا ليغيث الناس فتقبل دعاءه، و رجع الناس إلى دورهم بعد أن رحلوا عنها بحثا عن الماء[2]،وأبو مدين شعيب أيضا كان مقصودا للاستسقاء ومن آثاره في هذا المجال قصيدته الغيثية التي نظمها لدعاء الله بها للاستسقاء[3]،وأثناء الجدب الذي أصاب بجاية وصل سعر زق الماء إلى أربعة دنانير ،فأمر الحرالي طلبته بمساعدة الفقراء غير القادرين على شراء الماء،[4]وبزيادة تدهور أوضاع الناس مع الجفاف دعا الحرالي الله فلم ينته المؤذن من الآذان حتى أمطرت السماء[5].

وإبّان المجاعات التي عصفت بمدن الغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين تكثّف نشاط التيار الصوفي ،فقد أقدمت إمرأة في عام مجاعة على بيع منزلها بثمن زهيد للمتصوف أبي العباس أحمد الهواري ،الذي رده إليها فيما بعد وأخبرها بأن ثمنه كان مساعدة منه لها لتسد به حاجتها ،وأثناء المجاعة التي اجتاحت مراكش جمع أحد المتصوفة المساكين والفقراء بجامع علي بن يوسف وأخرج لهم القمح والسمن الذي كان عنده، وقام بتوزيعه عليهم ولم يُبقِ منه شيئا لنفسه[6]،وفي مجاعة سنة 535 هـ/1140 م قام أبو جعفر عمر بن معاد(ت561هـ/1165 م)بجمع الفقراء ،"فكان يقوم بمؤنتهم وينفق عليهم ما يصطاد من الحوت وغيره إلى أن أخصب الناس"[7]،وباع المتصوف أبو عبد الله المهدوي (ت595 هـ/1198 م)أثناء المجاعة التي أصابت فاس كل القمح الذي كان عنده للناس،ولم يقبض ثمنه بل أخذ عنهم تعهدات، غير أنه قام بحلها في الماء،وقال لهم:"أنتم في حل وما بعت إلا من الله ولكن احتلت عليكم بالبيع إلى أجل"[8]،وعمد أبو زكريا يحي بن علي

---

(1)النبهاني:المصدر السابق،ج2،ص527.

(2)ابن الزيات:المصدر السابق،ص ص 105 ،218 ،219.

(3)الشوّار:المصدر السابق،ص ص 68 ،69.

(4)الغبريني:المصدر السابق،ص151.

(5)نفسه:ص151،النبهاني،المصدر السابق،ج1 ،ص339

(6)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 104 ،131 ،132 ،232.

(7)نفسه:ص162.

(8)نفسه: ص333

الزواوي (ت611 هـ/1214 م) خلال المجاعة الشديدة التي أصابت بجاية إلى اكتراء فندق من عامل المدينة ،ثم أخذ بجمع الصدقات من عند الأغنياء والأعيان واشترى بها ملابس وطعاما للفقراء الذين قام بجمعهم بالفندق و وزّعها عليهم،كما أنه دفع ثمن كراء الفندق من تلك الصدقات ورفض أن يدفع صاحب الفندق ثمنه[1].

وكان الناس يقصدون المتصوفة لإلتماس الدعاء أثناء الآفات الزراعية التي تحل بمحاصيلهم كالجراد إذ دعا أبو محمد الايلاني (ت586 هـ/1190 م) على الجراد الذي اجتاح إحدى المناطق القريبة من أغمات، فرحل من حينه وأراح الناس ،كما دعا أبو القاسم بن أبي الفضل (ت601هـ/1204 م) على الفئران التي أضرت بضيعة أحدهم، فما كاد ينشق الصبح حتى وُجدت كل الفئران ميتة[2]،ومن خلال وقوف المتصوفة إلى جانب فئات المجتمع في مقاومة الآفات الزراعية، يتبين الدور الفعّال الذي أدته هذه الشريحة ،التي وضّفت كراماتها و دعواتها لتفادي وقوع خسائر زراعية تضر بالاقتصاد.

ولا يمكن تجاهل دور المتصوفة فيما يخص التخفيف من الضرائب التي أجهدت الناس، فقد علم أحد المتصوفة أن عاملا من عمال علي بن يوسف أثقل كاهل الناس بالضرائب التي فرضها عليهم، فما كان منه ،إلا أن دعا الله أن يصرفه عنهم، فلم يمض الوقت حتى عزله الأمير علي فلم يؤدوا في ذلك العام الضرائب،واشتكى الناس ظلم أحد العمال لأبي الأمان(ت 615 هـ/1218م)لأخذه دوابهم كجباية عنهم ،فعمل على إرسال كتابه إليه يطالبه فيه برد حقوق الناس،غير أنه لم يأبه له فدعا عليه و ما كان من هذا العامل إلا أن "استيقظ في ليلة مقمرة وأمر أن تصرف على القوم دوابهم،وقد أنكر عند الصباح ما فعله بالليل وأمر باسترجاعها إلاّ أنه علم بأن أصحابها أخذوها ورحلوا"[3]،وهنا يتبين أن المتصوفة سعوا إلى رد الحقوق لأهلها وكفّ ظلم العمال عن الناس باستخدام كراماتهم ودعواتهم المستجابة.

وكان المتصوفة يبذلون جهودا كبيرة للحد من انتشار الفقر والعوز، فراحوا يعملون في مختلف المهن للحصول على ما يتصدقون به على الفقراء والمحتاجين،وحسبنا في ذلك أبو يعزى الذي عمل راعيا مقابل رغيفين يقبضهما من أرباب المواشي، فكان يتصدق بواحد على رجل منقطع بالمسجد

---

(1)نفسه: ص ص 448 ،449.

(2) نفسه:ص ص 159 ،240 ،386.

(3)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 129 ،130 ،465 ،466.

ويكتفي بالآخر ،وبعد أن لحق بذلك الرجل رجل آخر انقطع مثله آثر أبو يعزى الرغيفين لهما[1]،وكان يتصدق بتسعة أعشار ما يحرثه من أرضه ويُبقي لنفسه العشر[2]،كما أنه عمل على إطعام ضيوفه وتعليف دوابهم ،حتى أن سكان المناطق القريبة منه كانوا يقومون بإكرام ضيوفه الذين يأتون للتبرك به،وتصدق الحبّاك بكسرة خبز على الفقراء إذ كان يتقاسمها معهم، وكان يحصل عليها مقابل نقله لفضلات الناس[3]،وعمد أبو زكريا الجراوي هو الآخر إلى إطعام المساكين والفقراء من طعامه حتى ولو كثر عددهم إذ كان يكفيهم لبركته،وتصدق أبو يلبخت بالثور الذي ذبحه في ختان ابنه على رجل سأله طعاما لزوجته و فتح الله عليه فيما بعد بمجموعة ثيران ذبحها للختان[4]،وقام قاسم القرطبي بمنح صرة دراهم لفقير ولدت زوجته ولم يجد ما ينفقه عليها ،وراح متصوف آخر يتصدق بكل ما تنتجه أرضه على المحتاجين[5]،وعمد أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي(ت520 هـ/1126 م)إلى التصدق بالمال الذي بعثه إليه الأمير المرابطي قبل خروجه من مراكش[6]،ودخل أحدهم مدينة فاس ومعه أربعين ألف دينار أنفقها كلها،ولم تبق له إلا داره التي باعها هي الأخرى[7]،وكان متصوف آخر يجرّد أولاده من ثيابهم ويتصدق بها على أولاد الفقراء،وعمل على بيع الهريسة والإسفنج،وكان يطعم ما يتبقى منها المساكين والفقراء ،وأطعم آخر المساكين أوراق الكرنب والسمن ولم يبق له من ماله شيئ لكثرة تصدقه،بينما تصدق أحدهم بكل ماله ولزم المسجد،وتعوّد أبو عبد الله البيفي على تخصيص يوم عاشوراء لجمع المريدين،وكان يصنع لهم طعاما كثيرا،ولم يتخلّ عن عادته هذه حتى وإن تطلب منه الأمر الاستدانة لأجل ذلك،أما عبد الله التاودي المعلم فقد كان يتصدق على أبناء الفقراء والمساكين ممن يدرسهم من أجرته التي يأخذها من أبناء الأغنياء،وأبو عمران موسى بن اسحاق المعلم(ت590هـ/1193م) لم يكن يأتيه مسكين ويصرفه دون أن يتصدق عليه،وإن لم يجد ما يعطيه" قام معه

---

(1)نفسه:ص197 ؛أبو العباس المراكشي:المصدر السابق،،ج1،ص408.

(2)بوتشيش:المغرب والأندلس...ص157.

(3)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص205 ،459.

(4)نفسه:ص ص389،116.

(5)الغبريني :المصدر السابق،ص ص170 ،191.

(6) ابن الزيّات :المصدر السابق،ص ص 84،83.

(7)ابن أبي زرع:المصدر السابق،ص174.

إلى السوق ويمشي على الناس ويسألهم له"[1]،وتصدّق أحدهم بطعام مريديه على سائلة لم تجد ما تطعمه لأولادها،ولكون المتصوفة اشتهروا بكثرة التصدق كان المساكين يجتمعون عند أبوابهم،وعمد أبو ابراهيم الرجراجي(ت590هـ/1193م)إلى إطعام من يأتيه ثريد بالزعفران ولحم الغنم السمين،وآثر أحد المتصوفة غيره من الفقراء على نفسه بالصدقات التي يحصل عليها [2]،وكانوا يتولون شراء أضحية العيد بأنفسهم ومن مالهم الخاص ويتصدقون بها على الفقراء ممن لا قدرة لهم على شرائها،حتى أنهم في بعض الأحيان كانوا يتصدقون بأضحياتهم ،ولم تكن الصدقة حكرا على المتصوفة لوحدهم بل حملت بعض زوجاتهم نفس الصفة، وحسبنا في ذلك زوجة أبو يعقوب الحكيم التي تصدقت بأكل زوجها على سائل ،ولم يبخل المتصوفة بمساعداتهم للدائنين إذ كانوا يعينونهم على قضاء ما عليهم من ديون[3]،وقام أحد المدّينين بالصلاة ودعا بالدعاء الذي كان قد حفظه عن أحد المتصوفة فقُضي به دينه[4]

بيد أن المتصوف أبا العباس السبتي كان ممن اشتهروا بالصدقة وقام منهجه الصوفي عليها كما رأينا،فكان يأمر من يأتيه بالصدقة حتى يتحقق له ما يريد [5]،ورأى أن بُخل الناس وعدم تصدقهم على الفقراء هو المتسبب في القحط والجفاف[6]،وحبه للصدقة والإحسان دفعاه للخروج إلى الأسواق والطرقات لحض الناس على ذلك،وعمد إلى توزيع تلك الصدقات التي كانت تنثال عليه من عند الناس على المحتاجين إليها من الفقراء[7]،ولم يكن يترك لنفسه مقدار ما يتعيش به في يومه لكثره صدقته[8]،وعمل على الدفاع عن الفقراء والرفع من شأنهم،فأمر أحد التائبين على يده أن لا يزدري الفقراء ولا يقلل من شأنهم،وكان يجتمع إليه الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام ويزدحمون على زاويته بمراكش فيقوم بتوزيع كل مما يأتيه من صدقات عليهم ،كما تصدق بالفتوح وهو

---

(1)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 228 ،233 ،235 ،262 ،292،264 .

(2)نفسه: ص ص 306 ،351 ،354 ،384.

(3)نفسه،ص ص 110 ،200 ،266 ،418 ،429.

(4)نفسه:ص77.

(5)الهواري:مناقب أبي العباس السبتي، ورقة 6.

(6)بوتشيش:المغرب والأندلس...ص158

(7)الهواري:مناقب أبي العباس السبتي ،ورقة 30 الظهر ؛السلاوي :المصدر السابق ،ج3 ،ص253.

(8)التنبكتي:كفاية المحتاج،ص31.

الثمن الذي كان يتقاضاه مقابل معالجته للمرضى[1]،واقتداءً به خصص الفلاحون بالمغرب والأندلس جزءا من محاصيلهم الزراعية للزكاة وسموه بمد أبي العباس السبتي ،وهذه العادة ما زالت متداولة بالمغرب إلى حد اليوم[2].

والملاحظ أن المتصوفة ساهموا بدرجة كبيرة في إعانة المتسولين من الرجال والنساء بالتصدق عليهم،والجدير بالذكر هو أن أهل الأندلس كانوا ينكرون عادة التسول هذه، ويُقدمون على إهانة من يتسول لأنها عادة مستقبحة عندهم[3]،غير أن المتسولين بالأندلس اتخذوا طريقة أخرى للتسول على عكس ما كان بالمغرب،إذ عمدوا إلى التجول في الطرقات مع إنشاد بعض الأغاني الشعبية والأزجال،واستهدفوا من وراء ذلك الحصول على قُوتهم باستعطافهم الناس[4].

وكان المتصوفة يعطفون على الأرامل والأيتام كثيرا،فهذا أحدهم تزوج من أرملة أخيه الذي ترك لها أولادا ورفض أكل الطعام الذي قدمته له لأنه رأى بأن هذا الطعام من نصيب أولاد أخيه الأيتام،وقصد أبو إبراهيم إسحاق بن محمد الهزرجي الكُتّاب ليبحث عن الأيتام وأبناء الفقراء فكان يشتري لهم الملابس[5]،ناهيك عن عميد المتصوفة في الصدقة أبي العباس السبتي الذي كان عطوفا على الأيتام رحيما بهم[6].

ولم ينحصر دور المتصوفة في هذا فقط بل نجدهم قد أصلحوا الخلافات الأسرية التي كانت تحدث بين الزوجين، والتي كانت تنتهي في كثير من الأحيّان بالطلاق،الذي عملوا على تفادي وقوعه[7]،وقام أبو مدين شعيب بالإصلاح بين أحد تلامذته و زوجته ونصحه بمحاولة تفادي الشجار معها حتى لا يقدم على هدم عائلته[8]،وقام أبو يعزى بالتخفيف عن أحد أصحابه، إذ طلبت منه زوجته خادمة ولم يكن قادرا على تلبية طلبها فهوّن عليه أبو يعزى ذلك بأن تزيّ بزي

---

(1)الهواري:مناقب أبي العباس السبتي ،ورقة 9 الوجه ،ورقة 10 الوجه،ورقة 12 الوجه.

(2)بوتشيش:المغرب والأندلس....هامش(8)ص158.

(3)المقري:نفح الطيب...ج1 ،ص220.

(4)بوتشيش:ظاهرة التسول في الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري)،مجلة التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور،أعمال ملتقى دولي في التاريخ 23-24 نيسان /أفريل 2001 م ،منشورات مجلة الدراسات التاريخية والفلسفية قسم التاريخ ،جامعة منتوري كلية العلوم الإنسانية ص179.

(5)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 109 ،227.

(6)السلاوي:المصدر السابق،ج3،ص253.

(7)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص266.

(8)يحي بن خلدون:المصدر السابق،ج1 ص126.

الخادمة وبقي يخدم زوجة صديقه مدة عام كامل إلى أن كُشف لها أمره ،فأقسمت أن تعمل على خدمة نفسها بنفسها منذ ذلك الوقت[1].

ولجأ الناس عند فطام أولادهم الصغار إلى المتصوفة لمساعدتهم على ذلك فهذه جماعة من الصلحاء قد مسحت على رأس طفل فُطم وكان كثير البكاء فكفّ عن ذلك ،وساهم أحد المتصوفة في كف أذى أحدهم على جيرانه الذين اشتكوا من سوء تعامله معهم فدعا عليه المتصوف فمات[2]،وقد ساهم المتصوفة في بناء المرافق العامة كالمساجد والقناطر[3]،كعبد الله أمغار الذي ساهم بماله في بناء صور مراكش [4]، وأثبت المتصوفة قدرتهم على منع قيام الفتن والحروب بين القبائل إذ دعا المتصوف أبو ورجيج الدكالي (ت في حدود سنة 540 هـ/1145 م)على أحدهم كان يثير الفتن بين القبائل ويشعل نار الحرب بينهم،فبعثه الأمير إلى ميورقة حيث سجنه وبقي هناك حتى توفي[5]،ولم يتوقف دورهم في هذا فقط بل ساهموا في رد ضربات العدو،إذ تعرضت إحدى ضياع المرية لنهب النصارى،فدخل أحد المتصوفة داره ودعا الله أن يرد أملاك الناس وفي الليل عادت الماشية لأهلها، واستنجد الناس بالنمتصوف أبي عبد الله محمد بن مطر الأركشي على النصارى الذين حاصروا حصنهم وأرادوا الإغارة عليه، فصعد إلى أحد أبراجه ودعا الله أن يفرقهم فتقبل دعاؤه[6] ،واستنجاد الناس بالمتصوفة في مثل هذه الأحوال إن دل على شيئ إنما يدل على مدى حدة الأزمة، التي كان يعيشها المجتمع بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين،كما أن هذا يشير إلى الضعف الذي آلت إليه السلطة لدرجة أنها لم تستطع رد ضربات العدو وحماية الناس من الوقوع في أسرهم،مما دفع هؤلاء الأخيرين باللجوء إلى المتصوفة باعتبارهم البديل الذي يوفر لهم الحماية والأمن ،وهذا ما سيكون من العقبات التي ساهمت في توتر العلاقة بين الطرفين أي التيار الصوفي والسلطة.

وفيما يخص المجال الطبّي فقد أثبت المتصوفة جدارتهم فيه هو الآخر، إذ توصلوا إلى شفاء العديدمن

---

(1)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص201.

(2)نفسه،ص ص 230-258-261.

(3)ابن القاضي:المصدر السابق،القسم1 ،ص180.

(4)بوتشيش:المغرب والأندلس،ص155.

(5)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص130.

(6)الصدفي:المصدر السابق،ص ص 87-93.

الأمراض التي استعصت على الأطباء ،لذا قصدتهم العامة حيثما كانوا للاستشفاء من الأمراض خاصة وأننا علمنا فيما سبق بأن هذه الفترة – عصري المرابطين والموحدين- قد عرفت انتشارا لأمراض عديدة وأوبئة مختلفة عجز الأطباء عن إيجاد دواء لها، فيعلي أبو جبل نجح في علاج طفل مصاب بقروح في رأسه لم ينجح الأطباء في شفائه،كما أن المتصوف ابن حرزهم استطاع أن يشفي طفلا أبكما عمره أربع سنوات إذ دعا له فتكلم من حينه،وشفيت على يده إمرأة مقعدة[1]،وفي هذا المجال برز أبو يعزى بقدرته على اشفاء أمراض مستعصية إذ أبصرت جارية بمجرد مسحه بيده على عينها ،كما أنه كان يلمس جسد المريض حتى يشفى وفعل ذلك مع صبية مريضة فشفيت بعدها، وأعطى رجلا أعمى قطعة من برنوسه وأمره أن يحرقها ثم يكتحل بها فأبصر[2] ،وكان يستخدم أوراق الدفلى ليشفي بها المجانين وذوي العاهات الذين يعانون من أمراض أخرى[3]،هذا إلى جانب معالجته المرضى بالصرع، وقصدته العامة في كثير من الأحيان وهم يصحبون معهم آنية زيت أو بقايا طعام حتى يقوم على تبليله بريقه ليشفي مرضاهم، وعمدوا أحيانا أخرى إلى إحضار خيط معهم ليعقده لهم أملا منهم في الشفاء[4]،واشتهر ابنه يعزى هو الآخر بقدرة شفائه الناس من بعض الأمراض التي كانت تصيبهم عن طريق التفل عليهم، واستطاع أبو تميم الأسود أن يشفي صبية بها برص في وجهها ،وقد عجز الأطباء عن شفائها وذلك بمسحه على وجهها بريقه[5]،وإن دلت هذه الرواية المنقبية على شيئ فإنما تدل على محاولة المتصوفة شفاء الناس بكل الطرق المباحة ،كما أنها تبين مدى اعتقاد العامة بقدرات المتصوفة الخارقة للعادة في كثير من الأحيان.

وكان أبو إبراهيم إسماعيل الرجراجي يشفي المرضى بالمسح على أعضاء أجسادهم المريضة كما أنه عمد إلى إشفاء المرضى بإعطائهم البسباس[6]،أما أبو زكريا يحي بن ميمون فقد أخذ التفل علاجا لكل من يقصده من المرضى أيّا كانت علته[7]،وقصدت امرأة أبا العباس السبتي ليشفي ابنها

---

(1)بوتشيش:المغرب والأندلس..ص160.

(2)ابن الزيات:المصدر السابق،ص ص 199 ،202 ،276 ،277.

(3)الصبّاغ،بستان الأزهار،ورقة 52 الظهر.

(4)بوتشيش:المغرب والأندلس...ص160.

(5)ابن الزيّات،المصدر السابق،ص ص 215 ،259 ،260.

(6)نفسه: ص ص 353 ،354 ،355.

(7)نفسه:ص 429.

المجذوم فأعطاه حبة خيار ليأكلها فشفي ،كما شفي إمرأة كانت هي الأخرى مجذومة،ومعالجة المتصوفة للمرضى كانت مقابل مبالغ رمزية سُميت بالفتوح،غير أنهم لم يحتفظوا بها بل عمدوا إلى التصدق بها على المحتاجين والفقراء،وحسبنا في ذلك أبو العباس السبتي وقد عوقب كل من امتنع عن دفعها[1]

وفيما يخص الآفات الاجتماعية والانحلال الخلقي فقد عمل المتصوفة على مجارية ذلك بكل الوسائل،وساهموا أيما مساهمة في إيقاظ الضمائر ونشر الأخلاق الكريمة بين أفراد المجتمع.
وعمدوا إلى نشر المبادئ الإنسانية بين الناس وعالجوا ما كانوا يرونه من انحرافات في المجتمع،وكتب المناقب والتراجم شاهدة على ذلك،فحاربوا الخيانة الزوجية والدعارة ،إذ أقدم أهل تلمسان على عبد السلام التونسي واشتكوا إليه رجلا من أهل الدعارة كان يؤذيهم فعاقبه حتى تاب إلى الله،كما أن أبا يعزى هو الآخر حارب الخيانة الزوجية بفضحه لرجل زنى مع زوجة أخيه الغائب، فارتدّ إليه مكفرا عن ما ارتكبه من ذنوب[2]و عمد المتصوفة إلى الابتعاد عن الأماكن التي تُرتكب فيها المحرمات،كالمتصوف أبي زكريا يحي المليجي الذي رمى بنفسه من سفينة كان قد ركبها قصد التوجه للحج غير أنه اكتشف أن ركابها يرتكبون عليها أفعالا محرمة، وعمد المتصوفة إلى تهذيب أخلاق المرأة بمجتمع الغرب الإسلامي،وهذا يقودنا إلى ذكر المتصوف ريحان الأسود الذي استدعته امرأة إلى بيتها ليرى عيالها الذين أُسِر والدهم وتشكو له فقرها فلبّى طلبها، بيد أنه لم يكن يعلم بوجودها فيه لوحدها دون محرم ،ولما علم بذلك خرج من منزلها وأنكر عليها فعلتها[3]،مما يدل على أن المتصوفة كانوا دائما يسعون إلى تحسين أخلاق المرأة بعد أن تفطنوا إلى أنها أساس المجتمع يفسد بفسادها ويستقيم باستقامتها ،لذا سعى بعض المتصوفة إلى تجهيز بنات الفقراء حتى يضمنوا عدم وقوعهن في الفاحشة[4].

(1)أبو القاسم الهواري:مناقب ابي العباس السبتي ورقة 12 ،ورقة 18 الظهر، ورقة 26.
(2)ابن الزيّات : ص ص 89 ،90 ،196.
(3)نفسه:ص ص 104 ،138 ،139.
(4)يحي بن خلدون:المصدر السابق،ص ج1،ص102.

وشكلّت عادة شرب الخمر إحدى الظواهر التي حاربها المتصوفة بكل طاقاتهم،خاصة وأنها عرفت انتشارا كبيرا خلال فترة موضوع دراستي ، ،فعملوا على تكسير الأواني التي تحفظ فيها، وكانوا يعظون العامة بالابتعاد عن أصحاب الخمر ويعاتبونهم على استضافتهم لأصحابها أو لحامليها في بيوتهم[1]،أما المتصوف الحرالي فقد كشف أمر أحد الشبان الذين كانوا يحضرون مجلسه وقد تغيب عن الحضوور لسقوطه على زجاجة الخمر التي جرحت وجهه[2]،وفور دخوله عليه خاطبه بقوله:

أجريح كاسات أرقت نجيعها طلبُ التراث يعزُّ منه خلاصُ

لاستفكنّ دم الزجاجة بعدها إنّ الجروح كما علمت قصاص[3]

فتاب بعدها الشاب وكفّر عن عادة شرب الخمر[4]،كما أن امرأة اشتكت إلى الحرالي إدمان ابنها على الخمر فأمرها أن تنصحه بشربها في كؤوس كبيرة إلى أن أقلع بعدها عن الشرب[5].

وشغلت ظاهرة السرقة هي الأخرى بال المتصوفة فتجندوا لمحاربتها ،وكان الذين يتعرضون للسرقة يقصدونهم لاسترداد ما سرق منهم،إذ لجأ أحدهم سُرقت منه فرسه إلى أبي علي حسين المعروف بابن يابو(ت604 هـ/1207 م) واشتكى له أمره فدعا على اللصوص واستعاد بعدها الرجل ما نهب منه[6]،وكان المتصوفة يدعون للتجار حتى لا يقدم اللصوص على إذائهم في الطريق[7]،وساهموا المتصوفة في حماية العامة من هؤلاء اللصوص الذين كانوا يهابونهم ولا يتعرضون لمن يرونه معهم[8] وقد حرص المتصوفة في كل ذلك على وعظ الناس ونهيهم عن ارتكاب المحرمات وكانوا يُعرضون عن مخالطة ومخاطبة الأشخاص الذين يأكلون الحرام[9]،وعكسوا في أخلاقهم اليومية ما كانوا يأملونه من محاربتهم للآفات الاجتماعية التي هددت العلاقات الإنسانية في المجتمع، وحاولوا عكس الأخلاق التي يدعون إليها في تصرفاتهم،فهذا متصوف عمل على اجتناب التعرض لأراضي غيره فوضع كمامة على فم بقرته حتى لا ترعى في

(1)ابن الزيات:المصدر السابق،ص ص 445،348

(2)Emile Dermenghen :op.cit,p395

(3)المقري:نفح الطيب...ج5،ص263.

(4)نفسه،ص263.

(5)الغبريني:المصدر السابق،ص152

(6)ابن الزيات:المصدر السابق،ص403.

(7)نفسه: ص387.

(8)نفسه : ص341.

(9)نفسه: ص ص 285 ،330 ،335.

غير أرضه،وقام آخر بإدخال يده في فم بقرته ليخرج ما أكلته من أرض جاره، حتى أنه منعها من الخروج لترعى وتصدق بحلبيها[1]

واستطاع المتصوفة أن يحققوا نجاحا باهرا في هذا المجال،وما توبة الكثيرين على أيديهم إلا دليل قاطع على مدى تأثيرهم في شرائح المجتمع،التي كان أفرادها يقصدونهم للدعاء لهم حتى يتوبوا وحسبنا في ذلك أمية بنت يغمروسن التي جاءت لعبد السلام التونسي وطلبت أن يدعو الله ليتوب عليها، كما دعا أبو شعيب لأحد المغنيين الذين تابوا على يديه وأقلع عن الغناء ،هذا ناهيك عن من كان يحترف السرقة مهنة وتاب بعدها على يد المتصوفة[2] وهذا ماجعل بل ألفرد يري بأن دور المتصوفة يقتصر على الجانب الأخلاقي (3).

أما المجال الديني فقد كان للمتصوفة فيه هو الآخر دور خاصة في المناطق النائية كالبوادي[4] إذ عمد العديد من المتصوفة إلى المساهمة في بناء المساجد لتعليم الناس أمور دينهم ولنشر مبادئ الإسلام ،وبرز في هذا المجال أبو زكريا يحي الجراوي الذي بنى مسجدا بموضع الحوّاذتين[5]،وأبو تميم عبد الواحد الأسود الذي بنى هو الآخر مسجدا بموضع خارج مدينة مكناسة، وأبو عبد الله ابن الميلي الذي بنى بتلمسان مسجدا[6] ،ولا يسعنا الحديث هنا عن الدور الذي لعبه المتصوفة انطلاقا من مواعظهم ودروسهم التي كانوا يبثونها بين الناس بتلك المساجد،فضلا عن مؤلفاتهم التي ساهمت في تنوير العقول وشرحهم للقضايا والمسائل الدينية لأننا سنتطرق إلى كل هذا فيما بعد.

وإلى جانب بناء المساجد ساهم المتصوفة في إدخال بعض المسيحيين للإسلام، إذ أسلم أحدهم على يد أبي يعزى[7]،وهذا أبو محمد عيد الجليل بن ويحلان(ت541 هـ/1146م)قد رمى بالجبة التي تصدق بها عليه أحدهم على نصراني مرّ به فأسلم هذا الأخير بعد أسبوع، وقام أبو يحي السائح(ت605 هـ/1208م)بتعليم نساء ورجال إحدى جزر الغرب الإسلامي أمور الدين والصلاة،وكانوا لا يفقهون في الإسلام شيئا ،حتى أن ملكهم أُعجب به وطلب بقاءه إلا أن أبا يحي أبى عن ذلك[8] ،وكان الناس يلجأون إلى أبي مدين في كثير من المسائل الفقهية التي

(1)نفسه: ص ص 111 ،112 ،116.

(2)نفسه: ص ص 90 ،307 ،421.

(3)bel (A) :coup d'œil ,p 13.

(4)بوتشيش:المغرب والأندلس...ص162.

(5)يقع على وادي وانسيفن من بلاد تادلا ،أنظر ابن الزيات :المصدر السابق ،ص114.

(6)نفسه: ص ص 114 ،115 ،259 ،374.

(7) بوتشيش:المغرب والأندلس...،ص162.

(8) ابن الزيّات:المصدر السابق، ص ص 125 ،128 ،424 ،425.

التي يعضل عليهم حلها[1]،وأبو محمد صالح بن عمر هو الآخر كان ممن يُبعث له للاستفتاء في بعض مسائل بالدين، واستطاع أن يفصل في إحدى النوازل التي طال فيها الخصام،وساهم ابن الميلي في تحقيق أمنية العديد من الفقراء الذين كانوا يأملون في الحج ولم تسمح لهم ظروف فقرهم، إذ رغّبه أحد رؤساء المركب المتجهة إلى مكة أن يرافقهم في الطريق إلى الحج،فأبى إلا أن يسمحوا لكل من يريد الحج ولا يملك ثمن السفر بالركوب معه دون أجرة تؤخذ عنه وتمكن له ذلك في النهاية[2]،كما كانت لبعض المتصوفة اليد الطولى في تعليم الناس الطهارة وحثهم على ذلك[3]، واشتهر أبو يعزى بدعوته الناس إلى الصلاة حتى أنه كان يمنع دخول من لا يصلي إلى المساجد[4] وحرص المتصوفة على حماية أحباس المساجد التي كان يُعتدى عليها،وحسبنا في ذلك عبد السلام التونسي الذي رفض اقراض الأمير المرابطي تميم بن يوسف من مال أحباس جامع تلمسان، وذلك خوفا من أن يسمح ذلك بدخول أموال حرام إلى الأحباس لأنه لا يضمن المصدر الذي سيعيد منه الأمير دينه هذا، كما أن أبا عبد الله الهواري دعا علىعامل أغمات لأنه رفع أحباس جامعها فأصابته ذبحة توفي على إثرها جزاء لما فعل[5].

لذا أُحيط المتصوفة بالاحترام والتعظيم،حتى أن الناس كانوا يأمرون أبناءهم بالذهاب إليهم لينالوا الدعاء منهم،وحسبنا في ذلك والد ابن حرزهم الذي أمر ابنه أن يُقبّل يد أبي الفضل ابن النحوي متى لقيه ،حتى ولو تكرر ذلك أكثر من مرة في اليوم وطلب منه أن يلتمس دعاء الشيخ له[6]، وإن دل هذا على شيء إنما يدل على مدى علو المكانة التي وصل إليها المتصوفة لدى الناس الذين باتوا يعتبرونهم معصومين عن الخطأ، أو أن كل ما يصدر عنهم من أفعال وأقوال غير قابل للمناقشة والنقد ،ومما يؤكد ذلك إقبال والدا ابن حرزهم على ضرب ابنه لمجرد أنه انتقد أبا الفضل، لأنه صلّى المغرب قبل وقته ،وقال له:" وهل وقت المغرب إلا ذلك الوقت الذي صلى فيه
أبو الفضل وإنما الناس ابتدعوا في التأخير عن ذلك الوقت"[7]،وأبو محمد عبد الجليل بن ويحلان هو

---

(1) ابن القنفذ: أنس الفقير، ص17.

(2) ابن الزيّات :المصدر السابق، ص ص 375 ،376.

(3)نفسه:ص257.

(4)علي الصباغ القلعي: بستان الأزهار،ورقة 51 الوجه

(5) ابن الزيات: المصدر السابق،ص ص 89 ،260 ،261.

(6)نفسه:ص74.

(7)نفسه: ص75.

الآخر كان الناس يتوافدون عليه بعد صلاة الجمعة فور خروجه من المسجد يتمسحون به ويطلبون منه الدعاء لهم[1]،أما أبو مدين شعيب فقد نال صحبة كل الناس[2]،وكان ينصحهم بزيارة الصالحين والمتصوفة التي اعتبرها وسيلة لزيادة الأجر ونيل رضى الله[3]،ومما قاله في هذا السياق:" من خدم الصالحين ارتفع بخدمته"[4].

وللدور الذي أدته شريحة المتصوفة في المجتمع بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين تعززت مكانتها لدى العامة والخاصة،وباتت مُعظمة من طرفهم وكانوا يتبركون بها وأصبح للمتصوفة ثقل كبير في المجتمع،وليس أدلّ على هذا مما كان يجري في جنائزهم وما حُفت به قبورهم من احترام،إذ شكّلت إحدى المقامات المعظمة التي كانوا يقصدونها للتبرك،وقد احتفل الناس بجنائز المتصوفة وكان يحضرها جمع كثير من الناس بمختلف الأعمار[5]ومن كل الطبقات، حتى أن فيهم من حضر جنازته أرباب السلطة فأبو إسحاق البلفيقي حضر جنازته الأمراء والكبراء[6]، وكانت القبائل تتنازع حول من تنل البركة من قبور المتصوفة [7]،وحسبنا في ذلك تقاتل الناس على دفن أحد المتصوفة فلم يدفن إلا بعد ثلاثة أيّام [8]،هذا فضلا عن ظاهرة التبرك بنعش المتصوفة والصلحاء و وصل بهم الأمر في بعض الأحيان إلى تكسير النعش واقتسامه للتبرك به[9]،ولم تكن هذه الظاهرة خاصة بالغرب الإسلامي فقط بل نجد الناس بالمشرق قد تبركوا بنعش متصوفة مغاربة ماتوا هناك ،فعلى بن محمد المعافري لما توفي في بيت المقدس حضر جنازته النصارى، وراحو هم أيضا يتبركون بنعشه إذ رموا بثيابهم عليه وأخذوا يمسحون بها على وجوههم قصد التبرك[10]،وكان الناس يقصدون قبور الأولياء والمتصوفة للدعاء عندها ليشفى مرضاهم، وعمدوا أثناء تشييع جنائز المتصوفة إلى الرجوع بقليل من تراب قبورهم للاستشفاء به

---

(1) نفسه: ص127.

(2)بوتشيش:المغرب والأندلس...ص137.

(3)بونابي:المرجع السابق،ص176.

(4)الغبريني:المصدر السابق،ص63.

(5)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 96 ،295 ،347 ،421 ،445 ؛ابن الخطيب :الإحاطة ،ج1 ص 186

(6)السلاوي:المصدر السابق،ج3،ص253

(7)طه:الحياة الاجتماعية...ص331.

(8)ابن الزيّات: المصدر السابق ، ص 108.

(9)ابن الأبّار :التكملة...ج2 ،ص652 ؛ السلاوي :المصدر السابق،ج3 ،ص253.

(10)ابن عيد الملك: المصدر السابق، السفر 5 ،القسم 1 ص 316.

كما جرى لقبر أبي يعزى الذي كان الناس ينقلون من ترابه لمرضاهم ليستشفوا به[1]،وشكّل قبر أخت عبد العزيز التونسي بأغمات إحدى الأماكن التي كان الناس يقصدونها للاستشفاء بها[2]وفضّل الناس الدفن بجوار قبور المتصوفة لينالوا مغفرة الله بقربهم،إذ لفظت الأرض نعش أحد المسرفين على أنفسهم أكثر من مرة،فاجتمع رأي الناس على دفنه بجوار قبر رجل صالح،فدفنوه بجوار قبر عبد الله بن محسود فاستقر به القبر في الأخير[3]وانتشرت ظاهرة زيارة القبور بالغرب الإسلامي خلال هذه الفترة للتبرك بها كقبر أبي يعزى بآغمات[4]،وقد بنيت عليه قبة عظيمة[5]، وما هذا إلا دليل على إحترام قبور الأولياء ،كما أن قبر عبد الحق الاشبيلي كان هو الآخر مزارا ويتبرك به[6]وقبر أبي مدين شعيب كان يزروه الناس من كل الجهات[7]،والحجاج يزورنه في أول يوم يرجعـون فيه من حجهم إلى تلمسان قبـل النزول بمنازلهم[8]، و أبو العباس

السبتي قبره مشهور ومزار أيضا، وكان الناس يبعثون له بالصدقة من كل مكان إذ عمل المتبركون بقبره على الدخول إلى روضته حيث قبره خالعين نعالهم عند بابها،فيجلسون بجوار القبر ويدعون بحاجتهم عنده ،ثم يضعون صدقاتهم في الأواني المخصصة لذلك، وكانت تلك الصدقات تقسّم على الضعفاء من أهل التعفف ممن يقيم بتلك الروضة[9] ،والجدير بالذكر هنا هو ظاهرة زيارة القبور عند العجز عن حل بعض المسائل والقضايا،وحسبنا في ذلك قبر أبي علي حسون الذي كان يقصده بعضهم حتى يجدوا أجوبة على المسائل التي أشكل عليهم. حلها[01]

وظاهرة زيارة القبور كانت منتشرة بكثرة إبان العصر الموحدي ،وذلك لأنها لم تكن مقتصرة على العامة فقط بل شملت حتى الطبقة الحاكمة، فالخليفة الموحدي المرتضى زار سنة 648 هـ/1250م قبر المهدي بن تومرت، وتبرك" بلثم ثراه واستلامه وتوسل هنـاك بأكرم

(1) طه: الحياة الاجتماعية...ص333.

(2)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص70.

(3) ابن القاضي: المصدر السابق،القسم 2، ص420.

(4) الصبّاغ القلعي: بستان الأزهار،ورقة 52 الظهر .

(5) أبو العباس المراكشي :المصدر السابق،ج1،ص406.

(6)الغبريني : المصدر السابق ص75.

(7)يحي بن خلدون: المصدر السابق ج1، ص128.

(8)بونابي: المرجع السابق،ص174.

(9)عبد الأحد السبتي ،حليمة فرحات:المدينة في العصر الوسيط ،قضايا و وثائق من تاريخ الغرب الإسلامي،ط1،المركز الثقافي العربي،بيروت ،لبنان 1994 م ،ص117.

(10)ابن الزيّات: المصدر السابق،ص 399.

الوسائل وتمثل في تعظيم ذلك المكان" [1] وكان قبر المهدي هو الآخر من القبور التي قصدتها العامة للتبرك به، كما عمد الزوار إلى أخذ ترابه ليستشفوا به مرضاهم[2].

4- دور المتصوفة السياسي:

لعب المتصوفة دورا سياسيا هاما بالغرب الإسلامي إبّان عصري المرابطين والموحدين، وذلك نظرا للمكانة التي احتلوها في المجتمع،وسأتطرق إلى ذلك من خلال التعرف على علاقتهم بالسلطة والفقهاء باعتبار أن هؤلاء كانوا يشكلون طرفا فعالا في السياسة خاصة في العصر المرابطي ولذا وجب معرفة علاقة المتصوفة بهما.

1- علاقة المتصوفة بالسلطة:

أ- علاقة الاتجاه الصوفي المعتدل بالسلطة:

تأرجحت علاقة السلطة إبّان عصري المرابطين والموحدين بالمتصوفة ما بين علاقة توتر وعلاقة احتواء وتقرب منهم،وذلك بحسب الظروف وانتماءات المتصوفة المذهبية وأفكارهم الصوفية التي عارضت السلطة في كثير من الأحيان.

وكانت علاقتهم بالسلطة المرابطية متذبذبة رغم ما اشتهر به زعماء الدعوة المرابطية وأمراؤها فيما بعد من زهد وتقشف ،فأبو عمران الفاسي نشأ في بيئة زاهدة عمد فيها فقهاء المالكية بالقيروان إلى الميل للتقشف والعبادة،وهذا ما بثه في تلامذته كوجاج بن زلّو اللمطي[3] الذي سار على نحوه تلميذه عبد الله بن ياسين الجزولي، إذ التزم هو الآخر بحياة الزهد والورع فكان صوّاما قوّاما،كما كان القائد المرابطي يحي بن عمر اللمتوني من"أهل الدين والفضل والورع والزهد في الدنيا"[4]،هذا فضلا عن سلوك أمراء الدولة المرابطية فالأمير يوسف بن تاشفين اشتهر بورعه وزهده وخوفه الشديد من الله[5]، وابنه علي كان "يعد في الزهاد والمتبتلين أقرب منه إلى أن يعد في الملوك والمتغلبين"[6]،وسار على نفس النهج باقي الأمراء باعتبار أن دعوتهم قامت منذ بدايتها على النسك والورع والزهد[7]،إلا أن السلطة المرابطية اتّسمت علاقتها بالمتصوفة بالتوتر في

(1) ابن عذارى :البيان الموحدي، ص399

(2)نفسه: ص149.

(3)أحمد محمود:المرجع السابق،ص101.

(4)ابن أبي زرع:المصدر السابق،ص ص 78،76.

(5)مجهول:الحلل الموشية، ص ص 82،81.

(6)المراكشي:المصدر السابق،ص171.

(7)عبد الله العروي:مجمل تاريخ **المغرب** ،ج**2** ،ط**2**،**المركز الثقافي العربي** ،**بيروت** ،**لبنان** ،**الدار** البيضاء ،المغرب ،ج2 ،ص144

كثير من الأحيان،إذ التزم الاتجاه المعتدل باستخدام كراماته للتعبير عن مواقفه إزاء ما كان يحدث في المجتمع والسلطة المرابطية أدركت مدى خطورة ذلك عليها،وشاطرها الرأي الفقهاء ،فراحت تضيّق الخناق على المتصوفة وتحد من نشاطاتهم وتتشدد في مراقبتهم،وتجلى رفضها في ضربها لأتباع الغزالي من وراء هجومها على كتاب "الإحياء" الذي أحرق سنة 503هـ/1109 م بأمر من الأمير المرابطي علي وذلك بإيعاز من الفقهاء وعلى رأسهم قاضي قرطبة أبو عبد الله محمد بن علي بن حمدين[1]،ونفذت كتب الأمير إلى كافة أنحاء البلاد يأمرهم فيها بضرورة عدم تصفح ما جاء فيه وتوعد كل من خالف أمره[2]،وقد اختلفت آراء المؤرخين في تعليلهم لسبب معاداة المرابطين للإحياء،فهناك من رأى في عملية حرقه إمتدادا لمحاربة الفقهاء والمرابطين لعلم الكلام الذي كان محضورا عندهم[3]،في حين أرجع بعضهم سبب الحرق إلى موقف الغزالي في كتابه المعادي للفقهاء[4]وقد تضمن "الإحياء" بعض الأخطاء التي أثارت هؤلاء الفقهاء، ففيما يخص الأحاديث التي وردت منها ما كان موضوعا ،فضلا عن الخلل من جهة النحو وقد تضمنته كل كتاباته إلى جانب كثرة الألفاظ الفارسية التي رأى فيها بعضهم بأنها مستبشعة،ولم تكن تلك الأخطاء إلا القطرة التي أفاضت الكأس،فكتاب "الاحياء" كان موجها إلى كافة الناس ليراجع كل واحد منهم سلوكه وتفكيره ،وهذا ما أثار الفقهاء ذلك لأنهم رأوا ضرورة أن يراعي الغزالي قبل كل شيئ الاختلاف بين تفكير العامي وتفكير الخاص من العلماء والفقهاء في إثارته لقضايا عادية، فما بالك إذا ناقش قضايا يرفض هؤلاء العلماء والفقهاء إثارتها ومناقشتها ،لذلك من الواجب أن نأخذ هذه الأمور بعين الاعتبار في إثارتنا لمسألة إحراق "الإحياء"[5]،فمن القضايا التي ناقشها الغزالي في مؤلفه بعض المسائل المتعلقة بالعلماء والسلاطين فبالنسبة للسلاطين عارض فكرة مخالطة العلماء لهم ورأى في اعتزالهم أمرا واجبا، لأن مخالطتهم تجر صاحبها إلى مشاركتهم في أفعالهم وظلمهم ويتعرض بذلك إلى معصية الله وأجاز الدخول عليهم في حالتين:

1-في حالة طلب السلطان دخول العَالم عليه وخوف هذا الأخير على نفسه عند عدم تلبية طلبه[6]

(1)ابن القطان:المصدر السابق،ص ص 14 ،15.

(2) نفسه:ص 15 ؛المراكشي:المصدر السابق،ص173.

(3)المراكشي: المصدر السابق،ص 173

((4)أحمد محمود:المرجع السابق،ص446.

(5)عمر بن حمادي:الفقهاء في عصر المرابطين، القسم2،شهادة التعمق في البحث،جامعة تونس1987م ،ص ص583 ،584

(6)أبو حامد الغزالي:إحياء علوم الدين ،مراجعة وضبط محمد الدالي بلطة،ج2،ط3،المكتبة العصرية صيدا ،بيروت ،1419 هـ/1998 م ،ص .198

2- إذا كان دخوله على السلطان له علاقة بمصلحة غيره كدفعه للظلم أو مطالبة بحق[1].

أما إذا دخل السلطان بنفسه على العالم فعليه في هذه الحالة أن يستغل الفرصة في إرشاده أو إخافته من نتائج المعاصي التي يرتكبها ،فناقش في باب أمر الأمراء والسلاطين ونهيهم عن المنكر كيفية دعوتهم و؟إرشادهم من خلال تعريفهم بأخطائهم و وعظهم،وحذّر من استخدام القوة معهم لأن ذلك سيؤدي حتما إلى اشتعال نار الفتنة[2]،كما كان له موقف من أعطيات السلاطين التي أجاز أخذها في حالة التأكد من أن مصدرها حلال ،وأن رفض أخذها يعرض صاحبه للضرر وحدد مصادر مال السلطان بثماني مصادر:الجزية،المواريث،والأوقاف الموات الذي أحياه السلطان أو ملك اشتراه أو خراج المسلمين أو أموال تجار يتعامل معهم السلطان ،أو مال ما أسماه بالخزانة والمصادر الخمسة الأخيرة اعتبرها حرام وشبهة ،وأشار إلى أن المعنيين بأعطيات السلاطين هم الفقهاء باعتبارهم مقربين منهم وهذا ما جعل الفقهاء يثورون على كتابه[3]

وهناك مسألة أخرى تعلقت بسياسة الدولة المرابطية في الضرائب المفروضة على المسلمين فقد عالجها هي الأخرى بتحديده لمصادر دخل السلطان ،فحلل كل من الغنيمة والفيئ والجزية التي تؤخذ من الكفار،أما المأخوذة عن العامة من المسلمين فحصرها في المواريث والأملاك مجهولة الأصحاب والأوقاف والصدقات وحرّم الخراج المفروض على المسلمين والمصادرات والرشوة[4] وعرّض بذلك الدولة المرابطية للحرج إذ حدد أنواع الأموال التي تؤخذ من المسلمين وما عداها حرّمه، و وضع السلطة أمام الأمر الواقع إن صح التعبير ،فقد كشف أوراقها خاصة وأنها باتت تعاني من أزمة مالية فقيامها على اقتصاد المغازي جعل الأمر متعلقا بتوسعاتها وغزواتها ،فكان تراجع حجم المغازي دافعا على إقبال علي بن يوسف على فرض ضرائب غير شرعية على الناس [5]،ولم يتوقف تحذيره من التعامل مع السلاطين عند هذا الحد فقط بل تعداه إلى القضاة والعمال والخدم الذين هم في علاقة وصلة دائمة بالسلاطين ويأخذون من أموالهم الحرام ،إذ حمّل

(1)نفسه: ص198

(2)نفسه: ج2،ص ص 198 ،460.

(3)بنسباع:المرجع السابق،ص ص 83 ،84.

(4)نفسه:ص ص 84-85.

(5)بوتشيش:المغرب والأندلس،ص ص 17 ،18.

القضاة والعلماء مسؤولية ما يُقدم عليه السلاطين من أعمال منافية للشرع فقال:" إنما فسدت الرعية بفساد الملوك،وفساد الملوك بفساد العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقلّ فساد الملوك خوفا من إنكارهم"[1].

وفي باب آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء وصف العلماء الذين يسعون بعلمهم إلى كسب الدنيا بأنهم علماء الدنيا فقال"علماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها "[2]،وقصد بذلك الفقهاء ورأى بأنهم يعملون عن طريق العلوم التي يخوضون فيها إلى خدمة مصالحهم للتقرب من السلطة [3]،وذهب إلى القول بأن الله وصف "علماء الدنيا السوء بأكل الدنيا بالعلم وعلماء الآخرة بالخشوع والزهد"[4] وهو هنا يشير إلى الفقهاء الذين سعوا إلى كسب الدنيا والتقرب من الأمراء والسلاطين حبا في الدنيا ،وبوصفه هذا يكون قد رفع الستار عن الفقهاء وكشف حالهم للناس،إذ بلغوا منازل عليا وسكنوا المنازل الفاخرة وتشبهوا بالملوك،و هو ما يؤكد سعيهم وراء الدنيا[5]ومن هذا المنطلق كان الإفتاء بوجوب إحراق كتابه" بالاحياء" واتّخاذ الأمير علي لهذا القرار كان ناتجا عن دوافع تمثلت في كونه قد مرّ على تقلده للحكم ثلاث سنوات فقط، لذا فمركزه كان لا يزال هشا،ناهيك عن حركات العصيان التي واجهها فابن أخيه ثار بفاس وصهره ثار بغرناطة، وبقرطبة ثار أحد عمومته من كبار رجال الدولة وهو أبو عبد الله بن الحاج الذي شكّل خطرا على أمن الدولة و زعزعة كيانها بالاندلس،ويرجع الفضل في القضاء عليه إلى الفقيه بن حمد ين وبذلك وجد الأمير علي نفسه مجبرا على رد الجميل من جهة وضرورة ضمان سند يقف إلى جانبه في مواجهة باقي من ثار من جهة أخرى ،فما كان عليه إلاّ أن رضخ وتقبّل إفتاء هذا الفقيه حول حرق "الاحياء"[6]

وبالرغم من موقف السلطة المرابطية من الاحياء إلا أنه كان مرشدا ومنهاجا للمتصوفة، الذين عملوا بما جاء فيه من أفكار واتخذوا بذلك موقفا صارما ومتشددا في تعاملهم مع السلطة

(1)الغزالي:احياء علوم الدين،ج2 ،ص205.

(2)نفسه: ج1 ،ص83.

(3)علي أومليل :السلطة السياسية والسلطة العلمية الغزالي – ابن تومرت– ابن رشد أبو حامد الغزالي ، دراسات في فكره وعصره وتأثيره) ،سلسلة ندوات ومناظرات رقم 09 ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،الرباط،1988 ، ص15

(4)الغزالي:إحياء علوم الدين، ج1،ص86.

(5)أحمد موسى :النشاط الاقتصادي ،ص152.

(6)بن حمادي:المرجع السابق،ص ص 587 ،588.

التي رفضوا التقرب منها،فهذا أبو بكر يحي بن محمد بن وزْرج لم يمش"قط في مظلمة و لا إلى باب سلطان"[1]،والتزم بعضهم بمباعدته للأمراء والمترفين[2]، كما رفضوا هبات وعطايا الملوك والأمراء، وكان رفضهم من منطلق الابتعاد عنهم وعدم مخالطتهم، فابن العريف نفسه رفض مساعدة الأمير علي عندما أشخصه إلى مراكش وسأله حاجته فما كان عليه إلاّ أن أبدى له رغبته في أن يسرحه،وكان يتمنى أن لا يلقى السلطان ولا يعرفه[3]، ووصل حرص أبي محمد عبد العزيز التونسي على الابتعاد عن ذوي السلطان وعدم مخالطتهم إلى التوقف عن التعليم لما رأى طلبته يتقلدون من وراء ذلك الخطط والمناصب ،فرأى أنه بهذا سيكون "كبائع السلاح من اللصوص"[4].

وكان بعض المتصوفة يتضرعون إلى الله بالدعاء حتى لا يجمع شملهم بالأمراء والعمال، وحسبنا في ذلك المتصوف أبو عبد الله بن الأمان(ت540 هـ/1145 م) الذي دعاه أحد كبار القوم لزيارته فكره ذلك وقد حال الله بينه وبين لقائه فعلا، كما دعا المتصوف أبو يحي أبو بكر بن ملّول الأسود الله بأن يحول بينه وبين زيارة أحد الأمراء له[5]وقد ندم أبو محمد أبو الأمان عندما زاره الأمير المرابطي علي وعند وفاته أخبر صديقه بندمه عن ذلك اللقاء ،وندم متصوف آخر على تقربه من الأمير فكان يقول:"أرجو أن ألقى الله تعالى وهو لا يحاسبني على كذبة واحدة إلا كذبة أكرهني السلطان عليها"[6]،ورفض أخر تولّي قضاء أغمات حتى و لوكان ذلك على حساب حياته وهذا ما جاء في قوله :"والله لو نُشرّت بالمنشار من قرني إلى قدمي ما قبلت هذه الولاية"[7]،وبلغ الأمر أحيانا ببعض المتصوفة إلى تحدي الأمراء مباشرة، وحسبنا في ذلك أبو محمد عبد السلام التونسي الذي رفض أن يديّن مشرف أحباس جامع تلمسان الأمير المرابطي تميم مبلغا قدره خمسمائة دينار،وذلك خوفا أن يرده من ماله الخبيث[8]،كما لم يتوان أحدهم في تهديد أحد

---

(1)ابن الزيات:المصدر السابق،ص ص 6 ،291.

(2)بوتشيش:المغرب والأندلس،ص151.

(3)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص98.

(4)نفسه:ص ص 68 ،69؛ابن بشكوال :المصدر السابق،ج3 ،ص549.

(5)ابن الزيّات:المصدر السابق ،ص ص 283 ،429.

(6)نفسه: ص ص 131 ،133.

(7) نفسه:ص186.

(8)نفسه: ص89.

الولاة الجائرين في رسالة كتبها وتوعده فيها بالهلاك إن لم ينته عن ظلمه وجوره[1] ،هذا فضلا عن أبي عبد الله محمد المصالي الذي اغتصب منه، أحد العمال بستانه فبعث له بأمره بإرجاعه وهدده في حالة عدم رده،فما كان على العامل إلا أن خضع لأمره واعتذر له خوفا من دعائه المستجاب[2].

ولهذا لم تدّخر السلطة المرابطية جهدها في التشديد على بعض المتصوفة ومراقبتهم للحد من نشاطهم ونشر أفكارهم التي جمعت حولهم عدد كبير من المناصرين مما أثار تخوفها واتخذت عدة اجراءات إزاء ذلك، فأبو الفضل ابن النحوي أُخرج من المسجد بسجلماسة من قبل أحد العمال بحجة أنه يدرّس علوما كانت محظورة إبّان العصر المرابطي، وتعرض أبو لقمان بن يعقوب الأسود للضرب من قبل أحد العمال[3]، وتخوفت السلطة من أبي يعزي الذي كثر المريدون عليه واجتمعوا حوله فأُرغم على الخروج من حومة البليدة بفاس بحجة أن أهل البدع كانوا يجتمعون إليه[4]،كما كانت للسلطة المرابطية إجراءات أخرى اتخذتها لقمع نشاط العديد من المتصوفة، فراحت تسلط المراقبة الصارمة والشديدة على المراسلات والخطابات التي كان المتصوفة يتبادلونها،حتى أنها كانت تمنع وصولها إلى أصحابها في أكثر الأحيّان[5] ،وعمدت إلى إشخاص بعضهم لاختبارهم كابن العريف الذي طلب علي بن يوسف من عامل المرية أن يشخصه إلى مراكش،واشخاصه كان بإيعاز من قاضي المرية ابن الأسود الذي خوّف الأمير علي منه فأُرسل مقيدا إلى مراكش،إلاّ أن الأمير أطلق سراحه،وأُقدمت السلطة على سجن العديد من المتصوفة كابن يرجان الذي أشخض إلى مراكش بعد أن سُعي به ،وعُقد له مجلس مناظرة أُنكرت عليه فيه بعض المسائل فزج به في السجن ومات به، وعندما توفي أمر الأمير علي أن يطرح على مزبلة ولا يصلي عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، غير أن ابن حزرهم أمر أن ينادي في الأسواق بحضور جنازته ودفنه ولعن كل من تخلف عن حضورها[6]،كما أُشخص مع ابن برجان وابن العريف محمد بن الحسين الميورقي الذي تمكن من الفرار إلى بجاية حيث أقام بها مدة عمل فيها بالتدريس، [7]وممن

(1)بوتشيش: المغرب والأندلس،ص151.

(2) ابن الزيّات ،المصدر السابق،ص75وما بعدها.

(3) نفسه،ص ص 75 ،215 ،216.

(4)بوتشيش:المغرب والأندلس،ص ص 151 ،152.

(5)دندش: الأندلس في نهاية المرابطين،ص62.

(6) ابن الزيات:المصدر السابق،ص ص 96 ،98 ،148 ،149.

(7)المقري:نفح الطيب،ج2،ص 155 ؛ابن الأبّار:التكملة ،ج1 ،ص440.

سجن أيضا محمد بن أحمد نمارة الحجري وأبو عبد الله محمد بن خلف اللخمي، الذي اتّبع المذهب الظاهري، ويمكن أن يرجع عداء السلطة المرابطية له لاختلافه المذهبي عنها[1] ،غير أن النكبات التي تعرض لها المتصوفة لعبت فيها الخلفيات السياسية دورا هاما، وتدخل تلك النكبات في إطار دفاع السلطة عن وجودها ومكانتها[2]،وقد سجن أبو الحسن علي بن حرزهم (ت 559 هـ/1163 م) بفاس،كما سجن أيضا عبد الله الأصم وأبي عبد الله الدقاق بأمر من الأمير تاشفين بن علي [3]،وكاد أن يقتل أبي عبد الله الدقاق رفقة جماعة من أهل سجلماسة لو لم يشفع لهم أحد أشياخ فاس، والحملة التي أعلنها المرابطين على المتصوفة شملت حتى النساء، إذ تعرضت إحداهن للتعذيب من قبل رجال الشرطة حتى تدلهم على بعض المتصوفة وقاموا بفقع عينيها بعدما يئسوا منها[4]، وبالرغم من تلك الإجراءات القمعية التي اتخذتها السلطة المرابطية ضد المتصوفة إلاّ أن هؤلاء تمسكوا بأفكارهم، وهذا ما تبين من إحدى الرسائل التي بعثها ابن العريف لأبي الحسن سيد المالقي وهو بالسجن، والتي عبرّ فيها عن قوة إرادة المتصوفة وصبرهم في الشدائد وتحملهم للمصاعب[5] وسعت السلطة دائما إلى إضفاء الشرعية على ما تقوم به من اضطهاد إزاء العديد من المتصوفة حتى تتفادى نشوب اضطرابات ومواجهات مع أتباعهم، وحسبنا في ذلك ما حدث لابن برجان الذي عمد الفقهاء إلى اعتبار أن أفكاره وشروحاته للمسائل التي عيبت عليه خارجة عن الشرع و أُدين بعدها[6] بيد أنه في كل الحالات كانت شعبية المتصوفة تزداد قوة مما عرقل السلطة، خاصة وأنها بدأت تعرف أزمة مالية وتمايزا طبقيا بزيادة سيطرة الفقهاء على السلطة وتسيير أمور الدولة، إلى جانب الانحلال الخلقي الذي بات يهدد مجتمع الغرب الإسلامي[7]،وفي هذه الحالة وجدت السلطة المرابطية نفسها مجبرة على تغيير سياستها اتجاه المتصوفة لتكسبهم وتتفادى تصاعد الصراع فيما بينهما وحاولت احتواءهم ،وتمثلت سياسة التقارب التي بدأت

---

(1)ابن عبد الملك:المصدر السابق، السفر 6 ،ص ص 181 ،182.

(2) بن حمّادي :المرجع السابق،ص 537.

(3) ابن الزيات: المصدر السابق،ص ص 134 ،151.

(4) بوتشيش :المغرب والأندلس، ص 153.

(5) ابن العريف:المصدر السابق،ص ص 180 ،181

(6) ابن الزيات:المصدر السابق،ص ص 148 ،149.

(7) محمد القبلي:مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط ،ط1 ،دار توبقال للنشر ،الدار البيضاء ،المغرب ،1987 م ص38 وما بعدها.

السلطة المرابطية تنتهجها في محاولة تمويهها لبعض أشياخ التصوف باتّباعهم سلوكاتهم الصوفية[1] فهذا الأمير مزدلي بن تلكان أمير تلمسان قصد أبا محمد عبد السلام التونسي للتبرك به ويشاركه في طعامه[2] ،كما استُقبل غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي بحفاوة كبيرة من قبل رجال السلطة بما فيهم الفقهاء عند نزوله إلى غرناطة،بعد عودته من رحلته بالمشرق للتبرك به والتمـاس دعاءه لهم[3]،وقد تاب أحد الولاة عن ظلمه للرعية ،واعتزل الحياة التي كان يعيش فيها لأجل عبادة الله والتقرب منه[4].

واستدعى أحد أمراء صنهاجة ابن حرزهم للأخذ عنه ولازمه وأمره ابن حرزهم بالورع والتقشف فلم يكن هذا الأمير يأكل إلا خبر الشعير [5]،و زار الأمير المرابطي علي المتصوف أبا الأمان غير أن هذا الأخير أبى أن تتم زيارته بداره فاجتمع به خارجها،وأبو محمد عبد الله المليجي(ت540 هـ/1145م) هو الآخر زاره السلطان وبعث له ألف دينار إلاّ أنه ردّها، في حين قبلها منه عبد الجليل ابن ويحلان وقام بتوزيعها على الفقراء والمساكين،والأمير تاشفين بن علي بدوره عمد إلى زيارة أبي زكريا يحي بن محمد الجراوي أثناء توجهه بجيوشه إلى وهران للتبرك به والتماس الدعاء له ،ورغم نصيحة أبي زكريا له بعدم المجازفة إذ تنبأ بزوال ملكه وهلاكه،إلاّ أنه واصل سيره إلى وهران فكانت نهايته هناك بالفعل[6].

يتبين لنا مما سبق أن السلطة المرابطية استخدمت أسلوبا ثانيا في سياسة الود التي انتهجتها مع المتصوفة ،وتمثل في إغداقهم وإنعامهم بالأموال ،وهذا ما جرى أيضا مع أبي الحجاج الضرير الذي عمد إلى توزيع الأموال التي حصل عليها من الأمير المرابطي على الفقراء والمساكين قبل خروجه من مراكش إلى أغمات[7]

وما يلفت الانتباه السياسة المزدوجة التي ميّزت الأمير علي، فقد رأينا مسبقا كيف تعامل مع بعض المتصوفة بإجبارهم على المناظرة واشخاصهم من كل مكان إلى مراكش ،ناهيك عن

(1) بوتشيش: المغرب والأندلس ص154.

(2)ابن الزيّات: المصدر السابق، ص88 ،وهناك من رأى بأن زيارة الأمير مزدلي لعبد السلام التونسي توحي بالاحترام الذي يكنّه رجال السلطة للمتصوفة وتعبر عن مدى خوفهم منهم لثقلهم الكبير لدى العامة ،أنظر بوتشيش :المغرب والأندلس ،ص154.

(3)نفسه:ص154.

(4)ابن رشد:المصدر السابق،مج2،ص882.

(5)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص148 ؛ابن القاضي،المصدر السابق القسم2 ،ص464.

(6)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 116 ،124 ،133.

(7)نفسه:ص84.

الزج بهم في السجن، إلاّ أنه في نفس الوقت استطاع أن يغيّر سياسته إلى الود قصد احتوائهم وكسبهم لجانبه، وهذه السياسة وليدة لظروف أجبرته على ذلك، لذا فإن سياسة الاحتواء بلغت ذروتها في

العصر المرابطي مع آل أمغار بعين تيط بآزمور إذ مثّلوا الموقف المهادن للسلطة التي أحاطت شيوخهم بالاحترام والتوقير،وحسبنا في ذلك الظهير الذي بعث به الأمير علي إلى أبي محمد عبد الله بن أبي علي الومغاري والذي كان مؤرخا في سنة 527 هـ/1132 م ملتمسا منهم الدعاء[1]، وبات عبد الله أمغار يُستشار من قبل الأمير علي في أمور الدولة وما استشارته في بناء سور مراكش إلا دليل على ذلك[2]،حتى أنه ساهم بأمواله في عملية بنائه،كما كان من بين المساندين للمرابطين في حربهم ضد الموحدين فاحتل بهذا مكانة مرموقة لدى المرابطين، وراح الأمير علي بن يوسف يبجله ويفتخر به،واعتبره شيخ مشائخ الغرب الإسلامي ككل،وذلك رغم معارضة آل أمغار عملية إحراق "الاحياء"[3]،وهذا ما يؤكد على أن الأمير علي غيّر سياسته في الوقت الذي بدأت فيه دولته بالتدهور ،فأراد من خلال سياسة الود والاحتواء أن يضمن كسب جبهة المتصوفة لأن الظروف باتت لا تسمح له بتصعيد الصراع معها،خاصة وأنها تميزت بثقلها الكبير وتأثيرها على العامة وهذا ما أثار تخوفه.

وقد سعى الأمير علي لكسب أكبر عدد ممكن من المتصوفة ،وحسبنا في ذلك إصداره لأمر اجتماع صلحاء الغرب الإسلامي عنده[4]

وحصيلة ما سبق هي أن السلطة المرابطية كانت علاقتها بالمتصوفة في أغلب الأحيان متوترة، واستخدمت الشدة معهم حتى أنها زجت ببعضهم في السجون كما سبق وأن أشرنا، غير أن علاقتها بهم تغيّرت فيما بعد إلى محاولة احتوائهم بعد عجزها في القضاء على نشاطهم،وما يمكن أن نقوله عن هذا هو أن الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الحرجة والمتدهورة التي أصبحت الدولة تعاني منها هي التي تحكمّت في مستوى ونوع العلاقة مع المتصوفة ،هذا التيار الذي جاء معاكسا لتلك الظروف ناقدا لها.

أما الموحدون فقد كان خلفاؤهم بدورهم من دعاة الزهد والتقشف،فزعيم دعوتهم المهدي

---

(1)مجهول:مفاخر البربر،ص219.

(2) أبو العباس المراكشي:المصدر السابق،ج1 ،ص ص 96 ،97.

(3) بوتشيش:المغرب والأندلس...ص155.

(4) نفسه:ص155.

ابن تومرت اشتهر بزهده وتقلله في الدنيا[1]،وسار على نهجه الخليفة عبد المؤمن إذ عُدّ من الزهاد المتقشفين فلم يكن يلبس إلاّ الصوف تواضعا منه لله وزهدا[2]،كما أنه كان قد تتلمذ على المتصوف

أبي محمد عبد السلام التونسي[3]،وابنه أبو يعقوب يوسف(ت580 هـ/1184 م) هو الآخر زهد وتقشف في حياته وكان يبعث للصوفية ويسألهم الدعاء له، وقد كثر في عهده المتبتلون والصالحون فكان" يصل من يقبل صلته منهم بالصلات الجزيلة"[4]،ويزورهم للتبرك بهم ويحضر جنائزهم[5]،هذا ناهيك عن يعقوب المنصور (ت595 هـ/1198م)الذي كان يبعث للمتصوفة لزياته بمراكش[6]،ومن مظاهر التقرب منهم اقطاع الخليفة عبد المؤمن أرض زراعية لأبي النجم هلال بن يونس الغبريني[7]، و وظّف الموحدون كرامات بعض المتصوفة لصالحهم مثلما جرى مع الخليفة عبد المؤمن بن علي، الذي استعان بكرامات المتصوف أبي يعزى لترهيب العرب الهلالية الذين رافقوه أثناء عودته من افريقية إلى المغرب الأقصى حتى يُحكِم سيطرته عليهم أكثر[8]،وقام أبو بكر أحمد المخزومي العابد بتسيير شؤون شقر سنة 566هـ/1170م بعد إعلان خلعه للأمير محمد بن سعد، الأمر الذي جعله يبقى تحت الحصار مدة طويلة وقد كان لتصرفه هذا أثر على أبي يعقوب الموحدي[9]،واستطاع أبو عبد الله بن الحجّام أن ينال مكانة لدى الخليفة المنصور بعد أن استدعاه إلى مراكش وحافظ على نفس المكانة لدى الناصر والمنتصر،فكان يتقبل أعطياتهم قصد التصدق بها على الفقراء والمساكين[10]،والمتصوف أباناس بن عبد الصمد بن أورجيع هو الآخر

---

(1)المراكشي: المصدر السابق،ص193 ؛ابن خلكان:المصدر السابق،مج 5 ،ص46 .

(2)ابن القطان:المصدر السابق،ص132.

(3) بونابي:المرجع السابق،ص198.

(4)المراكشي: المصدر السابق،ص278.

(5)ابن أبي زرع:المصدر السابق،ص137.

(6)بونابي :المرجع السابق،ص198.

(7)الغبريني:المصدر السابق،ص169.

(8)مجاني:المرجع السابق،ص11.

(9)ابن عبد الملك: المصدر السابق،السفر 1،القسم 1،ص406.

(10)يحي ابن خلدون،المصدر السابق،ج1،ص112.

أُقطع أرضا بوادي شلف من قبل الموحدين[1]، وقد أجزل الخلفاء الموحدون عطاءهم للمتصوفة إذ خصصّوا لهم مبالغ مالية ضمن الشرائح الاجتماعية التي لا عمل لها[2]،وحسبنا في ذلك الخليفة

يعقوب المنصور الذي خصّص لأبي العباس السبتي راتبا وحبس عليه دارا بمراكش وزاوية لنشر العلم[3]،وقام أبو العبّاس بعيادة أحد الأمراء وطلب منه هذا الأخير الدعاء له بالشفاء[4]،والمتصوف أبو العبّاس أحمد التميمي هو الآخر كانت له مكانة عالية لدى ملوك عصره الذين كانوا يتبركون به ويعظّمونه ويجزلون له العطاء وهو يتقبله منهم،وعمد ملوك بني عبد المؤمن وأمراؤهم ورجال دولتهم إلى تخصيصه لتوزيع صدقاتهم على الفقراء والمحتاجين،والتي كان يحرم منها أهل البدع وأصحاب الأهواء[5]، كما استوهب الخليفة الموحدي المرتضى الدعاء من الصلحاء، و زار قبر المتصوف أبي شعيب السارية فور وصوله الى مدينة آزموريغية الدعاء والتبرك به،[6]،واستدعى أبو جعفر الجيار المالقي إلى قرطبة من قبل واليها أبي العلاء إدريس بن المنصور الموحدي الملقب بالمأمون للتبرك به، إذ كان يعظّمه ويرفع من مكانته[7].

وما يمكن ملاحظته من تقبل المتصوفة لأعطيات الخلفاء الموحدين، هو أنهم سعوا من وراء ذلك المساهمة في النهوض بالفئات المهمشة والفقيرة في المجتمع، للقضاء على الفقر والعوز اللذين يعانون منهما،فحاولوا بذلك المساهمة بدورهم في التصدق بتلك الأعطيات عليهم، والجدير بالذكر هو أن السلطة الموحدية قد انتصرت للتيار الصوفي، خاصة مع الخليفة أبي يوسف يعقوب الذي قام بحملة ضد المذهب المالكي، حيث أمر بالأخذ بالكتاب والسنة وأصدر قرارا يقضي بحرق كل كتب المذهب المالكي كالمدونة وعمّ ذلك كل أنحاء البلاد، وتُوجت حملته المضادة بالمجموع الذي أمر بحفظه وأجزل العطاء لمن يحفظه[8].

---

(1)ابن خلدون:العبر، ج7،ص133.

(2)أحمد موسى:النشاط الاقتصادي..ص344.

(3)أبو علي الهواري:مناقب أي العباس السبتي،ورقة 10 الوجه

(4) المقري:نفح الطيب...ج7،ص276.

(5)ابن عبد الملك:المصدر السابق،السفر1القسم1،ص ص 49،48.

(6)ابن عذارى:البيان الموحدي...ص ص 399 ،400 ،441.

(7) ابن عبد الملك: المصدر السابق،السفر 1،القسم1،ص261.

(8) المراكشي:المصدر السابق، ص ص 278 ،279.

وهنا نتسائل عن الموقف الذي اتخذته السلطة الموحدية إزاء مؤلفات الغزالي وفي مقدمتها "الإحياء"؟

إن المتتبع لتاريخ الدعوة الموحدية يتبين له مدى تأثّر زعيمها المهدي بن تومرت بالغزالي، وحرصه على تأكيد تتلمذه على الغزالي هو محاولة لربط دعوته الإصلاحية بحركة الاصلاح والتجديد التي دعا إليها الغزالي[1]،وفي ظل الدولة الموحدية عرف "الإحياء" انتشارا واسعا وتداولا كبيرا بين الناس ،لانفتاح سياسة الدولة على مؤلفاته على عكس ما جرى مع نظيرتها المرابطية، وعمد االمتصوفة آنذاك إلى مطالعته واتّباع ما جاء فيه من أفكار صوفية وعكفوا على ذلك، حتى أنهم عملوا على التأليف لنصرته ملثما جرى مع ابن الرمّامة الذي صنّف مختصرا للإحياء[2]،وأبو علي حسن المسيلي هو الآخر ألّف كتابا في علم التذكير الذي سبق الاشارة إليه، ونظرا لاتباعه فيه أسلوب الغزالي في الاحياء ،فقد سمي بأبي حامد الصغير[3]،وقد عزّز الخليفة عبد المؤمن مناصرة الموحدين "للاحيّاء" من خلال تأثره بأفكار مؤلفه خاصة فيما يتعلق بالتعليم،إذ أضاف الرياضة لباقي المواد التي كان يدرسها الطلبة،وأصبحوا يمارسون حركات رياضية كتعلم ركوب الخيل ورمي القوس، والسباحة في بحيرة مراكش، إلى جانب التعلم على ركوب القوارب وغيرها من الرياضات،وهذا فعلا ما دعا إليه الغزالي[4].

يتضح مما سبق أن الموحدين كانوا على علاقة حسنة مع المتصوفة خاصة وأن كتاب" الاحيّاء" قد عرف تداولا خلال عصرهم ،غير أننا نتساءل هل كانت علاقتهم بكل المتصوفة ودية كما لاحظنا أم أنها عرفت فترات توتر كما جرى مع نظرائهم المرابطين؟

لم تكن علاقة الموحدين بالمتصوفة في كل الأحوال ودية وحسنة، فقد عمد بعض الخلفاء إلى إشخاص المتصوفة وزجهم بالسجن واستخدام سياسة التهديد معهم، وذلك بحسب الظروف الداعية إلى ذلك كاعتقادات المتصوفة وكراماتهم وكثرة أتباعهم التي كانت في كثير من

---

(1)الطاهر المعموري: الغزالي وعلماء الغرب،الدار التونسية للنشر،تونس ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1990م ، ص27جان وجيروم طارو: أزهار البساتين في أخبار الأندلس والمغرب على عهد المرابطين والموحدين،ترجمة وتعليق أحمد بلافريج ومحمد الفاسي،المطبعة الوطنية ،الرباط 1349 هـ،ص87.

(2) المنوني :إحياء علوم الدين في منظور .....ص ص 132 ،133.

(3)الغبريني :المرجع السابق،ص ص 66 ،67.

(4)المنوني:إحياء علوم الدين في منظور...ص133.

الأحيان سببا في توتر العلاقة بينهما لما تثيره من مخاوف للسلطة الموحدية ،ففي عهد الخليفة عبد المؤمن وُشي بأبي يعزى عنده فاستدعاه حتى يختبره ويعرف حقيقة المكاشفات التي اشتهر بها، وعند

وصوله كاشف الخليفة ببعض الأمور، إلّا أن هذا الأخير أراد أن يأتيه بمكاشفات أخرى فما كان على أبي يعزى إلاّ أن قال له :" حمار سيأكله السبع الليلة،فأمر الخليفة أن يوضع الحمار بين مربط خيله وبيت العبيد،فلما أصبح وجدوا العبيد قد تفرقوا فارين والسبع يأكل الحمار فقتل الشيخ السبع فقال عبد المؤمن لمرافقيه: أن الشيخ يقول لكم أنا رب الحمار لهذا قتلت من قتله وأنا عبد ربي فإن قتلتموني غضب لي سيدي "[1] ،وقد وظّف الخليفة هذه الكرامة لصالحه حتى يبين أنه لكل واحد رب يحميه و للدولة الموحدية خليفة يحميها[2] ،وتعرض أبو يعزى للسجن من قبل أحد العمال إذ سجنه مع الوحوش والسباع الجائعة إلاّ أنها لم تفترسه بل التفت حوله، والأغرب من هذا أنه في كل مرة كان يقيد فيها يسقط الكبل من رجليه ،الأمر الذي أخاف العامل وأرهبه فأمر بإطلاق سراحه[3]،وسجن أيضا على بن حرزهم من قبل عبد المؤمن كرد فعل على إحدى مكاشفاته إلاّ أنه أطلق سراحه[4]، وهذا إن دلّ على شيئ دل على أن المتصوفة سعوا إلى استخدام خطابات كراماتهم لمواجهة رجال السلطة ومحاربة ظلمهم وتعسفهم[5]، وقد أثار هذا مخاوف السلطة الموحدية خاصة وأن تلك الكرامات باتت تكشف ما يجري في الواقع،إذ أقدم أبو مدين شعيب على كشف حقيقة الأزمة التي تعانيها العامة،فحمّل هذه الأخيرة مسؤولية جور وتعسف السلطة بتهيئة المناخ المناسب لذلك[6]،الأمر الذي دفع بأحد المؤرخين إلى اعتباره أول صوفي زرع بذرة العمل السياسي للصوفية [7]،كما أنه أمر بضرورة احترام المتصوفة وتهديد كل من قللّ من احترامهم بغضب الله وانتقامه منهم[8] ،وهو بذلك يوافق نفس الطرح الذي أبداه أبو يعزى في كرامته السابقة،مما

---

(1)الصبّاغ القلعي:بستان الأزهار،ورقة 49 الظهر.

(2) مجاني:المرجع السابق،ص112.

(3) الصبّاغ القلعي: بستان الأزهار،ورقة 49 الظهر.

(4)مجاني:المرجع السابق،ص112.

(5) بوتشيش:المغرب والأندلس..ص145.

(6)بونابي:المرجع السابق،ص201.

(7)ابراهيم حركات:الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب،مجلة الأصالة العدد26 ،السنة الرابعة جويلية –أوت 1975 ،ص184.

(8)الغبريني:المصدر السابق،ص63.

يدل على أن المتصوفة سعوا دائما إلى فرض احترامهم سواء تعلق الأمر بالعامة أو الخاصة فكانوا محل احترام وتبجيل،فأبو مدين كان يلجأ إليه غيره من المتصوفة خوفا من السلطة الموحدية كأبي عمران موسى الحلاج الفاسي الذي لجأ إليه [1]،وهذا ما أثار السلطة عليه خاصة وأن بعضهم قد وُشي به

لدى الخليفة المنصور بحجة أنه يتشبّه بالمهدي ابن تومرت ،وأن أتباعه يتزايدون مع الوقت مما دفع بالخليفة إلى استدعائه لاختباره،والجدير بالذكر هنا هو أن الخلفاء الموحدون سعوا دائما إلى كسب المتصوفة إلى جانبهم ،وغالبا ما تعاملوا معهم باحترام عند إشخاصهم،وحسبنا في ذلك توصية الخليفة المنصور لوالي بجاية بأن يحسن إلى أبي مدين عندما يرسله إليه بمراكش[2] ،إلاّ أن أبا مدين توفي في طريقه إلى مراكش بالعباد – بتلمسان–[3]،وعبد الحق الاشبيلي هو الأخر لم تكن علاقته بالمنصور الموحدي على ما يرام حتى أنه أراد قتله لو لم تعجل المنية في أخذ روحه[4]، ذلك لأنه كان قد رفض قبل وفاته طلب الموحدين في توليته القضاء والخطابة، بينما قبل نفس الوظيفة عندما عرضت عليه من قبل بني غانية بعد هجومهم على بجاية ،حتى أنه ناصر ثورتهم أملا في الإطاحة بحكم الموحدين الأمر الذي ألّب عليه المنصور[5]،وممن أُشخص إبّان العصر الموحدي أبو حفص عمر بن أبي يعقوب(ت595هـ/1198 م) الذي أشخص إلى مراكش وعاد بعد ذلك، وأبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الصنهاجي (ت596هـ/1199م) هو الآخر كان ممن أشخص إلى مراكش وعاد بعدها إلى أهله، وعمد المتصوفة إلى نقد سياسة الولاة والعمال على منابر المساجد مما أدى إلى اضطهادهم، وحسبنا في ذلك ما جرى للمتصوف أبي ابراهيم اسماعيل الرجراجي(ت595 هـ/1198م)الذي سجن في مطمورة بأمر من العامل الذي تعرض للنقد من طرفه، غير أنه كان يخرج في كل مرة يسجن فيها مما أدى الى إطلاق سراحه، كما أن كثرة أتباع أبي عبد الله محمد(ت بعد590 هـ/1193م)أثارت مخاوف والي فاس الذي أراد إلقاء القبض عليه إلاّ أنه لم يتمكن من ذلك،فقد اختفى عن أنظار جنده وكان يراهم وهم لا

---

(1)ابن القنفذ: انس الفقير...،ص38.

(2)المقري:نفح الطيب: ج7،ص142 :الغبريني:المصدر السابق،ص60.

(3)Georges Marçais:Tlemcen, librairie menauard,hlaur ens, Paris1950 P66.

(4)المراكشي:المصدر السابق،ص272.

(5)بونار:عبد الحق الاشبيلي ،ص267

يرونه وهذا بالضبط ما حدث أيضا مع أبي محمد تيلجّي(ت605 هـ/1208م)[1]، وهذه الكرامات تؤكد على أن الله قد أحاط عباده الصالحين والمتصوفة بعناية خاصة.

وممن أوذي أيضا ابن عربي فقد حملت مؤلفاته بعض الأفكار التي لم يفهمها غيره الأمر الذي دفع إلى الإعراض عنها[2]،وعلاقته بالموحدين كانت متوترة[3]،ونظرا لشطحاته والرموز التي طبعت أسلوبه في الكتابة والشعر تعرض للنقد حتى بالمشرق إذ سُعي به بمصر وأرادوا إراقة دمه[4].

ومن الوسائل التي استخدمتها السلطة الموحدية أيضا سياسة الإقامة الجبرية، إذ أُلزم المتصوف أبو زيد عبد الرحمن الفازازي(ت627 هـ/1229 م) داره سنة 626 هـ/1228 م بعد توتر علاقته مع السلطة بالأندلس ،ثم انتقل بعدها إلى مراكش أين توفي هناك[5] ،لكن رغم انتهاج السلطة لسياسة التقارب مع بعض المتصوفة، إلاّ أن من المتصوفة من كان يرفض هذه السياسة كأبي الحسن الششتري الذي رفض تولي القضاء، و عمد إلى "لبس لباس رث وأخضب أطرافه بحناء فرفضه السلطان فور دخوله"[6] ،بيد أن بعض المتصوفة كانوا يعملون على طاعة السلطة ويعتبرونها واجبة وحسبنا في ذلك أبو إسحاق البلفيقي(ت616 هـ/1219م)الذي لبّى طلب الخليفة المنتصر الموحدي إذ أمر بإشخاصه إلى مراكش ،وذلك لكثرة أتباعه بالمرية غير أنه أوصى عامل هذه الأخيرة بأبي إسحاق خيرا ،وقد حالت العامة وأتباعه بينه وبين العامل الأمر الذي أكدّ على أن إيذاء المتصوفة قد يؤدي إلى ثورة،ولقي هذا المتصوف إكراما كبيرا وإجلالا عظيما من قبل الخليفة عند دخوله عليه حتى أن جنازته حضرها الأمراء والكبراء[7] ،وأبو زكرياء الزواوي(ت611 هـ/1214م)هو الآخر حضروا إلى بجـاية للصلاة عليه وأُمر بتجهيز جنازته[8]،ومثل هذه التصرفات إن دلت على شيئ دلت على أن السلطة سعت لكسب المتصوفة وأتباعهم حتى تضمن هدوءهم.

---

(1)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 304 ،307 ،359.

(2)المنّاوي:المصدر السابق،ج2، ص ص 471 ،515

(3)بلنثيا،المرجع السابق،ص373.

(4)أحمد أمين:المرجع السابق،ج3،ص77.

(5)التنبكتي:نيل الابتهاج ص136.

(6)المنّاوي:المصدر السابق،ج2،ص357.

(7)السلاوي:المصدر السابق،ج3،ص253.

(8)الغبريني:المصدر السابق،ص138.

نستخلص مما سبق على أن الخلفاء الموحدين استفادوا من أخطاء الدولة المرابطية وعمدوا إلى بذل كل جهودهم لكسب تيار المتصوفة إلى جانبهم لضمان هدوئهم ،خاصة وأن هذا التيار بات يشكل خطرا على السلطة ويهدد أمنها في كثير من الأحيان،ورأوا أن كسبهم في الوقت نفسه هو كسب

للعامة التي يمثلونها ،وسياسة التقارب التي سلكتها السلطة الموحدية يمكن أن ينظر إليها من عدة نواحي،إذ يتضح أنها حاولت كسب التيار الغزالي الذي اعتمد على أفكار الغزالي الصوفية باعتبار أن حركتهم الإصلاحية كانت امتدادا لما دعا إليه الغزالي من إصلاح[1]،فحاولت جاهدة كسب أتباعه رغم أفكارهم التي عارضتها في كثير من الأحيان[2].

والملاحظ لعلاقة الموحدين بالمتصوفة يتبين له أنها أحيانا كانت تتخللها فترات توتر يرجع سببها إلى خوض بعض المتصوفة في أمور سياسية رأى فيها الموحدون خطرا يهدد أمن دولتهم ،خاصة وأنهم أصبحوا يعلنون على محاربتهم للظلم والتعسف الذي عانت منه العامة من جرّاء سيطرة العمال ورجال السلطة،متخذين من خطبهم في المساجد ومجالسهم الوعظية وسائل إعلام إن صح التعبير لفضحهم، الأمر الذي دفع بالموحدين إلى تهديدهم كما جرى لأبي علي الحسن المسيلي[3]،وأبي مدين شعيب الذي أُشخص إلىمراكش، إذ كانت أفكاره مناقضة لما يجري في المجتمع من إنحلال وظلم وتفسخ،والتي حاول من خلالها إيجاد حلول لذلك،ونجده قد حمّل مسؤولية استفحال الظلم والاستبداد في مجتمع الغرب الإسلامي إلى فساد العامة[4]، وما يعزز كل ما سبق إقدام السلطة على إلقاء القبض على أحد المتشيعين الزهاد والذي يعرف بالعبيدي سنة 600 هـ/1203م إذ اشتهر أمره في جبل ورغة بفاس، وقد كثر أتباعه الأمر الذي دفع بالسلطة الموحدية إلى حرقه[5]،وهذا يؤكد صرامة السلطة مع من يشكل خطرا على عقيدتها و أركان دولتها.

وبعد أن رأى الخلفاء الموحدون عدم جدوى معاداة تيار التصوف وتوتر العلاقة مع مشائخه، عمدوا إلى استخدام أسلوب الاحتواء والتقرب من المتصوفة الذين كثر أتباعهم وفشلت في محاربتهم،وهذا ما تفطن إليه الخليفة عبد المؤمن فكان ذكيا في محاولة كسبه أبي يعزى إلى

---

(1)أحمد موسى:النشاط الاقتصادي...ص349.

(2)بوتشيش:تاريخ الغرب الإسلامي...ص107.

(3)الغبريني:المصدر السابق،ص68.

(4)التنبكتي:نيل الابتهاج،ص129.

(5)السلاوي:المصدر السابق،ج1 ص191.

جانبه،إذ أصبح ممن يشاركونه في مائدته حتى أنه دعا له بولد يكون له سندا ويحمل لواء الدولة الموحدية بعده،وفعلا تحقق ذلك مع أبي يوسف يعقوب المنصور[1].

والسياسة التي اتبعتها كل من السلطتين المرابطية والموحدية لم تكن تأتي بفائدة مع كل المتصوفة إذ أثبتت فشلها مع بعض تيارات التصوف كالتيار الباطني المتطرف،مما جعل الأمور تفلت من سيطرة السلطتين، وأنبأ ذلك على انفجار ثورتين صوفيتين تزعمهما أصحاب النزعات الصوفية السياسية، وكانت أول ثورة في العصر المرابطي وعرفت بثورة المريدين والتي لم يتم القضاء عليها إلا مع العصر الموحدي لتنفجر في هذا العصر ثورة ثانية بزعامة ابن هود الماسي ،ونتسائل هل تم التجاوب مع زعماء هاتين الثورتين؟وكيف كان رد فعل السلطة؟

ب– علاقة الاتجاه الصوفي المتطرف بالسلطة

١ – ثورة المريدين على المرابطين بالأندلس:

كما سبق وأشرنا فقد تزعم هذه الثورة أبو القاسم بن قسي الذي تضاربت الآراء حول أسباب قيامه بهذه الثورة والطابع الذي اكتسبه[2]،ومرت الثورة بمرحلتين:المرحلة الأولى وكانت سرية حيث عمل فيها ابن قسي على مطالعة مؤلفات الغزالي ،وكان الإطار المكاني لممارسة نشاطه في سرية مقتصرا على رابطته التي بناها بقرية جلة بشلب،إذ اجتمع حوله أتباعه من المريدين،وحرص على الدعوة لمعارضة السلطة المرابطية متسترا وراء قراءته لمؤلفات الغزالي التي لم يقتصر عليها بل انكب على مطالعة كتب التصوف والباطنية[3]،ورسائل إخوان الصفا[4]، وقد ظهرت له في تلك الفترة كرامات مما جمّع حوله الأتباع والمناصرين،كابن وزير ومحمد بن المنذر من شلب وغيرهم من أعيان الغرب الأندلسي[5]، فكان يجتمع بالخاصة من أتباعه حتى يخططوا للثورة على المرابطين وساعده ابن القابلة يخطبه المؤثّرة في نشر دعوته،هذا فضلا عن توظيفهم للشعر في نفس المجال[6]، وكان ابن قسّي ذكيا في اختيار الوقت المناسب للإعلان عن ثورته،إذ

---

(1)محاني:المرجع السابق،ص113.

(2)بوتشيش:المغرب والأندلس....ص ص 164-165.

(3) سحر السيد عبد العزيز سالم:المرجع السابق،ج2،ص171.

(4) Goodrich David,op,cit,p16

(5)ابن الخطيب:أعمال الاعلام...ص249.

(6)دندش:الأندلس في نهاية المرابطين...ص73.

كانت ظروف الدولة المرابطية تتدهور أكثر فأكثر سواء تعلق الأمر بالأندلس أو بالمغرب ،وسبق وأن أشرنا إلى تدهور الجانب الاقتصادي، إذ بدأت الدولة تتخبط في أزمة مالية أرغمتها على فرض الضرائب المجحفة لتغطية نفقات الجيش وتلبية رغبات الأمراء الذين انغمسوا في حياة الترف،ناهيك

عن فترة الصراع الحاد بين المرابطين والموحدين الأمر الذي استدعى المرابطين أن يجندوا كل قواتهم ويحشدونها، فعمدوا إلى استدعاء حامياتهم من الأندلس في الوقت الذي كانت فيه هذه الأخيرة في أمس الحاجة إليها لترد ضربات النصارى عليها، فضلا عن تدهور الأمور الاجتماعية من انعدام للأمن وتفسخ أخلاقي وانتشار الفقر كل هذه العوامل ساعدت على قيام ثورة المريدين لأن هذه المشاكل كانت كفيلة بالنسبة لابن قسي لإضعاف حظوظ المرابطين في التصدي لثورته،خاصة وأنهم انهمكوا في محاولة معالجتهم تلك المشاكل والحد من التوسعات الموحدية التي باتت تهدد أمن دولتهم،وبما أنه عمل قبل تصوفه في الأعمال المخزنية[1]فمن المؤكد أنه اطلّع على ظروف الأندلس الاجتماعية والاقتصادية إبّان العصر المرابطي، وتكونت له فكرة عن الضرائب غير الشرعية التي فرضت على سكان الأندلس كأمثالهم بباقي المناطق التابعة للمرابطين،وهذا ما شكل إحدى الأسباب التي أدت إلى تفكيره في القيام بثورة ،فمنصبه هذا جعله مقربا مما يجري في الدولة المرابطية وبالتالي اطلاعه على حدة الأزمة التي كانت تعانيها وتتخبط في مشاكلها، الأمر الذي سهل عليه التخطيط للانقلاب عليها وبالتالي فإن ثورته كان لها طرح اجتماعي اقتصادي[2] وما يعزز هذا قوله:

وما تُدفع الأبطال بالوعظ عن حَمى ولا الحرب تُطفَى بالرّقَى والتمائم
ولكن ببيض مرهفات وذبّلٍ موارِدها ماء الطُّلى والغلاصم
ولا صُلحَ حتى نطعن الخيل بالقنا ونضرب بالبيض الرَّقاق الصوارم
ونحن أناسٌ قد حمتنا سيوفُنا عن الظلم لما جُرتم بالمظالم[3]

ومن المحتمل أنه انكب على مطالعة مؤلفات الغزالي بما فيها كتابه "الإحياء" لمعرفة دوافع المرابطين والفقهاء في الدعوة إلى حرقه ،واطلاعه على ما جاء فيه من أفكار معادية لهم،إذ حدد الغزالي مصادر مال السلطان، وعالج خلال ذلك قضية الضرائب، فعمد إلى تحديد الحلال منها والحرام[4] ،كما دعا في باب أمر الأمراء والسلاطين ونهيهم عن المنكر إلى ضرورة أمرهم

(1) بلغيث:الحياة الفكرية....ص456.
(2) بوتشيش:المغرب والأندلس ،ص 165.
(3) ابن الأبّار:الحلة السيراء،ج2،ص200.
(4) بنسياغ:المرجع السابق،ص ص 83 ،84

بالمعروف،وأورد في هذا الإطار أربعة طرق لتحقيق ذلك، غير أنه عمل على استبعاد إحدى تلك الطرق وهي المنع بالقهر لما لها من نتائج وخيمة على المجتمع وفي هذا قال:"وأما المنع بالقهر فليس ذلك لآحادد الرعية مع السلطان فإن ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر،ويكون ما يتولد منه من المحذور

أكثر"[1]فأراد ابن قسي استخدام ما جاء في الإحيّاء لضرب الدولة المرابطية ولإضفاء الشرعية على مساعيه في الثورة عليهم.

وقد يكون لسياسة المرابطين في فرض المراقبة الشديدة على العلوم المحظورة،آنذاك أثر في دفع ابن قسي إلى الثورة على هذا الاستبداد والاضطهاد، الذي تعرض له بعض من خاض في العلوم التي منعت إبّان عصرهم[2]، وبالتالي لا يمكن طرح ثورة المريدين بمنظور سبب معين واعتباره دافعا لقيامها ،ذلك لأنها كانت وليدة لتفاعل عدة ظروف وعوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية ودينية اشتركت كلها في طرح الثورة غير أن هذا لا ينفي كونها ثورة صوفية تزعمها متصوف رأى فيها الحل الأمثل للقضاء على حكم دولة باتت تتخبط في مشاكل خانقة دفع ثمنها المجتمع باعتباره أكبر متضرر منها،وما يؤكد هذا وصف ابن الخطيب لابن قسي في قوله:"كان هذا الرجل شيخا من مشايخ الصوفية"[3].

وبعد أن كثر أتباعه إنتقلت دعوته إلى مرحلة ثانية وهي مرحلة إعلان الثورة ،والتي عمد فيها إلى إخضاع مناطق الغرب الأندلسي لدعوته وفي مقدمتها حصن مُنتقوط[4]،الذي أوكل مهمة إسقاطه لأحد أصحابه وتمكن من إخضاعه في شوال 538 هـ/1143 م، غير أن ذلك لم يدم طويلا إذ استعاده المرابطون [5]، وكانت هذه المحاولة من ابن قسي لإخضاع حصن منتقوط تمثل أولى مراحل الإعلان عن ثورته بالأندلس،إذ توجه بعدها إلى قرية الجوزة قرب ميرتلة واحتمى بقوم بني السنة الذين حالفوه وناصروه، أين دخلت دعوته في مرحلة ثانية عمل خلالها على إعادة إحكام خطته من جديد مستفيدا من فشل محاولته الأولى التي سمحت له باختبار مدى قدرة المرابطـين في التصدي لثورته ،التي أعلن عنها من جديد حيث كلّف صاحبه ابن القابلة بالـخروج

---

(1) الغزالي:احياء علوم الدين..ج2،ص460.

(2)بوتشيش:المغرب والأندلس...،ص166.

(3) ابن الخطيب: أعمال الأعلام...ص248.

(4) حصن مُمنتقوط: قريب من شلب ،أنظر بنسباع:المرجع السابق ،هامش 19 ص 118.

(5)ابن الخطيب:أعمال الأعلام...ص250.

لإسقاط حصن ميرتلة ورافقه سبعون مريدا، وتمكن ابن القابلة من دخول الحصن المنيع فأحكم سيطرته عليه لدرجة أنه صعب على المرابطين استعادته من جديد كما فعلوا مع حصن مُنتقوط وتوجه ابن قسي إلى ميرتلة في ربيع الأول سنة 539 هـ/1144 م وبدأ يدعو للثورة على المرابطين وفي نفس

الوقت كان أهل يابرة قد التفوا حول ابن وزير[1]،أما محمد بن عمر بن المنذر فتزعم شلب وأعلن عن انضمامه لثورة ابن قسي[2]،رغم أنه كان قد تلقى تحذيرا من المتصوف ابن العريف دعاه فيه إلى التريث وعدم الثورة على المرابطين، وهذا ما تبين من إحدى رسائله القائل فيها:" فلا يكن شيء أحب إليك من تعلم المسالمة... والمناكره أعلاق وليس معها تمسك ولا اعتلاق وهي تقطع الأقوياء وتمحق الضعفاء"[3]،وقد حرص ابن العريف وغيره من المتصوفة ممن عارضوا فكرة تغيير الحكم واستخدام القوة لأجل ذلك على الحيلولة دون نشوب ثورة، غير أنهم تعرضوا لمهاجمة أتباع الاتجاه الباطني الثائر والمتطرف وكاد هذا النزاع يؤدي إلى فتنة ،فابن العريف كان يرى بأن استخدام القوة لتغيير الحكم أمر غير معقول ونتائجه وخيمة لذلك سعى للحد من تصاعد الوضع وما ورد في الرسالة السابقة. دليل على رفضه للثورة [4].

وقد توجه بن المنذر ناحية حصن مرجيق في شمال غرب شلب وتمكن من إنتزاعه من المرابطين ،وفي ربيع الثاني 539 هـ/1144م بايع كل من ابن وزير وبن المنذر زعيم ثورة المريدين ابن قسي بميرتلة فولتي الأول على باجة والثاني على شلب[5]،غير أن ابن المنذر أعاد مبايعته له للمرة الثانية فسمّاه ابن قسي بالعزيز بالله، بعدها غادر ميرتلة ناحية ولبلة التي استولى عليها كما سيطر على لبلة هي الأخرى وكان يطمح إلى السيطرة على اشبيلية وفي طريقه إليها أسقط عدة حصون،منها حصن القصر وطلياطة إلى جانب الحصن الزاهر في غربها ،بيد أنه وجد مقاومة شديدة عند طلياطة ،إذ تدارك الأمر الأمير المرابطي يحي بن غانية والي قرطبة بتوجهه إلى اشبيلية قبل أن تسقط في يد ابن المنذر ،هذا الأخير الذي اشتبك بقوات بن غانية في طريانة وتلـقى هزيمة قُتل على إثرها عدد كبير من المريدين،ثم عمل ابن المنذر بعد انهزامه على التراجـع ناحية لبلة

---

(1)ابن الخطيب:أعمال الأعلام...ص250.

(2) بنسياع:المرجع السابق،ص119.

(3)ابن العريف:المصدر السابق،ص211.

(4)دندش:الأندلس في نهاية المرابطين...ص ص 65 ،66.

(5)ابن الأبّار،الحلة السيراء ،ج2 ،ص203.

لتحصينها وتوجه بعدها إلى شلب بعد أن ترك على لبلة أحد أعوانه إذ بقي هذا الأخير محاصرا من طرف ابن غانية، [1]إلى غاية تولّي القاضي أحمد بن حمدين لأمور قرطبة وقيامه عليها وكان هذا في 5 رمضان 539 هـ/1144م[2] ،الأمر الذي عجّل في فك الحصار وتوجه بن غانية ناحية اشبيلية

وبخروج أهل قرطبة عن المرابطين زادت أطماع ابن قسي في محاولة الاستيلاء عليها فأرسل إليها ابن المنذر، و في هذا الوقت خلع أعيان قرطبة ابن حمدين ونادوا بأحمد بن عبد الملك بن هود كوالي لتتم إطاحته من قبل العامة بعد قتل وزيره،وأعيد عندها بن حمدين على رأس قرطبة مرة ثانية،وكان لابن قسي صدى بقرطبة إذ ساند دعوته أهل الأحياء الهامشية بها، مما يؤكد على أنهم رأوا في ثورته ثورة اجتماعية تأمل في النهوض بالفئات المهمشة في المجتمع الأندلسي ،وتحاول تغيير الظروف التي آل إليها مع المرابطين،غير أن تنازع العامة والأعيان على من يتولى قرطبة حال دون إعلان انضمامهم لابن قسي وتسليمه قرطبة، ورغم هذا خطا ابن قسي قدما بثورته إذ سيطر على غرب الأندلس كله، وبعد عودة ابن المنذر وابن القابلة من قرطبة خائبين بعد أن انتصر فيها بن حمدين كلفهما بن قسي بمحاربة ابن وزير ،فدار بينهما وبين ابن وزير اشتباك عند باجة انهزما فيه أمامه، وألقى القبض على ابن المنذر[3]،واستولى على شلب[4]، وأخذ ميرتلة من بن قسي بعد أن تغلب عليه[5]، وأعلن انفصاله عنه وانضمامه لابن حمدين بقرطبة وسمى نفسه بالقاضي الخليفة كما انضم أخوه بباجة لابن حمدين هو الآخر[6]، وحدث هذا في شعبان 540 هـ/1145 م ، و وجد ابن قسي نفسه ملزما بإيجاد حليف آخر ففكّر في الاتصال بعبد المؤمن بن علي وطلب المساعدة، منه خاصة وأنه حقق انتصارات باهرة بالمغرب الأقصى فعبر البحر باتجاه سبتة ورافقه بعض أتباعه المقربين وتمكن من الاجتماع به في شعبان 540 هـ/ 1145 م ،وكان اتصاله بعبد
المؤمن للمرة الثانية إذ سبقته اتصال باء بالفشل لما حملته رسالة ابن قسي من تعالي ونعوت تَشَبَّه فيها بالمهدي ابن تومرت، الأمر الذي استدعى رفض عبد المؤمن وعدم إجابته عليها، غير أنه في

---

(1)بنسياع:المرجع السابق،ص ص 119 ،120.

(2) ابن الخطيب: أعمال الأعلام..ص253.
(3)بنسياع: المرجع السابق ،ص ص 120 ،121 ،124 ،125.
(4)ابن الخطيب:أعمال الأعلام...ص251.
(5) ابن خلدون:العبر...ج6 ،ص234.
(6)ابن الخطيب:أعمال الأعلام...ص251.

المرة الثانية عزم ابن قسي على إقناعه بمساعدته فلبّى عبد المؤمن طلبه وبعث معه إلى الأندلس جيشا من الموحدين يقودهم براز بن محمد المسوفي وموسى بن سعيد، ثم لحق بهما جيش أخر بقيادة عمر بن صالح الصنهاجي[1]،وعبروا مع ابن قسي إلى الأندلس وكان ذلك في محرم 541 هـ/1146م

واستطاعوا فتح كل من جزيرة طريف والجزيرة الخضراء[2]،وسقطت مدينة شريش هي الأخرى وهي حليفة بن حمدين،ثم أقبلوا على لبلة واستسلمت باستسلام زعيمها يوسف البطروجي ليتوجهوا هذه المرة ناحية ميرتلة التي أحكموا سيطرتهم عليها ،بعدها تفرغوا إلى شلب التي كانت تابعة لابن وزير وتمكنوا من دخولها ،ثم توجهوا إلى باجة حيث أعلن ابن وزير استسلامه للموحدين،بعدها عمل هؤلاء الأخيرين على التوجه إلى المناطق الأندلسية الأخرى لإخضاعها والتي لم تكن تابعة لابن قسي ،وفي هذه المرة استعانوا بابن وزير ويوسف البطروجي فخضعت لهم كل من طلياطة وحصن القصر، واشبيلية هذه الأخيرة التي حوصر فيها المرابطون برا وبحرا وكان سقوطها في شعبان سنة 541 هـ/1146 م[3] ،مما أثار ابن قسي الذي كان على رأس شلب فنفض تحالفه مع الموحدين مغتنما حالة الاضطراب التي عرفتها الدولة الموحدية بالمغرب باشتعال نيران الحرب مع متصوف آخر وهو ابن هود الماسي[4]، هذا فضلا عن قيام أهل مدينة سبتة بالخروج عن الموحدين بقيادة القاضي عيّاض، والأحوال بالأندلس كانت هي الأخرى سيئة إذ أعلن يوسف البطروجي عن مناصرته للمرابطين ونقضه لتحالفه مع الموحدين[5] ،وعزم بذلك هؤلاء الأخيرين على إخضاع كل المناطق الثائرة عليهم بالأندلس، ومما سهل مهمتهم إعانة عبد المؤمن لهم بإرسال جيش آخر إلى الأندلس لامدادهم واستطاعوا إسترجاع لبلة وشنتمرية، ولم تبق إلا شلب وأحوازها التي بقيت بيد ابن قسي ومن سانده من أتباع البطروجي الذي انهزم أمام الجيش الموحدي،وخضع بذلك معظم غرب الأندلس للموحدين [6]،وبتغير الأوضاع وجد ابن قسي نفسه محاصرا من قبل الموحدين وابن وزير واضطر كالسّابق إلى البحـث عن حليف قوي،غير أنه في هذه المرة إختار أن يكون من النصارى فطلب العون من ألفونسو

---

(1)ابن عذارى: البيان الموحدي،ص ص 34-35.

(2) ابن الأبّار: الحلة السيراء،ج2 ،ص 199.

(3) ابن عذارى: البيان الموحدي ص35 ؛ابن خلدون :العبر...ج6، ص234.

(4)ابن الخطيب:أعمال الأعلام،ص251.

(5)ابن خلدون:العبر...ج6،ص234.

(6)ابن عذارى:البيان الموحدي،ص ص 39،40؛ابن خلدون :العبر...ج6 ص 488.

أنريكت[1]المعروف بابن الرَّنق، وبعث له بالهدايا فلم يتأخر في إجابته وأرسل إليه المساعدة وفي هذا قال ابن الخطيب:" وبعث له بفرس من مراكبه وترس ورُمح"[2].

وفي محرم 546 هـ/1151م عبر أهل الأندلس إلى مدينة سلا لمبايعة الخليفة عبد المؤمن بن علي وتنازلوا له عن المناطق التي كانوا يُسيرونها كباجة وبابرةوشريش وبطليوس وطليبرة[3]، وبقيت شلب تحت سيطرة ابن قسي الذي تخلّف عن مبايعة الخليفة الموحدي[4]، الأمر الذي دفع بأهل شلب بالتخطيط للقضاء على ابن قسي، وتمكنوا من قتله[5] في جمادى الأولى سنة 546 هـ/1151 م ،ليتولى ابن المنذر بعده تسيير شلب التي خضعت هي الأخرى للدولة الموحدية [6]،وانقلاب أهل شلب على ابن قسي يقودنا إلى القول بأن علاقتهم به لم تكن على ما يرام وإن كانوا شيعته ولاستنجاده بملك النصارى صلة بذلك، أما ابن المنذر فلم يهنأ للموحدين بال حتى قاموا بنقله إلى سلا لتسهل عليهم عملية مراقبته وكبحه رغم رضوخه لهم ومحاربته لابن قسي وبقي بسلا إلى غاية وفاته بها سنة 558 هـ/1162م[7]

٢- ثورة ابن هود الماسي على الموحدين بالمغرب:

أحيطت ثورة هذا المتصوف بالغموض في المصادر خاصة التي كانت معاصرة للموحدين إذ لم تُفصّل في أحداثها وطبيعة أفكار زعيمها الصوفي، سوى أنه إدّعى الهداية وتسمى بالهادي[8]،وتضاربت الآراء حول هذه الثورة التي اختلف المؤرخون في سببها فمنهم من رأى أنها في إطار الصراع بين التيارين الموحدي والمالكي هذا الأخير الذي قاده القضاة[9]،وقد نسبت إلى التأثر بمهدية ابن تومرت[10]،غير أنه هناك من عمل على إعتبار دعوته مجرد شعوذة

(1) سحر السيد عبد العزيز:المرجع السابق،ج2،ص148.

(2)ابن الخطيب: أعمال الأعلام،ص251.

(3) ابن عذارى:البيان الموحدي،ص44.

(4)ابن خلدون: العبر،ج6،ص234؛ السلاوي: المصدر السابق،ج3،ص68.

(5) ورد في رواية البيذق أن الرجل الذي تولّ عملية قتله اسمه عبد الله بن سليمان ،أنظر البيذق،المصدر السابق،ص128.

(6)ابن الخطيب:أعمال الأعلام،ص252.

(7)ابن الآبّار:الحلة السيراء،ج2،ص207.

(8)ابن عذارى: البيان الموحدي،ص30؛مجهول:الحلل الموشية ،ص146؛ابن خلدون :العبر ،ج6،ص480.

(9)لوتورنو :المرجع السابق:ص ص 63-64.

(10)مجهول:الحلل الموشية،ص146.

وضلالة[1]،لكن الرسالة التي بعث بها أبو حفص عمر الهنتاني الذي كلّفه عبد المؤمن بالقضاء على ثورة بن هود أوضحت بعض المجاهدات التي كان يقوم بها كقيام الليل وكثرة الصيّام إلى جانب اعتزال الناس لعبادة الله[2]،وبدأت هذه الثورة في شوال 541 هـ/1146م وتزامن ذلك مع سقوط مراكش

في يد الموحدين[3]،مما يشير إلى أن ابن هود لم يعلن عن ثورته حتى درسها من كل النواحي، ففي هذه الفترة كانت قوى الجيش الموحدي منهكة من صراعهما مع المرابطين، مما يسهل القيام عليهم ويضمن نجاح ثورته حسب ما خطط له[4]،وقد عرفت دعوته انتشارا واسعا شمل عدة مناطق" منها سجلماسة ودرعة وقبائل دكالة ورجراجة وقبائل تامسنا وهوارة"[5]،كما انتشرت في جاجة وهزرجة وهسكورة وبني ورياغل وشكلت جزولة الدعامة الأساسية التي قامت عليها دعوته[6]، ومما ساعد على انتشار هذه الأخيرة طبيعة عقلية الإنسان بالغرب الإسلامي، التي كانت تقوم على تصديق كل الأمور المتعلقة بالغيب ،وحسبنا في ذلك حركة المتنبئين الذين ظهروا في المغرب، كحركة طريف التي عرفت انتشارا في برغواطة وحركة حاميم بغمارة، وانطلاق دعوة ابن هود من رباط ماسة له علاقة بذلك لأن أهل المغرب كانوا يزعمون أن المهدي الفاطمي يخرج منه[7]، وهذا في رأيي ما جعل ابن هود يرى أن دعوته سيكتب لها النجاح إذ ارتبطت برباط ماسة،غير أن هذا لا يمنع من وجود عوامل أخرى ساعدت على انتشار دعوته كسوء العلاقة بين الموحدين وبعض القبائل التي احتضنت ابن هود، وحسبنا في ذلك قبيلة جزولة التي نقض عبد المؤمن وعده لها بالأمان وما إقباله سنة 539 هـ/1144 م على ارتكاب عمليات قتل وسفك دم في حق أهلها وأخذه لأموالهم كغنائم إلا دليل على ذلك،فحقدت عليه هذه القبائل وانتظرت الفرصة لترد له الصاع صاعين[8]،والظاهر أن ثورة الماسي لاقت مساندة من الأندلس

---

(1)ابن خلدون: العبر...ج6،ص232.

(2) المقري:نفح الطيب،ج5،ص ص 187 ،188 ؛السلاوي :المصدر السابق،ج2 ،ص ص 111 ،112، 113، بنساغ :المرجع السابق ،ص 133.

(3)ابن عذارى: البيان الموحدي،ص30.

(4)بنسياع: المرجع السابق،ص135.

(5)ابن خلدون: العبر...ج6، ص232؛ السلاوي: المصدر السابق،ج3،ص 55.

(6)البيذق:المصدر السابق،ص67.

(7)ابن خلدون:العبر...ج6، ص ص 207 ،216 ،274.

(8)البيذق:المصدر السابق،ص ص 57 ،58.

وبالتحديد من زعيم ثورة المريدين ابن قسي وما إقبال هذا الأخير على محالفة النصارى إلاّ تأكيد على توتر علاقته بالموحدين[1]،وحرص الخليفة عبد المؤمن على مواجهة ابن هود وثورته التي شكلّت عقبة أمام توسعات دولته الناشئة،فبعث له بجيش من الموحدين إلاّ أنه إنهزم أمامه وعاد يجر أذيال الهزيمة،بيد

أن عزم الخليفة في القضاء على هذه الثورة جعله يعيد الكرة مرة ثانية بحملة قادها أبو حفص الهنتاني سنة 542 هـ/1148م والذي تمكن من قتل ابن هود الماسي[2]،حيث عمد إلى مهاجمته برباط ماسة[3]،وبالرغم من القضاء على زعيم الثورة غير أن أتباعه أعادوا الكرة مما يدل على تمسكهم بطاعته الأمر الذي دفع بالشيخ أبي حفص إلى الخروج إليهم فاستبسلوا في رد ضرباته[4].

لم يكن ابن هود الماسي المتصوف الوحيد الذي كانت له طموحات للوصول إلى السلطة بالمغرب بل برز متصوف آخر حمل الطموح نفسه وهو عتاب الذي كان له أتباع ومناصرون[5]، وبداية ثورته كانت سنة 559هـ/1163م[6]،وقد عملت السلطة الموحدية على تشديد مراقبتها للمتصوفة وتتبعت نشاط كبار مشائخهم بالمغرب للقضاء على أتباع عتاب ،وكان أبو وزاغار بن علي المشترائي (603 هـ/1206م)،ممن تقصّت عليهم و لولا فراره إلى المشرق لألقت عليه القبض ،هذا إلى جانب أبي محمد تيلجي بن موسى الدغدوغى (ت605 هـ/1208م) الذي فرّ هو الآخر من مطاردة رجال السلطة الموحدية له[7]،غير أن هذه الأخيرة استطاعت القضاء على ثورة عتاب وقتله،في حين عملت على تكثيف عمليات التمشيط عن أتباعه ومناصريه.[8]

2- علاقة المتصوفة بالفقهاء:

خضعت العلاقة بين المتصوفة والفقهاء لنوعية الأفكار التي نادى بها تيار التصوف، غير أنه على العموم طبعها التوتر وقد تخللتها فترات ساد فيها الســلم ما بين الفئتين،

---

(1)ابن الخطيب:أعمال الأعلام...ص25.

(2)ابن أبي زرع:المصدر السابق،ص190؛السلاوي،المصدر السابق،ج3،ص ص 55 ،56.

(3)السلاوي:المصدر السابق،ج3،ص55.

(4)ابن عذارى:البيان الموحدي،ص32.

(5)لم يرد اسمه الكامل كما أن ابن الزيّات لم يُفصل في مذهبه الصوفي ،ولم يذكر أحداث ثورته،أنظر :ابن الزيّات،المصدر السابق،ص405.

(6)بنسياع:المرجع السابق،ص130.

(7)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 414،405.

(8)نفسه:ص405.

فخلال العصر المرابطي غلب على العلاقة بين التيار الصوفي والفقهاء التوتر وبلغ حدته مع مهاجمتهم لكتاب "الاحياء" للغزالي ،ومحاربتهم له كانت كرد فعل إزاء النقد اللاذع الذي تعرضوا له ،إذ حمل عليهم حملة نكراء،ورأى أنهم يقصدون بعلمهم الحصول على الدنيا وتباهوا في ذلك فنالوا الثروة الطائلة ،ونعتهم بعلماء الدنيا فقال عنهم:" نعني بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم

التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها"[1]،وقال أيضا:" فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما تيسر به اكتساب المال والجاه"[2]، ونهي في باب ما يحلّ من مخالطة السلاطين عن مخالطة المقربين منهم بما فيهم الفقهاء فقال:" معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم حرام كمعاملتهم بل أشد، أما القضاة فلأنهم يأخذون من أموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويغرون الخلق بزيهم فإنهم على زي العمال ويختلطون بهم ويأخذون من أموالهم"[3]،كما أنه نقد استخدامهم لعلمهم كوسيلة لتسيير غيرهم حسب مصالحهم الخاصة ،وفي هذا قال:" عظم غرورهم في فن الفقه فظنوا أن حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا في دفع الحقوق وأساءوا تأويل الألفاظ المهمة واغتروا بالظواهر وأخطأوا فيها... ولكن هذا النوع عمّ الكافة إلاّ الأكياس منهم"[4]،وكان من المفروض أن تعمل هذه الفئة على تغيير المجتمع ؟إلى الأفضل بدل أن تعمل على مساندة السلاطين وإصدار فتاوي تتماشى ومصالحهم الشخصية قال فيما يخص هذا:"إنما فسدت الرعية بفساد الملوك،وفساد الملوك بفساد العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفا من إنكارهم"[5]،وهو هنا يحمّلهم مسؤولية ظلم واستبداد الحكام على الرعية لأنهم لا يستخدمون علمهم في النهي عن ذلك،وقد خلص في الأخير إلى تحديد المصير الذي يؤول إليه مثل هؤلاء فقهاء فقال:" العلماء يُحشرون في زمرة الأنبياء والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين"[6]،بيد أن الغزالي لم يتوقف عند هذا الحد فقط بل راح ينوّه بمكانة علماء الآخرة، عند الله وهم المتصوفة، فرفع من شأنــهم ورأى أن مآلهم الفــوز فقال:"وأن الفائزين المقربين هم علمــاء الآخرة"[7]،الأمر

(1)الغزالي:إحياء علوم الدين ،ج1،ص83.

(2)نفسه:ج1،ص92.

(3)نفسه:ج2،ص205.

(4)نفسه:ج3،ص512.

(5)نفسه:ج2،ص205.

(6)نفسه:ج1،ص87.

(7)نفسه:ج1،ص85.

الذي زاد في معاداة كتابه الذي كشف واقعهم وسلّط عليهم الأضواء –الفقهاء– وقد شكّل هذا الكتاب الركيزة التي بنى عليها الاتجاه الغزالي أفكاره وبات دليلهم في التصوف،فأخذوا في تطبيق ما جاء فيه مما دفع الفقهاء إلى معارضة أتباعه خاصة وأنهم كانوا يشجعون على قراءته والعمل به[1]، كأبي علي الحسن المسيلي الذي تأثر به وسمي بأبي حامد الصغير[2]، وقد عمد ابن العريف إلى نعت الفقهاء بقوله"علماء السوء وكبراء أهل الدنيا المفترين بها في جمع الأموال والجاه"[3]، واختلاف

المتصوفة والفقهاء من ناحية السلوك ونوع العلوم التي اختصّوا بها شكّل إحدى الدوافع التي أدت إلى توتر العلاقة بينهما [4]،ففي حين اكتفى الفقهاء بالاهتمام بفقه العبادات والمعاملات والأحكام عمد المتصوفة إلى القيام بأنواع الرياضات والمجاهدات وخاضوا في الأحوال والمقامات[5]،وهذا ما دفع الفقهاء إلى نقد سلوكاتهم ومظهرهم الخارجي،وحسبنا في ذلك ما جرى لابن النحوي من انتقاد لمظهره من قبل أحد القضاة [6]،كما تعرض لتوقيفه عن التدريس بفاس من قبل القاضي ابن دبوس وذلك بسبب نوع العلوم التي كان يلقّنها كأصول الدين وأصول الفقه، أبو محمد عبد السلام التونسي هو الآخر إعترض عن مجلسه كل من الفقيهين أبي بكر و محمد إبني مخلوف بن خلف الله[7]،وقد كان الفقهاء في العصر المرابطي وراء العداء الذي أبدته السلطة إزاء العديد من المتصوفة خاصة ممن تبنوا أفكار الغزالي ومبادئه الصوفية ،وقد سيطر الفقهاء على قرارات الدولة خاصة مع عصر الأمير علي بن يوسف بن تاشفين الذي كان لا "يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورتهم"[8] ،وفي ظل رضوخ السلطة المرابطية للفقهاء عمد هؤلاء الأخيرون إلى تأليبها على بعض المتصوفة، و أوغروا قلب الأمير على هذا التيار فكانوا وراء حرق "الاحياء "بفتوى أصدرتها مجموعة من قضاة الأندلس وفي مقدمتهم القاضي ابن حمدين، بدعوى أن أفكاره تنافي طبيعة العلوم التي نودي بها خلال تلك الفترة[9]،وحمل المرابطون على

---

(1)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 83، 159 ،260.

(2)التنبكتي:كفاية المحتاج،ص116.

(3) ابن العريف:المصدر السابق،ص99.

(4) بوتشيش: المغرب والأندلس ، ص153.

(5) ابن خلدون:المصدر،ص382.

(6) ابن الزيّات:المصدر السابق،ص78.

(7) نفسه: ص ص 75 ،76 ،89.

(8) المراكشي:المصدر السابق،ص171.

(9) ابن القطّان:المصدر السابق،ص ص 14 ،15.

تيار التصوف حملة نكراء فكان القاضي ابن الأسود وراء إشخاص ابن العريف إذ حسده لكثرة أتباعه وإقبال الناس عليه ،ومما يدل على حقده عليه أنه أمر بتكبيله أثناء رحلته إلى المغرب لتلبية طلب الأمير علي، ومبالغة هذا الأخير في إكرامه عند وصوله لدليل قاطع على أن أمر إشخاصه كان بإيعاز من القاضي ابن الأسود ،الذي لم يتمالك نفسه عندما أقدم الأمير على إطلاق سراح ابن العريف فسوّلت له نفسه تسميمه [1]،كما أُشخص الميورقي إلى مراكش غير أنه تمكن من الفرار إلى

بجاية وقد كان ظاهري المذهب وهذا ما ألّب عليه الفقهاء ،مما يقودنا إلى القول بأن صراع الفقهاء مع المتصوفة كان له دافع مذهبي[2]،كما أنهم كانوا وراء مجالس المناظرة التي عقدت لأجل النظر في ما يحمله المتصوفة من علوم ،وعملوا على تعمّد إنكارها حتى تثبت تهمة المتصوفة بخوضهم في العلوم المحظورة آنذاك ،وكانت هذه المناظرات تنتهي بإدانة المتصوفة وسجنهم،وحسبنا في ذلك ما جرى لابن برجان[3]،وكان الفقهاء يشتكون من اجتماع الناس حول المتصوفة ويتضايقون من ذلك،لكنهم لم يتمكنوا من فعل شيئ لأنهم على دراية تامة بمكانة هذا التيار عند العامة[4]،وعمد المتصوفة إلى استخدام كراماتهم ودعواتهم في رد مكائد هؤلاء الفقهاء فأبو الفضل ابن النحوي دعا على القاضي ابن دبوس فأصيب بأكلة في رأسه ومات على إثرها[5]،وكان الفقهاء يبذلون جهدهم لنقد تصرفات المتصوفة، وهذا ما جرى لأبي يعزى، إذ حرص الفقهاء على نقده وتعجيزه لأنه جاهل ولم يكن يحفظ من القرآن إلاّ ما يصلي به، ولكن دون جدوى إذ كانوا لا" يجدون لافحامه سبيلا بما يلهمه الله إليه من الحجج الباهرة التي لا يجدون لها مردا فيسلمون له أقواله وأفعاله وينقادون لحجته"[6]،كما عمدوا إلى إنكار علاجه للنساء المريضات بحجة أنه يلمس صدورهن فرد عليهم بقوله:" أليس يجوز عندهم أن يلمس الطبيب تلك المواضع ويراها للضرورة فهلاّ عدني واحد من أطبائهم وإنما ألمس ذوات العاهات للتداوي بذلك"[7]،مما يشير إلى تعمّد الإنكار على المتصوفة حتى وإن كانوا على صواب وهذا يدخل ضمن حقد الفقهاء على هذه الشريحة من المجتمع.

(1)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 97 ،98 ؛ابن الآبّار :المعجم... ص ص 19،20.

(2) المقري:نفح الطيب...ج2 ،ص155.

(3) ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 148 ،149.

(4)نفسه:ص126

(5)نفسه:ص76.

(6)الصبّاغ القلعي :بستان الأزهار ،ورقة 48 الظهر.

(7)نفسه:ورقة 49 الوجه.

وقد تحيّن الفقهاء الفرص لإبداء انتقاداتهم للمتصوفة ورغم فشل أسلوبهم هذا مع أبي يعزى في أكثر من مرة كما رأينا إلاّ أنهم كانوا يعيدون الكرّة كلما سمحت لهم الفرصة فمما أوثر عن أبي يعزى أن أحد الفقهاء أتاه منكرا لخوضه في الحديث وتحديده للصحيح منه والضعيف وبعد أن أبدى له أبو يعزى كراماته في ذلك ما كان عليه إلا أن سلّم له ذلك"[1] وكل ما أنكر عليه شيئا مما يفعله كان يعاقبه الله جزاء إنكاره[2]وقد خالف أبو يعزى في تصرفاته ما كان يقوله الفقهاء إذ أنه رأى في

إمساك تسعة أعشار والتصدق بالعشر على المساكين من سوء الأدب مع المولى،لذلك عمد إلى الاحتفاظ بالعشر لنفسه وتصدق بتسعة أعشار على الفقراء،مخالفا بذلك ما قاله الفقهاء[3]

بيد أن هذا لم يمنع من وجود بعض الفقهاء ممن ناصروا تيار التصوف ودافعوا عن كتاب الاحياء وأدانوا قضية حرقه وحّملوا من كان وراءها المسؤولية ،وهذا يدل على أن الفترة التي فصلت بين دخول الكتاب للمغرب وتاريخ احراقه كانت كفيلة للاطلاع على محتواه[4]،فكان الفقيه أبو الحسن البوجي(ت 509 هـ/ 1115م)ممن دافع عن الاحياء فأفتى بتأديب محرقة وتضمينه ثمنه وشاطره الرأي أبو بكر بن عمر بن أحمد بن الفصيح(ت507 هـ/1113م)[5]،وأبو القاسم بن ورد (ت540 هـ/1145م)[6] ،وبفاس لما وصل كتاب على الذي يقضي بحرق الاحياء أفتى أبو الفضل بن النحوي بعدم صحة الإيمان التي حلف بها الناس[7]،وكتب إلى الأمير علي يخبره بنصرته للإحياء[8]،أما بمراكش فقد دعا أبو محمد عبد الله المليجي على كل من صدرت عنه فتوى تقضي بحرق الإحياء[9]،في حين التزمت طائفة أخرى بالحياد ولم تشترك في عملية الحرق بالإفتاء في ذلك ،بل اكتفت بإبداء وجهة نظرها اتجاه بعض المسائل التي انتقدت من كتاب الإحياء نذكر منهم ابن الألبيري محمد الأنصاري(ت537 هـ/1143م) الذي ألّف كتاب "النكت والأمالي في الرد على الغزالي"تتبع فيه الأحاديث التي تضمنها "الاحياء"،وأبا بكر بن العربي (ت543هـ-

(1)نفسه:ورقة 49 الوجه

(2)ابن الزيّات: المصدر السابق،ص202 ؛الصبّاغ القلعي، بستان الأزهار ،ورقة 49 الوجه..

(3)مجاني:المرجع السابق،ص110.

(4) المنوني :إحياء علوم الدين من منظور... ص 127.

(5) التنبكتي:نيل الابتهاج ،ص183

(6) ابن عبد الملك:المصدر السابق،السفر5،القسم1،ص308.

(7) ابن الزيّات:المصدر السابق،ص73.

(8) التنبكتي:كفاية المحتاج ،ص497.

(9) ابن الزيّات:المصدر السابق،ص.124

1148م)الذي عمل على اتخاذ موقف معتدل إذ نفذ ما رآه موضع نقد،وساند فيه الأفكار القيمة أما القاضي عيّاض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي(ت544 هـ/1149م) فقد وقف موقفا متزنا فلم يكن يرفض ما جاء فيه إلاّ بعد تمييز[1]،وربطته بابـن العريف مكاتبات حسنة[2]،كما أقدم الفقهاء على استقبال المتصوف غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي عند عودته من المشرق إلى غرناطة لالتماس الدعاء منه[3]،هذا فضلا عن الفقيه عتيق بن عيسى بن أحمد الذي كان متعاطف مع المتصوفة[4]،حتى أنه من الفقهاء من زهد في حياته وسلك التصوف كالقاضي أبي بكر بن العربي

الذي أخذ عن الغزالي وتتلمذ عليه كما أنه ألّف في التصوف كتاب "سراج المريدين"[5] وقد عمد بعض الفقهاء إلى الجمع بين الفقه والتصوف في آن واحد كالفقيه أبي الحسن بن حرزهم الذي سبق الإشارة إلى أنه ممن ناصر "الإحياء "واعتكف على قراءته[6]، وبهذا فقد استطاع المتصوفة الذين جمعوا بين الفقه والتصوف الغاء فكرة التناقض بين علمي الظاهر والباطن وإثبات إمكانية تكميلهما لبعضهما[7].

وخلال العصر الموحدي ورغم سياسة التفتح على مؤلفات الغزالي بما فيها الإحياء التي انتهجتها السلطة،إلاّ أن عداء الفقهاء له لم ينته بنهاية الدولة المرابطية بل تواصل في العصر الموحدي إذ أقدم أبو الربيع سليمان الأندلسي المعروف بكثير [8](ت634 هـ/1236م) على إنكار عنوان كتاب الغزالي"إحياء علوم الدين" إذ كان يرى بأن العلوم لم تمت حتى يقوم هو بإحيائها[9]

(1ابن حمادي:المرجع السابق،ص ص 576-578.

(2)أبو العباس المراكشي،المصدر السابق،ج2، ص10؛الصفدي:كتاب الوافي بالوفيات،إعتناء محمد يوسف نجم،ج8 ،دار صادر بيروت،لبنان، 1391 هـ/1971م،ص133.

(3)بوتشيش:المغرب والأندلس:ص154.

(4)ابن عبد الملك:المصدر السابق،السفر5،القسم1،ص127.

(5) ابن فرحون:المصدر السابق،ص ص 378،377،376.

(6)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 148،147.

(7) بونابي:المرجع السابق،ص ص 217،216.

(8)أندلسي الأصل ولد سنة 565 هـ وأقام ببجاية برع في الحديث ومعرفة رجاله ومعاينة ونبغ في الأدب أنظر مجاني :المرجع السابق ،ص107.

(9)نفسه: ص107 .

وعمل الفقهاء على الوشاية ببعض المتصوفة ممن رأوا أنهم يشكلون خطرا عليهم وعلى مكانتهم في المجتمع ،خاصة وأن هؤلاء المتصوفة باتوا مقصدا للناس من كل مكان وأتباعهم في تكاثر يوما بعد يوم مما أثارهم وجعلهم يسعون لأجل تأليب السلطة الموحدية عليهم، وهذا ما حدث بالفعل للمتصوف أبي مدين شعيب الذي وشى به الفقهاء للخليفة المنصور وعمدوا إلى تلفيق التهم والأكاذيب به، فراحوا يتهمونه بتشبهه بالمهدي مما أوغل صدر الخليفة عليه فأمر باشخاصه،وما يستحق الذكر هنا هو أن المنصور طلب من القائم على بجاية الاعتناء بأبي مدين وأن يراعى راحته

أثناء حمله إليه،وهذا ما يؤكد على أن الفقهاء وهم من كان وراء ذلك فلو تعلق الأمر بالخليفة ذاته لأغلظ في طلب أبي مدين وأمر بحمله إليه بطريقة أو بأخرى ،غير أن حرصه على راحته أثناء السفر يثبت عكس ذلك[1] وقد تعرض المتصوفة إبّان العصر الموحدي لمهاجمة الفقهاء نذكر منهم المتصوف أبا محمد الماجري (ت631 هـ/1233م) الذي انتقد الفقهاء مجاهداته الكثيرة لنفسه واعتبروها بدعة،فرأى في منامه أن آمرًا يأمره بعدم الرجوع إليهم إلا فيما يخص مسائل الفقه ونعتهم بعلماء الدنيا[2]،كما أن ابن المرأة (ت610 هـ/1213م)قد أثارت كثرت أتباعه الفقهاء بمرسية فتكلموا فيه[3]،ونظرا للموقف الذي اتخذه معظم الفقهاء من المتصوفة فضل المتصوف ابن عربي تفادى صدامه بهم فرحل إلى مكة[4]،وقد تعرض هو الآخر للنقد حتى أنهم رموه بالكفر والزندقة،وكانت له نظرته الخاصة اتجاه ما يصدر عن الفقهاء من تصرفات ونقدهم نقدا لاذعا ،إذ رأى أنهم يعملون جهدهم لتضييق رحمة الله على العامة في حين يتساهلون مع ذوي السلطة قدر مستطاعهم،وذكر أن الفقهاء يتعاملون مع غيرهم حسب أموالهم ومكانتهم في السلطة ،وهو بذلك أكد ما قاله الغزالي حين وصفهم بعلماء الدنيا،غير أن ابن عربي ورغم كل ما تعرض له من نقد وتكفير دعا الله أن يأخذ بنواصي هؤلاء إلى ما فيه صلاحهم[5]،وابن سبعين هو الآخر انتقد الفقهاء ما كان يصدر عنه حيث قال ابن الخطيب في هـذا :

" لما توفرت دواعي النقد عليه من الفقهاء زيّا وانتباذًاونحلة وصحبة واصطلاحا كثر عليه

---

(1) المنّاوي: المصدر السابق،ج2،ص121.

(2)التليدي:المرجع السابق،ص ص 110،109،108.

(3)ابن منصور: المرجع السابق،ج1،ص78.

(4)ابراهيم غافة: المرجع السابق،ص45.

(5) محمود قاسم: المرجع السابق،ص ص 100 ،103 ،104.

التأويل وفليت موضوعاته"[1]،وما أثار عليه النقد والاتهام استخدامه الشطحات والرموز[2]، والتي أثارت عليه فقهاء مدينة سبتة عندما انتقل إليها[3] ،واتهم بالزندقة[4]، وثار الفقهاء على أتباعه وانتقدوا الملابس التي كانوا يرتدونها وطريقة عيشهم[5]، أما تلميذه الششتري (ت668 هـ/1269م) فقد هاجم الفقهاء في أزجا له لما كان يتعرض له من نقد لمذهبه واتهام له بالخروج عن الشرع فوصفهم هو الآخر بأهل الدنيا[6].

وإذا ما تمعنّا في العلاقة العدائية التي طبعت علاقة الفقهاء بالمتصوفة يتضح لنا أن لها دوافع عقدية،إذ اضطهد الموحدون المذهب المالكي وفقهاءه وعمدوا إلى تبني المذهب الظاهري[7]،الذي عرف قوته مع الخليفة ادريس يعقوب بن المنصور وذلك بتمرد هذا الأخير على المهدوية والعصمة والإمامة التومرتية،فحارب المذهب المالكي وعزز بدله المذهب الظاهري الذي عمل على فرضه[8]،وانتشرت بذلك كتب أبي محمد علي بن حزم(ت456هـ/1063) التي حملت آراءه[9] ،الأمر الذي جعل الصراع بين جبهتين فقهاء الظاهر المدعمين بمساندة السلطة من جهة والمتصوفة المالكيين من جهة أخرى ، غير أن ما يمكن ملاحظته في هذه الفترة هو أن الفقهاء المالكيون هم أيضا باتوا طرفا مقصودا في الصراع ،ولذا وجد فقهاء الظاهر أنفسهم أمام خصمين يختلفان عنهم في الجانب المذهبي لهذا تشدّدوا في محاربتهم، فكانت الوشاية بالمتصوف أبي مدين لدى الخليفة الموحدي كما سبق وأن ذكرنا تُمثل إحدى مظاهر ذلك الصراع المذهبي، فأبو مدين كان يجيب على المسائل في المذهب المالكي وهذا كما هو معروف يتنافى مع طبيعة ما يدين به فقهاء الظاهر في العصر الموحدي ،كما أن المتصوف أبا زكريا يحـي الزواوي هو الآخر

---

(1) ابن الخطيب :الإحاطة ....،ج4،ص ص 33 ،34.

(2)أحمد أمين:المرجع السابق،ج3،ص80.

(3) المقري:نفح الطيب...ج2 ،ص197.

(4)تقي الدين مكي:المصدر السابق،ج5،ص332.

(5) بلنثيا:المرجع السابق،ص387.

(6) الششتري:المصدر السابق،ص ص 276 ،277.

(7) بونابي: المرجع السابق،ص212 ،وعن المذهب الظاهري فهو ينتسب إلى داود بن خلف الأصفهاني(ت270هـ/883م) ،عرف انتشارا في كل من بغداد وبلاد فارس،وانتقل إلى الغرب الإسلامي وهو يقوم على أساس الأخذ بظاهر النص والاعتماد على القرآن والسنة، ورفض الأخذ بالرأي والقياس والتأويل ،أنظر ابن فرحون :المصدر السابق،ص13.

(8) المراكشي:المصدر السابق،ص291.

(9) بونابي: المرجع السابق،ص212.

استُدعى للمناظرة مع الفقهاءُ غير أن تلميذه أبا محمد عبد الكريم الحسيني ناب عنه واستطاع أن يفحمهم، وينتصر لشيخه أبي زكريا الذي خيّره الخليفة ما بين أن يلعن أو يلتزم السكوت[1]،وحتى المتصوفة الظاهريون تميزت علاقتهم بالفقهاء بالتوتر، فعلى سبيل المثال نذكر المتصوف عبد الحق الاشبيلي الذي كان ظاهري المذهب وأخذ على عاتقه نشر كتب ابن حزم[2] ،و علاقته لم تكن على ما يرام مع الخليفة يعقوب المنصور الذي أراد قتله[3].

ولم يكن الفقهاء يصدقون كرامات المتصوفة ومكاشفاتهم في كثير من الأحيان، و ممن أنكرها الفقيه عيسى بن داود الذي دعا عليه المتصوف علي أبو اسحاق أصاصاي(ت615هـ/1218م) باختلال عقله، الذي استخدمه في انكاره للكرامات وفعلا ثبتت دعوته[4]،وبما أن المتصوفة تعرضوا للاضطهاد على اختلاف مشاربهم المذهبية سواء ظاهرية كانت أو مالكية، فهذا يؤكد أن الفقهاء كانوا يحسدونهم لمكانتهم المرموقة بين العامة، ولمكانتهم التي فرضوها في كثير من الأحيان على السلطة التي باتت تتخوف منهم وانتهجت معهم أسلوب الاحتواء محاولة إسكات معارضتهم.

وقد واجه المتصوفة حملة فقهاء الظاهر بمؤلفاتهم التي اجتهدوا من خلالها في الرد على هؤلاء ،وحسبنا في ذلك أبو علي الحسن المسيلي الذي ألّف كتاب "النبراس في الرد على منكر القياس"[5]،كما رد أبو زكريا يحي الزواوي بمؤلفاته على ابن حزم[6]،غير أننا نتساءل عن العلاقة التي كانت بين المتصوفة الذين تبنوا المذهب الظاهري والمتصوفة المالكيين؟

بالرغم من الاختلاف المذهبي إلاّ أن هذا لم يحل دون أخذ بعض المتصوفة الظاهريين على أشياخ مالكيين،وحسينا في ذلك عبد الحق الاشبيلي الذي لم يتوقف عن حضور مجالس أبي مدين شعيب المالكي[7]،وهذا إن دلّ على شيئ دل على أنه في ظل سلوك طريق التصوف تذوب كل الاختلافات المذهبية ،وقد أشار إلى ذلك ابن عربي إذ رأى أن المتصوفة"متفقون فيما يذهبون

---

(1)الغبريني: المصدر السابق،ص ص 66 ،217.
(2) المقري: نفح الطيب...ج2،ص164.
(3)المراكشي:المصدر السابق،ص272.
(4) ابن الزيّات: المصدر السابق،ص437.
(5)الغبريني:المصدر السابق،ص66.
(6)الغبريني:المصدر السابق،ص217.
(7)نفسه:ص69.

بسبب عناية الله لهم واختصاصه إياهم بعلوم لم يفكروا في كسبها من تلقاء أنفسهم" [1] في حين أن الفقهاء يختلفون فيما بينهم[2]، وهذا ما أكّد هذا الصراع الذي طبع علاقة فقهاء الظاهر بنظرائهم المالكيين في العصر الموحدي كما سبق وأن ذكرنا آنفا ،غير أن صراع المتصوفة والفقهاء اتخذ شكلا آخر مع نهاية العصر المرابطي وبداية العصر الموحدي، فقد عمد الفقهاء إلى إعلان ثورة مضادة في نفس الوقت الذي أعلن فيه ابن قسي عن ثورة المريدين الداعية إلى إسقاط الحكم المرابطي ،إذ أقدم أحمد بن حمدين على القيام بقرطبة وتمّت مبايعته بالمسجد الجامع بها في 5 رمضان 539 هـ/

1144 م ،وسمّى نفسه أمير المسلمين وناصر الدين ،ثم خلع واليها أبا عمر اللمتوني فخلعوا بذلك دعوة المرابطين[3]، الذين شكلّوا فيما سبق أداة ضَغَطَ عن طريقها الفقهاء على المتصوفة وعملوا من خلالها على حماية مصالحهم الشخصية ،وانتشرت بذلك ثورة الفقهاء في العديد من المدن الأندلسية نذكر منها مالقة وغرناطة وبلنسية و وادي آش ودعت بعضها لابن حمدين[4]،حتى وإن لم تنّظم إليه بلنسية و وادي آش فإن الثورة فيهما دعا إليها القضاة [5]، وأرادوا من خلال ثورتهم هذه تضيّيق الخناق على ثورة المريدين التي هددتهم بانتشارها في مناطق عديدة ،مما جعلهم يتخوفون من انتصار التيار الصوفي بالأندلس والذي سيقضي على مصالحهم،ففكّروا في القيام بثورة مضادة استخدموا فيها كل الوسائل في سبيل انجاحها،وما ثورتهم على المرابطين إلاّ لأجل تحقيق ذلك[6]، وفعلا هذه الثورة المضادة تمكنت من زعزعة دعامة ثورة المريدين إذ شكّلت حليفا لابن وزير وأخوه بعد خروجهما عن طاعة ابن قسي[7] ،هذا فيما يخص ما كان يجري بالأندلس وبالمغرب حدث الشيئ نفسه مع قيام ثورة ابن هود الماسي، إذ قام القاضي عيّاض في سبتة بعد مقتل واليها الموحدي، بيد أن قيام هذا القاضي كان إلى جانب المرابطين على عكس ما جرى في الأندلس، وما استنجاده بيحي ابن غانية إلا دليـل على ذلك، إذ سعى من وراء هذه الثورة إلى استرداد سلطة المرابطين والوقوف في وجه دعوة

---

(1) محمود قاسم: المرجع السابق،ص103.

(2) نفسه: ص103.

(3) ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص ص 252 ،253.

(4) بنسياع:المرجع السابق،ص122.

(5) ابن الخطيب: أعمال الأعلام ،ص ص 256 ،264.

(6)بنسياع:المرجع السابق،ص123.

(7)ابن الخطيب:أعمال الأعلام،ص251.

ابن هود التي انتشرت في عدة مناطق وباتت تهدد مصالحهم [1] ،وتخللت علاقة الفقهاء بالمتصوفة أحيانا فترات تقارب وتعايش كان الفقهاء خلالها يقصدون بعض المتصوفة للتبرك بهم،وحسبنا في ذلك قاضي سلا أبو الحسن علي بن الحسين الصديني الذي أكثر من زياراته للمتصوف أبي الحسن نجا بن عبد الله الأموي(ت595هـ/1198م) ،وكان هذا الأخير مقصودا حتى من قبل بعض أعيان أزمور كعبد السلام بن عبد الخالق الصنهاجي الذي عمد إلى زيارته في كل عام[2] ،وقصد الفقهاء في كثير من الأحيان المتصوفة لمعرفة ما سيحدث لهم مستقبلا، فالمتصوف أبو الحسن الحرالي اشتهر بمكاشفاته للناس بما سيحدث لهم ،فقصده حتى الفقهاء كأبي محمد عبد العزيز بن كحيلة ،وأبي محمد عبد الحق بن ربيع ،فكان يكاشفهم

بأحوالهم وما ستؤول إليه فيما بعد، وقد كاشف أبا محمد عبد المنعم بن عتيق بالمحنة التي تعرض لها في آخر عمره[3]،إلاّ أن بعض المتصوفة بقوا على انكارهم للفقهاء.[4]

يمكن أن نرجع فشل ثورة ابن قسي إلى عدة أسباب نجملها في النقاط التالية:

أولا: أن ابن قسي افتقد إلى العصبية التي تعمل علىحمايته،لذا كانت دعوته فاشلة[5] فابن خلدون رأى أن العصبية شرط أساسي ومهم لنجاح الدعوة الدينية[6]،وما نجاح دعوة ابن تومرت التي توجت بقيام دولة إلا لاعتماده على العصبية التي تمثلت في المصامدة[7].

ثانيا: أن المنضمين لثورة المريدين كانوا يسعون وراء انضمامهم اليها إلى تحقيق أهدافهم السياسية،ولذا لم يتعلق ذلك بطبيعة الاتجاه الصوفي الذي نحاه ابن قسي،وما يعزز ذلك انضمام كل من ابن وزير وأخيه لابن حمدين بقرطبة وخلعهما الطاعة لابن قسي،ليقدم ابن وزير مرة ثانية على تغيير حليفه إذ تعاون مع الموحدين رفقة يوسف البطروجي[8]،مما يدل على أنهما سَعَيا إلى تحقيق أهدافهما حتى ولو تطلب الأمر منهما أن يتحالفا مع التيار الذي حارب المتصوفة ،الأمر الذي

ساهم في زعزعة كيان الثورة وتنظيمها مما عجل في اجهاضها.

ثالثا: أن ثورة المريدين جاءت في ظروف صعبة كانت تتخبط فيها الدولة المرابطية ،وطرحت

(1)بنسباع: المرجع السابق،ص136.

(2) ابن الزيّات: المصدر السابق،ص361.

(3)الغبريني: المصدر السابق،ص153.

(4)ابن الزيّات: المصدر السابق،ص ص 274 ،361.

(5) بوتشيش: المغرب والأندلس ،ص 171.

(6) ابن خلدون :المقدمة،ص126.

(7) أحمد موسى: النشاط الاقتصادي ،ص ص 40،39،38.

(8) بنسباع: المرجع السابق،ص 124.

كبدليل يغني عن المرابطين ويسعى للتغيير،وكانت بمثابة الشرارة الأولى لقيام ثورات أخرى لم يكن أصحابها من المتصوفة في هذه المرة بل تزعمها القضاة أي التيار المضاد للمتصوفة ،مما يدل على أن الصراع بات تتقاسمه ثلاث جبهات كل واحدة يتزعمها تيار،وهذا ما يصور لنا حدة الأزمة التي ميزت المرحلة الفاصلة بين سقوط الدولة المرابطية وقيام الدولة الموحدية.

رابعًا: أن اختيار القوة كأساس في التغيير لم يكن ليرضي كل الاتجاهات الصوفية بالغرب الاسلامي،خاصة بالأندلس، فابن العريف حاول جاهدا الحيلولة دون قيام الثورة لكن دون جدوى وقد أشرنا إلى ذلك سابقا..

وخلاصة القول أن التصوف بالغرب الاسلامي اتخذ سبيلا آخر في التعبير عن رفضه لما يجري على أرض الواقع وما يعانيه المجتمع من أزمات،ورأى هذا التيار الثائر أن القوة هي الوسيلة الناجحة لتغيير الحكم وتسلم مقاليده،ورغم القضاء على ثوراته إلا أنه فعلا تمكن من زعزعة السلطة بالغرب الاسلامي آنذاك،وما يمكن ملاحظته عن التصوف في هذه الفترة هو أن الغرب الاسلامي قد تقاسمه تياران:الأول كان معتدلا واعتمد على الكرامات كوسيلة للتعبير عن مواقفه إزاء العديد من القضايا متفاديا بذلك الاصطدام بالسلطة،في حين رأى زعماء التيار الثاني المتطرف أن القوة هي الحل الأمثل للتغيير.

أما فيما يخص علاقة المتصوفة بالفقهاء فنستشف منها ما يلي:

أولا: أن الفقهاء استأسدوا في مهاجمتهم لتيار التصوف بالغرب الاسلامي في عصري المرابطين والموحدين،واستعانوا في ذلك بالسلطتين للحد من انتشار أفكار التصوف باعتبار ه أحد العوامل التي شكلت خطرا على مكانتهم في المجتمع،خاصة وأن المتصوفة باتوا محط تعظيم وتبجيل العامة التي كانت تستنجد بهم في حل مشاكلها وترى فيهم حماةً للانسانية،الأمر الذي أثار حسد الفقهاء وزاد في حقدهم على التيار الصوفي باختلاف الانتماءات المذهبية لأصحابه فكانوا بذلك وراء إشخاص وسجن العديد منهم.

ثانيا:أن الفقهاء فشلوا في القضاء على انتسار أفكار الغزالي الذي أفتوا بحرق كتابه "الإحياء"،ظنا منهم أن ذلك يضمن لهم القضاء على انتشار ما جاء فيه من انتقادات موجهة إليهم،وما بروز متصوفة متأثرين بالغزالي بالغرب الاسلامي إلا دليلٌ على ذلك حتى أن الناس مدحوا كتبه وراحوا ينظمون أشعارهم فيها[1].

---

(1) عزوز: المرجع السابق،ص76.

الفصل الرابـع:

دور المتصوفة في نشر التعليم وإثراء العلوم

I–دورهم في تطور المؤسسات التعليمية (الربط والزوايا)ونشر التعليم :

1–تطور المؤسسات التعليمية (الربط والزوايا)

2- دورهم في نشر التعليم

أ- تعليم الصبيان

ب- تعليم الشباب

ج-تعليم عامة الناس

II- دورهم في إثراء العلوم:

1- العلوم النقلية:

أ- علم القراءات والتفسير

ب- علم الحديث

ج- الفقه

د- العلوم الإنسانية

1 – اللغة

2- الأدب

١ -النثر

٢ – الشعر

أ- الشعر الصوفي السني

ب- الشعر الصوفي الفلسفي

1- الموشّح

2- الزّجل

3- التاريخ

2- العلوم العقلية:

أ- علم المنطق والفلسفة

ب- الجدل والمناظرات

ج- العلوم العددية

د- الطب والتنجيم والفلك

هـ- علم أسرار الحروف.

دور المتصوفة في نشر التعليم وإثراء العلوم:

عمد المتصوفة إلى نشر العلم بالغرب الإسلامي وذلك لما اشتهروا به من حبهم له وتقديرهم لأصحابه،فأبو مدين شعيب رأى أنه" من تعلم العلم ليعلم به الناس أعطاه الله فهما يعرف به"[1] وقد أدرك هؤلاء المتصوفة على أن العلم هو أساس بناء مجتمع واعي فركزوا جهودهم على محاربة الجهل والأمية.

I-دورهم في تطور المؤسسات التعليمية (الربط والزوايا)ونشر التعليم:

1- تطور المؤسسات التعليمية (الربط والزوايا)

لعبت الرابطة دورا مهما في الجانب التعليمي،إذ كانت من مراكز التعليم التي اعتمد عليها المتصوفة والزهاد لنشر التعليم كرابطة التونسي،ورابطة أبي إسحاق التي كانت مكانا لأداء العبادة والتعليم في آن واحد وكان المريدون من أتباع الشيخ أبي مدين شعيب يجتمعون برابطة ابن الزيات يؤدون فيها رياضاتهم وأورادهم اليومية ،هذا فضلا عن رابطة زرهون التي كان يجتمع فيها المريدون بشيخهم أبي عبد الله موسى الأزكاني(ت590هـ/1193 م)ينهلون من علومه ويأخذون عنه مبادئ التصوف[2]،ومثّلت بذلك الرابطة مؤسسة تعليمية أسهمت في نشر التعليم بالغرب الإسلامي إلى جانب نشر التصوف، وقد برزت مؤسسة أخرى يمكن القول أنها جاءت لتخلفها وتحل محلها ألا وهي الزاوية ،إذ سلبتها وظائفها فخلفتها في مهامها الدينية والتعليمية [3]،وباتت مؤسسة مستقلة بمريديها وتعاليمها[4]،وقد شكلت مكانا لإقامة العبادات واعتزال المتعبدين فيها معتكفين على القراءة والتدريس[5]، كما كانت ملجأ للمسافرين وعابري السبيل للراحة فيها[6] ،وهي بذلك لا تختلف في مهامها عن ما كانت تقوم به الرابطة مما يشير إلى أن هذه الأخيرة مثلت بداية ظهور الزاوية،ونظرا لما كان يقام في هذه الأخيرة من عبادات وشعائر دينية فإنها اكتست طابعا دينيا ثقافيا، إذ كان يجتمع المريدون فيها حول شيخهم يخدمونه ويؤدون

(1)أبو مدين شعيب:رسالة في التصوف،ميكروفيلم بالمكتبة الوطنية ،الجزائر رقم 5009 ورقة 21.

(2)ابن الزيات: المصدر السابق،ص ص 88 ،300 ،329 ،373.

(3)بونابي :المرجع السابق،ص224.

(4) بلغيث:الربط... ص281.

(5)Atallah Dhina :Les états de l' occident musulmanes an XIII XIV XV,office des publications universitaires, Alger,p304.

(6) محمد بن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ،تحقيق ماريا خيسوس بيفيرا، تقديم محمود بوعياد،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر 1401 هـ/1981 م ،ص413؛Atallah Dhina:op-cit p304

أورادهم اليومية[1]،وقد وجدوا فيها المأوى الذي يأويهم ويوفر لهم ما يحتاجونه من متطلبات العيش في مقابل الالتزام والخضوع للقوانين التي كانت تختص بالنظام السائد فيها[2].

ويرجع ظهور الزاوية بدورها الاحساني إلى العصر الموحدي، إذ عمد أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي(ت580هـ/1184م) إلى تأسيس زاوية بمراكش عرفت باسم "دار الكرامة" مهمتها إطعام المساكين والفقراء[3] ،ولانعدم من القرائن ما يشير إلى دور المتصوفة في إنشاء الزوايا بالغرب الإسلامي والتي ظهرت بحجمها الصغير في بداية الأمر، وحسبنا في ذلك زاوية المتصوف أبي زكريا يحي الزواوي(ت611 هـ/1214م) التي كانت ملحقة بمسجد[4]،حيث كان يؤدي فيها عباداته ورياضاته بمفرده ولم تكن أهلا لعقد حلقات التدريس فيها إذ كان يعقدها بالمسجد[5]،وأبو النور المشترائي هو

الآخر أنشأ زاوية مع تلميذه أبي شعيب أيوب ابن سعيد بأزمور ،هذا إلى جانب زاوية المتصوف صالح بن حرزهم التي كانت بمدينة فاس،وأعتبرت من أول الزوايا التي أقيمت داخل المدن[6]،وقد شجع الموحدون قيام هذه المؤسسات[7]،وما يعزز ذلك تلك الزاوية التي حبسها الخليفة يعقوب المنصور على أبي العباس السبتي للتدريس،أين اجتمع حوله عدد كبير من الطلبة ينهلون من علمه ويأخذون عنه مبادئ تصوفه،إلى جانب التفاف الفقراء والمساكين والأرامل حوله للاستفادة من الصدقات التي اشتهر بها[8]،كما أن أبا محمد صالح الماجرى الذي عاصر أبا يوسف يعقوب المنصور الموحدي(ت580 هـ/1184م)أخذ على عاتقه تأسيس مجموعة من الزوايا على طول طريق الحج من المغرب إلى الحجاز،وعمل أتباعه على خدمة الحجاج وتسهيل مهمة وصولهم إلى الحجاز لأداء فريضة الحج فكانوا يخدمونهم ،هذا فضلا عن مساهمتهم في نشر مبادئ التصوف داخل تلك الزوايا[9]،ولعب أبو الحسن الشاذلي(656 هـ/1258م)

(1)بونابي :المرجع السابق،ص ص 223 ،224.

(2)ابن مرزوق :المصدر السابق،ص413.

(3)أحمد البوزيدي:مؤسسة الزوايا بوادي درعة ق 10 و 11 هـ/16-17م بين الإشعاع العلمي والانتشار الصوفي)مجلة الأمل، العدد20-19 مزدوج ،السنة السابعة،منشورات أمل 2000م ص39؛ المهدي البوعبدلي:المرجع السابق،ص26.

(4)الغبريني: المصدر السابق،ص ص 138،137.

(5)بونابي :المرجع السابق،ص223.

(6)بن عبد الله:معطيات الحضارة...،ص146.

(7)محمد صالح الجوة:أثر الأندلسيين في الأدب المغربي على عهد الموحدين،رسالة دكتوراه ،معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر،العام الجامعي 1407 هـ/1987م ،ص195.

(8) أبو علي الهواري:مناقب أبو العباس السبتي،ورقة رقم 10 الوجه.

(9)البوزيدي :المرجع السابق،ص ص 39 ،40.

دورا مهما في إبراز الزاوية بالغرب الإسلامي من خلال زاويته التي أسسها ،وكانت تلقن فيها مبادئ الطريقة الشاذلية المتأثرة بطريقة أبي القاسم الجنيد وهي أقرب الطرق الصوفية إلى السنة وقد نسبت إليه عدة زوايا يرجع الفضل في تأسيسها إلى مريديه وأتباعه الذين انتشروا في العديد من البلدان العربية.[1]

يمكن القول من خلال ما سبق أن الزاوية بدت بشكلها البسيط خلال فترة محل دراستي لتعرف تطورا في مهامها ونظامها الذي تماشى مع الطريقة الصوفية التي تنطوي تحتها الزاوية فيما بعد.

2- دورهم في نشر التعليم:

وشمل تعليمهم الصبيان والشباب وحتى العامة وسنتطرق إلى ذلك بالتفصيل فيما يلي:

أ-تعليم الصبيان:

يعتبر الكتّاب أو المكتب أولى المؤسسات التعليمية الابتدائية التي عمل من خلالها متصوفة الغرب الإسلامي على تعليم الصبيان خلال الفترتين المرابطية والموحدية[2] ،وكانت تقام بالقرب من المساجد وأحيانا داخلها[3]، غير أنها لم تبق دائما ملصقة بالمساجد فكثيرا ما كانت تبنى مستقلة عنها[4]، وقد رأى السقطي أنه من المفروض على معلمي الصبيان مزاولة تعليمهم بالشوارع العامرة بالناس وأصحاب الحوانيت[5]،واقتصر المتصوفة في تعليمهم في هذه المرحلة على القرآن الكريم[6]،واهتمامهم بتعليم الصبيان القرآن الكريم وتحفيظه لهم كان مرتبطا برغبتهم في تكوينهم وتهيئتهم للعمل بما جاء فيه في حياتهم[7]،والظاهر أن سن الصبيان في هذه المرحلة كان يحدد بسبعة

---

(1) طه الولي:المساجد في الإسلام،ط1 ،دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان ،محرم 1409 هـ آب/ 1988م ،ص100.

(2)طه: مدينة فاس،ص275 ، وقد أفتى الإمام مالك بعدم جواز تعليم الصبيان في المساجد لأنهم لا يحافظون على نظافتها ،أنظر محمد بن سحنون :كتاب آداب المعلمين ،تقديم وتحقيق مقارن محمود عبد المولى،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر د.ت.ط، ص87.

(3)محمد عبد الحميد عيسى: تاريخ التعليم في الأندلس،إشراف لوسي سواريت فرناندیت ،تقديم عبد الغني عبود، ط1، دار الفكر العربي،القاهرة،1982م، ص ص 220 ،221.

(4)الجوة:ص186.

(5)As-Sakati de Malaga:un manuel Hispanique de Hisba, librairie enest leraux paris, p68.

(6)ابن أبي زرع: المصدر السابق،ص173

(7)صفية ديب: التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي قسم التاريخ،جامعة الجزائر ،العام الجامعي 2001م ،ص28.

سنين ،إذ كان لا يسمح لهم في هذه السن الدخول إلى المساجد والتعلم فيها وذلك تجنبا لنجاستهم [1]،وعملية التدريس كانت تتم بالتفاف الصبية حول الشيخ المعلم هذا الأخير الذي عمل على تعليمهم وفق برنامج خاص، فيقوم بتحفيظهم القرآن الكريم على مراحل تنتهي كل واحدة بختم جزء معين من القرآن،إلى جانب تعلميهم عملية الوضوء والصلاة[2]،وقواعد اللغة العربية[3]،وقد دعا الغزالي إلى تعليم الصبيان في المكتب القرآن الكريم وأخبار الصالحين حتى ينغرس فيهم حبهم[4]، وبما أن الغزالي كان له أتباع بالغرب الإسلامي فمن المؤكد أنهم التزموا بهذا في تعليمهم للصبيان.

وقد عارض أبو بكر بن العربي (ت543 هـ/ 1148م) فكرة تعليم الصبيان القرآن الكريم،واشترط أن تتم في مرحلة الكتّاب تعليمهم الخط والحساب والعربية،بعدها يوجه لتعلم القرآن وذلك حتى يعي ما يحفظه فلا يتعلق قلبه بالحروف دون المعنى[5]،ومن المتصوفة الذين اشتغلوا بتدريس الصبيان بالمكتب نذكر أبا حدو القاسم الإيلاني الذي درّس الصّبية بمراكش،وأبو عبد الله التاودي (ت580

هـ/1184م) المعروف بالمعلم درّس هو الآخر الصبية بفاس [6] ،كما كان بن تاشفين بن محمد المكتب معلما للقرآن بمدينة فاس أيضا[7]،وقد تفانى المتصوفة في عملهم بتعليم الصبية ،إذ لم يدخروا جهدا في إفادتهم ونفعهم وتأدية واجبهم إتجاههم على أكمل وجه، وحسبنا في ذلك أبو شعيب أيوب سعيد الصنهاجي الذي عُرف بتعليمه في المكتب وهو واقف ويتوكأ على عصاه أثناء وقوفه ولا يجلس ،حتى يتم انصرافهم ليحس أنه لم يضيع الوقت في الجلوس والراحة أثناء أدائه لعمله[8] ،وفيما يخص الأجرة فقد اختلف المتصوفة القائمون على تعليم الصبيان في أمرها إذ أباح بعضهم أخذها، على أن تكون نيتهم من تعليمهم التقرب إلى الله عزّ

---

(1)محمد دبوب: مساهمة الحركة الصوفية في المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ببلاد المغرب الإسلامي وتفاعلاتها خلال القرنين (3 هـ-5 هـ/ 9-11 م) ،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي قسم التاريخ،جامعة الجزائر ،العام الجامعي 2000-2001م ،ص64.

(2)محمد بن تاويت: المرجع السابق،ص80 وما بعدها.

(3)طه: مدينة فاس...ص275.

(4)رضا: المرجع السابق،ص52.

(5)ديب: المرجع السابق،ص36.

(6)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 160 ،264.

(7) ابن الآبار:المصدر السابق،ج1،ص235.

(8)السلاوي: المصدر السابق،ج2،ص396.

وجلّ لا لأجل المال، وحذّروا من أن يميل قلب المعلم إلى من يجزل له في الأجرة ويتغير على من يعطيه أقل من ذلك[1] ،إلا أنه من المتصوفة المعلمين من أخذ الأجرة من الأغنياء و وزّعها على وجوهها من الفقراء كأبي عبد الله التاودي[2]، واكتفى بعضهم بمزاولة تعليم الصبيان دون أجرة لوجه الله،وحسبنا في ذلك أبو عبد الله محمد بن يحي المصالي[3]، وأبو إسحاق إبراهيم بن سيول الاشبيلي الذي أقرأ القرآن بتلمسان محتسبا لله دون مقابل ،حتى أنه رأى في أن الانشغال بالتعليم من الظروف المساعدة على الابتعاد عن الدنيا وشهواتها ،وما يؤكد ذلك أنه كان يصعد الجبل للاحتطاب فور فراغه من تعاليم الصبيان[4]،والأجرة كان يدفعها أولياء الصبيان للمعلم كل شهر ممثلة في الدقيق أو الزيتون أو الزيت وغيرها[5]،وقد تعامل المتصوفة مع الصبية الذين يعلمونهم بالمكاتب بالرفق والإحسان فكان أبو ابراهيم إسحاق الهزرجي" يتفقد الصبيان في مكاتبهم فيسأل عن الأيتام وأولاد الفقراء فيكسوهم"[6] ،أما أبو عبد الله التاودي فقد بلغ به رفقهُ بالصبيان إلى غسل ملابسهم وإخاطة الممزقة منها دون أي مقابل،حتى أنه كان يقسم عليهم في بعض الأحيان العنب[7]،وكانوا يحرصون على تحبيب العلم للصبية

الذين يرفضون الذهاب إلى المكتب[8] ،غير أن الملاحظ هنا هو أن بعض المتصوفة عمدوا إلى تعليم الصبيان خارج المكتب،وحسبنا في ذلك أبو عبد الله القلانسي الذي اقتصر على داره لتعليم الصبيان ،وكان يشترط ألا يزيد عددهم عن العشرة وربما توقف هذا العدد على مدى مساحة داره[9].

ب– تعليم الشباب:

اهتم المتصوفة بإلقاء دروس على طلبتهم الشباب بالمساجد التي شكلت أماكن للعلم

---

(1) ابن عباد الرندي: الرسائل الصغرى، نشرها بولس،نويا السيوعي،المطبعة الكاثوليكية بيروت،1957 م ،ص84 الرسالة التاسعة.

(2)ابن الزيات:المصدر السابق،ص264 ،السلاوي: المصدر السابق، ج2،ص175.

(3)الصدفي: المصدر السابق،ص64.

(4)ابن الزيات:المصدر السابق،ص288.

(5) Levi provençal :op cit .p415.

(6)ابن الزيات: المصدر السابق،ص227.

(7)نفسه:ص264.

(8)نفسه:ص116.

(9)الصدفي: المصدر السابق،ص76

والعبادة، وكانت تلقي فيها العلوم باستثناء بعض العلوم التي كانت محظورة إبّان عصري المرابطين والموحدين[1]،وساهم المتصوفة في هذا المجال ببنائهم للمساجد في المناطق المعزولة كالجبال والقرى النائية[2]، وكانت المساجد عبارة عن مؤسسة تعليمية جماعية وأسندت مسؤولية التعليم فيها إلى الجماعة،التي تهتم بها وتنفق عليها فلم تكن الدولة تتدخل في التوجيه والإشراف على الطلبة بل كانت مسندة لمن يدرس فيها من علماء و فقهاء[3] ،فكان أبو الفضل ابن النحوي يدرّس أصول الدين وأصول الفقه بمسجد بن عبد الملك بسجلماسة وبفاس أيضا، وأبو جبل عقد حلقات بمسجد فاس للذكر والفقه، فضلا عن أبي مهدي الذي درّس طلبته بمسجده القرآن الكريم وكان يحثهم على العمل للآخرة[4] ،ودرّس أبو زكريا الزواوي الحديث وعلوم الفقه والتذكير، ولم تكن هناك ناحية من النواحي إلاّ وله فيها مسجد ومعلم[5]، ودرّس الحلوي الشوذي بمسجد بخندق عين الكسور خارج باب القرمدين بتلمسان القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأدب[6]، وكان تلميذه ابن المرأة يتكلم عن أهل التصوف ويسرد أخبارهم في مجالسه[7]، أما أبو مدين شعيب فقد درّس بمساجد بجاية واعتمد في تدريسه على" الرسالة القشيرية"و"الاحياء "و"التفكير والتفكر فيما تشمل عليه السور

والآيات"[8]،وسار على نحوه أبو علي الحسن المسيلي الذي درّس هو الآخر ببجاية[9] ودرّس عبد الحق الاشبيلي (ت581 هـ-1185م) ببجاية الحديث[10] وعمل محمد بن عبد الرحمن التجيبي(ت610هـ/1214م) هو الآخر بتدريس الحديث

---

(1)الشكعة: المرجع السابق،ص72.

(2) ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 114 ،115 ،259 ،374.

(3) عبد العزيز لعرج: (المدارس الإسلامية دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها) ،دراسات إنسانية مجلة علمية،العدد الأول ،القسم الأول ،دار الحكمة ،الجزائر ،1421 هـ/2001م ص114.

(4)ابن الزيات: المصدر السابق،ص ص 75 ،76 ،79 ،253.

(5)الغبريني:المصدر السابق،ص136.

(6) ابن مريم: المصدر السابق،ص69.

(7) ابن فرحون:المصدر السابق،ص147.

(8)الغبريني: المصدر السابق،ص ص 56 ،57 ،58 ،67.

(9) ابن القنفذ: أنس الفقير،ص34.

(10)الغبريني: المصدر السابق،ص74.

بتلمسان[1] ،كما درّس المتصوفة التفسير[2]، ،خاصة وأن الغزالي قد دعا إلى تفسير القرآن باعتبار أن للقرآن معاني لا بد من فهمها وانتقد من يكتفي بتفسير ظاهره فقط[3]،هذا كما أقرأ أحمد بن أبي محمد النفزي الموطأ وصحيح البخاري لطلبته بمجلسه[4]، ولم تكن المساجد المكان الوحيد الذي يلقي فيه المتصوفة حلقات التدريس[5] ،أو الميعاد[6] ،إذ شكّلت الرابطات إحدى المراكز التي تم فيها التعليم[7]،كرابطة ابن قسّي التي عمل فيها على تدريس مؤلفات الغزالي وفي مقدمتها الاحياء[8]،والزوايا هي الأخرى درّس فيها المتصوفة طلبتهم كالزاوية التي حبسها الخليفة الموحدي يعقوب المنصور على أبي العباس السبتي،إذ كان يجتمع الطلبة حوله فيها[9] يدرسهم الحساب والنحو ويأخذ الأجرة منهم ويتصدق بها على الغرباء منهم[10]،وقد عقد المتصوفة مجالس وعظية لطلبتهم الذين كانوا يجتمعون إليهم كعبد الحق الاشبيلي الذي حرص على تلقين طلبته مؤلفاته[11] وابن الحجام (ت614 هـ/1217 م) هو الآخر اهتم بإلقاء دروس في الوعظ أيام الخميس والاثنين، وقد ألّف كتابه في الوعظ "حجة الحافظين ومحجة الواعظين"و من الممكن أنه عمل على تلقينه في مجالسه الوعظية لطلبته[12]،وخضعت أوقات التدريس لمواقيت الصلوات الخمس اليومية فكانت تلقي

الدروس قبل الصلاة أو بعدها،فأقرأ عبد الحق الاشبيلي بعد صلاة الصبح إلى غاية الضحى ثم كان يستأنف التدريس بعد صلاة الظهـر

---

(1) ابن الآبار: التكملة...ج2 ص578.

(2)عنان :المرجع السابق،ج1،ص678.

(3) رضا:المرجع السابق،ص39.

(4)ابن خرحون:المصدر السابق،ص127.

(5) دبوب: المرجع السابق،ص65.

(6) الغبريني:المصدر السابق،ص137.

(7) ابن الزيات: المصدر السابق،ص ص 329-373.

(8) سحر السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق،ج2،ص171.

(9) أبو علي الهواري: مناقب أبي العباس السبتي،ورقة 10 الوجه

(10)التنبكتي: نيل الابتهاج ،ص34.

(11) الغبريني: المصدر السابق،ص ص 74،77

(12)يحي بن خلدون:المصدر السابق،ج1،ص103.

حيث يُقرؤ عليه إلى غاية العصر[1] ،وأبو العباس ابراهيم النفزي كان هو الآخر يجلس بعد صلاة الصبح فيدّرس التفسير والحديث ودروس في الوعظ إلى غاية الضحى[2]،أما أبو العبّاس السبتي فكان يلقن طلبته القرآن الكريم في الليل [3]،وهناك من تفانى في التدريس كعلي بن محمد بن هذيل الذي اعتاد الطلبة على القراءة عليه والسماع منه ليلا ونهارا لا يسأم من ذلك حتى أنهم كانوا يقرؤون عليه في مرضه[4]، وفي شهر رمضان كان يخضع برنامج التدريس إلى تغيير بحسب هذه المناسبة فأبو زكريا يحيى الزواوي كان يخصص ميعادا لتفسير القرآن قبل صلاة الظهر وبعد الفراغ من الصلاة يدرّس الحديث[5]،و طريقة التدريس تمثلت في الإلقاء والشرح إذ كان المتصوف يتولى شرح ما يُقرؤ عليه شرحا مفصـلا على حسب إمكانيـاته العلمية، [6]وقد أشرف أبو الحسن علي الحرالي (ت638هـ/1241م) على توجيه طلبته كل حسب رغبته ومستواه الدراسي إلى الوظيفة الملائمة له كالقضاء والتدريس والتصوف...الخ[7]،أما فيما يخص عدد الطلبة الذين يدّرسهم الشيخ الواحد فهو يختلف حسب الظروف،لكن ما يمكن قوله هو أن عددهم في أغلب الأحيان كان كبيرا جدا وجلوس الشيخ كان يعيق عملية إسماع كلامه لكل طلبته،لذا فمن الممكن أنهم استخدموا كراسي لأجل ذلك فهذه الطريقة كانت مستخدمة في المشرق،ونحن نعلم أن غالبية المتصوفة قد جالوا المشرق وحسبنا في

ذلك أبو مدين شعيب الذي حضر مجالس عبد القادر الجيلاني ، الذي استخدم الكرسي في مجالسه،وبما أن عدد الطلبة الذين تتلمذوا لأبي مدين شعيب كان كبير فمن الممكن أنه قد استخدم الكرسي في مجالسه[8].

---

(1)الضبي:المصدر السابق،ص341.

(2) ابن الخطيب:الإحاطة...ج1 ،ص368.

(3) أبو علي الهواري:مناقب أبو العباس السبتي،ورقة 10 الظهر

(4)ابن عبد الملك: المصدر السابق،السفر5،القسم1،ص ص 370 ،371.

(5)الغبريني:المصدر السابق،ص137.

(6)دبوب:المرجع السابق،ص65.

(7) الغبريني:المصدر السابق،ص153.

(8) عبد الهادي التازي: جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري مج1،ط1،دار الكتاب اللبناني ،بيروت،لبنان،1972م، ص ص 124 ،125.

وعملية التدريس التي أشرف عليها المتصوفة كانت كثيرا ما ينتقدها الفقهاء ويعارضونها ،إذ طُرد أبو الفضل ابن النحوي من مسجد سجلماسة وفاس،ومُنع من التدريس لأن تدريسه للأصليين كان ينافي العلوم التي اعتاد المرابطون تدريسها،وحدث هذا أيضا لأبي محمد عبد السلام التونسي بتلمسان،وبما أن العلوم التي كان يدرّسها المتصوفة قد لاقت اعتراضا من السلطة والفقهاء خلال هذه الفترة – عصري المرابطين والموحدين– فإن هذا دفع ببعض المتصوفة إلى تقسيم أوقات التدريس ،إذ عمد أبو محمد عبد الجليل بن ويجلان إلى تدريس الفقه، ثم بعد الانتهاء منه يجتمع منه بالمقربين منه من الطلبة ويدّرسهم علوم الآخرة والتصوف،حتى أنهم باتوا يلقون دروسهم في أماكن غير التي ذكرناها ،فاقتصر أحدهم على التدريس بالأودية وشعاب الجبال ،وابن الحجام هو الآخر عمد إلى تدريس مريديه بكهف[1] ،وقد استعملوا المداد للكتابة [2]، وساهم المتصوفة حتى بتوفير بعض الكتب إذ عمد أحدهم إلى نسخ كتب القرآن الكريم وتصدق بها ومن المؤكد أن هذا سهل على بعض الطلبة الحصول على نسخة منه.[3]

ج– تعليم عامة الناس:

لم يقتصر المتصوفة على تدريس الصبيان والشباب بل عمدوا وإلى تعليم عامة الناس، مما يشير إلى أنهم حملوا لواء محاربة الجهل والأمية باعتبارهما أساس التخلف والتدهور، ولذا عقدوا مجالس للوعظ والتذكير ،وكانت هذه المجالس مدارس شعبية يحضرها كل الناس دون استثناء فأبو الحسن المفسر(ت577 هـ/1181م) كان يفسر للناس القرآن الكريم بمراكش فينتفعون به[4]،وببجاية كان الناس يجتمعون في مجلس أبي مدين شعيب بمسجد أبي زكريا ،حتى أنهم في كثير من الأحيان يزدحمون على مجلس الوعظ الذي خصص له وقتا بعد صلاة الصبح، وكان يثري مجلسه بالحديث عن مناقب المتصوفة والزهاد[5]،وأبو علي حسن المسيلي هو الآخر كان يلقي دروسا للعامة في الدين [6]،كما اجتمع العامة حول أبي عبد الله محمد بن يحيى

---

(1)ابن الزيات :المصدر السابق :ص ص 75-76-89-126-291-463.

(2)المداد كان يصنع من الصوف المحروق أنظر Levi provençal:op cit,p415.

(3) ابن الزيّات :المصدر السابق،ص400.

(4)ابن الزيات: المصدر السابق،ص227.

(5) بن منصور:أعلام المغرب،...،ج2،ص16.

(6) الغبريني: المصدر السابق،ص67.

القرطبي (ت600 هـ/1203م) لحضور مجلس التذكير و الوعظ الذي كان يلقيه[1]و مجالس الوعظ والتدريس التي عقدها المتصوفة شملت حتى النساء، فأبو يحيى بن محيو (ت605 هـ/1208م) كان يعلم الرجال والنساء بإحدى الجزر الإسلام ويعرفهم أمور الشريعة[2]، وازدحمت العامة على دروس أبي زكريا يحيى الزواوي بالجامع الأعظم ببجاية أين كان يلقي دروسا في الفقه والتذكير والحديث[3]، واستطاع ابن الحجام(ت614 هـ/1217م) بملكة صوته وقوة تأثيره على الحاضرين في مجالسه الوعظية يومي الاثنين والخميس أن يجعل قلوب السامعين تنفعل عند سماع حديثه[4]، كما كان له مجلس وعظ يوم الجمعة وكثير من تاب على يديه[5]،وعمل المتصوفة في كل ذلك على جلب الناس إلى مجالسهم وراحوا يوظفون كراماتهم لاستمالتهم ،فممّا أوثر عن أبي عمران بن وجادير الدكالي (ت 613 هـ/1216 م) أنه كان يخبر الحاضرين بأن من يحضر مجلسه يُغفر له[6]،واتخذ المتصوفة من مجالس الوعظ والتذكير وسيلة عبّروا فيها عن مواقفهم من بعض القضايا.

II-دورهم في إثراء العلوم:

رمى المتصوفة بجهودهم الجبّارة على كل الميادين حتى الجانب العلمي،إذ أسهموا فيه هو الأخر بثقافتهم وبمؤلفاتهم المتنوعة أين أثروا بها الساحة العلمية بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين،لذلك لا يمكن أن نغفل عن هذا الجانب المهم الذي بادر فيه المتصوفة إلى الاهتمام بمجالات علومه المختلفة والتي تنقسم إلى علوم نقلية وعلوم عقلية.[7]

1- العلوم النقليــة:

أ- علم القراءات والتفسير:

اهتم المتصوفة بقراءة القرآن الكريم وتحفيظه وجعلوا منه الدعامة الأساسية التي قام عليها تصوفهم،ودعّموا مذاهبهم بآياته باعتباره المصدر الأول الذي يعتمـده المسلم في أمور حياته

---

(1)ابن الأبّار:التكملة...ج2 ،ص569.

(2)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص424.

(3) الغبريني:المصدر السابق،ص ص 136 ،137.

(4) يحي بن خلدون: المصدر السابق،ج1، ص ص 102 ،103.

(5)ابن الزيّات: المصدر السابق،ص463.

(6) نفسه:ص461.

(7)تنقسم العلوم إلى قسمين نقلية وتشمل التفسير والحديث والفقه واللغة والأدب،أما العقلية فهي التي تشمل الفلسفة وعلم المنطق والرياضيات والكيمياء والفلك والطب ،بونابي :المرجع السابق،هامش(1)ص238 ؛علاّم :المرجع السابق،ص294.

وأجادوا قراءته[1]،ونبغ في علم القراءات متصوفة الأندلس وقد وجدوا الأرضية مهيأة لهم ،ويرجع ذلك لتلك التطورات التي عرفها هذا العلم بالأندلس خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي وممن برز من المتصوفة في هذا العلم بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين نذكر ابن الخطيئة اللحمني الذي كان "رأسا في القراءات السبع"،[2]وابن العريف الذي اهتم اهتماما بالغا بالقراءات حتى نبغ فيها،[3]ودرّسها لطلبته وممن أخذها عنه أبي العباس أحمد ابن اليتيم (ت581 هـ/1185م)[4] ،وابن برجان هو الآخر برز في علم القراءات [5] ،وعلي بن محمد بن علي بن هذيل(ت564 هـ/1168م) البلنسي الذي اشتهر بعلم القراءات وانتهت إليه رياسة الاقراء بشرق الأندلس[6]،وأبو عمران الميرتلي الذي أخذه عن شيخه ابن المجاهد(ت574 هـ/1178م) [7] إلى جانب إبراهيم بن يسول الاشبيلي[8]،وأبو الحسن الششتري[9]،أما التفسير[10]فاهتم به المتصوفة هو الآخر خاصة مع عصر الموحدين الذين اعتمدوا على العقيـدة

(1) برزت سبعة قراءات للقرآن الكريم نظرا لاختلاف الرواة من الصحابة ممن رووه عن الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض حروفه وكيفية كتابتها ونطقها ،الأمر الذي أدى إلى ظهور سبع قراءات كل واحدة عرفت بصاحبها وبقيت متداولة حتى انفردت وشكلت علما قائما بذاته ودونت فيه الكتب ،ابن خلدون المقدمة ،ص347.

(2)ابن القاضي: المصدر السابق،القسم 1،ص116.

(3) ابن بشكوال:المصدر السابق،ج1،ص136.

(4) ابن الأبّار:التكملة...ج1 ،ص84.

(5)التنبكتي:نيل الابتهاج...ص135.

(6)ابن عبد الملك:المصدر السابق،السفر5،القسم1،ص ص 370،369.

(7) ابن الأبّار:التكملة،ج2،ص523.

(8) ابن الزيّات:المصدر السابق،ص288.

(9) المقري:نفح الطيب...ج2،ص185.

(10) ينقسم التفسير بدوره إلى تفسير نقلي يعتمد على ما نقل عن الصحابة والتابعين بمعرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآيات ،وقد أقدم أبو محمد بن عطية الأندلسي(ت546 هـ/1154م) على تلخيص التفاسير المنقولة، وركّز على أقربها إلى الصحة وجمع ذلك في كتاب تداوله أهل المغرب والأندلس، أما التفسير الثاني فهو يعتمد على المعنى إلى جانب الرأي والاجتهاد على اللغة والإعراب والبلاغة لتفسير المعاني حسب المقاصد والأساليب وهذا التفسير قلما ينفصل عن التفسير النقلي وخير كتاب في التفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري(ت538 هـ/1144م) أنظر ابن خلدون ،المقدمة ،ص349.

التومرتية كأساس لدولتهم القائمة على استخدام العقل والقول بالتأويل في القرآن الكريم[1]،مما فتح المجال أمام المتصوفة لتفسير آيات القرآن الكريم ،غير أن هذا لا يدل على أن المتصوفة خلال العصر المرابطي لم يهتموا بالتفسير، فعلى الرغم من تشدد السلطة المرابطية والفقهاء ومراقبتهم للعلوم إلا أنه هناك من المتصوفة من تحدى ذلك ونبغ في التفسير ،وحسبنا في ذلك المتصوف ابن برجان الذي ترك كتابا في تفسير القرآن الكريم لم يكمله[2] ،ومن المتصوفة الذين برزوا في هذا المجال أبو الحسن الغرناطي المفسّر(ت577 هـ/1181م) الذي كان يفسر القرآن الكريم في مجلسه للناس [3]وأبو العباس ابراهيم النفري هو الآخر كان يفسر في مجالسه القرآن الكريم بعد صلاة الصبح[4]، وأبو محمد عبد الجليل الأنصاري(ت608 هـ/1211م) ترك مؤلفا فسّر فيه القرآن[5]، وببجاية برز أبو زكريا يحيى الزواوي الذي خصص وقتا بجامعها الأعظم يفسّر فيه القرآن الكريم لعامة الناس، هذا دون أن ننسى أبا الحسن الحرالي الذي ترك كتابا في التفسير "سلك فيه مسلك البيان والايضاح على نحو ما يقتضيه علم العربية ... "[6] ،كما أنه وضع كتابا آخر تضمّن القواعد المتعلقة بالتفسير عنونه بـ" مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل"[7]، أما ابن عربي فقد ترك" التفسير الكبير"وبلغ في

تفسيره هذا إلى سورة الكهف عند الآية 65 وتوفي قبل أن يكمله[8]، وترك كتابا آخر سماه بـ" الجمع والتفصيل في أسرار ومعاني التنزيل "في أربعة وستين مجلدا[9].

---

(1) هويدي:المرجع السابق،ص ص 232 ،233 ،240.

(2)التنبكتي:نيل الابتهاج،ص135.

(3) ابن الزيات: المصدر السابق،ص227.
(4)ابن الخطيب: الإحاطة،ج1،ص368.
(5)السيوطي: طبقات المفسرين،ص16.
(6) الغبريني:المصدر السابق، ص ص137 ،147 ،148.
(7) نفسه:ص146.
(8) المقري: نفح الطيب...ج2،ص177.
(9) النبهاني:المصدر السابق،ج1،ص208.

ب- علـم الحديـث:

اهتم علماء الغرب الإسلامي بعلم الحديث [1] خاصة خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي مع الدولة الموحدية، إذ انتشر المجموع الذي وضع في الحديث بين الناس وشجعت على حفظه،وعملت السلطة على مكافأة حفظته [2] ،واهتمام علماء الغرب الإسلامي بالحديث ساهم في انتشار أمهات كتبه خاصة صحيح الإمام مسلم الذي كثرت عناية علمـاء المغرب به[3]،وكان المتصوفة يلقون في مجالسهم العلمية كتب الحديث كالموطأ للإمام مالك بن أنس (ت179هـ/795م) الذي حدّث به كل من ابن حرزهم وابن المرأة [4]،وأبي مدين شعيب الذي كان من المهتمين بكتب الحديث كجامع ابن عيسى محمد الترمذي (ت279هـ/892م) وموطأ مالك [5] ،وكان الناس يقصدونه للفصل بينهم في بعض الأحاديث النبوية[6]،وأقـرأ أحمد بن أبي محمد النفزي في مجلسه الموطأ والبخاري[7] ،كما حدّث ابن برجان بالبخـاري أيضا[8]،وعمد أبو الحسن الششتري إلى إقراء "السنن" لأبي داود السجستاني (ت275هـ/888م) بمجلسه[9]، وقد نبغ معظم متصوفة الغرب الإسلامي في علم الحديث كأبي الحسن

---

(1)هو الاحتفاظ بما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أقوال وأفعال،وكان المسلمون يروونه شفاهيا إلى غاية نهاية الخلافة الراشدية حيث عمدت مجموعة من العلماء إلى تنقية الحديث من الأحاديث غير الصحيحة ،متبعين في ذلك منهجا قام على أساس النظر في الناسخ والمنسوخ من الأحاديث ومراتب نقلته من الصحابة والتابعين والأسانيد من خلال تفاوتها باتصالها وانقطاعها وسلامتها من العلل ،وفي الأخير يتم الحكم بقبول الأعلى من السند ورد الأسفل ،وفيما يخص المتوسط فيخضع بحسب المنقول عن أصحابه من الأئمة ،وقد استخدموا مصطلحات للدلالة على المراتب كالصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والشاذ والغريب وممن اشتهر في علم الحديث محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ/869 م) والإمام مسلم بن الحجاج القشيري (ت261 هـ/874 م) وأبو داود السجستاني(ت275 هـ/888م) وأبو عيسى الترمذي (ت279هـ/ 892م)وأبو عبد الرحمن النسائي(ت303هـ/915م) ،أنظر ابن خلدون ،المقدمة ،ص ص 351،350،349 ،بونابي ،المرجع السابق ،هامش (4)ص240.

(2)المراكشي: المصدر السابق،ص ص 278 ،279.

(3)ابن خلدون:المقدمة،ص352.

(4)ابن الأبّار:التكملة، ج1،ص164.

(5) التنبكتي: نيل الابتهاج ،ص108 ؛ابن منصور :المرجع السابق، ج2،ص15.

(6)المقري:نفح الطيب...ج7 ،ص144.

(7) ابن فرحون:المصدر السابق،ص127.

(8) ابن مخلوف: المصدر السابق، ج1،ص194.

(9)التنبكتي: كفاية المحتاج،ص244.

ابن دلال القرشي الذي كان "ممن تمسك بالحديث ومعانيه"[1] ،وأبي الحسن الحرالي الذي بلغ شأوا كبيرا في علم الحديث وتقدم فيه[2] ،حتى أنه ألّف "شرح الموطأ"،[3]وعمل المتصوفة على تدريس الحديث في مجالسهم فأبو زكريا الزواوي كان يدرّس الحديث بالجامع الأعظم[4]،وأبو إبراهيم النفزي هو الآخر درّسه بعد صلاة الصبح [5]،كما أن ابن المرأة درّسه على الحلوي الشوذي[6]،ولم يكتف هؤلاء المتصوفة بدراسة الحديث وتدريسه بل ساهموا بمؤلفاتهم في هذا الجانب،وحسبنا في ذلك عبد الحق الاشبيلي الذي ألّف" الجمع بين الصحيحين""والجمع بين المصنفات الستة"[7]وكتاب "المرشد"الذي احتوى حديث مسلم وما زاد عنه البخارى والأحاديث الصحاح من كتابي أبي داود والترمذي[8]، ومما ألّف في الحديث أيضا "المعتدل من الحديث"[9]و الأحكام الكبرى والأحكام الصغرى، وكتاب كبير في الأحكام وهو أكبر من الأحكام الكبرى[10] ،وكتاب "تلقين الوليد" ضمّنه كلام النبي صلى الله عليه وسلم والصالحين[11]، وعرفت هذه المؤلفات رواجا كبيرا بين الناس [12]،حتى أن تلامذته تأثروا به وحسبنا في ذلك تلميذه أبو عبيد الله محمد بن علي (**ت628 هـ/1230م**) الذي ألّف"كتاب الإعلام بفوائد الأحكام" فحدّث عن كتاب الأحكام لشيخه عبد الحق

الاشبيلي[13]،وساهم أحمد بن معد أبو العباس الاقليشي (ت**551 هـ/1156م**) بتصانيفه في الحديث ككتاب بـ"النجم"وكتاب"الغُرر من كلام سيد البشر صلى الله عليه وسلم" [14]

(1)الصدفي: المصدر السابق،ص62.
(2)لغبريني: المصدر السابق،ص148.
(3)المناوي:المصدر السابق، ج2،ص466.
(4) الغبريني: المصدر السابق،ص136.
(5) ابن الخطيب:الاحاطة ،ج1،ص368.
(6)ابن مريم:المصدر السابق،ص69.
(7)ابن فرحون:المصدر السابق،ص277.
(8)بونابي:المرجع السابق،ص241.
(9) ابن فرحون :المصدر السابق،ص277.
(10)الغبريني: المصدر السابق،ص74 ؛الزركلي: المصدر السابق،مج3،ص281.
(11) بونابي:المرجع السابق،ص241.
(12)الغبريني:المصدر السابق،ص74.
(13)ابن الأبار:التكملة، ج1،ص ص 627 ،628.
(14)ابن فرحون:المصدر السابق،ص ص 133-134.

وعبد الرحمن التجيبي (ت610 هـ/1213م)ألّف أربعين حديثا في حب الله تعالى"وأربعون حديثا في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم[1]"،وله برنامجه الأكبر وبرنامجه الأصغر[2]،وابن عربي هو الآخر ألّف في الحديث وما من فن في العلوم إلا وله فيه مؤلفات، ومما ألّفه في الحديث كتاب"المصباح في الجمع بين الصحاح" "واختصار مسلم"،و"اختصار البخارى"،"واختصار الترمذي"و"مكافأة الأنوار فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى من أخبار"، و"كنز الأبرار فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأدعية والأذكار"[3]،أما أبو السحن الششتري فقد ألّف كتاب "العروة الوثقي في بيان السنن وإحصاء العلوم وما يجب على المسلم أن يعلمه ويعتقده"[4].

جـ- الفقــه:

أحاط المتصوفة الفقه[5]باهتمام كبير إذ بلغوا فيه شأوا كبيرا ،باعتباره جانبا مهما في تسيير أمور الحياة وتنظيمها من خلال أحكامه وقواعده التي نستخرج من الكتاب والسنة[6]،وقد اهتم متصوفة الغرب الإسلامي بالمذهب المالكي فتدارسوا كتبه كالموطأ[7]، والعتيبية للعتبي التي اعتمدها بالأندلس[8]هذا فضلا عن مدونة سحنون[9] ،ونبغ المتصوفة في جانب الفقه فهذا ابن حرزهم كان"فقيها عارفا بالمسائل

والفقه"[10]،وأخذ أبو عمران الميرتلي الفقه عن ابن المجاهد الذي نبغ فيه[11] ،ودرّس أبو علي سالم بن سلامة السنوسي (ت589هـ/1193م) الفقه بمدينة فاس[12]،وأبو يزيد عبد الرحمن الفازازي(ت627هـ/1229م) هو الأخر كان من المهتمين

(1)المقري:نفح الطيب،ج2،ص161.

(2)ابن الآبار:التكملة:ج2،ص589.

(3)المناوي:المصدر السابق،ج1،ص207.

(4)المقري:نفح الطيب،ج2،ص186.

(5)هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والاباحة ،وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه،أنظر ابن خلدون:المقدمة،ص 353.

(6)بونابي:المرجع السابق،ص243.

(7) السلاوي:المصدر السابق،ج2،ص153 ؛ابن الآبار:التكملة،ج11،ص164.

(8)ابن خلدون:المقدمة،ص ص 356 ،357.

(9)ابن الزيّات:المصدر السابق،ص74.

(10)ابن القاضي:المصدر السابق،القسم 2،ص464.

(11)ابن الأبّار: التكملة،ج2،ص523.

(12)مجهول:مفاخر البربر،ص214.

بدراسة الفقه[1]،أما أبو الحسن على الحرالي فقد اشتهر بمجالسه التي كان يقارن فيها لطلبته بين التهذيب والمدونة ويبين أوجه الاختلاف بينهما[2]،وعمد المتصوفة فضلا عن دراستهم للفقه وتدريسه إلى التأليف فيه،وحسبنا في ذلك محمد بن علي الرمامة القلعي(ت567 هـ/1171م) الذي ألّف كتاب"التبيين في شرح التلقين"[3]،كما أن أبا إسحاق إبراهيم بن المرأة ألّف كتابا في إجماع الفقهاء انتهى من كتابته سنة 610 هـ/1213م[4] ،وأبو إسحاق إبراهيم النفزي الغرناطي(ت659هـ/1260م) ألّف هو الآخر كتاب"الوسائل في الفقه والمسائل"[5] ،وقد ألّف أبو علي الحسن المسيلي كتابه"النبراس في الرد على منكر القياس"[6] دعا من خلاله إلى ضرورة استخدام الاجتهاد والقياس لإيجاد حلول لبعض المسائل التي أُشكل عليهم حلها،وسار على نحوه محمد بن علي بن الرمامة ،إذ اهتم بالمذهب الشافعي ومال إليه وله فيه "تسهيل المطلب في تحصيل المذهب" و"التقصي عن فوائد التقصي"[7].

وكان ابن النحوي بارعا في أصول الفقه وأصول الدين[8] ،وعبد الحق البجائي (ت513هـ/ 1119 م) هو الآخر كان من المهتمين بدراسة الأصلين- أصول الفقه وأصول الدين[9]،وتقدم ابن

(1)التنبكتي:كفاية المحتاج،ص173

(2)التنبكتي:نيل الابتهاج،ص201.

(3)ابن الأبّار:التكملة:ج1،ص676.

(4) ابن مخلوف:المصدر السابق،ج1 ،ص248.

(5)ابن فرحون:المصدر السابق ،ص148.

(6)التنبكتي:كفاية المحتاج،ص116.

(7)ابن الآبّار،التكملة،ج2،ص676.

(8)أصول الفقه هي استخراج الأحكام من الأدلة الشرعية التي تتمثل أصولها في الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم-إلى جانب القياس،وأول من كتب فيه هو الإمام الشافعي في كتابه المسمى بـ"الرسالة"ومن بين الذين كتبوا في هذا الجانب أيضا الامام الجويني (ت478هـ/1085م)من خلال كتابه المسمى"البرهان"والإمام الغزالي في كتابه "المستصفى" أنظر ابن خلدون:المقدمة،ص ص 360 ،361.

أما أصول الدين فهو علم تستخدم فيه الأدلة العقلية لإثبات العقائد الدينية والرد على أهل البدع المنحرفين من مذاهب السلف وأهل السنة،وسر هذه العقائد الايمانية هو التوحيد واشتهر هذا العلم بأسماء عدة منها علم الكلام وعلم العقائد وعلم التوحيد وعلم الذات والصفات ،وتتمثل مصادره في نوعين من المصنفات الأولى يندرج فيها تاريخ الفرق ويشمل أفكارها وعقائدها والثانية تشمل العقائد الإسلامية وهي عرض لآراء الفرق من خلال العقائد ،أنظر نفسه ص363 ؛بونابي :المرجع السابق،هامش (5)ص245.

(9) الحفناوي :المصدر السابق،ج1،ص201.

برجان في أصول الدين [1]إلى جانب ابن المرأة الذي نبغ هو الآخر في الأصول[2]،ودرّس أبو زكريا الزواوي الأصلين في مجالسه[3] ،أما عبد الرحمن بن يخلفتن الفزازي (ت627هـ/1229م) فقد نبغ في أصول الفقه وكان مشاركا فيها[4]،وأبو الحسن الحرالي كان أعلم الناس بالأصلين[5]،وابن سبعين اهتم أيضا بأصول الدين[6]، ولم يكتف متصوفة الغرب الإسلامي بالاهتمام بدراسة الأصلين فقط بل تعدوا ذلك إلى التصنيف فيهما ،إذ صنّف أبو علي الحسن الحرالي في الأصلين[7]، وأبو علي الحسن المسيلي وضع كتابا في أصول الدين سماه "التذكرة في أصول الدين"[8]

د- العلوم الإنسانية :

1-اللغة:

اهتم المتصوفة باللغة فبرز الحرالي الذي نبغ في العربية "لغة وأدبا ونحوا"[9]،ونظرا لكثرة اهتمام بعض المتصوفة بالأدب واللغة والنحو أصبحوا يطلقون عليهم كنية اللغوي والنحوي[10]،وعمل هؤلاء على تلقين أدبهم لطلبتهم،وحسبنا في ذلك أبو يعزى الذي كان يدّرس النحو في مجالسه[11]،واهتموا بدراسة كتب مشاهير الأدباء واللغويين كأبي الحسن الشاذلي(ت656هـ/1258م) الذي كان يقرأ كتاب سيبويه[12]، وآثروا هذا الجانب العلمي هو الآخر بمؤلفاتهم فهذا عبد الحق الاشبيلي قد ترك كتاب "الغريبين في

اللغة"[13] و"الحاوي" في اللغة في ثمانية عشر مجلد[14]، أما أبو الحسن عبيد الله النفزي فقد اهتم بالنحو وألّف فيه كتابا عمد فيه

(1) سراج الدين:المصدر السابق ،ج1،ص809.

(2) ابن الخطيب:الاحاطة،ج1،ص325.

(3)الغبريني:المصدر السابق،ص138.

(4) التنبكتي:نيل الابتهاج ،ص136.

(5) القرافي:المصدر السابق،ص ص163.

(6)تقي الدين المكي :المصدر السابق،ج5،ص327.

(7) القرافي:المصدر السابق،ص163.

(8) التنبكتي: نيل الابتهاج،ص104.

(9)القرافي: المصدر السابق،ص164.

(10)الغبريني: المصدر السابق،ص94.

(11) التبكتي:كفاية المحتاج،ص510.

(12) المنوني:ورقات،ص474.

(13)الحنبلي:المصدرالسابق،مج2،ج4،ص271.

(14) الغبريني:المصدر السابق،ص74.

إلى شرح مبادئ النحو[1] كما ألف ابن عربي هو الآخر كتابا في اللغة [2].

2- الأدب:

ويشمل المنظوم وهو الكلام الموزون المقفى على حد تعبير ابن خلدون كما يشمل النثر وهو الكلام غير الموزون[3]،وقد اهتم المتصوفة بالغرب الإسلامي خلال هذه الفترة بالأدب نثرا وشعرا ونبغوا فيه فأبو عمران المارتلي"كان وافر الأدب"[4] كما كان عبد الحق الاشبيلي أديبا وشاعرا[5] وتجلى اسهام المتصوفة فيما يلي:

١- النثـر:

ومن النثر السجع وهو الذي يلتزم فيه بقافية، واحدة في كل كلمتين فيسمى سجعا، ومنه النثر المرسل الذي يتم فيه إطلاق الكلام فلا يقطع أجزاء ويرسل دون تقييد بقافية ويستعمل هذا النوع من النثر في الخطب والدعاء وفي الترغيب والترهيب[6] ،وقد بلغ المتصوفة في النثر شأوا كبيرا وتميز أسلوبهم النثري بالبلاغة، وتنوعت رسائلهم التي كانوا يتبادلونها وشكّلت وسيلة من وسائل الاتصال،وتنوعها كان بحسب الموضوع الذي أرسلت لأجله، فنجد منها ما كان بدافع المدح أو طلب الدعاء أو الاستفسار عن مسائل

تتعلق بطريقة التصوف أو تبادل أخبار المتصوفة وعرفت بالرسائل الاخوانية [7]،ومن المتصوفة الذين اشتهروا برسائلهم ابن العريف الذي كثرت مراسلاته لشيوخه ورفقائه و تبادل فيها الأخبار،إذ كتب في إحدى رسائله يشتكي حاله في التعليم والوساوس التي تراوده بين الحين والآخر، وما نلاحظه على أسلوبه النثري في الرسائل استعانته بالأحاديث النبوية التي تخدم موضوع رسائله إذ قال:" سألتني عن وجه حالي في التعليم ،وإني لفي العذاب الأليم لكثرة ما يعتريني فيه من الوسواس ،إما بيني وبيني،وإما بيني وبين الناس ،الأطفال كما علمت مثلت في نفسي إني وإن كنت آخذ منهم الأجرة ،أني لم أجلس لهم من أجلها، وإنما جلست لتعليمهم كتاب الله وقوله عليه السلام(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)وإذا الصبيان لا

(1)نفسه:ص176.

(2) ابن مخلوف:المصدر السابق،ج1،ص235.

(3)ابن خلدون :المقدمة،ص486.

(4) ابن الآبار:التكملة،ج2،ص687.

(5)الضبي:المصدر السابق،ص341.

(6) ابن خلدون:المقدمة،ص486.

(7) الرسائل الاخوانية هي تلك الرسائل التي كانت بين الاخوة والأصدقاء والزملاء، أنظر الطاهر محمد توات:أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن ،رسالة لنيل دكتوراه في الأدب ،جامعة الإسكندرية ،كلية الآداب ،قسم اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية وآدابها ،السنة الجامعية 1991م، ص279.

يبذلون جهدا ولا يفقهون رشدا..."[1] ،وتميزت صيغة الرسائل الاخوانية الصوفية بمنهج خاص في الكتابة إذ نجد مقدمتها تنطوي على عدة خطوات وعلى سبيل المثال فإن إحدى رسائل ابن

العريف لأبي الحسن سيد المالقي اتبع فيها ما يلي:

في مقدمتها عمد إلى ذكر المرسل إليه وهو أبو الحسن سيد المالقي وأثنى عليه بقوله:" الله وليك أبا الحسن سيد و ولى إخوانك من المسلمين كافة"[2]،ثم تلا ذلك بالبسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم،وبعدها ألقى تحية الإسلام وبدأ صدر الرسالة بوصف الظروف النفسية لكتابتها فنجده قد قال:"كتبته في وقت ضاق عن تفسير ما تظنه النفس من تأنيس لك،وتنفيس لك

بك..."[3]،وهذا ما يمكن أن نقول عنه تمهيد قبل الشروع في ذكر غرض الرسالة ،وفي الرسالة التي بعثها إلى أبي الحسن حين سجن نجده قد استشهد في التمهيد بآيات قرآنية تخدم موضوع الرسالة وتتماشى معه،واستخدم السجع في نهاية الجمل كقوله:"....وإياي وكافة إخواننا المسلمين برحمته ورأفته سنن الله في بلاده تنتهي إلى العمارات والخراب،وفي عيادة تدور على الثواب والعقاب فلا تبطل سنة لله حق بسنة حق،فتعمل في السراب،وإذا مضت سنة الله عنه في شيئ لم تجد لها تبديلا

ولا تحويلا،ومن عرف أن العاقبة سر من أسرار الحق، لم يتحكم فيها عملا ولا قيلا.."[4]،وفيما يخص خاتمة الرسالة كانت تنتهي في معظم الأحيان بتحية الإسلام،والجدير بالذكر هنا هو أن بداية الرسالة كانت تحمل بعد البسملة العنوان ،كأن يذكر المتصوف اسم المرسل والمرسل إليه ثم بعدها تحية الإسلام، ويتم في بعض الأحيان افتتاح الرسالة بدعاء كما فعل ابن العريف في إحدى رسائله إذ قال فيها:"اللهم إنا نسألك من بركات العلم والعمل ما يوصل إلى الجانب الأكمل،ونعوذ بك من التفريق بعد البداية والنهاية في مدارج التحقيق..."[5]،وقد استخدم أبو مدين شيعيب هو الآخر النثر المسجع في رسائله وتبين ذلك في رسالته التي رد فيها على تلميذه أبي محمد عبد العزيز إذ نجده قد قال:" أما بعد فإنة من اتقى الله سبحانه وقاه،ومن توكل عليه حق التوكل كفاه،ومن استعاذ به نجاه،ومن شكره والاه،ومن فرضه جازاه،واجعل التقوى عماد قلبك،وجلاء بصرك،فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا خشية له... ضاق صدري حين

(1)ابن العريف: المصدر السابق،ص ص 115، 116

(2)نفسه: ص180.

(3)نفسه:ص180.

(4) نفسه:ص181.

(5)نفسه:ص ص 163 ،182 ،207.

أتت المراكب،ولم نر لك فيها كتابا فرأيتك في النوم وأنت تقول لي أن كنت تريد سلامتك على الدنيا فلا تسلم علي،ولا استلم عليك،وإن كنت تريد الآخرة فسلامك يبلغني ،وإن كنت لم تكاتبني سلامي يبلغك،وإن لم أكاتبك،فزال عن قلبي ما كنت أجده من القبض، فالله سبحانه لا يقطعك عني يقظة ولا نوم والسلام"[1]

وما يلاحظ على هذا النوع من الرسائل أيضا أن المتصوفة زودوها بأبيات شعرية تتماشى وغرض الرسالة ،وقد زود ابن العريف إحدى رسائله بأبيات شعرية عبّر فيها عن اشتياقه لأحد اخوانه الذي تمنى له الخير إذ قال:

قُرّة عيني أَنْ تَرَى مَنْ رَآكَ طُوبى آمين مُلَّيتُ من سناكا

أَمْرُكَ أَنساني أمري فما أَنتظرُ الخَيُر هُنا بل هُناكا[2]

كما كتب أبو محمد عبد العزيز ابن أبي بكر(ت621 هـ/1225م) إلى شيخه أبي مدين شعيب رسالة أثنى فيها عليه وأشاد بفضله وخصاله الحميدة،وضمّن ذلك كله في أبيات شعرية قال فيها:

شعيب ولي الله سر عباده أبو مدين مغنى الأنام بفخره

فيا جنة المأوى وعلم الهدى ويا ناشرا علم الإله بأمره

حضرت ولم تحضر وغبت ولم تغب وما كنت في كل بجانب ظهوره[3]

وخلال الفترات التي توترت فيها العلاقة بين السلطة والمتصوفة تعرض هؤلاء الأخيرون إلى المراقبة الشديدة ،مما أرغمهم على تعمد عدم ذكر اسم المرسل والمرسل إليه في رسائلهم،وهذا ما نلحظه في رسائل ابن عربي التي اكتفى فيها بقوله:" من فلان إلى فلان":أو عبارة "أما بعد يا أخي" دون ذكر اسم المرسل إليه[4]،فقد تعرضت رسائل المتصوفة إلى مضايقات للوصول إلى أصحابها،فابن العريف مثلا ونظرا لتشدد السلطة في مراقبته اضطر إلى أن يطلب من أحد زعماء المريدين أن لا يذكر اسم المرسل أو المرسل إليه وأن يتم إرسال الخطابات بدون عنوان[5].

وحملت رسائل المتصوفة لأتباعهم وأصحابهم في كثير من الأحيان نصائح صوفية والدعوة

(1) ابن القنفذ: أنس الفقير،ص99

(2) ابن العريف:المصدر السابق،ص214.

(3) ابن القنفذ: أنس الفقير،ص98

(4)محي الدين أبي عبد الله العربي الحاتمي:رسائل ابن العربي ج1 ،ط1 ، دار إحياء التراث العربي،بيروت لبنان1361 هـ،ج1،ص ص 12 ،47.

(5)دندش:الأندلس في نهاية المرابطين...،ص ص 61 ،62.

إلى التثبت بالدين ،وحسبنا في ذلك رسالة ابن سبعين لأصحابه والتي قال لهم فيها:"سلام عليكم حفظكم الله،حافظوا على الصلوات وجاهدوا النفوس في اتباع الشهوات..."[1] ،ولم يكتب متصوفة الغرب الإسلامي الرسائل الاخوانية لإخوانهم المتصوفة وأشياخهم فقط،بل تعدوا ذلك إلى كتابتها للفقهاء فابن العريف بعث برسالة إلى الفقيه أبي عبد الله محمد بن يوسف الأبّار،ودار حديثه فيها عن التعليم وما يجب على المعلم اتجاه من يعلمهم[2]،كما كانت له أيضا مكاتبات حسنة مع القاضي عيّاض[3].

أما الخطابة فنجد قد غلب عليها الطابع الوعظي والترهيب والتخويف، الذي انتهجه المتصوفة الوعّاظ وأتباع اتجاه الترهيب والترغيب،إذ كانت لهم خطب وعظية للعامة عملوا من خلالها على استمالتهم ودعوتهم إلى سبيل الرشاد،وقد اشتهرت في فن الخطابة أسماء لامعة من متصوفة الغرب الإسلامي إبان هذه الفترة، فكانت لهم القدرة الفائقة والأسلوب الرائع في إلقائهم لخطبهم التي كانت تؤثر أيّما تأثير في الحضور ،ومما ساهم في ذلك إتّباع المتصوفة للبلاغة واللغة المفهومة السهلة لضمان فهم العامة لخطبهم،هذا فضلا عن استخدامهم للشعر في هذا المجال،وبلغ بهم الأمر في كثير من الأحيان إلى إلقاء خطبهم بالمساجد باللغة البربرية لتسهيل الفهم على الحاضرين[4].

وممّا لا شك فيه هو استشهادهم بالقرآن الكريم والحديث في خطبهم الوعظية ،والجدير بالذكر هو وجود نوع آخر من الخطابة تمثل في تلك الوصايا التي حملت النصح والتوجيه والإرشاد[5]،والتي كان يلقيها معظم المتصوفة عند احتضارهم، فأبو زكريا بن الزواوي قبل وفاته جمع الناس يوم الجمعة وأخذ يعظهم ويذكّرهم بما أعده الله لعباده من رحمة واسعة،وأنه يغفر لهم ذنوبهم ويتجاوز عن سيئاتهم[6] ،وممن برز في فن الخطابة نذكر عُليم بن عبد العزيز الذي كان يلقي خطبه الوعظية بالمرية[7]،وعبد الحق الاشبيلي الذي تصدر قائمة المتصوفة الوعاظ[8].

(1)ابن سبعين:المصدر السابق،ص ص 312 ،313.

(2) ابن العريف:المصدر السابق،ص ص 149 ،150.

(3)ابن مخلوف:المصدر السابق،ج1،ص196.

(4) ابن الزيّات:المصدر السابق،ص ص 412،413.

(5)إبراهيم علي أبو الخشب:تاريخ الأدب العربي في الأندلس،دار الفكر العربي ،القاهرة،د.ت.ط ص85.

(6) الغبريني:المصدر السابق،ص137.

(7)ابن عبيد الملك:المصدر السابق،السفر 5،القسم 1،ص ص 429،430.

(8)بونار:عبد الحق الاشبيلي....،ص154.

٢- الشعر:

لم يقتصر الشعر على الشعراء والأدباء فقط خلال الفترتين المرابطية والموحدية بالغرب الإسلامي،بل نجده قد شكّل إحدى الوسائل التي استعان بها المتصوفة للتعبير عن ما يحسبون به من أحوال أثناء ولوجهم طريقة التصوف،كما دافعوا من خلاله عن مذاهبهم الصوفية و ردوا فيها على منتقديهم من الفقهاء ،وتنوعت الأغراض الشعرية التي نظم فيها المتصوفة كالزهد والتصوف وشعر التوسل والابتهال والمدائح الدينية.

وقد غلب على الشعر في هذه الفترة طابع الزهد،إذ لم يكتف الزّهاد بالخلاص بأنفسهم،بل عمدوا إلى هداية غيرهم على الطريقة المثلى للخلاص بدعوتهم إلى الزهد من خلال المواعظ والقصائد،واختلفت دوافع نظم الشعر الزهدي،إذ نجد فيهم من نظمه بدافع خوفه وذعره من الدنيا فيعمل على ذمها ويبين ندمه وتوبته عن ذنوبه التي ارتكبها، في حين نظمه بعضهم بدافع التقوى والصلاح[1]،ومن المتصوفة الذين نظموا في شعر الزهد نجد عبد الحق الاشبيلي الذي دعا إلى الزهد في الدنيا والابتعاد عن الانغماس في لذاتها وشهواتها قد طبع شعره بالزهد ومما قاله:

دع الدنيا لطالبها وجاف بنفسك عن مزاحمة القوافي
وخذ منها كفافا من حلال فإنك لا تلام على كفاف[2]

كما وظّف شعره في تذكير الناس بأهوال الموت و وعظهم للعمل للآخرة ،باعتبار أن الغني والفقير مآلهما الموت على حد سواء ومما قاله في ذلك:

و روعة الموت لها سكرة ومثلها من روعة تسكر
وبين أطباق الثرى منزل ينزل الأعظم والأحقر
يترك ذو الفخر به فخره وصاحب الكبر به يصغر[3]

ودعا ابن العريف في شعره إلى الزهد والصبر على نوائب الدهر التي يتعرض لها الإنسان من حين لآخر،ومما قاله:

إذا نزلت بساحتك الرزايا فلا تجزع لها جزع الصبّي
فإن لكل نازلة عزاءً بما قد كان من فقد النبّي[4]

(1) ابن تاويت:المرجع السابق،ص470.
(2)ابن الزبير:المصدر السابق،القسم4،ص5.
(3)نفسه:ص6
(4)ابن الآبّار:المقتضب من تحفة القادم،ص70؛ابن عبد الملك،المصدر السابق،السفر 5،القسم 2،ص547.

وممن نظم في الزهد أبو عمران المرتلي الذي أشاد بالفقر ومجّده فقال:

سليخة وحصير لمثل بيتي كثير
وفيه نشكر لربي خبز وماء نمير
قررت عينا بعيشي فدون حالي الأمير
إن قلت إني مقل إني إذا لكفور[1].

كما أنه نهى النفس عن التمتع بالحياة وترفها والانسياق وراء الشهوات مذكرا بأن مآلها الموت فقال:

إلى كم أقول ولا أفعل وكم ذا أحوم ولا أنزل
وأزجرجرعيني فلا ترعوى وأنصح نفسي فلا تقبل
وفي كل يوم ينادي بنا منادى الرحيل :ألا فارحلوا
أمن بعد سبعين أرجوا البقا وسبع أتت بعدها تعجل
كأن بي وشيكا إلى مصرعي يساق بنعشبي ولا أمهل[2].

وتميز شعراء ابن عربي هو الآخر بطابع الزهد، إذ دعا في العديد من أشعاره إلى أن يستغني الإنسان بالله عن المال ويطلب الغني منه عزّ وجلّ،وأن يفي العباد لخالقهم فيؤدون ما عليهم من فروض لأنه أحق بالوفاء والعبادة فقال:

لا تحسب المال ما تراه من عسجد مشرق لرائي
بل هو ما كنت يا بُنيّ به غنيا عن السّواء
فكن بربّ العلا غنيا وعامل الحق بالوفاء.[3]

و وعظ غيره في أشعاره إذ حثهم على فعل الخير متى توفر لهم ،ذلك وأوصاهم بأن لا يندموا على ما فعلوه من خير ولو كانوا قد قوبلوا بعكس ما فعلوه،ودعاهم إلى الجود والعطاء باعتبارهما من صفاته عزّ وجلّ فقال:

لا تندمن على خير تجود به وإن أغاظك من تعطيه واقترفا

---

(1) ابن الزبير:المصدر السابق،القسم 3،ص ص 52-53-54.

(2)الجوة:المرجع السابق،ص404.

(3)عبد العزيز سيد الأهل.:محي الدين بن عربي من شعره ،ط1،دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان،نيسان/ أبريل 1970م،ص115.

فالله يرزق من يعطيه نعمة سواء أنكرها كفراً واعترافاً[1]

كما وعظ الناس في أشعاره التي أثار فيها فكرة البعث وما يحدث للإنسان بعدها،وذكّر غير ه بأن منبتهم من الأرض ومآلهم إليها فقال:

إذ رأيت وفود الله قد وصلوا يأتون دين الاله الحق أفواجًا
فاستغفر الله وأطلب عفوه كرمًا وكن فقيرًا إلى الرحمن محتاجًا
يا معشر الناس إن الله أنبتكم من أرضه نطفا في النشئ أمشاجًا
وثم أولجكم لما أماتكمو فيها لأمر الحق إيلاجا.[2]

وهنا يتبين مدى تأثره بالقرآن إذا استعار عدة ألفاظ منه و وظفها في شعره.

وتقدم في الشعر عدد كبير من المتصوفة كالإقليشي الذي كان شاعرا متفننا[3]،وأحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الأنصاري الخزرجي الذي حذق وتقدم في الشعر هو الآخر[4]،إلى جانب ابن الحجام الذي نبغ في الأدب والشعر[5]،وأبي الحسن بن فتوح النفزي (ت642هـ/1244م)الذي نبغ في الشعر فكان له شعر رائع.[6]

أما فيما يخص المدائح النبوية فقد ارتبطت ارتباطا وثيقا بالتصوف،واهتم متصوفة الغرب الإسلامي بهذا النوع من الشعر كإخوانهم المشارقة الذين مدحوا النبي صلى الله عليه وسلم بقصائدهم الشعرية،وانتقل تأثيرهم في هذا المجال إلى الغرب الإسلامي عن طريق التصوف[7]،فمدحوا النبي صلى الله عليه وسلم وذكروا مناقبه وصفاته وأشادوا بمعجزاته، وبرز في شعر المدائح النبوية بن العريف الذي كانت أشعاره في مدحه صلى الله عليه وسلم عظيمة رائعة ومما قاله في سيد الخلق ما يلي:

وحَقّكَ،أبا محمدُ،إنّ قلبي يُحبّك قُربةُ نحو الإله

جرت أمواهُ حبك في فؤادي فهام القلبُ في طيب المياه

---

(1)نفسه:ص345.

(2)نفسه:ص179.

(3)ابن فرحون:المصدر السابق،ص134.

(4)ابن الخطيب:كالاحاطة،ج1،ص183

(5)يحي بن خلدون:المصدر السابق،ج1،ص102.

(6)الغبريني:المصدر السابق،ص176.

(7)بن تاويت:المرجع السابق،ص ص 201-202.

فصرتُ أرى الأُمور بعين حقّ وكنت أرى الأُمور بعين إلاهي[1]

وله صلاة عن النبي صلى الله عليه وسلم تشبه دلائل الخيرات[2]قال فيها:

صلى الإله على النبي الهادي ما لاذت الأرواح بالأجساد

صلى عليه الله ما اسود الدجي فكسا محيا الأفق بُرْدَ جدَادِ

صلى عليه الله ما انبلج السنا فابيض وجه الأرض بعد سوادِ

صلى عليه الله ما همع الحيا فسقى البلاد برائحٍ أو غادي[3]

وعبّر ابن العريف في موضع آخر عن اشتياقه لزيارة ضريح النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

يا عاذلي في طلابي دعني من العزل دعني

سأعمِلُ العيسى شوقا بالعزم دون التأني

إلى ضريح رسول مصدق حسن ظن[4]

وأشاد بعدها بدوره صلى الله عليه وسلم في هداية البشرية ونشر الفضيلة فقال:

لولاك كنا أناسا أشرّ من كلّ جنٍّ

فإذا بعثت رسولاَ فخير فضل ومَنٍّ[5]

وبرز إلى جانب ابن العريف عبد الرحمن الفزازي (ت627هـ/1270م) الذي كان رائدا في المدائح النبوية ،ولقب بصاحب الأمداح في سيد الوجود محمد صلى الله عليه وسلم فكان له"في مدح النبي صلى الله عليه وسلم بدائع،قد خضع لها البيان وسلم أعجز بتلك المعجزات،نظما ...و أوجز في تحبير الآيات البينات ،فجلا سحرا ورفع للقوافي راية استظهار تحيزفيها الأظهر "[6]

ومن المتصوفة الذين كانت لهم مدائح للرسول صلى الله عليه وسلم ابن عربي فمّما قاله:

مدحتُ المصطفى فمدحتُ نفسي ولي قَسْمُهُ وما جاوزت قسْمِي

---

(1)المقري:نفح الطيب،ج7،ص497 ،499.

(2)هي إيراد المعاني المختلفة في جمل متقاربة في اللفظ،أنظر فروخ:تاريخ الأدب ،ج6،ص113.

(3)المقري:نفح الطيب،ج7،ص ص 497 ،499.

(4)نفسه:ص ص 497 ،499.

(5)نفسه: ج7،ص ص 497 ،499.

(6)نفسه: ج4،ص468.

فأعمالي تُردّ عليّ منه ولو أرمي فعيني منه أرمي

وقد عَصَمَ الإله به وجودي فإن أُرمَي فسهم ليس يُصْمي

وهذي رحمةٌ منه توالت لدّي بها يعُود عليَّ سهمي[1]

وهنا يمدح ابن عربي النبي صلى الله عليه وسلم ويرى بأن الله أرسله عصمة للذين آمنوا به من الوقوع في الزلل ورحمة للعالمين،وهو أحق بالمدح إذ أن مدحه وثناءه يعود على مادحه.[2]

وقال أيضا:

ألم تر أن الله أكرم أحمدا ونادى به حتى إذا بلغ المدى

تلقّاه بالقرآن وحيًا منزّلاً فكان له روحًا كريمًا مؤبّدا[3]

أما شعر التوسلات والابتهالات فقد كان للأزمة التي تعرض لها مجتمع الغرب الاسلامي خلال الفترتين المرابطية والموحدية أثر عظيم على نفسية المتصوفة، الذين عبّروا عن اشمئزازهم ورفضهم لمظاهر الظلم التي مارسها الولاة والعمال وجباة الضرائب على عامة المجتمع،وتوسل المتصوفة في هذا النوع من الشعر إلى الله طالبين منه النجاة ورفع ذلك الظلم والاستغلال،فكانت توسلاتهم وابتهالاتهم بمثابة تعرية لما يجري على أرض الواقع،ونجد أبا الفضل ابن النحوي من المتصوفة الذين نبغوا في شعر التوسلات والابتهالات ومما قاله:

لبست ثوب الرجا والناس قد قدروا وقمت أشكو إلى مولاي ما أجد

وقلت يا سيدي يا منتهى أملي يا من عليه بكشف الضر اعتمد

وقد مددت يدي للضر مشتكيا إليك يا خير من مدت إليه يد[4]

وقد دعا في قصيدته الجيمية التي سمّاها المنفرجة ،إلى الاعتماد على القرآن الكريم في الحياة وإلى قيام الليل والاجتهاد في عبادة الله،وعبّر عن إيمانه القوي بفرج الله على عباده بعد الأزمة التي عاناها فقال:

اشتدي أزمة تنفرج قد آذن ليلك بالبلج

وظلام الليل له سرج حتى يغشاه أبو السرج[5]

---

(1)سيد الأهل :المرجع السابق،ص115.

(2)نفسه:ص115.

(3)نفسه:ص117.

(4) بونار:المغرب العربي تاريخه....ص271.

(5)بونابي :المرجع السابق،ص2

وكان للمنفرجة أثر كبير على نفوس الناس، إذ اعتمدوا عليها في مواجهة الشدائد والصعاب[1] ،وحسبنا في ذلك الفقيه أبو محمد عبد الله الخضرمي القرطبي (ت636 هـ/1239 م) الذي أقدم على تخميسها عندما سجن بقسنطينة من طرف الموحدين فأطلق سراحه بعدها[2]،ومن ابتهالات ابن عربي دعاؤه المولى أن يوفقه في طاعته ويرضي فؤاده فيما يرضيه عزّ وجلّ،فيحمده في أوقات السّراء ويعود إليه في أوقات الضراء ليدفع عنه ذلك ،كما أنه دعا الله أن يوفقه في أداء الفرائض والمداومة عليها ويعينه في أداء المندوب من النوافل ومما قاله له في ذلك:

إلهي وفّقني إلى كل ما يُرضي ورضّى فؤادي بالذي أنت لي تقضي

فإن كان سرّاء حمدتُك منعمًا وإن كان ضرّاء نظرت إلى المقْضي

فانظُره فيه بالذي قد ذكرته فإن كان لا يُرضي عدلت إلى المرضي

إلهي أرجو من عنايتكم بنا إذا زُلتُ عن ندب أسير إلى فرضي[3]

وله مناجاة لربه بأن يعينه فهو متوكل عليه في كل شيئ ما دام يعلم ظاهر العبد وباطنه، لذا فإن ابن عربي رأى بأنه لا داعي للافصاح عن آماله أو أمنياته للمولى عزّ وجلّ،ويأمل في أنه يستجيب له فهو من عباده الصالحين المطيعين وقال في ذلك:

أيا خير مصحوب ويا خير صاحب عليك اتكالي في جميع مطالبي

عليك أتكالي ثم أنت وسيلتي إليك فحُل بيني وبين مطالبي

وكن عند ظني لا تخيّبْهُ إنـه من اكرم مطلوب وأفقر طالب
لقد ترْجمَ الإيمانُ عنكم بأنكم ضمنتم لأمثالي جمع المطالب[4]

شعـر التصـوف:

عمد المتصوفة إلى استخدام الشعر كوسيلة عبّروا من خلالها عن أحوالهم، وتنوع الشعر بحسب طبيعة ونوع المذهب الصوفي الذي إنتمي إليه المتصوف الشاعر،ولذا نجد نوعين من الشعر الشعر الصوفي السني والشعر الصوفي الفلسفي.

---

(1) نفسه، ص 258.
(2) الغبريني:المصدر السابق،ص272.
(3) سيد الأهل:المرجع السابق،ص ص 261-262.
(4) نفسه:ص ص 223-224.

أ- الشعر الصوفي السني:

ابتعد رواد هذا الشعر عن استخدام الرموز المبهمة والإشارات الغامضة التي اشتهر بها نظراؤهم المتصوفة المتفلسفون،وراحوا يعبّرون في أشعارهم عن مجاهداتهم ورياضاتهم التي يقومون بها لردع النفس وإماتتها ،كما شملت أذكارهم وأورادهم التي اعتادوا أداءها دائما ،ودعا المتصوفة في أشعارهم أيضا إلى الزهد والتصوف باعتبارهما الطريق الأنجح للفوز بالجنة فقال أبو مدين شعيب(ت594هـ/1198 م) في هذا السياق:

فتألقوا وتطيبوا واستغنموا قبل الممات فدهركم غدار
والله أرحم بالفقير إذا أتى من والده فإنه غفـار
ثم الصلاة على الشفيع المصطفى ما غردت بلغاتها الأطيار[1]

وابتعاد المتصوفة السُنيين عن استخدام الرموز لا يعني أن أشعارهم خلت من بعض الرموز ،بيد أنهم لم يغالوا في استخدام المبهمة منها،وحسبنا في ذلك أبو مدين شعيب الذي وظّف الألفاظ الغزلية في التعبير عن حبه للمولى عزّ وجلّ ومما قاله:

تسميّتُ بالمجنون من ألم الهوى وصارت بي الأمثالُ في الحيّ تُضربُ
فيا معْشر العُشّاق مُزتوا صبابةَ كما مات بالهجران قيسُ معذّبُ[2]

كما نجده استخدم الخمر للتعبير عن غيبته بفعل تلك المجاهدات والتسابيح التي اعتمد عليها المتصوفة أثناء سلوكهم طريق التصوف فقال:

أنت أسكرتني على سُكري من قديم الشرّاب[3]

وقال أيضا :

فأنا إذا طبنا وطابت نفوسنا وخامرنا خمر الغرام تهتكنا

فلا تلم السكران في حال سكره فقد رفع التكليف في سكرنا[4]

غير أن الخمر التي أشار إليها أبو مدين في شعره تختلف في حقيقتها عن الخمر العادية ،وهذا ما صرّح به في قوله:

لا تحسبوا الزمر الحرام مرادنا مزمارنا التسبيح والأذكار[5]

(1)بونابي :المرجع السابق،ص262.

(2) الشوار:المصدر السابق،ص61.

(3)نفسه:ص71.

(4)نفسه:ص60.

(5) بونابي:المرجع السابق،ص263.

وعمد أبو عبد الله بن الحجام(ت614هـ/1219م) إلى وصف المجاهدات التي يقوم بها المتصوف والتي جسّدت حبّه الإلهي[1]،وقد تعددت المواضيع التي عالجها المتصوفة ضمن أشعارهم فإلى جانب التعبير عن أحوالهم ومجاهداتهم عمدوا إلى الرد عن منتقديهم بأشعارهم،وحسبنا في ذلك ابن العريف الذي أعاب عليه بعضهم روحه الخفيفة المرحة ،فكان أن ردّ عليهم بقوله:

يَا منْ رأى ضحِكي عيبًا ومنقصة الله أعلمُ ما أبدى وما سترا

المُجنُ أوّلَها وصْفي وآخرها ظنّي برَبِّي إذا ما غائبي حضرَا

وأنت وجهُك يتلو للورى عبسا فاحذر أواخرها لا تترك الحذرَا[2]

ب- الشعر الصوفي الفلسفي:

استخدم المتصوفة المتفلسفون الرموز والإشارات المبهمة الإيحاء كوسيلة للتعبير عن حقيقة مذاهبهم الصوفية،وكانت الألفاظ والعبارات التي وظّفوها في أشعارهم غير مقصودة بمعناها الظاهر المتداول،بل كانت تلوّح إلى معاني وآفاق صوفية سامية تتلاءم مع أحوالهم وخواطرهم،وتعددت الرموز التي استخدموها للتعبير عن أحاسيسهم الصوفية،كرمز المرأة الذي وظّفه المتصوفة للدلالة على الحب الإلهي، إذ راحوا ينظمون أشعارا في الحب الإلهي والعشق على منوال أشعار العشق الإنساني ،ومن المتصوفة الذين اشتهروا في هذا النوع من الرمز ابن عربي ومما قاله:

الهوى راشقي بغير سهـام الهوى قاتلي بغير سنـان
عرّفاني إذا بكيتُ لديـها تُسعداني على البُكَا تُسعداني
واذكرا لي حديث هندٍ ولبنى وسُليمي وزينب وعنـانِ[3]

إذ يشير هذا إلى أن الحب الصوفي للذات الإلهية التي تعتبر مصدرا لكل الصور الكونية لا يختلف عن الحب الموجه إلى الصور الكونية ،الذي يتعشق من خلاله الكون، في حين أن الحب الإلهي يتعشق فيه المتصوف ذات الله،وقد أشار ابن عربي في شعره إلى أن شعره في ترجمان الأشواق الذي صور حبه للفتاة المشرقية التي أحبها بمكة ما هو إلا حب لمظهر من مظاهر الجمال الإلهي[4]فقال:

(1) الغبريني:المصدر السابق،ص182.
(2)ابن العريف:المصدر السابق،ص22.
(3)ابن عربي:ترجمان والأشواق،دار صادر ،بيروت،لبنان،1966م ،ص ص 82،83.
(4)قريبيز :المرجع السابق،ص152.

فإنّ غرامي بالبرُيقِ ولمحه وليس غرامي بالأماكن والتُّرب[1]

وأبو الحسن الششتري هو الآخر كان ممن وضع أبياتا شعرية غزلية شكّلت في ظاهرها حبا إنسانيا وقصد من ورائها التعبير عن حبه للذات الإلهية فقال:

ونادمي بعد الحبيب ثلاثة غُرامي و وجدي والسّقام المخيّم
أأحبابنا إن كان قتلي رضاكُم فها مُهجتي طوعا لكم فتحكّموا
أقمتم غرامي في الهوى وقعدتُم وأسهرتموا جفني القريح ونمتم[2]

وقد عمد الششتري الى توظيف شخصية قيس وحبه لليلى ليعبّر عن حبه الإلهي وفناء المحب في محبوبه واتحاده به فقال:

غير ليلى لم يُر الحيّ حي سلْ متى ما ارتبت عنها كل شيئ
كل شي سرها فيه سرى فلذا يثنى عليها كـل شيئْ
أسفرت يوما لقيس فانثني قائلاً يا قوم لم أحبب سـوى
أنا ليلى وهي قيسُ فاعجبوا كيف مني كان مطلوبي إليّ[3]

هذا فضلا عن استخدام المتصوفة رموز الطبيعة،حتى أنهم جمعوها مع رمز المرأة وعبّروا من خلالها عن أحساسيهم وحبّهم الإلهي كابن عربي الذي قال:

أيا روضة الوادي أجب ربّة الحمى وذات الثنايا الغرَّ يا روضة الوادي
وظِلّ عليها من ظلالك ساعـة قليلاً إلى أن يستقرّ بها النـادي[4]

وعمد المتصوفة إلى استخدام أشكال فنية أخرى للتعبير عن أحوالهم فنجدهم قد استخدموا:

1-الموشّح:

وجد هؤلاء المتصوفة في الموشح [5] مجالا خصبا تطرقوا من خلاله إلى مواضيع

---

(1)ابن عربي:ترجمات الأشواق،ص54.

(2) الششتري:المصدر السابق،ص66.

(3)الششتري:المصدر السابق،ص ص 81 ،82.

(4)ابن عربي :ترجمان الأشواق،ص ص 87 ،88.

(5)الموّشح: هو نوع من الشعر الجديد وعبارة عن كلام منظوم على وزن مخصوص، ونظرا لما يحتويه من تزيين وتنميق شبه بوشاح المرأة المرصع،وهو فن من فنون الشعر استحدثه الأندلسيون،وقلّدهم في ذلك أهل المغرب والمشرق،ونشأ في آواخر القرن الثالث الهجري /القرن التاسع الميلادي بالأندلس،وخلال عصر ملوك الطوائف في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي،أنظر جودت الركابي :في الأدب الأندلسي ،دار المعارف بمصر ،القاهرة ،1960 م،ص293؛ عبد العزيز عتيق :الأدب العربي في الأندلس ،ط2 ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ،لبنان،1976م، ص339 وما بعدها

Mahmoud guettat:La musique classique du maghrib ,la bibliothèque arabe,sindbade,paris, 1980,p134.

تصوفهم،ويعتبر ابن عربي أول من استخدمه في التعبير عن أغراض التصوف[1]،وأضفى على تلك الموشحات الرموز التي طبعت شعره ومن موشحاته قوله:

واردات الأفراح إن وردت ذهبت بالأتراح

سائلي عن نفسي

هل لها من أنسي

إن روح القدس

نافث في الأرواح ما عنده من علوم الأرواح

قل لرّب القلب

عن فتاة القلب

أن لي في قلبي

خمرة في الأقداح أنوارها من زناد القداح

يا حبيبي قل لي

إن هجرتم من لي

فلنقل من أجلي

أنت نور المصباح مشكاته ما ترى من أشباح [2]

و وظّف الخمر والغزل والطبيعة في قوله:

عين الدليل على اليقين الزيت والنبراس للناظرين

أملا له وصنف الأقداح في البيت الضـراح

في الراح راحة الروح يا صاحبي

فقل بها مقالة افصــاح

ما بين عاذلين نُصــاح

والله على ما على شارب الراح فيه من جنـاح

فاح الندّى من عرف محبوبي

إذا كان ما بدأ منه مطلوبي

---

(1)Mahmoud guettat:op cit p134.

(2)قريبز:المرجع السابق،ص ص 162 ،163.

فصحت يا مناي ومرغوبي[1]

والجديد الذي جاء به ابن عربي في الموشح هو استخدامه لغرض جديد ،لم يألف استخدامه الشعراء من قبل وهو التصوف ،كما أن موشحاته لاقت قبولا لدى طبقات المجتمع خاصة،وأنها كانت سهلة وقريبة من أفهام الناس.[2]

ولم يكن ابن عربي المتصوف الوحيد الذي برز في الموشح فقد اهتم أبو الحسن الششتري هو الآخر بهذا الفن ومن موشحاته قوله:

الحمد لله على مـادنا

من السرور والهنا والمنى

فقل لواشٍ وشى بيننـا

قد ذهب البؤس وزال العنا و واصل الـخِلُّ ونلنا المنى

وزار من كُنتُ له شائقًا

وأصبح الشّملُ به مُونقا

وروضُ أُنسي مُنعمًا مُورقا

وطابت الـخُلوةُ عند اللُّقا ودار كأسُ الوصلِ ما بيننا [3]

2-الزّجـل:

وإلى جانب الموشح استخدم متصوفة الغرب الإسلامي نوعا آخر من فنون الشعر هو الزجل[4] ،ويعتبر أبو الحسن الششتري أول من استخدم الزجل و وظّفه في مجال التصوف،وعمل على توظيف الزّجل لتمجيد المولى والتعبير عن الحب الإلهي الصوفي ومما قاله في ذلك:

(1)نفسه:ص ص 163-164.

(2) نفسه ،ص163.

(3)الششتري:المصدر السابق،ص ص 252 ،253.

(4)الزجل: يقصد به في اللغة الصوت ،ويطلقه الأدباء على الألفاظ التي تنظمها العامة بلغتها ،وسمي زجلا لأن سامعه يلتذ به ويفهم مقاطيع أوزانه ولزوم قوافيه،كما يمكن الغناء به،وفي حالة ما إذا تضمن الحكم والمواعظ يسمى بالمكفِّر،ويعتبر الزّجل فن من الفنون التي استحدثت بالأندلس،وأول من طرق هذا الفن هو ابن قزمان إذ اشتهر في زمانه رغم أنه ظهر قبله،أنظر أبو الخشب:المرجع السابق،ص ص 235 ،261 ؛ عتيق:المرجع السابق،ص ص 395 ،396 .
Guettat :op.cit,p135.

لله لله هاموا الرَّجال في حبَّ الحبيب
الله الله معي حاضِر في قلبي قريب
إدّلل يا قلبي وافرح حبيبك حضرْ
واتنعَّم بذكر مولاك وقُصَّ الأثر
واتهَنَّوعش مدلّل بين البشر
دعوني دعوني نذكر حبيبي بذكرُو وانطيب
الله الله معي حاضر في قلبي قريب[1]

وكان المتصوفة يجولون في الأسواق ويغنون أزجالهم التي حملت أحاسيسهم،وقد لاقت أزجالهم قبولا من العامة نظرا للغتها التي كانت عامية سهلة الفهم،وهذا ما أشار إليه الششتري في قوله:

شُويخ من أرض مكناس وسط الأسواق يُغنىَّ
آش عَليَّا من النّاس وآش على النّاس مِنَّي
آش عليّا يا صاحب من جميع الخلايق
وما أحسن كلامُوا إذ يخْطرُ في الأسواق
وترى أهل الحوانت تلتفِت لو بالأعناق[2]

كما هاجم في أزجاله الفقهاء وردّ على انتقاداتهم التي وجهوها إلى مذهبه الصوفي فقال:

قولوا للفقيه عنّي عشقُ ذا المليحْ فنَّي

أيّ مذهب تدريني

الشريعةُ تحييني

والحقيقه تُفنيني

واعلم أنَّني سنَّي

قولوا للفقيه عَنيّ عشقُ ذا المليح فنَّي[3]

---

(1)الششتري:المصدر السابق،ص88.

(2) نفسه:ص ص 272 ،273.

(3)نفسه:ص ص 275،276

3- التاريـخ:

اهتم متصوفة الغرب الإسلامي بالتاريخ لما له من أهمية في حفظ مناقب وسير السلف الصالح،وعمدوا إلى العناية بدراسته وحفظ التواريخ،وممن اشتهر في هذا المجال ابن المرأة الذي كان "ذاكرا للتاريخ"[1]،وأبو عبد الله سلامة الكتامي هو الآخر كان من المهتمين "بالتواريخ والأنساب"[2]وكان أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمر بن عبادة القلعي"حافظا للتاريخ".[3]

ولم يكتف هؤلاء المتصوفة بدراسة التاريخ بل عمدوا إلى الكتابة فيه فألّفوا فيه كتبا وحسبنا في ذلك أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي الذي ألّف"اقتضابة النبيل في ثورة المريدين"[4] ،وأحمد بن عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي (ت559هـ/1163م) ألّف كتاب "أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار غير أنه بدأ تأليفه وتوفي قبل أن يُتمّه[5]،وأقدم عبد الحق الاشبيلي (ت581هـ/1185م) على اختيار كتاب"الشراطبي في الأنساب من القبائل والبلاد"في سفرين[6]،وألّف محمد بن عبد الرحمن بن سليمان التجيبي(ت610 هـ/1214م) كتاب مناقب شيخه أبي طاهر السلفي[7]،وكتاب "مناقب الحسن والحسين"[8] ، وعمد تلميذ أبي مدين شعيب أبو محمد بن حماد الصنهاجي القلعي إلى تأليف فهرسة ضمنّها سيرة شيوخه من الصوفية ومناقبهم[9]،كما وضع أبو عبد الله بن عبد الحق التلمساني(ت625هـ/1228 م) فهرسة ذكر فيه مناقب الصوفية وآثارهم بما فيهم أبي مدين شعيب شيخ الصوفية.[10]

أما أبو عمران الميرتلي(ت639هـ/1241م)فقد كتب "محاسن الأبرار في معاملة الجبّار"،وهو

---

(1)ابن فرحون:المصدر السابق،ص147؛ابن الخطيب: الاحاطة ،ج1،ص325.
(2) الصدفي :المصدر السابق،ص 66.
(3)الغبريني :المصدر السابق،ص93.
(4)ابن الخطيب:الاحاطة ،ج1،ص178.
(5)نفسه،ج1،ص185.
(6)ابن فرحون:المصدر السابق،ص278.
(7) ابن مخلوف:المصدر السابق،ج1،ص248.
(8)نفسه:ج1،ص248.
(9) ابن القنفذ:أنس الفقير،ص92.
(10)الغبريني:المصدر السابق،ص61.

مُؤَلَّفْ احتوى على أخبار الصالحين الإشبيليين[1]،وتميز كتاب "الفتوحات المكية"لابن عربي بكونه مُؤَلَّفًا موسوعيا اشتمل على مجموعة من فنون العلم بما فيها التاريخ،وقد ألّفه سنة598 هـ/1201 م بمكة وانتهى منه سنة 629 هـ/1231م[2]،هذا فضلا عن طاهر الصدفي الذي ألّف كتابه "السر المصون في ما أكرم به المخلصون" وجمع فيه أخبار من التقى بهم من الصلحاء والأولياء[3]،وابن الزيات التادلي الذي جمع هو الآخر أخبار ومآثر المتصوفة ممن اشتهروا خلال الفترتين المرابطية والموحدية في كتابه "التشوق" [4].

2- العلوم العقلية:

أ- علم المنطق والفلسفة:

عرف هذا العلم مقاومة من قبل الفقهاء المالكية الذين حرّموا تدريسه باعتباره من العلوم المحضورة والممنوع تداولها[5]،بيد أنه مع العصر الموحدي عرف هذا العلم نوعا من الازدهار وفسح المجال لتدريسه كعلم قائم بحد ذاته،ويرجع الفضل في ذلك إلى المهدي بن تومرت الذي تأثّر بالفكر الغزالي وعمد إلى الاجتهاد في تطبيق منهجه، فقضى على العراقيل التي كانت تضعها الدولة المرابطية أمام مثل هذه العلوم،مما ساهم في تهيئة الأرضية لانتشار المناظرات والجدل،وبانتشار مؤلفات الغزالي زاد اهتمام المتصوفة بعلم المنطق ،فكتاب "المستصفى" الذي ذكر فيه الغزالي بأن المنطق أساس العلم ،وكل من يجهله لا يوثق بعلمه[6]،كان متداولا بالغرب الإسلامي و قد قام أبو عبد الله المهريُّ بتصحيح ما جاء فيه من تصحيف[7]،ومن المتصوفة الذين اهتموا بعلم المنطق نذكر عبد الحق البجائي ت 513 هـ/1119)[8]

،وابن سبعين (ت668هـ/1269م) الذي كان من المهتمين بالمنطق[9]،أما أبو الحسن بن فتوح النفزي (ت642 هـ/1244م)

---

(1) ابن الأبّار:التكملة ،ج2،ص649

(2) فتّاح: المرجع السابق،ص ص 261 ،262.

(3) الصدفي:المصدر السابق،ص62 وما بعدها

(4)ابن الزيات:المصدر السابق،ص61 وما بعدها

(5) النّجار: المرجع السابق،ص470 ،ويذهب أحد المؤرخين إلى أن علم المنطق عرف مقاومة أقل من تلك التي واجهتها الفلسفة ،ورأى أنه كان يدّرس ببلاد الأندلس ،أنظر عيسى:المرجع السابق،ص336.

(6)النجار:المرجع السابق،ص471.

(7) ابن الأبّار:التكملة،ج2،ص684.

(8)الحفناوي :المصدر السابق،ج1،ص201.

(9) تقي الدين المكي:المصدر السابق،ج5،ص327.

فقد كان "له تقدم في علم المنطق"[1]،ولم يتوقف الأمر على دراسة هذا العلم فقط بل تعدّاه بعض المتصوفة إلى التأليف فيه،وحسبنا في ذلك أبي الحسن الحرالي الذي ألّف كتاب "المعقولات الأول"[2]،والجدير بالذكر هنا هو أنه رغم ما عرفته الفلسفة من ضغوط إلا أنها كانت ضمن العلوم التي نبغ فيها بعض المتصوفة وحبّذوا دراستها،كابن سبعين الذي غلب عليه اهتمامه بعلم الفلسفة[3]،وابن عربي الذي ألف كتاب "الحكمة الالهامية "ورد فيه على الفلاسفة ونقض أراءهم واتبّع فيه طريقة الغزالي وأسلوبه في كتابه "التهافت" وتميزت كتاباته بالشمولية إذ تناول فيها كل العلوم[4].

ب- الجدل والمناظرات:

شاع الجدل[5] في العصر الموحدي وبرز فيه أبي العباس السبتي الذي كان "لا يجادله أحد إلا أفحمه ولا يسأله إلاّ أجابه،كأن القرآن والحجج على طرف لسانه حاضرة،يأخذ بمجامع القلوب ويسحر العامة والخاصة ببيانه، يأتيه المنكرون فما ينصرفون إلا مسلمين منقادين"[6]،كما أن أبي يعزى هو الآخر كان الفقهاء يأتون إليه ليعجّزوه في أمور تتعلق بالدين"فلا يجدون لإفحامه سبيلا بما يلهمه الله إليه من الحجج الباهرة التي لا يجدون لها مردا"[7] ،واهتم المتصوفة بهذا العلم لما تعرضوا له من احراجات في مجالس المناظرة، التي كان يعقدها لهم الحكام والفقهاء للنظر في حقيقة مذاهبهم الصوفية واتباعها للشرع أو مخالفتها له[8] ،واجتهد المتصوفة في تعليم أسلوب المناظرة لطلبتهم في مجالسهم

العلمية، أين كان الشيخ الصوفي يعمل على الاجابة عن السؤال الذي يطرحه أحد تلامذته، مُركزا في إجابته على تبيين كل جوانب المسألة التي طرح حولها السؤال وخفاياها

---

(1)الغبريني:المصدر السابق،ص176.

(2) القرافي:المصدر السابق،ص163.

(3)تقي الدين المكي:المصدر السابق، ج5،ص327.

(4) بلنثيا:المرجع السابق،ص ص 379،376.

(5) الجدل: عرّفه ابن خلدون فقال:" هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم...واحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول وكيف يكون حال المستدلّ والمجيب،وحيث يسوغ له أن يكون مستدلاّ ،وكيف يكون مخصوما منقطعا،ومحل اعتراضه أو معارضته،وأين يجب عليه السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال "أنظر المقدمة ،ص362.

(6)المنوني:حضارة الموحدين،ط1،دار توبقال للنشر،الدار البيضاء،المغرب،1989م ،ص85.

(7) الصّباغ القلعي:بستان الأزهار ،ورقة 48 الظهر

(8) الغبريني:المصدر السابق،ص ص 66 ،217.

وما يترتب عليها، وقد يعمد الشيخ إلى طرح السؤال بنفسه في بعض الأحيان ويعتبره كما لو كان موجها إليه ثم يشرع في الإجابة عليه[1] ،ونبغ في هذا المجال ابن المرأة الذي كان يناظر عليه بمرسية إلى وفاته[2]، هذا إلى جانب أبي الحسن على الحرالي الذي "ناظر فبرع خلال رحلته للبلاد الشرقية"[3].

ج- العلوم العددية:

تتمثل في الحساب والجبر والفرائض[4] والهندسة، وقد اهتم المتصوفة خلال عصري المرابطين والموحدين بهذه العلوم ،غير أن الملاحظ هنا هو أن اهتمامهم بها كان أقل ،إذا ما قورن بالعلوم النقلية،وقد برز في علم الحساب عبد الحق البجائي (ت513 هـ/1119م) الذي برع أيضا في علم الفرائض[5] ،هذا فضلا عن ابن سبعين الذي نبغ في الرياضيات[6]كما عمد المتصوفة إلى تدريس مثل هذه العلوم لطلبتهم[7]،واهتموا بالتأليف فيها كأبي الحسن الحرالي الذي ألّف كتابه " الوافي في الفرائض."[8]

د- الطب والتنجيم والفلك:

استطاع أبو يعزى الجمع بين الطب والتنجيم إذ اهتم بالعلمين وسطع نجمه فيهما[9]،إلى جانب أبي العباس أحمد المالقي الذي برز في الطب هو الآخر[10]،وفي علم الفلك اشتهر ابن عربي حيث سبق الإشارة إلى أنه قد تطرق في كتاباته إلى كل العلوم.[11]

---

(1) عبد الحميد عيسى :المرجع السابق،ص349.

(2) السلاوي:المصدر السابق،ج2،ص153.

(3)المنوني:حضارة الموحدين...ص86.

(4) علم الفرائض: "هو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة من كم تصح، ولما كان تقسيم التركة يحتاج إلى الحساب أفرد هذا الباب من أبواب الفقه لما اجتمع فيه إلى الفقه من الحساب الذي كان غالبا فيه، وأصبح فنا منفردا وألفت فيه التأليف"،أنظر ابن خلدون :المقدمة ،ص358.

(5) الحفناوي :المصدر السابق،ج1،ص201.

(6) تقي الدين المكي:المصدر السابق،ج5،ص327.

(7)التنبكتي:نيل الابتهاج ،ص34.

(8) التنبكتي:كفاية المحتاج ،ص241.

(9) نفسه:ص510.

(10)الغبريني:المصدر السابق،ص100

(11)بلنثيا: المرجع السابق،ص279.

هـ- علم أسرار الحروف:

لاقى علم أسرار الحروف [1]هو الآخر اهتمام بعض المتصوفة كابن عربي والبوني[2]فعملوا على التأليف فيه ،وقد ألّف البوني كتابان فيه وهما: "فضول شمس المعارف الكبرى " وهو في أسرار الحروف و"شرف الشكليات وأسرار الحروف العدديات"[3] أما ابن عربي فقد سبق وأن أشرنا أكثر من مرة إلى أن كتابه" الفتوحات المكية "كان عبارة عن موسوعة تطرق فيها إلى أكثر من علم بما فيه علم أسرار الحروف[4]، وعمل بعض المتصوفة على اخضاع الحروف للنسبة العددية فمثلا الباء والكاف والراء تدل كلها على رقم اثنين ولكن الاختلاف بينها يكمن في مرتبة الاثنين، فالباء تدل على اثنين الآحاد والكاف تدل على اثنين العشرات، أمّا الراء فتدل على اثنين المئات وهكذا بالنسبة لكل الحروف الأبجدية[5] وهذا ما عرف بحساب الجمل الذي نبغ فيه المتصوف ابن برجان إذ عمل على اخضاع القيمة العددية لحروف القرآن الكريم إلى عمليات حسابية للتنبؤ بالأمور قبل حدوثها[6]،فتنبأ بفتح بيت المقدس باستخـدامه لهذه الطريقة،وفعلا فتحت على يد صلاح الدين الأيوبي وفي نفس السنة التي تنبأ بها، وتمكن من استخراج ذلك من سورة الروم[7]

نستخلص مما سبق ذكره أن المتصوفة تمكنوا من نشر التعليم بين أبناء الشرائح المهمشة خاصة بجعله مجانيا ،كما أن تنوع الدروس التي كان هؤلاء يلقونها على طلابهم أدى إلى دخولهم في صدام مع السلطة المرابطية، التي كانت تفرض رقابة على بعض العلوم التي اعتبرتها دخيلة وتهدد

(1)يسمى هذا العلم بالسيميا وقد ظهر مع المتصوفة الذين رأوا بأن "طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء،فهي سارية في الأكوان على هذا النظام والأكوان من لدن الإبداع الأول تنتقل في أطواره وتعرب عن أسراره فحدث لذلك علم أسرار الحروف "أنظر ابن خلدون :المقدمة ،ص413.

(2) هو أبو العباس أحمد علي بن يوسف البوني القرشي توفي سنة 622 هـ/1225م أنظر خليفة :المصدر السابق،مج 2،ص1062.

(3) نفسه: ص ص 1270،1045.

(4) عرفان:المرجع السابق،ص262.

(5) ابن خلدون: المقدمة ،ص412.

(6) بوتشيش:المغرب والأندلس...ص133.

(7) السبكي: المصدر السابق،ج9 ،ص88 ؛ النبهاني: المصدر السابق،ج2،ص167.

أمّنها، أما الموحدون فعملوا بدورهم على دمج الخدمة العسكرية والتدريب على فنون الحرب في التعليم خوفا منهم من أن يطغى العلم وتضعف الحماسة الحربية لدى الناس[1] ،وقد كللت جهود المتصوفة في الجانب الثقافي بظهور الزاوية هذا النظام الجديد الذي تولّد عن تطور الربط، وأدت دورا مهما لكونها شكّلت إحدى التجمعات الصوفية والعلمية التي سيكون لها دور سياسي فعّال فيما بعد.

وقد أسهم المتصوفة إلى جانب هذا كله في نشر تعاليم الدين الإسلامي وشرحها للعامة سواء تعلق الأمر بالحواضر أو بالأرياف،فضلا عن مساهمتهم الجبّارة في التعريب ،ومثّلت مجالس الوعظ والتذكير التي كانوا يعقدونها وسائل إعلام إن صح التعبير عملوا من خلالها على النهوض بهمم الناس وتوعيتهم بخطورة ما يجري ،فباتوا يناقشون فيها قضايا جوهرية عكست معاناة العامة،مما أثار تخوف السلطة لإدراكها مدى خطورة ذلك عليها.

هذا فضلا عن مساهمة تلك المجالس في نشر مبادئ التصوف في الأوساط الشعبية فاتسعت قاعدة التصوف بذلك،وقد تمكن المتصوفة من إدراك ما يجري على أرض الواقع وتنبهوا للخطر الذي يهدد المجتمع إذا تفشّت الأمية والجهل، فتجندوا لمواجهته بأن ألقوا بجهودهم في الإحاطة بأكبر عدد من العلوم ،وأثروا ذلك كله بمؤلفاتهم التي مثلت قاعدة انطلق منها العديد من طلابهم فيما بعد ،واهتمامهم بالعلوم سواء النقلية أو العقلية كان تحديا منهم لمعارضيهم،الذين رأوا في التصوف مجرد ظاهرة تدعو إلى الزهد والتقشف والخمول في الحياة،وأدى نشاطهم العلمي المكثف إلى سطوع نجم عدة مدن شكّلت مراكز إشعاع علمي وثقافي كبجاية وتلمسان والمرية وفاس ومراكش ...إلخ،حتى أن من هذه المدن من ضاهت بغداد في الجانب الثقافي،فقصد الطلبة تلك المراكز الثقافية من كل حدب

وصوب أملا منهم في التحصيل العلمي والنهل من علوم كبار المتصوفة،الذين عملوا بدورهم على عقد حلقات ومجالس للتدريس غمروها برصيدهم الثقافي الموسوعي ،وهذا أكبر نجاح حققه هؤلاء المتصوفة في تاريخ التصوف بالغرب الإسلامي .

---

(1) المنوني: حضارة الموحدين،ص24

الخاتـمة:

حاولت في دراستي هذه أن أتناول التصوف بالغرب الإسلامي كظاهرة اجتماعية كان لها الأثر الكبير على سير الأوضاع بالمجتمع إبّان العصرين المرابطي والموحدي،وفي هذا الإطار توضحت لي عدة نقاط كانت نتيجة لما توصّلت إليه في دراستي والتي أجملها في النقاط التالية:

– أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية التي عرفها المجتمع خلال هذه الفترة كان لها أثر قوي في ظهور التصوف ،وساعدت في مجملها على انتشاره مما أكد على أن ظاهرة التصوف لم تكن وليدة التأثر بالمشرق فقط،بل كانت نتيجة تمخضت عن تفاعل مجموعة من العوامل شكّلت في مجملها دافعا لظهورها وانتشارها،وهذا ما ينفي زعم العديد من الباحثين ممن ردّوا ظهورها الى عامل واحد ،كردها إلى حركة ابن مسّرة بالأندلس ،أو إلى طبيعة عقلية الإنسان المغاربي التي تصدق كل ما يتعلق بالشعوذة والسحر وغيرها من الأمور الغيبية.

– عرف التصوف خلال الفترة موضوع دراستي تطورا كبيرا، فبعدما كان مجرد تصوف ساذج اعتمد على الزهد والتقشف أصبح يقترن بالنظريات الفلسفية،التي اعتمدها العديد من المتصوفة وجعلوها أساسا في بناء اتجاهاتهم الصوفية،مما يؤكد أن متصوفة الغرب الإسلامي عملوا على بناء اتجاهات خاصة بهم ولم يكتفوا بما أخذوه عن إخوانهم بالمشرق،وهذا ما عزّزه تعدد الاتجاهات الصوفية التي عرفها الغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين،والتي تمثلت في الاتجاهات الصوفية السنية والاتجاهات السنية الفلسفية والاتجاهات الفلسفية ،وما لاحظناه مما سبق ذكره عن تلك الاتجاهات أن التصوف الغزالي عرف رواجا كبيرا بين متصوفة الغرب الإسلامي خاصة مع العصر الموحدي،وقد

أدى هذا إلى ظهور اتجاهات صوفية جديدة عمل أصحابها بأفكار الغزالي الصوفية وأضافوا لها أفكارهم مما ساهم في إثراء الاتجاهات الصوفية وتعددها.

– ظهور الاتجاهات الصوفية الفلسفية في التصوف كان مع العصر الموحدي،وذلك يرجع للدور الفعّال الذي لعبته السياسة الموحدية،خاصة وأنها فسحت المجال للفلسفة الأمر الذي ساعد على بناء اتجاهات صوفية جديدة ،وما يجب الإشارة إليه هو أن هذه الاتجاهات المقترنة بالفلسفة تزعمها متصوفة أندلسيون، ويمكن إرجاع ذلك إلى الأثر الذي خلّفته حركة ابن مسّرة ،كما يلاحظ أن الاتجاهات الصوفية عرفت حركة نشيطة جدا ساهمت فيها تنقلات أصحابها من المتصوفة وتلامذتهم ما بين مدن الغرب الإسلامي،مما اسهم في ظهور مدن كبار المتصوفة التي مثلت مراكز اشعاع صوفي أثّرت في باقي المناطق عن طريق الطلبة الذين كانوا يشدون الرحال للقاء كبار المتصوفة والنهل عنهم.

– أن ظاهرة التصوف كانت لها إسهامات في الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية،حيث رمى المتصوفة بكل مجهوداتهم في النهوض بكل مجالات الحياة ،فكانت لهم مواقف من العديد من القضايا التي طرحت على أرض الواقع،والتي عالجوها من خلال كراماتهم،و مثّلت هذه الأخيرة الورقة الرابحة التي لعب بها المتصوفة مع كل أطراف المجتمع حتى السلطة آنذاك،غير أن أهم نتيجة توصلنا إليها هي أن التصوف خلال الفترة المدروسة عرف منعرجا خطيرا تطلع أصحابه إلى السلطة واتخذوا من الثورة وسيلة لتحقيق انقلاب على السلطة القائمة آنذاك ،مما أوضح بأن المتصوفة أصبحت لديهم تطلعات سياسية ولم يبق تصوفهم مجرد حركة زهد واعتكاف عن الحياة فقط،وهذا ما يؤكد أن الغرب الإسلامي عرف تيارين من التصوف التيار المعتدل واستخدم أصحابه الكرامة وسيلة للتعبير عن انشغالاتهم ،والتيار المتطرف الثائر الذي كانت له تطلعات سياسية وشكّلت الثورة وسيلة لتحقيق ذلك .

– مسّت انشغالات المتصوفة حتى الجانب الثقافي في المجتمع،وذلك بعد أن أدرك هؤلاء مدى خطورة تفشي الجهل والامية فأرادوا بذلك المساهمة في نشر التعليم بين كل الأوساط الشعبية بكل الأعمار،وكللت جهودهم في هذا المجال ببروز الزاوية كنظام جديد سيكون طرفا في السياسة فيما بعد ،كما أن تنوع ثقافاتهم وإلمامهم بمجموعة كبيرة من العلوم كسّر المزاعم التي رأت في ظاهرة التصوف مجرد سلوك سلبي اتخذته فئة من المجتمع للهروب من واقعها المعاش.

الملحـق(1)

رسالة المهدي إلى جماعة الموحدين ينهاهم فيها عن الخمر:

"... واجتنبوا الخمر فإنها أم الفواحش ولا تشربوها ولا تسقوها ولا تعصروها ولا تبيعوها ولا تبتاعوها فإنها رجس من عمل الشيطان وشاربها ملعون.."

البيذق:أخبار المهدي،ص5.

الملحـق(2)

رسالة عبد المؤمن بن علي إلى جماعة الموحدين بإشبيلية ينهاهم فيها عن الخمر:

"لأن الناس تجوّزوا في أمر الرب تجوّزا أغفلوا فيه الاجتهاد... فاقطعوه جملة وتفصيلا،ولا توجدوا أحدا على بيعه سبيلا،واشتدّوا في ذلك اشتدادا لا يوسع مستسمحا فيه صدوقا عن هذا القصد الحميد ولا عدولا، واخلوا الحواني التي كان يباع فيها منه وافقروها واصرفوها... والديار المعروفة ببيعه أيضا لا تتركوها على ذلك ولا تقرّروها،وأريقوا ما تلقون من مشتبه وملتبسة وعاقبوا من تجدونه عنده أشد عقوبة على دلسه،وتتبعوا في ذلك أبلغ تتبع وأشده،ومن وجدتم عنده رائحة منه كائنا من كان فأقيموا عليه ما رسمه الشرع في ذلك حدّه..."

ليفي بروفنسال:مجموع رسائل موحدية ،مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية،1941م، ص 164 وما بعدها.

الملحق (3)

رسالة ابن العريف إلى أبي الحسن سيد المالقي حيث سجن:

"الله وليك أبا الحسن سيد و ولي إخوانك من المسلمين كافة.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى أزواجه و ذريته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبته في وقت ضاق عن تفسير ما تظنه النفس من تأنيس لك، وتنفيس لك بك، فإن عجزي عن نفسي عرفني أني من غيرتي أعجز إلا ظنونا تجوز ولكن لا تجوز،ولو عرف حقيقة حالي ما أنست إلى معرفتي بحالك... ولكن سال سبيل الفتنة ونحن طريقه وغشي ليل المحنة وفينا فريقه،وانخفست الأرض،وفيها المسيئ والبريئ فعمهم الله بالعدل،.....وإني فكرت في السجن والمسجونين فإذا هم طبقات و أمم مفترقات.."

ابن العريف :مفتاح السعادة،ص 180.

الملحـق (4)

رسالة ابن العريف إلى أبي القاسم بن قسي(صاحب ثورة المريدين)

الرسالة الأولى:

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله .

من ولي أبي القاسم بن قسي وحافظه من المكاره.

من وليه في الله تعالى أحمد بن محمد.

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

اللهم إنا نسألك من بركات العلم والعمل ما يوصل إلى الجانب الأكمل، ونعوذ بك من التفريق بعد البداية والنهاية في مدارج التحقيق، ونتوجه إليك بالدعوى في كنف البلوى إذ[سقطت] رسوم الحق ونعوت الصدق، ونتوسل إليك بالفقر إن لم تكن منك عناية والمكر...

ذكر لي أبو محمد متحملة – أكرمه الله- إنك تعرفني باسمي، فشغلني فراغي عن معناك، وأن أتعرف منه كيف وصل مثلي إلى هناك ،ورأيته خاص الثناء بأبي الوليد بن المنذر،عام الثناء بعد ذلك على الجملة- صان الله جميعهم- ورغب في ثلاث كتب: أحدها إلى أبي الوليد،والثاني لرجل سماه لي بمحمد بن سالم،فأجبته على ما كرهته أو أحببته،وحسبنا الله ونعم الوكيل.

والسلام عليك وعلى من لديك ورحمة الله وبركاته"

ابن العريف :مفتاح السعادة ، ص ص 207 ، 208.

الرسالة الثانية:

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه الكريم.

سلام عليكم ورحمة الله و بركاته.

كتبته عن صلاح ظاهر وعافية شاملة لي و لأهلي وإخواني والحمد لله رب العالمين.
و وقفت من قبل قريبي أحمد- سلمه الله- عند منصرفه من تلك الجهة على عدة كراريس في فنون العلم كتب فيها بعض كلامك وأجوبتك فسرني تمام فهمك ونفوذ عزمك واشرافك من علم الحقيقة على انهاء كتاب متشابه، يصدق بعضه لبعض...
.. ثم ها أنا بلغني عن أناس بالمشرق والمغرب في وقتنا من مكث في حقائق العلم ما يسرني ،من كان العلم همه وغمه،ومن أشد ما يمسني بعد معرفتي بحالك وحال إخوانك لما في رؤية أحوالكم ومعرفتي بها من يقظة قلبي وحياة لي فاعلمه.
والسلام عليك وعلى كل واحد ممن تحبه ويحبك مرددا ،ورحمة الله وبركاته"

ابن العريف: مفتاح السعادة،ص ص 208 ،209

الملحـق(5)

رسالة ابن العريف إلى أبي الحكم بن برحان:
"الله ولي الفقيه الإمام أبي الحكم شيخي وكبيري،ورحمة الله وبركاته عليه، من المقتبس منه، المتطلع إلى ما لديه عبد الله الضعيف أحمد بن محمد.
بسم الله الرحمن الرحيم وصلوات الله وسلامه على محمد رسوله،سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
اللهم! صل حقيقة وجود الشيخ إمامي وكبيري بوجود حقيقة المعرفة بك والتعرف منك، واجعله لمعالم طهارات النفوس زماما،ولأعلام الهدايات إماما وبارك به وعليه بالبركة التي بدايتها من محمد صلوات الله عليه، ونهايتها إليه... ولقد أشكل علي إشكالا باب من قبول البيان تفصيلا واجمالا : كيف يداوي السكران أو يداوي وسكره غالبه، وقد غفل صديقه واستيقظ مطالبه..؟"
ابن العريف:مفتاح السعادة،ص 109.

الملحـق(6)

رسالة ابن العريف إلى أبي الوليد بن المنذر.
"بسم الله الرحمن الرحيم،وصلى الله على محمد المصطفى وعلى آله وسلم تسليما سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المسالمة- أعزك الله- وداد،والأرواح أجناد وسببه أن أبا محمد متحملة أكرمه الله- قصدني قصدا ظاهره البر،و الله أعلم بما ينطوي عليه السر،فوجب له حق، وحصل بينه وبين من سواه فرق، فسألته عن بلده فذكره،وعد من أمر تلك الخاصة إلى أمرك فنشره، وأعطاك من لسانه أفضل العطيات ،والله ولي الخفيات...

فإن سرك يا أخي أن ينتفع بك حبك الناس، فلا يكن شيئ أحب إليك من تعلم المسالمة،فإن الصادق ينتفع الناس بصدقه،والكاذب لا يتعداه كذبه والمناكره أعلاق وليس معها تمسك ولا اعتلاق،وهي تقطع الأقوياء وتمحق الضعفاء.

عصمنا الله من المكر،خفية وجلبة بعزته.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته"

ابن العريف :مفتاح السعادة،ص ص 210، 211.

الخريطـــــة 01

الغرب الإســـلامي في عصـــــر المرابطين

الخريـــطة 05

مواطن القبائل التي ساندت دعوة ابن هود الماسي بالمغرب الأقصى.

ابن خلدون: العبر، ج6، ص232

السلاوي: المصدر السابق، ج3، ص55.

البيذق: المصدر السابق، ص 67.

الخريطـــــــة 04

المدن التي نشط فيها المتصوفة في عصري المرابطين والموحدين

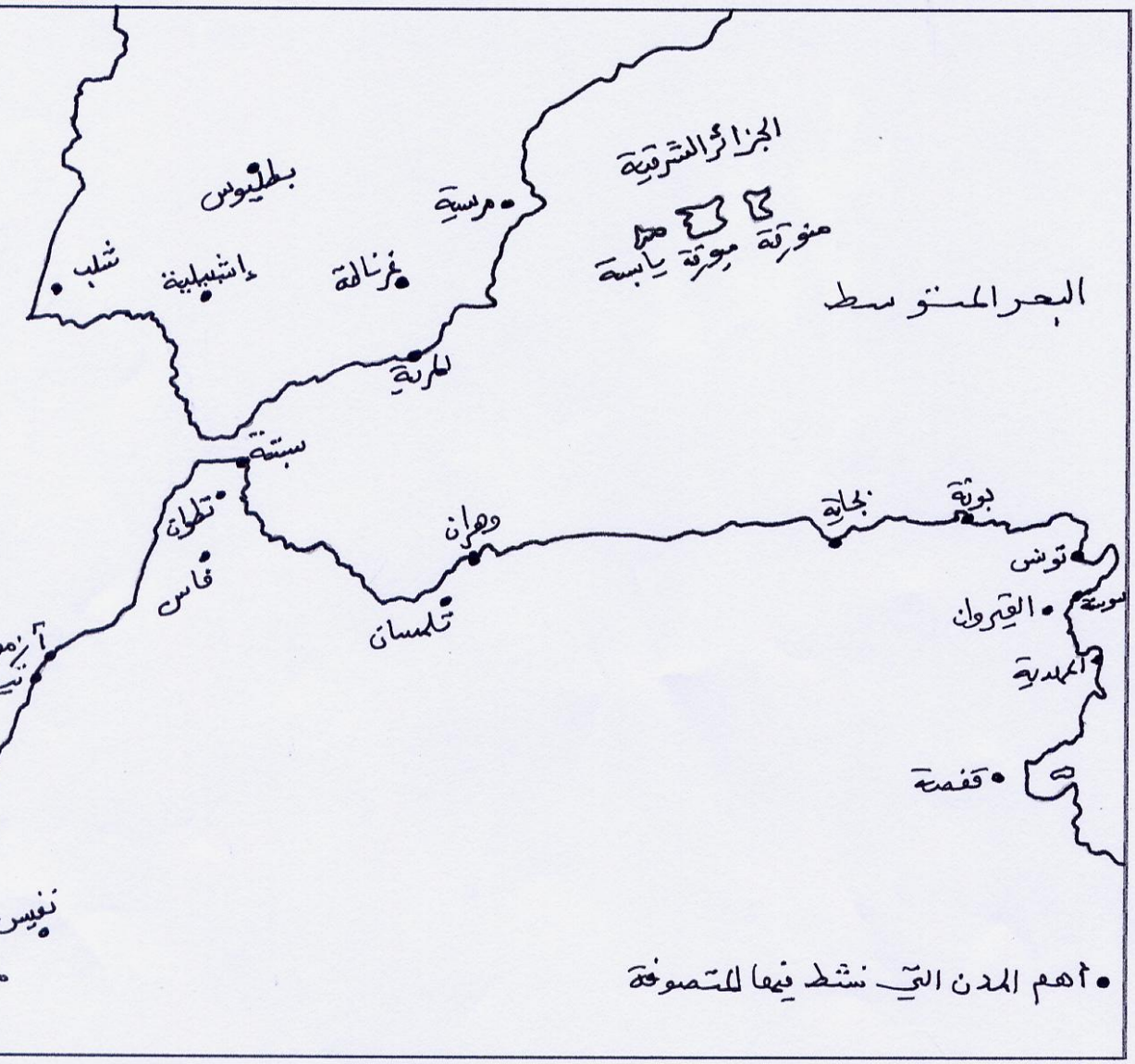

عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين، ج2، ص 354

البيذق: أخبار المهدي، ص ص 149، 150

أشباخ: تاريخ الأندلس...، ص 569.

الخريطـــــــة 03

الربط بالغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين

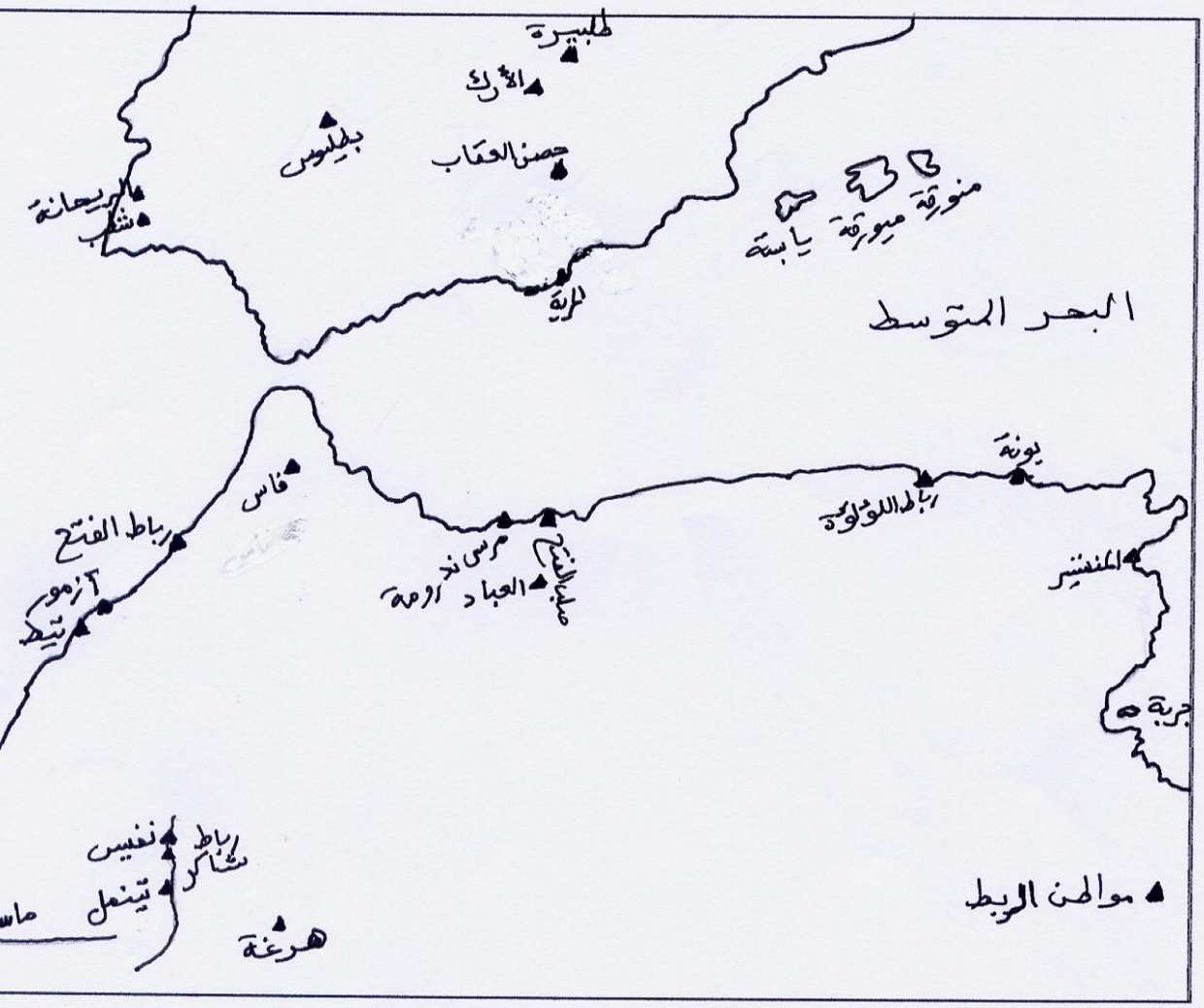

البيذق:أخبار المهدي ،ص ص 149 ،150

عبد الله عنان:عصر المرابطين والموحدين ،ج2 ،ص354

بونابي : التصوف في الجزائر... ، ص 301

أشباخ : تاريخ الأندلس ... ، ص569 .

الخريطـــــة:02

الغـــرب الإسلامي في عصـــر الموحدين

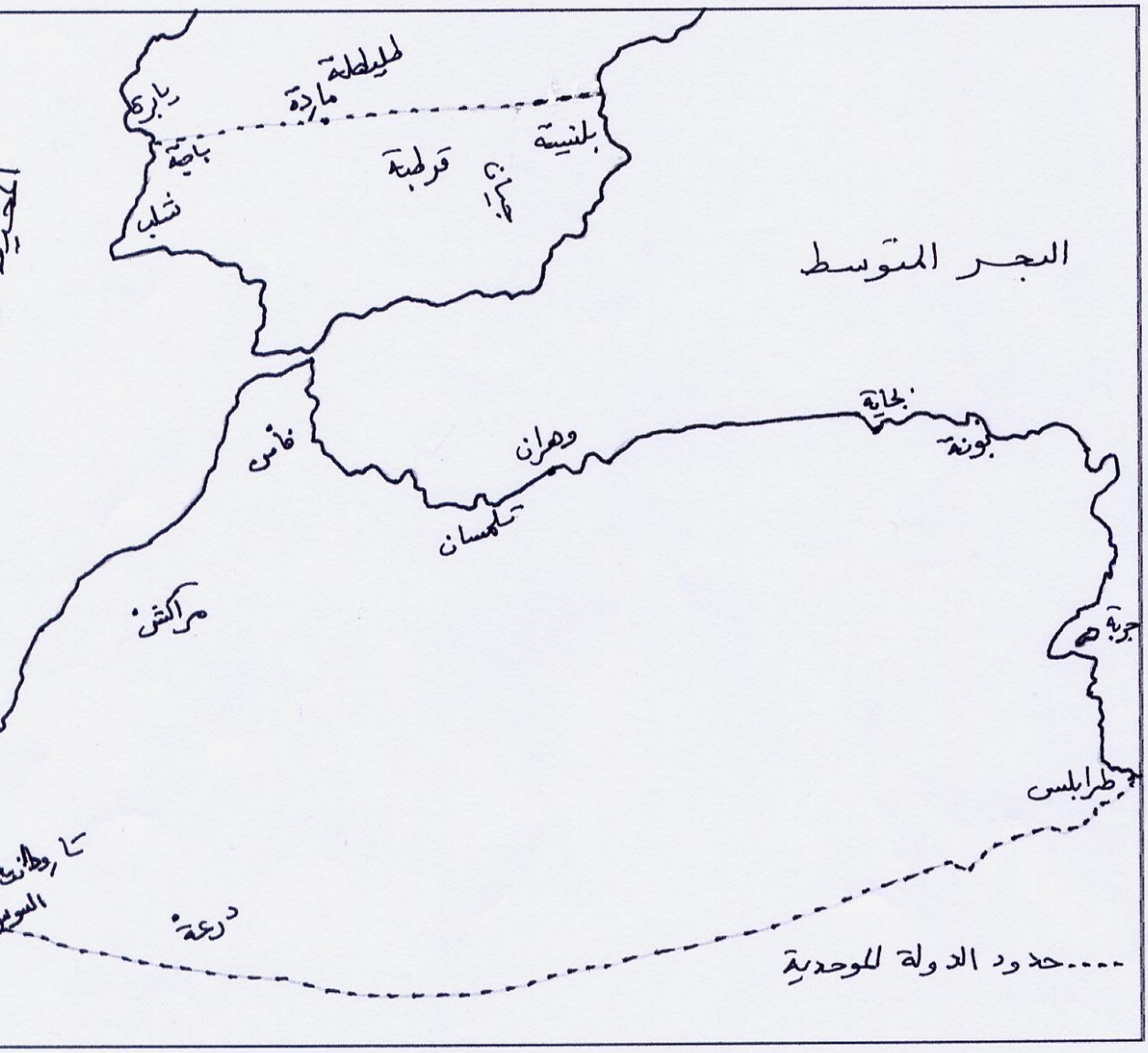

عز الدين عمر موسى:الموحدون في الغرب الإسلامي،ص176

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر المخطوطة

- التنبكتي أحمد بابا (963-1036 هـ/1555-1626م)

1-نيل الابتهاج بتطريز الديباج ،مخطوط المكتبة الوطنية،الجزائر،رقم340.

- الدرعي أحمد بن محمد بن ناصر

2-رحلة سيدي الشيخ أحمد بن محمد ناصر إلى الحرمين الشريفين ،مخطوط،المكتبة الوطنية الجزائر،رقم 1997.

-أبو راس المعسكري محمد بن أحمد بن ناصر الراشدي(ت1238 هـ/1822م)

3-عجائب الأسفار ولطائف الأخبار،مخطوط ،المكتبة الوطنية ،الجزائر،رقم 1632.

- الصبّاغ أبو عبد الله محمد بن محمد القلعي

4-بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخبار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار أبو يعزى سيدي موسى،مخطوط،المكتبة الوطنية،الجزائر،رقم 1707.

- ابن قزمان محمد بن أبي بكر بن القطان.

5-ديوان "شعر" مخطوط،المكتبة الوطنية،الجزائر،رقم 31717 .

- مجهول:

6-الاستبصار في عجائب الأمصار،مخطوط ،المكتبة الوطنية،الجزائر،رقم 1560.

- أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري (ت594هـ/1198م)

7-رسالة في التصوف،ميكروفيلم،المكتبة الوطنية،الجزائر،رقم 5009.

- الهواري أبو القاسم علي.

8-مناقب أبي العباس السبتي،مخطوط ،المكتبة الوطنية،الجزائر،رقم .1713

2- المصادر المطبوعة:

9- القرآن الكري برواية حفص م

- ابن الأبار أبو عبد الله البلنسي (ت658هـ/1260م)

10-التكملة لكتاب الصلة،جزآن،مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد1375 هـ/1956م
11- الحلة السيراء،تحقيق وتعليق حسين المؤنس ،الجزء الثاني ،الطبعة الأولى ،الشركة الوطنية للطباع والنشر ،القاهرة ،1963م.
12-المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي .،دار الكتاب اللبناني ،مطبعة روخس مجريط 1885م.
13- المقتضب من كتاب تحفة القادم ،تحقيق ابراهيم الأبياري ،الطبعة الثالثة،دار الكتاب المصري القاهرة دار الكتاب اللبناني ،بيروت،1410 هـ/1989م
- ابن الأثير علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري (630هـ/1232م)
14- الكامل في التاريخ،راجعة وصححه محمد يوسف الدقاق ،المجلد الخامس ،المجلد الثامن ،الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان،1418 هـ/1998م.
- الادريسي أبو عبد الله محمد الشريف(ت548 هـ/1154م)
15-القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس (مقتبس من كتاب نزهة المشتاق)،تحقيق إسماعيل العربي،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1983م
- الاصفهاني عماد الدين محمد (ت597 هـ/1200م)
16-جريدة القصر وجريدة العصر،تحقيق محمد المرزوقي و محمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحي،الدار التونسية للنشر،1966م
- الاصفهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت430هـ/1038م)
17- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،تحقيق مصطفى عبد القادر عطا،المجلد الأول ،الجزء الأول،الطبعة الأولى،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1418هـ/1997م.
- ابن أبي أصبيعة ،موفق الدين أبو العباس أحمد (ت668 هـ/1269م)
18 -عيون الأنباء في طبقات الأطباء،شرح وتحقيق نزار رضا،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،1965م.
- الألوسي شهاب الدين السيد محمود (1270هـ/1853م)
19- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ،المجلد الثاني،الجزء الرابع،دار الفكر بيروت،1398 هـ/1978م.
- الباروني سليمان باشا

20-الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية ،تحقيق محمد علي الصليبي ،الجزء الثاني ،وزارة التراث القومي والثقافة،سلطنة عمان،1407 هـ/1987م.
- البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي (ت841 هـ/1438م)
21- فتاوي البرزلي (جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام)تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة،الجزء الثاني ،الطبعة الأولى،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ،2002م
- ابن بسام أبو الحسن علي (ت 542 هـ/1147م)
22- الذخيرة السنية في محاسن أهل الجزيرة ،تحقيق سالم مصطفى البدري،المجلد الرابع،الطبعة الأولى ،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1419هـ/1998م.
- ابن بشكوال أبو القاسم خلف القرطبي (494-578 هـ/1101 -1083 م)
23- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ،تحقيق ابراهيم الأبياري،ثلاثة أجزاء،الطبعة الأولى، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1410 هـ/1989م
- البكري أبو عبيد الله (ت487 هـ/1094 م)
24- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (جزء من كتاب المسالك والممالك)،مكتبة المثنى بغداد ،دون تاريخ طبع.
-البيذق أبو بكر الصنهاجي (ت أواخر القرن 6 هـ/12م)
25- أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين ،تصحيح وترجمة ليفي بروفنسال بولس كتنز الكتبي بباريس ،1928م .
- التادلي أبو يعقوب يوسف التادلي (ت628هـ/1230م)
26- التشوف إلى رجال التصوف ،نشر وتصحيح أدولف فور،مطبوعات افريقية الشمالية الفنية،الرباط،1958م
- التنبكتي أحمد بابا (963-1036هـ/1555-1626م)
27- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج (في تراجم المالكية)،تعليق أبو يحي عبد الله الكندري الطبعة الأولى ،دار بن حزم،بيروت،لبنان ،1422هـ/2002م .
- ابن تومرت أبو عبد الله المهدي (ت524 هـ/1129م)
28- أعز ما يطلب ،مطبعة بير بونطانا ،الجزائر ،1321 هـ/1951 م
- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن(ت597 هـ/1200م)

29- تلبيس إبليس ،تحقيق محمد بن الحسن بن اسماعيل ،مسعد عبد الحميد السّعدني ،الطبعة الأولى دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1418ه/1998م .
- الجيلالي عبد الرحمن
30- تاريخ الجزائر،الجزاء الثاني ،الطبعة السابعة،ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ،الجزائر ،1415 ه/1994م
- حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله (ت 1067 ه/1636م)
31-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،الجزء الثاني ،مكتبة المثنى ببغداد،دون تاريخ الطبع.
- الحفناوي أبو القاسم محمد(1356ه/1936م):
32- تعريف الخلف برجال السلف،جزآن ،الطبعة الثانية،مؤسسة الرسالة بيروت،المكتبة العتيقة،تونس،1405ه/1985م.
- ابن حمديس عبد الجبار (ت 527 ه/1132م)
33- ديوان شعره،تصحيح وتقديم إحسان عباس،دار صادر ،دار بيروت،1379 ه1960م
الحميري محمد بن عبد المنعم (حي سنة 866 ه)
34- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس،الطبعة الثانية،مكتبة لبنان ،بيروت لبنان،1984م.
- الحنبلي أبو الفلاح عيد الحي (ت 1089 ه/1678م)
35-شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،المجلد الثاني ،الجزء الرابع،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،دون تاريخ طبع.
- ابن حوقل أبو القاسم النصيبي (ت378ه/988م)
36-صورة الأرض ،دار مكتبة الحياة،بيروت ،لبنان،دون تاريخ الطبع
- ابن الخطيب لسان الدين (ت776ه/1374م)
37- الإحاطة في أخبار غرناطة الخانجي بالقاهرة 1397 ه/1977م.،تحقيق محمد عبد الله عنان،أربعة أجزاء الطبعة الأولى الناشر مكتبة
38- تاريخ اسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام ،تحقيق ليفي بروفنسال،دار المكشوف ،بيروت لبنان،آذار 1956 م
39- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ،دراسة وترجمة محمد كمال شبانة ،المعهد الجامعي للبحث العلمي بالمغرب ،1397ه/1977م

- ابن خفاجة أبو إسحاق إبراهيم
40- ديوان شعره ،دار صادر ،دار بيروت ،1381 هـ/1961م
- ابن خلدون أبو زكريا يحي بن محمد (ت780هـ/1378م)
41- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،الجزء الأول،تحقيق عبد الحميد حاجيات ،المكتبة الوطنية ،الجزائر 1400هـ/1980م
- ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد(ت808 هـ/1405م)
42- كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،الجزء السادس،الجزء السابع،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،بيروت،لبنان،1391هـ/1971م.
التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا،تعليق محمد بن تاويت الطنجي،لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،1370هـ/1951م
43- شفاء السائل وتهذيب المسائل،تحقيق محمد مطيع الحافظ،الطبعة الأولى ،دار الفكر المعاصر،بيروت ،لبنان ،دار الفكر ،دمشق ،سوريا ،1417 هـ/1996م
44- المقدمة ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان،دون تاريخ الطبع
- ابن خلكان شمس الدين أبو العباس أحمد (681 هـ/1282م)
45-وفيات الأعيان وأنباء الزمان ،تحقيق إحسان عباس ، مجلدان ،دار صادر بيروت،لبنان،دون تاريخ الطبع.
الدّباغ أبو زيد عبد الرحمن (ت696هـ/1296م)
46- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان،تحقيق محمد الأحمدي أبو النور،محمد ماضور تعليق أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي،الجزء الثاني،مكتبة الخانجي القاهرة،المكتبة العتيقة،تونس،1972م
- بن أبي دينار أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرغيني(حي سنة 1092هـ/1981 م.
47- المؤنس في أخبار افريقيا وتونس ،تحقيق محمد شمام،الطبعة الثالثة،المكتبة العتيقة تونس،شعبان 1387هـ.
- ابن رشد أبو الوليد (الجد)
48- مسائل أبي الوليد ابن رشد (الجد)،تحقيق محمد الحبيب التجكاني ، مجلدان ،الطبعة الثانية دار الجيل ،بيروت،دار الآفاق الجديدة،المغرب ،1414 هـ/1993م .

- ابن الزبير أبو جعفر أحمد بن ابراهيم (ت 628 هـ/708م).
49-صلة الصلة،تحقيق عبد السلام الهراس،سعيد أعراب ،قسمان،مطبعة فضالة المغرب،1414 هـ/1994م
- الزجالي أبو يحي عبد الله
50- أمثال العوام في الأندلس (مستخرجة من كتابه ري الأوام ومرعى الوام في نكت الخواص والعوام تحقيق محمد بن شريفة،القسم الثاني،مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية فاس،المغرب،1971م.
بن أبي زرع أبو عبد الله محمد بن عبد الحليم(توفي بين 710 و 720 هـ/1310 و 1320 م)
51- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،دون تاريخ طبع.
- الزركلي خير الدين:
52- الأعلام،(قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) ،تحقيق الدهان عبد السلام،مجلدان،الطبعة الثانية عشر،دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان،شباط /فبراير 1997م
- ابن الزقاق البلنسي:
53- ديوان شعره، تحقيق عفيفة محمود ديراني ،دار الثقافة ،بيروت،لبنان،29 آيار 1964 م
- ابن زهر أبو مروان عبد الملك
54- التيسير في المداواة والتدبير،تحقيق وتعليق محمد بن عبد الله الرّوداني ،مطبعة فضالة المحمدية المغرب 1991م.
- ابن سبعين أبو محمد عبد الحق المرسي(613-669 هـ/1216-1270م)
55- رسائل ابن سبعين،تحقيق عبد الرحمن بدوي ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ،برن سويسرة 1956م.
السبكي تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي(727-771هـ/1326-1369م)
56- طبقات الشافعية الكبرى،تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو،محمود محمد الطناجي، جزآن التاسع،الطبعة الأولى ،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،1385هـ/1966م .
- بن سحنون محمد:

57- كتاب آداب المعلمين ،تقديم وتحقيق مقارن محمود عبد المولى،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،دون تاريخ طبع.
- السراج أبو نصر الطوسي(ت378هـ/989م)
58-اللّمع،تحقيق وتقديم وتخريج عبد الحليم محمود ،طه عبد الباقي سرور،دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ،1380هـ/1960م
- السرّاج محمد بن محمد الأندلسي الوزير (ت 1149 هـ/1730م)
59-الحلل السندسية في الأخبار التونسية،تحقيق محمد لحبيب الهيلة ،المجلد الأول،الطبعة الأولى ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان،1985م
- ابن سعد محمد بن منيع الهاشمي:
60-الطبقات الكبرى،تحقيق محمد عبد القادر عطا،المجلد الثالث ،الطبعة الثانية ،دار الكتب العلمية بيروت،لبنان،1418هـ/1997م.
- ابن سعيد أبو الحسن علي بن يوسف الأندلسي (610-685هـ/1213-1286م)
61 -المغرب في حلى المغرب،الجزء الأول،تحقيق شوقي ضيف،دار المعارف،مصر 1953م.
- السلاوي أحمد بن خالد الناصري(1250-1315هـ/1834-1897م)
62-الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ،تحقيق أحمد الناصري ،أشرف على النشر محمد حجي، ابراهيم بوطالب،أحمد توفيق،جزآن،منشورات وزارة الثقافة والاتصال دار البيضاء ،2001م.
- السلفي أبو طاهر أحمد بن محمد (ت576هـ/1180م)
63-أخبار وتراجم أندلسية (مستخرجة من معجم السّفر للسلفي)،إعداد وتحقيق عباس ،الطبعة الأولى ،دار الثقافة ،بيروت،لبنان،1963م.
- السهروردي عبد القادر بن عبد الله
64-عوارف المعارف،الطبعة الأولى ،دار الكتاب العربي،بيروت ،لبنان،1966م.
- ابن سهل:
65- ديوان شعره،تقديم احسان عباس،دار صادر،بيروت،1967م
- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ/1505م)
66- طبقات الحفاظ ،تحقيق :علي محمد عمر ،الطبعة الأولى ،الناشر مكتبة وهبة مطبعة الاستقلال الكبرى ،القاهرة ،رجب 1393هـ/أغسطس 1973م.
67-طبقات المفسرين ،طهران ،1960م

- الششتري أبو الحسن (ت668هـ/1269م)
68- ديوان شعره،تعليق علي سامي النشارة،الطبعة الأولى ،المعارف بالاسكندرية ،1960م
الشهر ستاني محمد بن عبد الكريم (ت548هـ/1153م)
69-الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا،علي حسن فاعور،الجزء الأول ، الطبعة السادسة،دار المعرفة ،بيروت ،لبنان،1417 هـ/1997م .
- الشوّار العربي بن مصطفى :
70-ديوان القطب الرباني العارف بالله الصمداني ،الشيخ سيدي شعيب أبي مدين بن الحسين الأنصاري الأندلسي الاشبيلي ت 594 هـ،نشر محمد بن العربي ابن مصطفى الشوار،الطبعة الأولى،مطبعة الترقي بدمشق،1357هـ/1938م.
- ابن صاحب الصلاة عبد الملك(ت594هـ/1198م)
71- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين،تحقيق عبد الهادي التازي ،الطبعة الأولى، دار الأندلس للطباعة والنشر ،بيروت ،لبنان1383هـ/1964م
- الصفدي صلاح الدين خليل(763هـ/1362م)
72-الوافي بالوفيات ،اعتناء محمد يوسف نجم ،الجزء الثامن ،دار صادر بيروت،لبنان،1391هـ/1971م.
- الضبي أحمد بن يحي الأندلسي (ت599هـ/1202م)
73-بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ،تحقيق روجية عبد الرحمن السويفي ،الطبعة الأولى ،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1417هـ/1997م.
-أبو طالب مكي:
74-قوت القلوب في معاملة المحبوب و وصف طريق المريد إلى مقام المريد،تحقيق سعيد نسيب المكارم،الجزء الثاني ،الطبقة الأولى،دار صادر،بيروت،لبنان،1995.
- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/923م)
75-جامع البيان ،الجزء الرابع ،الطبعة الثانية ،مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،مصر 1373هـ/1954م .
- ابن عبّاد الرندي عبد الله محمد (ت792هـ/1390م)

76- الرسائل الصغرى ،نشر الأب بولس ع. نويا السيوعي ،المطبعة الكاثوليكية ،بيروت ،لبنان،1957م.
- ابن عذارى أبو العباس أحمد المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/1312م)
77- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،تحقيق إحسان عباس،الجزء الرابع ،الطبعة الثالثة دار الثقافة ،بيروت ،لبنان،1983م.
78-البيان الموحدي،تحقيق محمد ابراهيم الكتاني ،محمد زنبير،محمد بن تاويت ،عبد القادر زمامة الطبعة الأولى ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان،1406 هـ/1985م .
- أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم(ت333هـ/944م):
79-طبقات علماء افريقية و تونس،تقديم وتحقيق علي الشابي،نعيم حسن الباقي،الطبعة الثانية،الدار التونسية للنشر،تونس،1985م.
- ابن العربي أبا بكر(ت543هـ/1149م)
80-أحكام القرآن ،راجعه وخرج أحاديثه وتتعليق محمد عبد القادر عطا،المجلد الثاني ،الطبعة الأولى ،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،دون تاريخ طبع.
- ابن العربي محي الدين(ت638هـ/1240م)
81-ترجمان الأشواق،دار صادر، بيروت، لبنان،1386هـ/1966م
82-ديوان شعره،مكتبة المثنى ،بغداد ،1855م .
83-رسائل ابن العربي،الطبعة الأولى ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت،لبنان،1361م
84-الفتوحات المكية ،المجلد الأول ،المجلد الثاني،دار صادر بيروت ،دوت تاريخ طبع.
85-فصوص الحكم،تعليق أبو العلاء عفيفي،الجزء الأول،دار الكتاب العربي،بيروت23 رمضان 1365 هـ/20 أغسطس1946م.
- ابن العريف أبو العباس(481-536هـ/1088-1141م)
86-مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة ،دراسة وتحقيق عصمت عبد اللطيف دندش جمعه أبو بكر عتيق بن مؤمن،الطبعة الأولى،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،1993م
- عيّاض القاضي أبو الفضل السبتي(476-544هـ/1083-1149م)
87-ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك،صححه محمد سالم هاشم،المجلد الثاني،الطبعة الأولى،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1418/هـ/1998م.
ابن غازي العثماني محمد:

88- الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون،تحقيق عبد الوهاب ابن منصور ،الطبعة الثالثة ،المطبعة الملكية،الرباط،1420هـ/1999م.
- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد (704هـ/1304 م)
89-عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ،تحقيق رابح بونار ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،18 جانفي 1970م،11 ذي القعدة 1389م
- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد (ت505 هـ/1111م)
90-إحياء علوم الدين،تذييل زين الدين أبي الفضل العراقي،مراجعة وضبط محمد الدالي بلطة،ثلاثة أجزاء ، الطبعة الثالثة، المكتبة العصرية ،صيدا بيروت،1419 هـ/1998 م
91-المنقذ من الضّلال ،تحقيق عبد الكريم المرّاق، الطبعة الأولى ،الدار التونسية للنشر الجزائر،أفريل 1984م.
- أبو الفدا عماد الدين:
92-المختصر في أخبارالبشر(تاريخ أبي الفدا)،المجلد الأول،الجزء الثاني،دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،دون تاريخ الطبع.
93-- ابن فرحون ابراهيم بن نور الدين (ت799هـ/1396م):
الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب،دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنان،الطبعة الأولى ،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،1417هـ/1996م.
- ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي(ت 403هـ/1012م)
94-تاريخ علماء الأندلس (تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس)،تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي،الطبعة الأولى،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1417هـ/1997م.
- ابن القاضي أحمد
95-جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس،القسم الأول والقسم الثاني،دار المنصور للطباعة والوراقة،الرباط،1973م.
- القرافي بدر الدين محمد بن يحي(ت946هـ/1533م).
96-توشيح الديباج وحلية الابتهاج،تحقيق أحمد الشتيوي،الطبعة الأولى ،دار الغرب الإسلامي،1403هـ/1983م.
- القشيري عبد الكريم بن هوزان(ت465هـ/1072م)

97-الرسالة القشيرية في علم التصوف،إعداد وتقديم محمد بن عبد الرحمن المرعشلي ،الطبعة الأولى ،دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان،1419هـ/1998م.
- ابن القطان أبو الحسن على بن محمد(ت628هـ/1230م):
98-نظم الجمان،تحقيق محمود علي مكي،المطبعة المهدية،تطوان،المغرب،دون تاريخ الطبع
- ابن القنفذ أبو العباس أحمد القسنطيني(ت810هـ/1407م)
99-أنس الفقير وعز الحقير،نشر وتصحيح محمد الفاسي،أدولف فور،المركز الجامعي للبحث العلمي،الرباط،1965م.
100-الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية،تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر،عبد المجيد التركي،الدار التونسية للنشر،تونس 1968م .
- ابن الكردبوس أبو مروان عبد الملك التوزري (توفي أواخر القرن السادس الهجري):
101-تاريخ الأندلس(لابن الكردبوس و وصفه لابن الشباط)،تحقيق أحمد مختار العبادي ،معهد الدراسات الاسلامية ،مدريد،1971م.
- الكلاباذي أبو بكر محمد (ت 380هـ/990م):
102-التعرف لمذهب أهل التصوف (لولا التعرف لما عرف التصوف)،تحقيق عبد الحليم محمود ،طه عبد الباقي سرور،دار احياء الكتب العربية،القاهرة،1380هـ/1960م.
- مجهول:
103-الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية،تحقيق سهيل زكّار،عبد القادر زمامة ،الطبعة الأولى،دار الرشاد الحديثة ،الدار البيضاء،1399هـ/1979م.
-مجهول:
104-مفاخر البربر،دراسة وتحقيق محمد يعلي ،المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ،الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي،مدريد،1996م.
-المحاسبي أبو عبد الله الحارث بن أسد(ت243هـ/857م):
105- الرعاية لحقوق الله،تقديم عبد الحليم محمود،تحقيق عبد القادر أحمد عطا،الطبعة الثالثة،دار الكتب الحديثة ،عابدين مطبعة السعادة ،القاهرة،1390 هـ/1970م .
- مخلوف محمد بن محمد (1360هـ/1940م):
106-شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ،تعليق وتخريج عبد المجيد خيالي ،جزآن،الطبعة الأولى ،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1424 هـ/2003م.

المراكشي العباس بن ابراهيم (ت1378هـ/1958 م):
107-الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام،راجعه عبد الوهاب ابن منصور،أربعة أجزاء المطبعة الملكية،الرباط،صدرت ما بين سنتي 1993و 1998م.
- المراكشي عبد الواحد بن علي (حي سنة 613هـ/1216م):
108-المعجب في ذكر افريقية والمغرب،تحقيق محمد سعيد العريان،مطبعة الاستقامة بالقاهرة ذو الحجة 1369 هـ/أكتوبر 1950م.
- المراكشي محمد بن محمد بن عبد الملك(634-703هـ /1236—1303م)
109-الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة،تحقيق محمد بن شريفة ،السفر الأول ()قسمين)،دار الثقافة بيروت،لبنان،دون تاريخ طبع.
السفر الخامس،القسم الأول،تحقيق إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت،لبنان،1965م
السفر الخامس،القسم الثاني ،تحقيق إحسان عباس،دار الثقافة ،بيروت،لبنان،دون تاريخ طبع.
السفر السادس ،تحقيق إحسان عباس ،الطبعة الأولى ،دار الثقافة ،بيروت،لبنان ،1973م.
- ابن مرزوق أبو عبد الله محمد الخطيب (ت 781 هـ/1379):
110-المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن،تحقيق ماريا خيسوس بيفيرا ،تقديم محمود بوعياد ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1401 هـ/1981م .
- ابن مريم محمد بن محمد المديوني (ت1014 هـ1605م):
111-البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ،مراجعة وطبع محمد ابن أبي شنب ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،دون تاريخ طيع.
- المزاري الآغا بن عودة (توفي بعد 1897م)
112-طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى آواخر القرن التاسع عشر، تحقيق يحي بوعزيز ،الجزء الأول،الطبعة الأولى،دار الغرب الإسلامي بيروت،لبنان،1990م.
- مسلم بن الحجّاج:
113-صحيح مسلم(بشر ح الامام محي الدين النووي المسمى المنهاج)،تحقيق خليل مأمون شيحا،الجزء الثامن عشر،الطبعة الخامسة،دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،1419هـ،1998م.

- المقري أحمد بن محمد التلمساني(ت1041هـ/1631م):

114-أزهار الريّاض في أخبار عيّاض،الجزء الثالث،صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة،دون تاريخ طبع.
115-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تحقيق إحسان عباس، خمسة أجزاء الثاني،والثالث ،الطبعة الثانية،دار صادر للطباعة والنشر،بيروت ،لبنان ،1997م .
- المكي تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (ت832 هـ/1419م):
116-العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين،تحقيق فؤاد السيد ،جزآن،مطبعة السنة المحمدية ،عابدين مصر،1385هـ/1966م.
- المناوي زين الدين محمد عبد الرؤوف (952 هـ/1021م):
117-الكواكب الدّرية في تراجم السادة الصوفية،تحقيق محمد أديب الجادر ،ثلاثة أجزاء ،الطبعة الأولى ،دار صادر ،بيروت ،لبنان،1999م.
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم.
118-لسان العرب ،المجلد السابع،دار صادر ،بيروت،لبنان،دون تاريخ الطبع.
- النبهاني يوسف إسماعيل (ت1350هـ/1930م):
119-جامع كرامات الأولياء ،تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوه عوض ،جزآن،الطبعة الأولى ،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،مصر ،1381هـ/1962م .
-ابن الوردي زين الدين عمر(ت749هـ/1348م):
120-تاريخ ابن الوردي ،الجزء الأول، الطبعة الأولى ،دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان 1417 هـ/1996م .
- الوزاني حسن بن محمد الفاسي(ت947هـ/1550م):
121-وصف افريقيا،ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر،الجزء الثاني،الطبعة الثانية،دار الغرب الاسلامي،بيروت،لبنان،1983م.
- الونشريسي أبو العباس أحمد بن أحمد بن يحي (ت914 هـ/1511م):
122-المعيار المغرب والجامع المعرب عن فتاوي علماء إفريقيا والأندلس والمغرب،خرجة جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ،أربعة أجزاء ،دار الغرب الإسلامي بيروت،لبنان،2000م.
- ابن يوسف أبو الحسن علي (ت في القرن 8 هـ):
123-الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق حسين مؤنس ،الطبعة الثانية،دار الشروق،القاهرة،1986م.

2- المراجع العربية:

- أحمد علي:

124-الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري،الطبعة الأولى ،دار ضلاس للدراسات والترجمة والنشر،دمشق،1989م.

- ارزقي فراد أمحمد:

125-القوى المغربية في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف القرن الخامس الهجري الموافق للحادي عشر الميلادي ،ديوان المطبوعات الجامعية ،بن عكنون ،الجزائر،دون تاريخ الطبع

- أعراب سعيد:

126-مع القاضي أبي بكر العربي ،الطبعة الأولى ،دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان،1407هـ/1987م

- أمين أحمد :

127-ظهر الإسلام، الجزء الثالث ،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،1962 م

- بالي مرفت عزّت:

128-الاتجاه الاشراقي في فلسفة ابن سينا،الطبعة الأولى ،دار الجيل، بيروت،لبنان، 1414هـ /1994 م

بوتشيش ابراهيم القادري:

129-إسهامات في التاريخ الاقتصادي الاجتماعي لمدينة مكناس،تقديم محمد المنوني ،منشورات عمادة جامعة مولاي إسماعيل مطبعة الفضالة ،المحمدية ،المغرب 1997م.

130-المغرب والأندلس في عصر المرابطين – المجتمع- الذهنيات – الأولياء..الطبعة الأولى دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ،لبنان،نيسان (أبريل)1993م

131-تاريخ الغرب الإسلامي، (قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة)،الطبعة الأولى ،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،أيلول(سبتمبر)1994م

132-مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين ،الطبعة الأولى الطليعة للطباعة والنشر،لبيروت،لبنان،حزيران (يونيو)1998م.

- بونابي الطاهر:

133-التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين /12 و 13 الميلاديين ،(نشأته – تياراته دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، دون تاريخ طبع.

- بونار رابح:

134-المغرب العربي تاريخه وثقافته،الجزء الأول، الطبعة الثانية ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1981م .

135-بن بية محمود عبد الله :

الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين،الطبعة الأولى ،دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت –لبنان 1421 هـ/2000م

- التازي عبد الهادي :

136-جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري ، المجلد الأول، الطبعة الأولى ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،لبنان،1972م

- بن تاويت محمد و محمد الصادق عفيفي :

137- الأدب المغربي ،الطبعة الأولى ،مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر،بيروت،لبنان ،مايو ،1960 م

- التفتازاني أبو الوفا الغنيمي:

138- مدخل إلى التصوف الإسلامي، الطبعة الثالثة، دار الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة 1399 هـ1990م.

- التليدي عبد الله بن عبد القادر:

139- المطرب بمشاهير أولياء المغرب ،الطبعة الثالثة ،دار الأمان ،الرباط،1421 هـ/2000م .

- التواتي عبد الكريم:

140- مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس، الطبعة الأولى ، مكتبة الرشاد ،الدار البيضاء 1967 م.

- جاسم عزيز السيد:

141- متصوفة بغداد، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ،بيروت، 1997م.

- الجزائري محمد بن عبد الكريم:

142-التصوف في ميزان الإسلام، الطبعة الأولى ،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر 1997م.

- حركات إبراهيم:

143-المغرب عبر التاريخ،الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار الرشاد الحديثة ،الدار البيضاء ،1405هـ/ 1984م .

- حسن إبراهيم حسن:

144-تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،الجزء الرابع، الطبعة الرابعة عشر، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،1416هـ/1996م

- حسين حمدي عبد المنعم محمد:

145-التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1997م.

- حمادة محمد ماهر:

146-الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية 64-897 هـ/683-1492م (دراسة ونصوص) ،الطبعة الأولى ،مؤسسة الرسالة ،بيروت لبنان، 1400 هـ /1980 م .

147- أبو الخشب ابراهيم علي:

تاريخ الأدب العربي في الأندلس،دار الفكر العربي،القاهرة،دون تاريخ طبع.

- دندش عصمت عبد اللطيف:

148- الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510هـ-546هـ/1116-1151م (تاريخ سياسي وحضارة)، الطبعة الأولى ،دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1408هـ/1988م.

149- أضواء جديدة على المرابطين،الطبعة الأولى ،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،لبنان،1991 م

150-دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا 430-515هـ/1038-1121م مع نشر وتحقيق رسائل أبي بكر بن العربي ،الطبعة الأولى الأولى، دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان، 1408 هـ/1988م .

- رضا محمد:

151-أبو حامد الغزالي حياته وآراؤه ومصنفاته ،مطبعة مكتبة الوفد بمصر،1343هـ/1924م

- الركابي جودت:

152-في الأدب الأندلسي،دار المعارف بمصر،القاهرة،1960م.
- أبو ريّان محمد علي:
153-تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،1976م.
- الريسوني محمد المنتصر:
154-الشعر السنوي في الأندلس،تقديم عبد الله كنون،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،لبنان،1978م
- الزين سميح عاطف:
155-ابن عربي،سلسلة أعلام التصوف،الشركة العالمية للكتاب،بيروت ،لبنان،1408هـ/1488م
- سالم السيد عبد العزيز سحر:
156-تاريخ بطليوس الإسلامية أو غرب الأندلس في العصر الإسلامي(التاريخ السياسي)،الجزء الثاني،مؤسسة شباب جامعة الإسكندرية،6 مايو 1991م .
- سالم السيد عبد العزيز:
157-المغرب الكبير(العصر الإسلامي دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية)،الجزء الثاني ،دار النهضة العربية،بيروت،1981م.
بن سباع مصطفى:
158- السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين،تقديم أمحمد بنعبود ،الطبعة الأولى،منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية،تطوان 1999 م.
- السبتي عبد الأحد وفرحات حليمة:
159-المدينة في العصر الوسيط(قضايا و وثائق من تاريخ الغرب الإسلامي)الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي ،بيروت،لبنان،1994م
- سعد بيف أرثور وسلوم توفيق:
160-الفلسفة العربية الإسلامية(الكلام والمشائية والتصوف)الطبعة الثانية،دار الفارابي ،بيروت،لبنان،2000م .

- سيد الأهل عبد العزيز:
161-محي الدين بن عربي من شعره،الطبعة الأولى ،دار العلم للملايين، بيروت،لبنان،نيسان(أبريل)1970م.

- السيد أبو مصطفى كمال:
162-تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين،مركز الإسكندرية للكتاب،الإسكندرية،دوت تاريخ طبع.
- سيسالم عصام سالم:
163-جزر الأندلس المنسية(التاريخ الإسلامي لجزر البليار)89-685هـ/708-1287 م ،الطبعة الأولى ،دار العلم للملايين،بيروت ،لبنان، كانون الثاني (يناير)1984م .
- شاوش محمد رمضان:
164-الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي،الطبعة الأولى،مستغانم،1966م .
- شرف محمد جلال:
165-التصوف الإسلامي مدارسه ونظرياته،الطبعة الأولى ،دار العلوم العربية،بيروت،لبنان تشرين الثاني (نوفمبر)1992م .
- الشيبي كامل مصطفى:
166-الصلة بين التصوف والتشيع(العناصر الشيعية في التصوف)،الجزء الأول،الطبعة الثانية دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،1982م.
- صبحي أحمد محمود:
167-الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي (العقليون والذوقيون أو النظر والعمل)،الطبعة الثانية ،دار المعرفة ،القاهرة،دون تاريخ طبع.
الطعمية محي الدين :
168- طبقات الشاذلية الكبرى ،الطبعة الثانية ،دار الجيل،بيروت ،1416هـ/1996 م .
- طه جمال أحمد:
169- الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي(عصري المرابطين والموحدين)، الطبعة الأولى دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الاسكندرية،2004م.
170-مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين،448-668هـ/1056-1269م (دراسة سياسية وحضارية)،الطبعة الأولى ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية 2002م.
- العبادي أحمد مختار:
171- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس،مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية ،دون تاريخ طبع.
172-في تاريخ المغرب والأندلس،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،لبـنان،دون تاريخ طبع.

- عباس إحسان:
173-العرب في صقلية(دراسة في التاريخ والأدب)، دار المعارف بمصر،القاهرة،1959م.
174-تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف،الطبعة الأولى ،دار الثقافة ،بيروت،لبنان،آذار (مارس)1962م.
- عباس نصر الله سعدون:
175-دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين،الطبعة الأولى ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،1405ه/1985م .
عبد الحميد سعد زغلول:
176-تاريخ المغرب العربي تأسيس الدولة وقيامها،الطبعة الخامسة،نشأة المعارف بالاسكندرية 2000م.
عبد الله عبد العزيز:
177- تاريخ المغرب (العصر القديم والعصر الوسيط)،مكتبة السلام ،الدار البيضاء،مكتبة المعارف الرباط ،دون تاريخ طبع.
178- مظاهر الحضارة المغربية،المغرب ،1957م .
179- معطيات الحضارة المغربية ،الجزء الأول،الطبعة الثالثة ،دار الكتب العربية ،الرباط ،1963 م
- عتيق عبد العزيز:
180-الأدب العربي في الأندلس، الطبعة الثانية،دار النهضة العربية للطبتاعة والنشر ،بيروت، لبنان،1976م.
- عزوز محي الدين:
181-التطور المذهبي بالمغرب ودراسة قصة حي بن يقظان،الشركة التونسية للتوزيع،تونس 1976م.
- بن عسكر أبو عبد الله و بن خميس أبو بكر:
182- أعلام مالقة ،تقديم وتعليق عبد الله المرابط الترغي،الطبعة الأولى:دار الغرب الاسلامي بيروت،لبنان،دار الأمان للنشر والتوزيع ،الرباط ،1420 ه/1999 م .
- عفيفي أبو العلاء:
183-التصوف الثورة الروحية في الإسلامية ،دار الشعب للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،دون تاريخ طبع.
- علام عبد الله:

184-الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي،دار المعارف بمصر،1971م.
- العلي صالح أحمد:
185-المنسوجات والألبسة العربية في العهود الإسلامية الأولى ،الطبعة الأولى ،شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ،بيروت،لبنان،2003م.
- عنان محمد عبد الله:
186-عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس،الجزء الثاني،الطبعة الأولى،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،1384هـ/1964م.
- عيسى محمد عبد الحميد:
187-تاريخ التعليم في الأندلس،إشراف لويس سواريث فرناندیث ،تقديم عبد الغني عبود،الطبعة الأولى ،دار الفكر العربي،القاهرة،1982م.
- غافة ابراهيم:
188-الشيخ محي الدين بن عربي وتأثيره في العالم الإسلامي والعالم المسيحي،دار هومة للطباعة والنشر،بوزريعة ،الجزائر ،2001م.
- فتاح عرفان عبد الحميد:
189-نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها،الطبعة الأولى ،دار الجيل ،بيروت،لبنان،1413هـ/1993م.
- فروخ عمر:
190- تاريخ الأدب العربي(الأدب في المغرب والأندلس من أوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة)الجزء السادس،الطبعة الأولى ،دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان،حزيران(يونيو)1983م.
191-التصوف في الإسلام،دار الكتاب العربي ،بيروت،1401هـ/1981م.
- أبو الفضل محمد علي :
192-شرق الأندلس في العصر الإسلامي(515-686هـ/1121-1287م)(دراسة في التاريخ السياسي و الحضاري)،دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية،1996م.
- الفيومي محمد ابراهيم :
193- تاريخ الفلسفة الاسلامية في المغرب و الأندلس ،الطبعة الأولى ،دار الجيل ،بيروت ،1417 هـ/1997 م
- قاسم محمود:

194- الخيال في مذهب محي الدين بن عربي،معهد البحوث والدراسات العربية،1969م.
- القبلي محمد:
195-مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط،الطبعة الأولى ،دار توبقال للنشر،الدار البيضاء،المغرب،1987م.
-بن قربة صالح :
196- عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1991 م
- كامل عمر عبد الله:
197-التصوف بين الافراط والتفريط،الطبعة الأولى ،دار ابن حزم،بيروت،لبنان،1422هـ/2001م.
- كحالة عمر رضا:
198-معجم المؤلفين ،(تراجم مصنفي الكتب العربية)،دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان،دون تاريخ طبع.
- محمد عويضة كامل محمد:
199- ابن مسرّة محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح القرطبي الفيلسوف الزاهد،الطبعة الأولى ،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1414 هـ/1993م.
- محمود حسن أحمد:
200-قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى،الطبعة الثانية ،دار الكتاب الحديث،جامعة القاهرة،1416هـ/1996م.
- محمود عبد الحليم:
201-العارف بالله أبو العباس المرسي،منشورات المكتبة العصرية،صيدا ،بيروت،دون تاريخ طبع.
- مسعد سامية:
202-الحياة الاقتصادية والاجتماعية في اقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين من 484 إلى 620هـ/من 1092 إلى 1223م،الطبعة الأولى،الناشر مكتبة الثقافة الدينية القاهرة،1423هـ/2003م.
المعموري الطاهر:
203-الغزالي وعلماء المغرب،الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1990م
بن منصور عبد الوهاب :
204- أعلام المغرب العربي ،ثلاثة أجزاء ،المطبعة الملكية ،الرباط ،1399 هـ/1979 م .

- المنوني محمد:
205-حضارة الموحدين، الطبعة الأولى ، دار توبقال للنشر،الدار البيضاء ،المغرب ،1989م
206-ورقات عن حضارة المرينيين ،الطبعة الثانية ،منشورات كلية الآداب بالرباط.مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،1416هـ/1996م.
- المهدي صالح:
207-الموسيقى العربية مقامات ودراسات ،الطبعة الأولى ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت 1993م.
- موسى عز الدين أحمد:
208-النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ،الطبعة الأولى، دار الشروق ،بيروت،لبنان،1403هـ/1983م
- موسى عز الدين عمر:
209-الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم ،الطبعة الأولى ،دار الغرب الإسلامي بيروت،لبنان،1411هـ/1991م.
210-دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي،الطبعة الأولى ،دار الشروق ،بيروت،لبنان،1403هـ/1983م.
- مؤنس حسين:
211- تاريخ المغرب والأندلس،الطبعة الأولى ،دار ومطابع المستقبل ،القاهرة،1980م .
212-الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة 512 هـ/ 1118م مع أربع وثائق جديدة ،مكتبة الثقافة الدينية،بور سعيد،1413هـ/1992م.
213-معالم تاريخ المغرب والأندلس ،الطبعة الأولى ،دار ومطابع المستقبل بالفجالة ،القاهرة،1980م.
- النجار عبد المجيد:
214-المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي ت 524 هـ/1129م،(حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب)، الطبعة الأولى ،دار الغرب الإسلامي بيروت،لبنان،1403هـ/1983م.
- الهرفي سلامة محمد سليمان:
215-دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ،(دراسة سياسية وحضارية)،دار الندوة الجديدة بيروت،لبنان،1405 هـ/1985م.

- هلال إبراهيم:
216-التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة ،الطبعة الأولى ،دار النهضة العربية ،القاهرة 1395هـ/1975 م.
- هويدي يحي:
217-تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية،الجزء الأول،مكتبة النهضة المصرية القاهرة،1965م .
- الولي طه:
218-المساجد في الإسلام،الطبعة الأولى ،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،محرم،1409هـ/آب 1988م.
- اليازجي كمال:
219-معالم الفكر العربي في العصر الوسيط،الطبعة الخامسة ،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،1974م .

3-المراجع المترجمة:

أرنولد سيرتوماس:
220-تراث الإسلام،تعليق جرجيس فتح الله،الطبعة الثانية،دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت،لبنان،تشرين الأول،(أكتوبر)1972م.
- أشباخ يوسف:
221-تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين،ترجمة محمد عبد الله عنان،الطبعة الثانية،مؤسسة الخانجي بالقاهرة،1377هـ/1958م.
222- أوليري دي لاسي:
الفكر العربي ومركزه في التاريخ،ترجمة إسماعيل البيطار،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،لبنان،دون تاريخ طبع.
- بالنثيا أنخل حنبثالث:
223-تاريخ الفكر الأندلسي ،ترجمة حسين مؤنس،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة، 1945م
- برنشفيك روبار:

224-تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م ،ترجمة حمّادي الساحلي الجزء الثاني ،الطبعة الأولى ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ،1988م .
- بروفنسال ليفي:
225-الإسلام في المغرب والأندلس،ترجمة السيد محمد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي ،مراجعة لطفي عبد البديع ،مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية ،1990م
226-مجموع رسائل موحدية، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية،1941م.
- بل ألفرد:
227-الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح حتى اليوم ،ترجمة عبد الرحمن بدوي الطبعة الثالثة ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،لبنان،1987م.
- بلاثيوس أسين:
228-ابن عربي حياته ومذهبه،ترجمة عبد الرحمن بدوي،مكتبة الانجلو المصرية،القاهرة، 1965م
- جولدت تسهير أجناس:
229-العقيدة والشريعة في الإسلام(تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي)، ترجمة وتعليق محمد يوسف موسى ،علي حسن عبد القادر، عبد العزيز عبد الحق، الطبعة الثانية ،دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد،رمضان 1378هـ ،مارس/ 1959 م .
- حتي فيليب:
230-الإسلام منهج حياة، ترجمة عمر فروخ، الطبعة الأولى،دار العلم للملايين، بيروت،لبنان،أيار (مايو)1972م.
- روجي إدريس الهادي:
231-الدولة الصنهاجية (تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م)،ترجمة حمادي الساحلي،الجزء الأول،الطبعة الأولى ،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،1992م.
- شوفيلي جان:
232-التصوف والمتصوفة ،ترجمة عبد القادر قنيني ،افريقيا الشرق المغرب،الدر البيضاء،افريقيا الشرق ،بيروت ،لبنان،1999م
- طاروجان وجيروم:
233-أزهار البساتين في أخبار الأندلس والمغرب على عهد المرابطين والموحدين،ترجمة وتعليق أحمد بلافريج و محمد الفاسي،المطبعة الوطنية لصاحبها عباس التناخي ،الرباط،1349هـ .

- غني قاسم:
234-تاريخ التصوف في الإسلام،ترجمة عن الفارسية صادق نشأت ،راجعه أحمد ناجي القيسي ومحمد مصطفى حلمي،مكتبة النهضة المصرية ،والقاهرة،1970م.
- لي تورنو روجي:
235-حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر،ترجمة أمين الطيب،الدار العربية للكتاب،ليبيا ،تونس،1982م.
- هوبكنز ج،ف،ب:
236-النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى ،ترجمة أمين توفيق الطيب،الدار العربية للكتاب،ليبيا تونس،1980م

4- الرسائل الجامعية:

- بلغيث محمد الأمين:
237-الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين،رسالة ماجستير ،معهد التاريخ،جامعة االجزائر،1406 هـ1407 هـ/1986 -1978م
238-الحياة الفكرية في عصري المرابطين ،دكتوراه ،قرص مضغوط.
- توات الطاهر محمد:
239-أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن ،دكتوراه في الأدب ،كلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية وآدابها ،جامعة الاسكندرية 1991م
- ابن حمادي عمر:
240-الفقهاء في عصر المرابطين،شهادة التعمق في البحث،القسم الثاني تونس ، 1987م.
- دبوب محمد:
241-مساهمة الحركة الصوفية في المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ببلاد المغرب الإسلامي وتفاعلاتها خلال القرنين (3هـ-5هـ/9 م -11م) رسالة ماجستير ،معهد التاريخ،جامعة الجزائر 2000-2001م.
- ديب صفية:
242-التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصري الموحدين،رسالة ماجستير ،معهد التاريخ ،جامعة الجزائر،2001م.

- قريبز محمد:
243-الشعر الصوفي في الأندلس في عصر المرابطين والموحدين ،رسالة ماجستير ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،قسم اللغة العربية،جامعة الجزائر1406هـ/1986م.

4-الدوريات:

-بوتشيش ابراهيم القادري:
244-ظاهرة التسول في الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري،مجلة التغيرات الاجتماعية 23-24 نيسان، أفريل2001م.
- البوزيدي أحمد:
245-مؤسسة الزوايا بوادي درعة ق 10 و 11 هـ /16 و 17 هـ بين الإشعاع العلمي والانتشار الصوفي مجلة أمل، العدد 20-19 مزدوج، السنة السابعة ،منشورات أمل 2000م
- البوعبدلي المهدي:
246-الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى ،مجلة الأصالة ،العدد 13 ،السنة الثالثة، مارس أفريل 1973م.
- بونار رابح:
247-عبد الحق الاشبيلي البجائي ،محدث القرن السادس الهجري ،الأصالة ،العدد 26 جويلية 1975م.
- الجراري عبد الله:
248-أبو الفضل يوسف ابن النحوي المغربي ،مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية،العدد الثاني ،السنة العاشرة ،شعبان 1386 هـ/ديسمبر 1966م .
- الخلادي عبد القادر:
249-أبو مدين الغوث دفين تلمسان 520 –594 هـ/1126-1197 م ،مجلة الأصالة، العدد26 جويلية 1975م
- دبوب محمد:
250-دور حركة صوفية المغرب الإسلامي في الحياة الثقافية والفكرية وتفاعلاتها بالمشرق الإسلامي حولية المؤرخ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ،الأبيار العدد الثاني ،2002م.

- طالبي عمار:
251-الحياة العقلية في بجاية ،(الفلسفة والكلام والتصوف) ،مجلة الأصالة ،العدد 19 ،السنة الرابعة،مارس أفريل 1974م .
- عدّاس كلود:
252-التصوف الأندلسي وبروز ابن عربي ،موسوعة الحضارة العربية في الأندلس ،تحرير سلمي الخضراء الجيوشي ،الجزء الثاني،الطبعة الثانية، مركـز دراسات الوحدة العربية بيروت،لبنان،تشرين الثاني (نوفمبر 1999م
- غيشار بير:
253-التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين ،موسوعة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، الجزء الثاني،تشرين الثاني،نوفمبر 1999م.
- بن قربة صالح
254- دور تيار التصوف و أثره في الحياة السياسية خلال القرن السادس في العهد العثماني،مجلة التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور،منشورات مخبر الدراسات التاريخية و الفلسفية،جمعة منتوري ،قسنطينة،28 آيار (ماي) 2002 م .
- قريبز محمد:
255-تاريخ دخول التصوف إلى الغرب الإسلامي (النشأة والتطور)،مجلة الأصيل ،منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ،الجزائر ،1420هـ/1999م
- مجاني بوبة:
256-عبد المؤمن بن علي والحركة الصوفية ،الملتقى الوطني الثاني حول عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي الجزائري والدولة الموحدية ،الطبعة الأولى،ندرومة 03 إلى 06 نوفمبر 1998م / 13 إلى 16 رجب 1419هـ.

5- المعاجم:

257-إبراهيم أنيس وآخرون:
المعجم الوسيط ،ج2، الطبعة الثانية ،دار الأمواج، بيروت،لبنان،1990.
- الباشا محمد:

258-الكافي (معجم عربي حديث)الطبعة الأولى، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ،بيروت،لبنتان،1412هـ/1992م .

- البستاني بطرس:

259-دائرة المعارف (قاموس عام لكل فن ومطلب)،الجزء السادس،دار المعرفة ،بيروت، لبنان،دون تاريخ طبع.

- العجم رفيق:

260-موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، الطبعة الأولى ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان 1999م

- مسعود جبران:

261-الرائد(معجم لغوي عصري) الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ،بيروت،لبنان،1964م

المراجع الأجنبية:

-Albir Michel

262-Ibn arabi Les soufis d'andalousic,suivi de la vie Merveilleuse de Dhû-L-Nûn l'egyptien,premiere édition , sindbad,paris,1979.

-Andrée julien charel.

263-Histoire de l'Afrique du nord des origines a 1830 édition saynot a rivages, paris ,1994.

-As sakati de Malga

264-Un manuel Hispanique des Hisba,hibrairenest laraux,paris, 1963.

- Azoulai Martine

265-L'histoire du mond le moyen àge,un primeri grafica éditoriale,Italy,1997

-Bel(A):

266-Coup D'œil sur l'islam en berberie, Extrait de la revue des religiouse, paris, janvier février,1917.

267-L'islam mystique, Typographie jules carbonel, Alger

- Dermenghen Emile

268-Vies des saints musulmans, éditions D'anjour d'hviplan de la tour (var)1981.

-Dhina Atallah

269-Les états de L'occident musulmane aux 13 em 14 et 15 em siècle des publications universitaires,Alger.
-Dozy Rinhart
270-Supplément anscdictionaire sarabes,Tome I et Tome II ,librairie du libano, Beyrouht,1991.
-Goodrich David Raymond
271-A "Sufi" Revolt in Portugal Ibn quasi and His-Kebab Khal Al-Nalay (Arabic text)columbia university ph- d ,1978
-Guettât Mahmoud
272-La musique classique du Maghreb , la bibliothèque arabe sindbad, Paris, 1980.
-Laraoui Abd allah:
273-L'histoire du Maghreb (un essai de synthèse) Maspero français paris,1982.
274-Levi Provençal :
Histoire de l'espagne musulmanes, Tome III, maisoumeure et larose paris,France, 1999.
--Louis Rinn:
275-Marabauts et Khouan(étude l'islam en Algérie), librairie de la cadémie 1884.
-Marçais (G):
276-Tlemcen, librairie renouard,H.lairens éditeur , parie , 1950
-Schimel Annemarie:
277-Le soufisme ou les dimensions mystique de l'islam,éditions du cerf,paris1996.

المعاجم الأجنبية:

- Yves thiraval:
278-Larousse:dictionnaire de civilisation musulmane , anbim, imprimeur ligugé poitiers , paris , Françe 1995.

الألف

أبو ابراهيم اسحاق الهزرجي ص 83 ،160 ،210
أبو إبراهيم اسماعيل الرجراجي ص 159 ،162 ،182
ابراهيم بن تاشفين ص 11
ابراهيم بوتشيش ص 71
أبو ابراهيم بن مسرة ص29، 33، 34، 40، 118.
أبو ابراهيم النفزي ص 219، 221.
ابراهيم بن يوسف(ابن قرقول) ص 101
ابراهيم بن يسول الاشبيلي ص 216
أبو الأجنس ص 33
أحمد بن حمدين ص 190 ،203
أحمد عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي ص 239
أحمد عبد الرحمن بن الصقر الأنصاري ص 239
أحمد عبد القادر الغرناطي ص 81
أحمد عبد القادر بن عميرة المخزومي ص 239
أحمد بن عبد الله المالقي ص 82
أحمد بن عمر بن أفرند ص 73
أحمد بن عمر بن خلف الغرناطي ص 101
أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التميمي ص 34
حمد بن محمد بن أحمد الأنصاري ص 78
أحمد بن محمد الكناني ص104
أحمد بن محمد المخزومي ص 101
أحمد بن أبي محمد النفري ص 75 ،212 ،218
أحمد بن مخلوف المسيلي ص 34
أحمد بن معد أبو العباس الاقليشي ص 101، 219
آدم ص 31 ،110
ادريس يعقوب بن المنصور ص 200
أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد الطليطلي ص 81
أبو إسحاق إبراهيم بن جابر المخزومي ص 79
أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الصمد ص182
أبو اسحاق إبراهيم بن المرأة ص 114 ،221
أبو إسحاق ابراهيم بن ميمون الزواوي ص 97
أبو إسحاق أصاصاي ص 201
أبو إسحاق الأندلسي ص 137.

أبو إسحاق باران بن يحي المسوفي ص 50،
أبو إسحاق البلفيقي ص 167 ،183
إسحاق بن علي ص 11
ابن الأسود ص 174 ، 196
أسين بلاتيوس ص 45
ابن الألبيري محمد الأنصاري ص 197
ألفونس أنريكيت ص 191
ألفونسو السادس ص 6 ،7 ،8
آمنة بنت يغروسن ص 72 ،129 ،131 ،165
أمية ابن الصلت ص 64
أنخل حنبثالث بلنثيا ص 29 ،40
الأوزاعي ص 46

الباء

ابن باجة ص 49 ،115
البخاري ص 212 ،218 ،219 ،220
براز بن محمد المسوفي ص 190
ابن برجان ص 76 ،87 ،103 ،105 ، ،196 ، ،217 ،222 ،243
ابن بشكوال ص 33
بقي بن مخلد ص 48
أبو بكر أحمد المخزومي ص 178
بكر بن حماد بن سمك الزناتي ص 31
بكر بن أبي الحليل ص 102
أبو بكر الطرطوشي ص 12 ، 51
أبو بكر العابد ص 143
أبو بكر بن العربي ص 41 ،42 ،43 ،45 ،48 ، 85 ،118 ،198 ،209
أبو بكر بن عمر بن أحمد ابن الفصيح ص 197
أبو بكر بن عمر اللمتوني ص 4 ،5
أبو بكر محمد بن الحسين الميورقي ص 105
أبو بكر محمد بن نعمة القرشي ص 41
أبو بكر بن مخلوف بن خلف الله ص 195
أبو بكر مرزوق ص 141 ،197.

أبو بكر يحي بن محمد بن وزرج ص 173
بلال بن عبد الله الحبشي ص 93
بل ألفرد ص 163،29
البهلول بن راشد ص 30
بونابي ص 39 ،71
البوني ص 243

التاء

تاشفين بن علي ص 11 ،50 ،5 ،148 ،176
تاشفين بن محمد ص 209
تقي الدين الموصلي ص 112
أبو تمام الواعظ الوهراني ص 80
أبو تميم الأسود ص 162 ،165
تميم بن يوسف ص 166 ،173

الجيم

أبو جبل ص 87 ،211
جبلة بن عبد الرحمن الصدفي ص32
أبو جعفر أحمد بن علي الأنصاري ص 82
أبو جعفر أحمد بن عبد الملك الصبي ص 73
أبو جعفر أحمد بن محمد القرطبي ص 61 ،74
أبو جعفر أحمد بن مليك التجيبي ص 82
أبو جعفر الجيّار المالقي ص 131 ،179
أبو جعفر عمر بن معاد ص 156
أبو جعفر بن يوسف البلنسي ص 81

الحاء

الحارث بن أسد القفصي ص 32
الحارث بن أسد المحاسبي ص 22 ، ،80 ،88 ،90 ،104
أبو حامد الغزالي ص8، 12، 24، 25، 41، 42، 43، 44، 48، 51، 52، 53، 77،79، 84، 85، 86، 87، 89، 90، 95، 96، 104، 107، 118، 123، 124، 125، 170، 180، 184، 185، 186، 194، 195، 197، 198، 204، 209، 212، 240، 241، 246.
حاميم ص 192
أبو الحسن الأشعري ص 52
أبو الحسن البرجي ص 197
الحسن البصري ص 21
أبو الحسن الجرالي ص 45 ،102 ،110 ،112 ،118 ،128 ،144 ،156 ،164 ،203 ،213 ،217 ،219 ،221 ،222 ،241 ،242
أبو الحسن بن حرزهم ص 74 ،85 ، 88 ،104 ،118 ،125 ،130 ،139 ،144 ،151 ،162، 166 ،175 ،176 ،177 ،198،181 ،218 ،220
أبو الحسن بن دلال القرشي ص102 ، 219
أبو الحسن السلاوي ص 88
أبو الحسن سيد المالقي ص 175 ،224
أبو الحسن الشاذلي ص 94 ،96 ،129 ،207 ،222
أبو الحسن الششتري ص 29 39 ،45 ،54 ،143 ،183 ،200 216 ،218 ،220 ،235 ،237 ،238
أبو الحسن عبد الرحمن القرطبي ص 75
أبو الحسن بن عبد الله بن سينا ص 26 ،27 ،99 ،109 ،111 115 ،118
أبو الحسن عبيد الله الأزدي ص 83
أبو الحسن عبيد الله النفزي ص 222
أبو الحسن علي بن الحسين الصديني ص 203
أبو الحسن علي بن خلف القرشي ص 101
أبو الحسن علي بن خلف الكومي ص 82
أبو الحسن علي بن عبد الرحمن المالقي ص 81
أبو الحسن بن علي بن عمر المليانى ص 112
أبو الحسن بن غالب القرشي ص 88
أبو الحسن علي بن محمد الزواوي ص 144
أبو الحسن الغرناطي ص 217
أبو الحسن بن فتوح النفزي ص 229 ،240
أبأبو الحسن نجا بن عبد الله الأموي 203،
الحسين ص 239
الحسين بن منصور الحلاج ص 24 ،27
أبو حفص عمر بن أبي يعقوب ص 182

أبو الحجاج الضرير ص 177
أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي ص 158
أبو حدو القاسم الأيلاني ص 209
الحسن ص 239
أبو حفص عمر المهناتي ص 193 ، 192
الحكم بن هشام ص 46 ،48
ابن حمديس ص 68
ابن حوقل ص 38

الخاء

ابن خرز الأوربي ص 149
ابن الخطيب ص 6 ،116 ،187 ،191 ،199
ابن الخطيئة اللخمي ص 216
ابن خلدون ص 40 ،58 ،61 ،203 ،223
خلف بن سليمان ص 81

الدال

أبو داود السجستاني ص 218 ،219
دبوب محمد ص 71
ابن دبوس ص 195 196

الذال

ذو النون المصري ص 26 ،27 ،40

الراء

رابعة العدوية ص 21
الراضي بالله ص 9
أبو الربيع التلمساني ص 137
أبو الربيع سليمان الأندلسي ص 198
أبو الربيع المالقي ص 101
ابن رشد ص 49 ،118 ،146
ريحان الأسود ص 163

الـــزاي

أبو زكريا بن محجوبة القرشي ص 112
أبو زكريا يحي الزواوي ص53 ، 80 ، 91 ، 111، 128، 145، 156، 183، 200، 201، 207، 211، 213، 214، 215، 217، 219، 222، 226
أبو زكريا يحي بن صالح ص 72
أبو زكريا يحي بن محمد الجراوي ص 148
،155 ،158 ،165 ،176
أبو زكريا يحي بن موسى المليجي ص 163

السين

ابن سبعين ص 29 ، 39 ،45 ،54، 78 ،117
،130 ،154 ،222 .
سحنون بن حبيب التنوخي ص 31 ،32 ،54 ،55
،220
سعدون القروي ص 42
أبو سعيد خلف الباجي ص92، 94 ،145
أبو سعيد بن العربي ص40
سعيد بن عمران بن مشرف ص 33
السقطي ص 208
أم سلامة ص 139
السلمى ص 43
سليمي ص 234
سهل بن عبد الله التستري ص 46
سيبويه ص 222
سيدة بنت عبد الغني العبدرية ص 43

الشين

أبو شعيب السارية ص 86 ،180
أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي ص 86 ،147
،207 ،209
شهاب الدين يحي بن حبش السهروردي ص 28
،109

الصاد

صالح بن حرزهم ص 41 ،207
أبو الصبر أيوب بن عبد الله ص 74 ،88
صلاح الدين الأيوبي ص 103 ،243
ابن صمادح ص 7
صوفة بن مرة ص 20

الضـــــاد

ضياء الدين أبي العباس الأنصاري ص 78

الطـــــاء

أبو زكريا يحي بن ميمون ص 133 ،162
أبو زكريا بن يوغان الصنهاجي ص 50 ،72
،155
زهر بن عبد الملك بن زهر ص 67
ابن الزيات التادلي ص ،240
أبو زيد عبد الرحمن الفزازي ص 79 ،183
زينب ص 134
زينب النفراوية ص5

العين

عائشة ص 52
عائشة المنوبية ص 96 ،129
أبو العباس أحمد التميمي ص 179
أبو العباس أحمد المالقي ص 242
أبو العباس أحمد المعافري ص 80
أبو العباس أحمد الهواري ص 156
أبو العباس إدريس ص 18
أبو العباس التوزري ص 135
أبو العباس الخزرجي ص 142
أبو العباس السبتي ص 69، 97، 99، 127، 128، 130، 134، 138، 137، 139، 150، 159، 160، 162، 163، 168، 179، 207، 212، 213، 241
أبو العباس المرسي ص 96 ،140
أبو العباس مطرف ص 143
أبو العباس ابن اليتيم ص 101 ،216
عبد الجليل بن ويحلان ص176
عبد الحق الاشبيلي ص 75 ،76 ،78 ،124 ،168 ،201 ،219 ،223 ،227 ،239
عبد الحق البجائي ص 102 ،221 ،240 ،242
عبد الحميد صالح ص 73
عبد الرحمن التجيبي ص 220
عبد الرحمن بن الصقر الأنصاري ص 73 ،98
عبد الرحمن بن عياض ص 16
عبد الحمن الفازازي ص 230
عبد الرحمن بن مروان ص 41
عبد الرحمن بن يخلفتن الفازازي ص 222
عبد الرزاق الجزولي ص 93
عبد العزيز التونسي ص 42 ،133

طارق بن زياد ص 2
أبو طالب المكي ص 41 ،96
طاهر الصدفي ص 240
أبو طاهر السلفي ص 239
طاهر المزوغي ص 92
طريف ص 192
ابن طفيل ص 49 ،54 ،115 ، 118

أبو عبد الله التجيبي ص 112
أبو عبد الله بن الحاج ص 172
أبو عبد الله ابن الحجام ص212،178، 229،215
234
أبو عبد الله الدقاق ص 87 ،88 ،175
أبو عبد الله سلامة ص 239
أبو عبد الله شعيب الهسكوري ص 102
أبو عبد الله بن شعيب ص 143
أبو عبد الله الشوذي الحلوي ص 113 ،114 ،115
،140 ،145، 219
أبو عبد الله بن الصقيل ص 101
أبو عبد الله بن عبد الحق ص 239
أبو عبد الله عبد الرحمن ص 92
أبو عبد الله العربي ص 113
عبد الله الغزال ص 102
أبو عبد الله القلانسي ص 210
عبد الله مالك بن علي ص 140
عبد الله بن محسود ص 168
أبو عبد الله محمد التاونتي ص 83
أبو عبد الله محمد بن تميم ص 151
أبو عبد الله محمد لأزكاني ص 150
أبو عبد الله محمد بن اسماعيل ص 43
أبو عبد الله محمد بن حرزهم ص 5
أبو عبد الله محمد بن الحسن اليصلتي ص 143
أبو عبد الله محمد بن حمدين ص 16 ،61 ،170
،172 ،189، 190 ،202 ،203 .
أبو عبد الله محمد بن خلف اللخمي ص 175
أبو عبد الله محمد الخياط ص 32
أبو عبد الله محمد بن الرمامة ص 87 ،182،180

عبد القادر الجيلاني ص 41 ،89 ،129 ،213
عبد الله بن الأصم ص 148 ،175
عبد الله بن الأمان ص 157
عبد الله آمغار ص 161 ،178
أبو عبد الله البجائي ص 96
عبد الله بن أبي بكر بن مرزوت ص 93
أبو عبد الله البوني ص 93
أبو عبد الله البيفي ص158
أبو عبد الله التاودي ص 86، 104 ،-158
،209 ،210

،221
عبد الله بن محمد بن الرميمي ص 16
عبد الله محمد بن أبي زمنين ص 34
عبد الله بن محمد بن سليمان ص 44
أبو عبد الله محمد الصنهاجي ص 91
أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم ص 74
أبو عبد الله محمد بن علي ص 219
أبو عبد الله محمد بن علي العمراني ص 72
عبد الله بن محمد بن القاسم ص 45
أبو عبد الله محمد بن الكتاني ص 73
عبد الله محمد بن محمد بن سعادة ص41، 43 ،85
أبو عبد الله محمد بن محيو ص 88
أبو عبد الله محمد المصالي ص 82 ، 174
أبو عبد الله محمد بن مطو الأركشي ص 161.

عبد الله بن محمد بن مغيث ص 34
أبو عبد الله محمد بن موفق ص 84
أبو عبد الله محمد بن يحي القرطبي ص 79
،214
أبو عبد الله بن محمد بن يوسف ص 18
عبد الله محمد بن يوسف بن الآبار ص 226
أبو عبد الله المهدوي ص 156
أبو عبد الله المهريّ ص 240
أبو عبد الله موسى الأزكاني ص 37 ،128
،206
أبو عبد الله بن الميلي ص 165
عبد الله بن همشك ص 16
عبد الله الهواري ص 166
عبد الله بن ياسين ص 3 ،4، 5 ،36 ،37 ،47
،50 ،169
عبد المؤمن بن علي ص 11 ،13 ،14 ،15
،16 ،18، 56، 57، 58، 61، 63، 147،
148، 179، 180، 181، 184، 189، 190،
191، 192، 193
عبد الواحد الرشيد ص 56 ،59
ابن عبدون ص 56
العبيدي ص 184
عتاب ص 193
العتبي ص220
عتيق السمنطاوي ص 46

أبو علي بن حسن بن محمد الغافقي ص 92
أبو علي الحسن المسيلي ص 43 ،60 ،88،76
،147 ،180 ، 184 ،201،196،195 ،211 ،214
،229.
أبو علي حسين ص 164.
أبو علي الحسين بن محمد الصدفي ص 43 ، 48
،74.
أبو علي حسون ص 168
علي بن خلف بن غالب ص 103
أبو علي سالم بن سلامة السوسي ص 220
علي بن غانية ص 17
أبو علي مالك ص 145
علي بن مبارك ص 75
أبو علي محمد بن سعيد ص 48
علي بن محمد بن علي المعافري ص 78 ، 167
علي بن محمد بن هذيل ص 73 ،99 ،213 ،216
أبو علي المؤذن ص 142
أبو علي النفطي ص 92
علي بن يوسف ص 9 ،10 ،13 ،14 ،42 ،48
،49 ،50 ،55 ، 156 ،157 ،169، 170، 171،
172، 173، 174، 175، 176، 177، 195،
196، 197
عليم بن عبد العزيز ص 75 ،226
عمر بن الخطاب ص 127
أبو عمر ابن الدغدوغي ص 152

عتيق بن عيسى ص 198
عثمان بن عبد المؤمن ص 17
ابن عذارى ص 66 ، 68
ابن عربي ص 28 ،45 ،54 ،78، 92، 102، 118، 122، 123، 130، 138،136، 146، 183، 199، 201، 217، 223، 225، 228، 230، 231، 234، 235، 236، 237، 240، 241، 242، 243
ابن العريف ص 44، 60، 75، 86، 87، 90، 99، 100، 101، 102، 103، 105، 108، 124، 133، 141، 142، 173، 174، 188، 195، 196، 198، 204، 216، 223، 224، 225، 227، 229، 230، 234.
عفان بن محمد ص 34
عقبة بن نافع ص 36
أبو العلاء إدريس ص 179
أبو علي الحباك ص 128 ،141 ،177 ،178
علي بن حسن بن محمد الشقري ص 75
عمر بن صالح الصنهاجي ص 191
أبو عمر اللمتوني ص 202
أبو عمر ميمون ابن الخطاب ص 105
أبو عمران بن وجادير ص 215
أبو عمران الفاسي ص 3 ،47 ،169
أبو عمران الميرتلي ص 59 ،98 ،118 ،124 ،216 ،223 ،239
أبو عمران موسى ابن اسحاق ص 158
أبو عمران موسى الحلاج الفاسي ص 140 ،182
أبو عمران الهسكوري ص 139
أبو عمرو عثمان بن علي ص 72
أبو عمرو ميمون بن عمرو ص 33
عنان ص 234
عياض بن موسى بن عياض ص 48 ،198 ،202 ،226
عيسى بن داود ص 201
أبن عيسى محمد الترميذي ص 218 ،220
أبو العيش بن أبي زيد ص 123.

الغين

غالب بن عبد الرحمن بن عطية ص 176 ، 198

الفاء

الفتح بن خاقان ص 63
ابن الفرضي ص 33
أبو الفضل العباس ص 32
أبو الفضل القرطبي ص112
أبو الفضل ابن النحوي ص 42 ،69 ،86 ،87، 124 ،127 ، 151 ،166 ،174 ،175،196 ،197 ،211 ،214 ،221 ،231.

القاف

ابن القابلة ص 109 ، 189 ،188
ابن القاسم ص 61
أبو القاسم أحمد القيسي ص 83
أبو القاسم الجنيد ص 22 ،41 ،46 ،89 ،208
أبو القاسم عبد الرحمن البكري ص 33 ،46
بو محمد أبا الأمان ص 171 ،176
محمد بن ابراهيم بن موسى المصري الصقلي ص 46
محمد بن أحمد نمارة الحجري ص 175
أبو محمد الأيلاني ص 157
محمد بن أبي بكر مرزوق العجيسي ص 93
أبو محمد تاشفين بن محمد المكتب ص 74
أبو محمد تليجي بن موسى الدغدوغي ص 76 ،183 ،193
محمد بن تيفات اللمتوني ص 3
أبو محمد جعفر الخزاعي ص 92
محمد بن الحسين المهدي ص 107
محمد بن الحسين الميورقي ص 174
أبو محمد بن حماد الصنهاجي القلعي ص 78 ،239
أبو محمد ابن حمودة ص 149
محمد بن سعد بن مردينش ص 16 ،17 ،178
أبو محمد بن سيداري ص 108
أبو محمد صالح بن عمر ص 59 ، 83
أبو محمد صالح الماجري ص 44 ،93 ،94 ،112 ،137 ،199 ،207

القاسم بن الفتح(ابن الربوي) ص 34
أبو القاسم بن أبي الفضل ص 157
أبو القاسم بن قسي ص 11 ،16- ،105 ،108 ،118 ،124 ،186 ،188 ،191 ،193 ،203 ،212
أبو القاسم القنطري ص 104
أبو القاسم بن ورد ص 197
أبو قرن ص 104
ابن قزمان ص 59 ،65
القشيري ص 24 ،25 ،41 ،43 ،53 ،104 ،118
ابن قمرة ص 32
قيس ص 233 ،235

اللام

لبنى ص 234
أبو لقمان بن يعقوب الأسود ص 174
ليلى ص 235

الميم

مالك بن أنس ص 46 ،47 ،48 ،55، 61 ،218
مالك بن وهيب ص 49
المأمون بن المنصور ص 18
المتوكل بن الأفطس ص 7
ابن المجاهد ص 216
محمد بن عبد الله الأنصاري ص 79 ،143
أبو محمد عبد الله الخضرمي القرطبي ص 232
أبو محمد عبد الله بن أبي علي الومغاري ص177
محمد بن عبد الله الكتامي ص 102
أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمر بن عبادة القلعي ص 239
أبو محمد عبد الله بن التدلسي ص 112
أبو محمد عبد الله المليجي ص 176
أبو محمد عبد المنعم بن عتيق ص 203
محمد بن عبد المؤمن ص 63
محمد بن عبد الواحد بن ابراهيم ص 82
أبو محمد صالح بن محمد الفاسي ص 92
محمد بن أبي عامر ص 48
أبو محمد عبد الجليل الأنصاري ص 217
أبو محمد عبد الجليل بن ويحلان ص 42 ،165 ،166 ،214
أبو محمد عبد الحق أمسطوط ص 113
أبو محمد عبد الحق برطلة الأزدي ص 114
أبو محمد عبد الحق بن الربيع الأنصاري ص 112 ،203
محمد بن عبد الحق بن سليمان اليعفري ص 93
أبو محمد عبد الخالق ص 130
أبو محمد عبد الرحمن بن سليمان التجيبي ص 78 ،211 ،239
أبو محمد عبد السلام التونسي ص 145 ،151 ،163 ،165 ،166 ،168 ،173 ،176 ،178 .214،
أبو محمد عبد السلام ابن أبو عبد الله أمغار ص 82
أبو محمد عبد السلام مشيش ص 94
أبو محمد عبد العزيز ص 224 ،225
أبو محمد عبد العزيز التميمي ص 78
أبو محمد بن عبد العزيز كحيلة ص 203
أبو محمد عببد العزيز المهداوي ص 91 ،92
أبو محمد عبد الكريم الحسيني ص 201
أبو المعالي ص 43
معاوية الزواوي ص 112
المعتمد بن عباد ص 5 ،6 ،7 ،8 ،9، 64
المعتمد بالله ص 9
منية ص 137 ،138
أبو مهدي ص 211
المهدي بن تومرت ص 10 ،11 ،12 ،13 ،14 ،50 ،52 ، 61 ،169 ،178 ،181 ،182، 189، 191 ،199، 203 ،240
المهدي الفاطمي ص 108 ،192
أبو موسى الدكالي ص 144
موسى بن سعيد ص 190
موسى بن النصير ص 2

محمد بن عبيدبن حسين بن عيسى الكلبي ص 44
أبو محمد علي بن حزم ص 122 ،200 ،201
محمد بن مخلوف ص 195
محمد بن محيو الهواري ص 43 ،139
أبو محمد موسى البلنسي ص 85
محمد بن يزيد ص 34
محمد بن يحي الشلطيشي ص 109
أبو مدين شعيب ص 37 ،41 ،53، 60، 73، 76، 80، 83، 86، 88، 90، 91، 92، 93، 94، 104، 117، 118، 124، 129، 130، 138، 141، 142، 146، 150، 160، 165، 168، 182، 184، 199، 200، 201، 206، 213، 214، 225، 233، 239
ابن المرأة ص ص 114 ،115 ،140 ،199 ،211 ،218 ،219 ،221 ،239
المرتضي ص 168
أبو مروان الفحصيلي ص 93
مروان بن عبد عبد الملك ص 83
مروان بن عبد الملك اللمتوني ص 142
مروان بن عمار بن يحي البجائي ص 78
مزدلي بن تلكان ص 176
مساعد بن أحمد بن مساعد الأصبحي ص 85
المستنصر ص 57
مسلم ص 219 ،220
مسلمة بن محمد بن مسلمة ص 242

بن محمد الشنتجالي ص 39

أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي ص 44
أبو محمد يسكر الجراوي الغفجومي ص 74
ميمون بن ياسين المغربي ص 42

النون

الناصر ص 17 ، 57 ، 178
الناصر محمد بن يعقوب (المعتصم)ص 18
أبا ناس بن عبد الصمد بن أورجيع ص 178
أبو النجم هلال بن يوسن الغبريني ص 80 ،178
أبو نصر محمد الفارابي ص 26 ،27 ،99 ،115
نعم الحلف بن أبي الخطيب ص 33
أبو نعيم الاصفهاني ص 43
نونة فاطمة بنت المثنى ص 118 ،140،134

الهاء

الهادي ص106، 191
الهادي روجي إدريس ص 30
هرثمة بن أعين ص 35
هند ص 234
ابن هود الماسي ص 15 ،16 ،105 ،106 ،108 ،185 ،191 ،192 ،193 ،202 ،202 ،203
هيدور ص 31

الواو

وزجاج بن زلوواللمطي ص 3 ،36 ،47 ،75 ،155 ،169
أبو وزاغار بن علي المشترائي ص 193 ،207
أبو وزجيج الدكالي ص 161

ابن وزير ص 186 ،185 ،190 ،190
،202 ،203
أبو وكيل ميمون بن تاميمونت ص 156
أبو الوليد محمد بن عمر ابن المنذر ص 109
،185 ،189 ،191
وهب بن منية ص 30
أبو ويعزان ص 134

الياء

يتلوتان بن يتكلان ص 3
يحي بن ابراهيم الجدالي ص 3 ،4
أبو يحي أبو بكر بن ملول ص 173
يحي بن تميم بن المعز الصنهاجي ص 13
أبو يحي السائح ص 165
يحي بن عمر اللمتوني ص 4 ،169
يحي بن غانية ص ،189 ،202
يحي بن محمد بن موسى التجيبي ص 79
أبو يحي بن محيو ص 143 ،215
أبو يزيد السبطامي ص 24 ،27
أبو يعزى ص 41 ،69 ،74 ،82، 85، 88،
128، 131، 135، 149، 152، 153،
156، 157، 158، 160، 162، 163،
165، 168، 174، 181، 184، 222،
241، 142
أبو يعقوب يوسف ص 17 ،53 ،54 ،57
،69 ،142 ،179
أبو يعقوب الحكيم ص 159
ابن يعقوب ين يخلف الكومي ص 93
أبو يعقوب يوسف آمغار ص 82
يعلي أبي جبل ص 155 ،162
يمن بن زرق ص 33
يوسف البطروجي ص 190 ،203
يوسف بن تاشفين ص 4 ،5 ،6 ،7 ،8 ،9
،49 ،50 ،64 ،67 ،169 .
يوسف المنتصر ص 17 ،178 ،183
أبو يوسف المنصور ص 17 ،57 ،63 ،98

	،179 ،182 ،199 ،201.

الألف

الأغالبة ص35، 38

الباء

برغواطة ص 2، 5، 14 ،36 ،192
بنو الأحمر ص 18
بنو أمية ص6
بنو حمامة ص 59
بنو حمدين ص 61
بنو السنة ص 187
بنو عبد الواد ص 18
بنو عياض ص 61
بنو غانية ص 16 ، 184
بنو هود ص 9
بنو ورياغل ص 192
البيزنطيون ص35

الجيم

جدالة ص 3 ، 4
جزولة ص 4 ، 192

الحاء

حاحة ص 192
الحفصيون ص18
الحماديون ص 6 ، 38
حمير ص2

الدال

درعة ص 4 ، 14 ،192
دكالة ص 192

الراء

رجراجة ص 192
الروم ص 123

الصاد

صنهاجة ص 3 ، 4

الغين

اللام

لمتونة ص2، 3 ، 5 ، 65
لواتى ص 5

الميم

المرينيون ص 17 ، 18 ، 59
مسوفة ص 4 ، 5 ، 14 ، 65 ، 166
المسيحيون ص 36
الصامدة ص 36

النون

نفيس ص 3 ، 155
النورمانديون ص 15 ، 38

الهاء

هزرجة ص 192
هسكورة ص 192
الهلاليان ص 6 ، 7 ، 33
هوارة ص 192

الواو

ورغدة ص 5

غمارة ص 5 ، 14 ،192 **الفاء**	

3- فهرس الأماكن

الألف

أبدة ص 60 ، 64
الأرك ص 17، 74
آزمور ص 203 ، 207
آسفي ص 93 ، 94، 125
الاسكندرية ص 12 ، 51،13 ،63
،96
اشبيليةص 7، 9 ،16، 56، 60،
63، 64، 68، 79، 123، 124،
188، 189، 190.
أصيلا ص 36
أغمات ص 5 ، 13 ،15، 157
،166 ، 168 ، 174 ،177
افراغة ص 10
افريقية ص 15 ، 18 ، 31 ، 32 ،
35 ، 38 ،57 ،143 ،178
أقليش ص 10.
ألمرية ص 9 ، 16 ، 36، 39،
44، 60، 75، 99، 101، 108،
124، 161، 174، 183، 226
أودغشت ص 4 ، 66
إيجليز ص 13

الباء

باب الحلوي ص 145
باجة ص 188 ، 190، 191 ،
192
بجاية ص 13 ، 15 ، 17 ،36،
38، 44، 45، 60، 65، 76، 78،
80، 81، 83، 84، 91، 92،
104، 111، 112، 114، 117،
124، 174، 182، 183، 196،
211، 214، 215، 217
البحيرة ص 14
برشانة ص64
بطليوس ص 8، 16 ،39 ،191
بغداد ص 12، 123 ،244
بلنسية ص 7 ، 9 ، 16 ،67 ،124

التاء

تادلا ص 14
تارودانت ص 4 ،14
تلمسان ص 6 ، 11، 13، 14،
18، 30، 37، 51، 59، 60، 64،
69، 72، 78، 79، 82، 83، 92،
101، 113، 123، 124، 145،
163، 165، 168، 176، 182،
210، 211، 212، 214
تنس ص 6
تونس ص 17، 36 ، 43 ، 94 ،
96 ، 149
تيط ص 124 ، 177
تينمل ص 13

الجيم

جبال الريف ص 5
جبال ونشريس ص 6
جبل درن ص 4 ، 137
جبل زغوان ص 94 ،95، 96.
جبل الفتح ص 36
جبل ورغة ص 184
الجزائر ص 6، 9، 15
الجزائر الشرقية ص 16
الجزيرة الخضراء ص 7 ، 16
،190
جزيرة طريف ص 190
جزيرة قادس ص 68
جلة ص 106، 185
الجوزة ص 187
جيان ص 16 ، 60

الحاء

الحجاز ص 207
حصن البليدة ص 175
الحصن الزاهر ص 188
حصن العقاب ص 17 ،57 ،74
،75

الخاء

خندق عين الكسور ص 211

الدال

دانية ص 9 ، 55
درب ابن زيدون
دمشق ص 12

الراء

رابطة أبي اسحاق ص 206
رابطة التونسي ص 206
رابطة زرهون ص 37 ،
206
رابطة ابن الزيات ص91،
206
رابطة العقاب ص 39
رابطة القاطبة ص 39
رباط آسفي ص 36 ،45
،112 ، 137.
رباط بونة ص 38
رباط تيط ص 37
رباط تينمل ص 37
رباط الخشني ص 39
رباط روطة ص 39 ، 137
رباط سوسة ص 35.
رباط شاكر ص 36 ، 76 ،
137
رباط صلب الكلب ص38
رباط العباد ص 37
رباط عمروس ص 39
رباط ماسة ص 37 ، 108 ،
193 ، 192
رباط المنستير ص 35 ،
137
رباط نفيس ص 36
رباط هرغة ص 36

،142 ،202 بونة ص 15 ، 92 ، 93 بياسة ص 60 بيت المقدس ص 103 ،167 ، 243	حصن القصر ص 188 ،190. حصن لبيط ص 8 حصن مرجين ص 188 حصن منتيقوط ص 187 ، 188 حومة اللؤلؤة ص 91.	رندة ص 9 ، 83 الريحانة ص 39 ، 109 الريف ص 6.

الزاي الزلاقة ص 8 ، 9 **السين** سبتة ص 5 ، 7 ،12 ،15 ،61 ،65 ،97، 101، 115، 141، 189، 190، 202 سجلماسة ص 4 ، 15 ، 67، 24، 175، 192، 211، 214، 224 سرسقطة ص 7 ، 16 سلا ص 13 ،14 ،108 ،142، 191 ، 203 السودان ص 54،9 ، السوس ص 4 ،36 ،62. سوسة ص 92 **الشين** الشام ص 46 ، 123 شرق الأندلس ص 16 شريش ص 16 ، 190 ، 191 شقرص ص 178 شلب ص 39 ،106 ،125،124، 185 ،188، 190، 191 شلف ص 6 شنتمرية ص 190	عرفة ص 41 ، 89 **الغين** غرناطة ص 8 ، 16 ،17 ،18 ،68، 137 ، 173 ،198 ،202 **الفاء** فازاز ص 5 فاس ص 5 ،13 ،14، 36، 41، 43، 51، 60، 64، 68، 80، 88، 101، 123، 124، 131، 137، 142، 158، 172، 174، 175، 182، 195، 197، 207، 209، 211، 214. **القاف** القدس ص 12 ،85 قرطبة ص 7 ،16 ،33 ،34 ، 40، 41، 61، 62، 65، 68، 75، 172، 179، 189، 202، 203 قرمونة ص 16 قسنطينة ص 15 ، 232 قشتالة ص6 قصر كتامة ص 104	مالقة ص 7 ،101 ،114 ،140، 202 المدينة ص 12 ،47 مراكش ص 5 ، 11 ،12 ،13 ،14 ،15 ،18 ،56 ،59 ،66 ،67 ،97،79 ،98 ،104 ،124 ،142 ، 145 ،147، 156 ،158 ،161 ،173 ،174 ،176 ،177، 178 ،179 ،182 ،183، 184، 196، 197، 207، 209، 244 مرج الفضة ص 64 مرسى ندرومة ص 38 مرسية ص 9 ،16 ،17 ،18 ،18 ،43 ،56 ،60 ،75 ،114 ،124 ،199 ،242 مصر ص 2 ،96 ،101،97 ،123 ،184 المغرب الأقصى ص 6 ،9 ،18 ،36 ،37 42 ،47 ،178 ،189 المغرب الأوسط ص 6 ،35 ،38 ،71 مكة ص 12 ،40 ،117، 151 ،199 ،234 ،240 مكناسة ص 13 ،14 ،15 ،51 ،56 ،59 ،60 ،165 ،238

الصاد

الصحراء ص 2 ، 5 ، 148
صقلية ص 32 ،38 ،46 ،115
صلب الفتح ص 38

الطاء

طريانة ص 188
طريف ص 16
طلبيرة ص 191
طلياطة ص 188 ،190.
طليطلة ص 7
طنجة ص 2 ، 5 ، 9 ،15

العين

العباد ص 13 ، 92 ، 145 ،182.
العراق ص 46
قصر اللؤلؤة ص 38
قصر المنستير ص 91
القلعة ص 10
قلعة بني حماد ص 17
القيروان ص 3 ،30 ،32 ،33 ،35 ،40 ،47 ،92 ،170

الكاف

كتندة 74

اللام

لبلة ص 188 ،189 ،190

الميم

ماسة ص 15
ملالة ص 13
مليانة ص 15
مليلية ص6
المهدية ص 15،13 ،51 ،63 ،92
ميرتلة ص 9 ،187 ،188 ،189، 190
ميورقة ص 10 ،17 ، 161

الواو

وادي آش ص 202
وادي شلف ص179
ولبة ص 188
وهران ص 6 ،11 ،14 ،148،38 ،176

الياء

يابرة ص 188 ،191

الفهـرس العـام

- مقدمة:
- نبذة تاريخية عن دولتي المرابطين والموحدين
1- الدولة المرابطية
أ- بداية الدعوة المرابطية.....ص2
ب- مرحلة التوسع والتأسيس.....ص4
ج- ضم بلاد الأندلس.....ص6
د- بداية التراجع وسقوط الدولة المرابطية.....ص9
2- الدولة الموحدية:
أ-بداية الدعوة الموحدية وقيام الدولة.....ص 12
ب-مرحلة التوسع.....ص 14
ج-ضم بلاد الأندلس.....ص 15
د- مرحلة التطور والازدهار.....ص 17
هـ- مرحلة التراجع والانهيار.....ص17

الفصل الأول

مدخل إلى التصوف الإسلامي وعوامل انتشاره

- مدخل إلى التصوف الإسلامي
1- تعريف التصوف.....ص 20
2- أنواع التصوف
أ- التصوف السني.....ص21
ب- التصوف الفلسفي .....ص 26
-عوامل انتشاره بالغرب الإسلامي.....ص 29
1-العوامل الدينية
أ- نزعة الزهد.....ص 30
ب- انتشار الربط.....ص 35
ج- دور الرحلات الحجية والعلمية ومؤلفات المتصوفة.....ص 40

2- العوامل السياسية.
أ- سياسة الدولة المرابطية.....ص 46
ب- سياسة الدولة الموحدية وعقيدة ابن تومرت.....ص 50
3- العوامل الاقتصادية.....ص 54
4- العوامل الاجتماعية ص60

الفصل الثاني :

الاتجاهات الصوفية بالغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين

الاتجاهات الصوفية السنية.....ص 72
1-اتجاه المجاهدة النفسية.....ص72
1-اتجاه المجاهدة العملية.....ص 74
3- اتجاه الوعظ والتذكير.....ص 75
4- اتجاه الترهيب والترغيب.....ص79
5-اتجاه الخلوة والانقطاع.....ص 81
6- اتجاه التصوف التلقائي.....ص83
الاتجاه الصوفي السني الفلسفي :.....ص 84
1- الغزاليون .....ص 84
2- المدينيون.....ص 88
3- الشاذليون.....ص 94
4- أصحاب التوجه الاحساني (أبو العباس السبتي).....ص 97
5- الاتجاه الصوفي الباطني:.....ص 99
أ- الاتجاه الباطني المعتدل.....ص 99
ب- الاتجاه الباطني المتطرف (الثائر).....ص 105
الاتجاهات الصوفية الفلسفية :.....ص 109
1- الاتجاه الاشراقي ص109
2- اتجاه الوحدة المطلقة.....ص 112
3- اتجاه وحدة الوجود.....ص 118

الفصل الثالث:

دور المتصوفة في الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية

1-أسلوب حياة المتصوفة

أ- لباسهم.....ص127

ب- أكلهم وشربهم ص132

ج- مساكنهم.....ص136

د- حياتهم الأسرية.....ص138

و – مهنهم.....ص 140

هـ- وفاتهم وقبورهم.....ص 143

2- موقف المتصوفة من مشاكل المجتمع.....ص145

3- دور المتصوفة الاجتماعي والديني ص155

4- دور المتصوفة السياسي .....ص 169

1- علاقة المتصوفة بالسلطة

أ-علاقة الاتجاه الصوفي المعتدل بالسلطة.....ص 169

ب- علاقة الاتجاه الصوفي المتطرف بالسلطة

1- ثورة المريدين على المرابطين بالأندلس.....ص185

2- ثورة ابن هود الماسي على الموحدين بالمغرب.....ص191

3- علاقة المتصوفة بالفقهاء.....ص193

الفصل الرابع:

دور المتصوفة في نشر التعليم وإثراء العلوم

I-دورهم في تطور المؤسسات التعليمية (الربط والزوايا)ونشر التعليم.

1-تطور المؤسسات التعليمية (الربط والزوايا).....ص206

2- دورهم في نشر التعليم.....ص208

أ- تعليم الصبيان.....ص208

ب- تعليم الشباب.....ص210

ج-تعليم عامة الناس ص214
II- دورهم في إثراء العلوم:.....ص215
1- العلوم النقلية.
أ- علم القراءات والتفسير.....ص215
ب- علم الحديث.....ص218
ج- الفقه.....ص220
د- العلوم الإنسانية
1 – اللغة.....ص222
2- الأدب.....ص223
1-النثر.....ص223
2- الشعر.....ص227
أ- الشعر الصوفي السني ص233
ب- الشعر الصوفي الفلسفي.....ص234
1- الموشح.....ص235
2- الزجل.....ص237
3- التاريخ.....ص 239
2- العلوم العقلية
أ- علم المنطق والفلسفية.....ص240
ب- الجدل والمناظرات.....ص241
ج- العلوم العددية..... ص 242
د- الطب والتنجيم والفلك..... ص 242
هـ- علم أسرار الحروف.....ص 243
الخاتمة.....ص 246
الملاحق..... ص 249
الخرائط.....ص253
قائمة المصادر والمراجع..... ص 259
فهرس الأعلام..... ص290

فهرس القبائل.....ص 298

فهرس الأماكن.....ص 299

الفهرس العام ص301